الجمهوريـــة العربيـــة الســـورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة دمشـــق - كليّـــة الشـــريعة
قســـــم العقائـــــد والأديـــــان



منهج الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي في دراسة مسائل العقيدة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالبة
رغد محمد توفيق الحاج علي

إشراف الدكتور
مدين الهواري
أستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق

المشرف المشارك الأستاذ الدكتور
محمد توفيق رمضان البوطي
أستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق

1444هـ - 2023م

Syrian Arab Republic

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Damascus University - College of Sharia

Department of: Beliefs and Religions

(The Methodology of the Martyr Imam Dr.Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti)

(in the study of matters of faith)

A Thesis Submitted to complete the requirements for obtaining The master's degree

by

(Raghad Muhammad Tawfiq Al-Haj Ali)

Supervisors

(Dr. Madine El Hawary)

(Dr. Muhammad Tawfiq Ramadan Al-Bouti)

AD 2023 - AH 1444

الجمهوريـــة العربيـــة الســـورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة دمشـــق - كليّـــة الشـــريعة
قســـــم العقائـــــد والأديـــــان

منهج الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي في دراسة مسائل العقيدة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالبة
رغد محمد توفيق الحاج علي

إشراف الدكتور
مدين الهواري
أستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق

المشرف المشارك الأستاذ الدكتور
محمد توفيق رمضان البوطي
أستاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق

1444هـ - 2023 م


بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهوريـــــة العربيـــــة الســـــورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــة دمشـــــق
كليّـــــة الشـــــريعة
الدراســـــات العليـــــا

قسم: العقائد والأديـان

إفادة

رسالة ماجستير

عنوان الرسالة: منهج الإمام الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في دراسة مسائل العقيدة

إعداد الطالبة: رغد محمد توفيق الحاج علي

تمت مناقشة الرسالة بتاريخ 6 / 11/ 2022م، وقامت الطالبة بتعديل ملحوظات لجنة المناقشة.

أعضاء اللجنة

الاسم	الصفة	التاريخ والتوقيع
الدكتور مدين الهواري	مشرفاً	/ /2023م
الدكتور حسان القاري	عضواً	/ /2023م
الدكتور أحمد الزبيبي	عضواً	/ /2023م

الإهداء

إلى روحٍ تحرَّرَتْ مِنْ سجنِ الجسدِ

ثُمَّ أيقنَتْ أنَّ مهمَّتها تلك الأرواح الحبيسة

لتنطلِقَ بها إلى مضمارِ العقلِ والقلب

حيثُ الحقيقة الأزليَّة

إلى روحِ الإمامِ الشَّهيدِ

الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي

الشُّكر والتَّقدير

الحمدُ والشُّكرُ ابتداءً لمستحقِّهما بمحضِ ربوبيَّته فضلاً عن إسباغ عطائه حمداً يُعْلِنُ البُشرى باختصاصٍ هو مِنْ أشرف العلوم وبساعاتٍ مُتْرَعَةٍ بتوفيق الله كانتِ السَّبب في وصول البحث إلى نهايته المنشودة.

ثمَّ الشُّكر موصولٌ إلى تجليَّاتِ الرعايةِ الإلهيَّة أقطابِ حياتي عموماً والروحيَّة خصوصاً:

- والديَّ (منال خير الله وتوفيق الحاج علي) فقد نذرَانِي منذُ فجرِ حياتي لأعظمِ مُهمَّتَيْنِ أزليَّتَيْنِ: الإذعانِ بالعبوديَّة له وحده سبحانه وتعالى، ثمَّ عِمَارة الأرضِ؛ خليفةً قائمةً على إنسانيَّةِ الإنسان وصلاح أمره.
- الآنسة (هنادي الوني) سرِّ وصول القلب إلى علاَّم الغيب.
- الدُّكتور (محمَّد ياسر الكرديّ) واسطةِ العقد؛ بين عِلْمٍ في بُرْجٍ عاجيٍّ، ومجتمعٍ متعطِّشٍ لِعَالِمٍ ابنِ عصره، محمديِّ الحكمة والرَّحمة واللِّين، فأصبحتُ بتوجيهاته أهلاً لإدراك روحِ عباراتٍ حكَتْ فكراً إصلاحيَّاً واجتماعيَّاً امتاز به الدُّكتور البوطيّ رحمه الله.

أمَّا الشُّكر الأساسيُّ الدُّكتور (مدين الهواريّ) رئيس قسم العقائد والأديان في جامعة دمشق، الذي أغنى هذا البحث مشرفاً وموجِّهاً باذلاً كلَّ جهدٍ وسعةِ صدرٍ بانتظار تمامه، فكانتْ توجيهاته باعثاً على الاستمرار، والتَّمسُّك في متابعة التَّقدُّم الأكاديميّ.

والشُّكر للأستاذ الدُّكتور (محمَّد توفيق رمضان البوطيّ) فقدِ امتاز البحثُ بإشرافه، فكنتُ بتوجيهاته أستقي العلم مِمَّنْ ذاقَ لَذَّةَ السُّقْيَا مِنَ النَّبع الأصيل.

وعميم الشُّكر لكادر الهيئة التَّعليميَّة في وزارتَي التَّربية والتَّعليم العالي ثمَّ لكادر جامعة دمشق وكليَّة الشَّريعة وقسم العقائد والأديان الذي احتضَنَنِي منذ بلغْتُ أعواميَ السِّتَّةَ الأولى حتى الآن، فبجهودهم بلغتُ هذه المرحلة الأكاديميَّة.

وختاماً التَّقدير لكلِّ مَنْ مدَّ يد العون؛ بكلماتٍ داعمةٍ أو دعواتٍ في ظهر الغيب، لا سيَّما إخوة الجسد والروح عبدو ومحمد وأحمد الحاج علي، وأخوات الروح؛ (متطوعات فريق عمار يا شام) أخواتٍ بعهد الله، جمعَتْهُنَّ وحدة الرسالة، فكنَّ في الطَّريق خيرَ شريكات.

2022/5/5م

رغد الحاج علي

المستخلص

عنوان الرِّسالة

منهج الإمام الشَّهيد الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي

في دراسة مسائل العقيدة

الطالبة: رغد محمد توفيق الحاج علي. المشرف: الدُّكتور مدين الهواري

المشرف المشارك: الأستاذ الدُّكتور محمد توفيق رمضان البوطي

مستخلَص الرِّسالة

هدَفَ البحثُ إلى تحديد المنهج العلميِّ للدُّكتور البوطيّ في دراسة العقيدة وبيان مذهبه الكلاميِّ، وجمع آرائه العقديَّة ومنهجِه العلميِّ معاً في مرجعٍ واحد؛ يسْهُل الاعتماد عليه في أبحاثٍ قادمة.

ولتحقيق ذلك قُسِّمَتِ الرِّسالة إلى بابين؛ الأوَّل: منهج البحث العلميِّ وتطبيقاته في دراسة مسائل العقيدة عند الدُّكتور البوطيّ، وفيه: أربعة فصولٍ؛ الأوَّل يتحدَّث عن منهج البحث العلميِّ ومسائله. والثَّاني: منهج الدُّكتور البوطيّ في الاستدلال بالأدلَّة العقليّة وهي؛ الاستقراء، والتَّلازم والقياس. واختصَّ الثَّالث بمنهجه في الاستدلال بالأدلَّة النّقليّة من حيث عدد الرواة والقبول، وقواعد اللُّغة، وأخيراً الرَّابع: حكم الاشتغال بعلم الكلام عنده رحمه الله امَّا الباب الثّاني: الآراء العقديَّة للدُّكتور البوطيّ وفيه؛ خمسة فصول وفق الترتيب التَّالي: الإلهيَّات، النّبوَّات، الكونيَّات، الغيبيَّات، الإيمان، ومنهجُ الحيطةِ في إثبات فَقْدِ الإيمان.

واتَّبع البحث المنهج الاستقرائيَّ الوصفيَّ ثُمَّ التَّحليليَّ، وتوَّصل إلى جملةٍ مِنَ النَّتائج أهمُّها: أنَّه رحمه الله وافق في أغلب آرائه العقديَّة المذهب الأشعريَّ، بينما يظهرُ في منهجه العلميِّ التَّفصيل التَّالي: حيث أراد رحمه الله أنْ يُثبتَ الحقائق الإيمانيَّة فقط دون مناقشةٍ؛ اتَّبع المنهجَ الأشعريَّ، أمَّا حيث أراد رحمه الله مناقشةَ فكرةٍ اعتقاديَّة ثمَّ إبطالَ حُجَّةِ الخصم فكان أقرب إلى المنهج الماتريديِّ، كلُّ ذلك في الدعاوى التي تعتمد على الأدلَّة العقليَّة، أمَّا في الغيبيات فالنَّصُّ هو الثَّابت مهما كان سياق وهدف الحديث.

الكلمات المفتاحيَّة: (منهج)، (البوطي)، (علم الكلام)، (الإلهيَّات)، (النّبوَّات)، (الغيبيَّات).

المقدِّمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصَّلاة وأتمِّ التَّسليم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنَّ علم العقيدة يتضمَّنُ أسئلةً مصيريَّةً عن حقائق الوجود والمُوجِدِ والكونِ والحياة، حيَّرَتْ هذه الأسئلةُ عقولَ المفكِّرين، مَنْ أنا؟ ولماذا أنا موجود؟ مَنْ أوجدني؟ وكيف؟ وإلى أين؟ تعدَّدتْ الإجابات بين علماء كلامٍ وفلاسفة، ولكلٍّ منهم فِرَقٌ وطوائف، وتعدُّدُ الإجاباتِ بتعدُّد المناهج، فأفضل الطُّرق العلميَّةِ لدراسة آراء أحدِهم دراسةُ منهجِه، فبها نحدِّد إلى أيِّ الفِرق ينتمي، وبأيِّ الإجابات يؤمن، وذلك مِن خلال دراسةٍ موضوعيَّةٍ لطريقة استدلاله، وردِّه على مخالفيه وما يتبع ذلك.

وقد تناول هذا البحث منهج عَلَمٍ معاصر، صاحبِ أثرٍ علميّ واجتماعيّ، وفق العنوان التَّالي:

منهج الإمام الشَّهيد الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ في دراسة مسائل العقيدة

1- أسئلة البحث وأهدافه

1-1- هل كان للدُّكتور البوطيّ رحمه الله منهج جديد؟ أمْ وافق منهجاً لمذاهبَ كلاميَّةٍ معيَّنةٍ؟

1-2- هل بنى رحمه الله على المنهج العلميِّ الذي اعتمده آراءً عقديَّةً جديدةً؟

2-أهداف البحث

2- 1- تحديد المنهج العلميِّ للدُّكتور البوطيّ رحمه الله في دراسة مسائلِ العقيدة.

2- 2- جمع آرائه العقديَّة وبيان مذهبه الكلاميِّ.

2- 3- بيان آرائه العقدية الجديدة إنْ وجِدَتْ.

2- 4- جمع آرائه العقديَّة في المسائل الأساسيَّة ومنهجِه العلميِّ في مرجعٍ واحد؛ يسْهُل الاعتماد عليه في أبحاثٍ علميَّةٍ قادمة.

3- أهميَّة البحث

3- 1- لدراسةِ المناهجِ بشكلٍ عامٍ أهميَّةٌ كبيرةٌ، فالمنهج هو الطَّريق الذي يسلكُه العلماءُ لبناءِ آرائهم، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ الحكم على المنهجِ يعني الحكمَ على الآراء التي بُنيتْ عليه.

3- 2- ولدراسة منهجه رحمه الله أهميَّةٌ خاصَّةٌ تأتي أَوَّلاً مِنْ أهميَّة إرثه العلميِّ في مجالاتٍ مختلفةٍ على مستوى العالم الإسلاميِّ. وثانياً مِنْ مساحة النِّقاش الواسعةِ التي حازتْ عليها مواقفُه وآراؤه.

4- أسباب اختيار البحث

4- 1- استمرار أعداء الأمَّةِ بابتكار الفتن العقديَّة لتفريق كلمة المسلمين؛ فكان لا بدَّ مِنْ دراسة منهجه رحمه الله ليكون أحد النَّماذج العلميَّة الثَّابتة لمنْ يقوم بمهمَّة حراسة الدِّين مِنْ بعده.

4- 2- العنوان المذكور لم يُدرسْ في بحثٍ أكاديميٍّ علميٍّ مِنْ قَبْل، في حدود ما توصَّلتْ إليه الباحثة.

4- 3- ما ذُكر في الفقرة السَّابقة مِنْ أهميَّة البحث في مناهج العلماء.

5- مصطلحات البحث

5-1- المنهج

5-1-1. لغةً: بوزن المَذْهَب، وهو الطَّريق الواضح، فِعْلُه: نَهَجَ، يُقال: نهج الطَّريق: أوضحه أو سلكه[1].

5-1-2. المنهج بمعناه الاصطلاحيِّ: طريق الكشف عن الحقائق باتِّباع مجموعةٍ مِنَ القواعد تنْظُم سير العقل وعمله[2].

---

1 انظر مختار الصِّحاح/الرَّازي، 320 (نهج)

2 انظر مناهج البحث العلمي/البدوي، 3-18

ويختلف المنهج بحسب الحقيقة التي يُراد الوصول إليها؛ فالحقائق الماديَّة تعتمد المنهج التَّجريبيَّ، أمَّا الحقائق النَّظريَّة والتي تتضمَّن العلوم الإنسانيَّة فمنهجها استدلاليٌّ رياضيٌّ.

والمقصود بكلمة (منهج) في هذا البحث: السَّبيل الذي سلكه الدُّكتور البوطيّ رحمه الله للوصول إلى الحقائق العقديَّة.

ولأنَّه رحمه الله اهتمَّ بالمنهج وجعله المنطلق لأيِّ علمٍ، فتحدَّث عن تاريخه وأهميَّته وأنواعه؛ تمَّ تخصيص الفصل الأوَّل في الباب الأوَّل مِنْ هذا البحث للحديث عن المنهج بالتَّفصيل.

5-2- العقيدة

5-2-1. لغةً: أصلها مِنْ: عَقَدَ الحَبْلَ أيْ: شدَّهُ، فهي التَّوثيق والرَّبط مع الإحكام[1].

5- 2-2. العقيدة بمعناها العام: ما ثبت مِنَ المفاهيم في النَّفس، فأصبحت حكماً لا يقبل الشَّكَّ، لأنَّ القلب اطمأنَّ إليها، والعواطف والسُّلوكيَّات باتتْ تتأثَّر بها، والمقصود باللَّفظ عموماً نفس الاعتقاد دون العمل[2].

5-2-3. العقيدة اصطلاحاً: مجموعة حقائق عن الكون والإنسان والحياة، ألزم الله خلْقَه بالإيمان بها مِنْ خلال العلم بأركانها وبراهينها[3].

وقد درس العلماء هذه الحقائق وفق تقسيماتٍ علميَّةٍ مختلفةٍ، وسيعتمد هذا البحث تقسيم الدُّكتور البوطيّ رحمه الله: الإلهيَّات والنُّبوَّات والكونيَّات والغيبيَّات، وسيُخصَّص لكلٍ منها فصلٌ كامل في الباب الثَّاني مِنْ هذا البحث

---

1 انظر القاموس المحيط/الفيروزآبادى، 300

2 انظر العقيدة الإسلاميَّة وأسسها/عبد الرحمن حبنكة، 30-33

انظر التَّعريفات/الجرجاني، 152

انظر معجم اللغة العربية المعاصرة/أحمد مختار عمر، 1528/2

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، 22-25

انظر العقيدة الإسلاميَّة وأسسها/عبد الرحمن حبنكة، 30-33

6- حدود البحث

6- 1- الحدود الموضوعيَّة

سيدرس هذا البحث منهجه رحمه الله الذي بنى عليه الآراء العقديَّة التي تُعتبَر أمَّهاتِ المسائلِ في العقيدة، التي دَوَّن أغلبها في كتابه كبرى اليقينيَّات الكونيَّة، فلن يتحدَّثَ البحثُ عن منهجه في مناقشة التَّيارات المنتسبة للإسلام والمذاهب الفكريَّة والفلسفيَّة المعاصرة.

6- 2- الحدود الزَّمانيَّة والكميَّة

يستقرئ البحثُ منهجَه رحمه الله وآراءه العقديَّة في كتبه التي دوَّنها بيده أو أشرف عليها وقدَّم لها، وكذلك ما كتب عنه المؤلفون مِنْ مُوافقٍ لآرائه أو مخالف، ويحدَّد البحث فيما طُبع مِنْ هذه الكتب حتَّى لحظة كتابة هذا البحث في شهر شباط مِنَ العام الثاني والعشرين بعد الألفين، أمَّا ما خطَّه بيده أو كتب عنه ولم يُطبع بعدُ فلم يستقرأْ في هذا البحث.

وكذلك لم يستقرئِ البحثُ الإرث العلميَّ المسجَّلَ صوتيَّاً أو مرئيَّاً له رحمه الله، أو لأحد الموافقين لآرائه أو مخالفيه، وذلك لأنَّ أغلبه قد دوِّن وطُبِع في حياته فدقَّقه واعتنى به، ولِمَا يحتاج ذلك مِنْ جهدٍ لمجموعة من الباحثين يقومون على مهمَّة حصر ذلك الإرث وتفريغه مكتوباً وتدقيقه كاملاً.

7- الدِّراسات المرجعيَّة السَّابقة

بعد الاطِّلاع على الدِّراسات العلميَّة السَّابقة تبيَّن تعدُّدَ الدِّراسات التي تهتمُّ بالجهود الفكريَّة للدُّكتور البوطيّ رحمه الله؛ العقديَّة والفقهيَّة والاجتماعيَّة والرُّوحيَّة وشتَّى المجالات الأخرى[1]. وستُذكر هنا الدِّراسات المتخصِّصة بالمجال العقديِّ فقط، وترتيبُها سيكون مِنَ الأخصِّ إلى الأعمِّ، وفق التَّالي:

---

1 للاطِّلاع عليها كاملةً راجع الملحق، جدول مؤلفاته رحمه الله، مما كُتِبَ عنه

7- 1- رسالة دكتوراه:

العنوان: مفهوم حريَّة الإنسان عند الشَّيخ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ.

المؤلف: شريف مراد.

جامعة فان يوزونكويل- كليَّة أصول الدِّين- تركيا.

تمَّ الوصول إلى مقالةٍ بحثيَّةٍ للمؤلِّف نفسِه اقتبسها مِنْ رسالته ونشرها في مجلة فان اللاهوت، عام 2020- العدد 13- المجلد 8، بعنوان: مفهوم الحريَّة عند الوجوديين ونقد الشَّيخ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ لهم.

قامت المقالة على فكرةٍ أساسيَّةٍ وهي مفهوم الحريَّةِ عند فلاسفة الوجوديَّة، الذين قالوا أنَّها جوهر الوجود الماديِّ للإنسان، وقد تناولها علماء الكلام تحت مسمَّى التَّسيير والتَّخيير، وقد رتَّب الباحث مقالته بالبدء بتعريف الوجوديَّة ثُمَّ عرض رأيهم ثُمَّ ردِّ الدُّكتور البوطيّ رحمه الله عليها.

والغاية مِنَ المقالة كلِّها الإجابة عن السُّؤال التَّالي: هل الحريَّة هي جوهر الوجود الماديِّ للإنسان أمْ لا؟

وكانت أهمُّ نتائج البحث ما يلي:

7- 1- 1. سببُ نشأة النَّظريَّةِ الوجوديَّةِ برأي الدُّكتور البوطيّ رحمه الله هو حالة القلق الذي ساد بعد الحربين العالميَّتين، وبناءً على أدلَّةٍ عقليَّةٍ منطقيَّةٍ أنكر رحمه الله جميع أقوالهم؛ ونصح بالعودة إلى الحلِّ الإسلاميِّ الذي يجعل الإنسان منسجماً مع واقعه الإنسانيِّ، ومدرِكَاً لعلاقته الدَّقيقة بالكون والحياة والخالق.

7- 1- 2. رفض رحمه الله الاعتراف بالوجوديَّة كمذهبٍ فلسفيٍّ، لأنَّها قائمةٌ على مجموعةٍ مِنَ الأسس والمقوِّمات الباطلة الواهية.

المقارنة بين رسالة الدُّكتوراه مِنْ خلال المقالة والبحث الحالي:

يتبيَّن مِنْ عنوان الرسالة خصوصيَّتها في المذهب الوجوديّ فقط وبحث الجبر والاختيار، أمَّا البحث الحالي فعنوانه أعمُّ يتناول الآراء العقديَّة كاملةً للدُّكتور البوطيّ رحمه الله.

****

7- 2- مقالةٌ بحثيَّة:

العنوان: إسهامات البوطيّ في مقصد العقيدة، دراسةٌ تحليليَّةٌ في كبرى اليقينيَّات الكونيَّة.

تأليف: ميثاق صادق محمود هزاع المالكيّ.

النَّاشر: مجلة أفكار/قسم أكاديميَّة الدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة مالايا، ماليزيا، كوالالمبور.

تاريخ النَّشر: 2018/12/29م.

قامَتْ هذه الدِّراسة على فرضيَّةٍ واحدةٍ وهي: التَّشابه بين الأحكام الفقهيَّة والعقديَّة مِنْ حيثُ تحقيقها للمقاصد، فافترض الباحث أنَّه كمَا للفقه مقاصد خمسة يسعى لتحقيقها كذلك للعقيدة مقاصد تسعى لتحقيقها، ولكنَّ العلماء انشغلوا بمقاصد الأحكام الفقهيَّة، وأصاب مقاصد العقيدة الخمول الفكريّ، واتَّبع في سبيل تحقيقه لفرضيَّته المنهج الاستقرائيّ، محدِّداً مجال بحثه في كتاب كبرى اليقينيَّات الكونيَّة فقط، حيثُ عمِلَ على استنباط مقاصد الدُّكتور البوطيّ رحمه الله في أربع مسائلَ رئيسيَّةٍ وهي: الوحدانيَّة، النُّبوَّة والرِّسالة، مسألة التَّسيِّير والتَّخيِّير، القضاء والقدر.

المقارنة بين المقالة والبحث الحالي:

المقالة خاصَّةٌ في كتابٍ واحدٍ مِنْ كتب الدُّكتور البوطيّ (كبرى اليقينيَّات الكونيَّة) وضمن موضوعٍ محدَّد، كما هو معروفٌ عن شروط المقالة وضوابطها. أمَّا البحث الحالي فقد اعتمدَ على جميع كتب الدُّكتور البوطيّ رحمه الله متناولاً الآراء العقديَّة كاملةً.

****

7- 3- دراسةٌ بحثيَّة:

العنوان: منهج الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ في دراسة العقيدة.

المؤلفة: سلوى بن أحمد.

النَّاشر: موقع نسيم الشَّام.

تاريخ النَّشر: 2017م

قامت هذه الدِّراسة على ثلاثة أسئلةٍ رئيسةٍ؛ الأوَّل: كيف تناول رحمه الله مختلف مسائل العقيدة؟ وما هي وجوه التَّجديد في هذا المنهج؟ وهل التَّجديد يكمن في طريقة العرض أم المضامين.

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتَّبعتِ الباحثة التَّقسيم ذاته الذي اعتمده رحمه الله في ترتيب كتاب كبرى اليقينيَّات الكونيَّة، حيث بدأَتْ في الفصل الأوَّل بمنهج الدُّكتور البوطيّ في دراسة الإلهيَّات وضمَّنته مبحثاً عن منهج البحث عن الحقيقة عند الغرب والمسلمين ثُمَّ تابعَتْ عرض الفصول مرتَّبةً كمَا كتاب كبرى اليقينيَّات تماماً. ومِنْ أهم النَّتائج التي توصَّلَتْ إليها ما يلي:

7-3-1. استخدامه رحمه الله لقياس الأَوْلى والاستدلال بدليل العلّة الغائيَّة لإثبات وجود الله.

7-3-2. ذهابه إلى ما قاله الأشاعرة في جواز إرسال الرُّسل خلافاً للمعتزلة الذين أوجبوه عقلاً.

7-3- 3. ذهب رحمه الله مذهب الجمهور في القول بأفضلّيَّة الإنسان.

7- 3- 4. كيفيَّة وزن الأعمال: منهجه أشعريّ يتجنَّب الخوض فيها فعلمها عند الله ، على خلاف المعتزلة

7- 3- 5. أقرَّ رحمه الله أنَّ المنهج العلمي لعلماء المسلمين يستند للنَّقل دون أنْ يُهْمِلَ العقل، أمَّا المنهج العلمي للغرب فمنهجٌ توسُّميٌّ استردادِيٌّ.

وفي هذه النتيجة نظرٌ فالمتَتبِّع لكلام الدُّكتور البوطيّ في كتبه كافَّة يجد أنَّ العقل والنَّقل يسيران معاً في خطين متوازيين في إثبات العقائد لا يسبق أحدهما الآخر فهما كفتا ميزان.

وقد تمَّ تخصيص مبحثٍ كاملٍ لمناقشة هذه النتيجة بعنوان تعارض العقل والنَّقل.

7- 3- 6. اتّبع رحمه الله في مسائل الإلهيَّات منهج الأشاعرة حيث أنَّه لم يُعَطِّلْ ولم يشبِّهْ بل ابتغى في ذلك قَوَامَاً وأثبت لله ما أثبته تعالى لنفسه مِنَ الأسماء والصفات.

المقارنة بين الدّراسة البحثيَّة والبحث الحالي:

لقد امتازت الدّراسة البحثيَّة بالجِدَّة في موضوعها فلم يتناوله أحدٌ قبلها بهذا العنوان الصريح، إلا أنَّها اقتصرت على ثلاثة كتبٍ فقط في استخلاص المنهج، هي: كبرى اليقينيَّات الكونيَّة، وفقه السَّيرة، وهذا والدي. بالإضافة لموقع نسيم الشَّام. فعنوان بحثها يحتاج إلى ضبطٍ أكثر مِنْ خلال تخصيصه بكتاب كبرى اليقينيَّات الكونيَّة كما في المقالة السَّابقة. كما أنَّ بعض النَّتائج التي توَّصَّلت إليها الباحثة فيها نظر، وكلٌّ منها مفصَّلٌ في هذا البحث يراجع في مظانِّه.

****

7- 4- رسالة ماجستير:

العنوان: الشَّيخ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ وآراؤه الاعتقاديَّة" عرض ونقد في ضوء عقيدة الَّسلف.

إعداد: سمير الجعبري.

جامعة الخليل/ كلية الدِّراسات العليا/قسم أصول الدِّين/فرع العقيدة

التَّاريخ: 1437هـ-2015م.

قامت هذه الرِّسالة على فرضيَّةٍ واحدةٍ وهي أهميَّة جهود العلماء وكم أضافتْ وأغنتْ تراث الأمَّة الإسلاميَّة، فاختار الباحث ليساهم في الحفاظ على تراث الأمَّة أنْ يُسَلِّطَ الضوء على أحد علمائها ووقع اختياره على الدُّكتور البوطيّ رحمه الله لِمَا له مِنْ مكانةٍ بين علماء المسلمين، وغزارةِ علمٍ في شتَّى أبواب الدِّين، ومنها باب العقيدة الإسلاميَّة، واتَّبع الباحث في رسالته المنهج الاستقرائيَّ التَّحليليَّ حيث عرض آراء الدُّكتور البوطيّ أولاً ثُمَّ عرض آراء السَّلف مع بيان محلِّ الاختلاف والاتِّفاق بينهما، وكان عرضه لكلِّ ذلك موزَّعاً كالتَّالي:

مقدِّمة وتمهيد وثلاثة فصولٍ وملحقَيْنِ وخاتمة، في المقدِّمة عنوان البحث وأهميَّتُه وأسبابُ اختياره والدِّراسات السَّابقة ومنهج البحث

أمَّا التَّمهيد: ففيه التَّعريف بعقيدة السَّلف

ثُمَّ الفصل الأوَّل: عصر الشَّيخ البوطيّ وحياته

الفصَّل الثَّاني: آراء الشَّيخ البوطيّ في الإلهيَّات والنُّبوَّات والسَّمعيَّات

وأخيراً الفصل الثَّالث: آراء الشَّيخ البوطيّ في الرِّدَّة

ثُمَّ الخاتمة وفيها أهم النَّتائج وهي:

7- 4- 1. سار الدُّكتور البوطيّ في منهجه على المذهب الأشعريّ. فلم يأخذ بخبر الآحاد في العقائد.

7- 4- 2. أجاز الشَّيخ البوطيّ التَّوسُّل بجاه النَّبيﷺ بعد وفاته.

7- 4- 3. سار في إثباته لوجود الله على طريقتين، الطَّريقة الأولى طريق الفلاسفة والمتكلِّمين، وأمَّا الطَّريقة الثَّانية فهي طريقة السَّلف الصَّالح.

7- 4- 4. أثبت سبع صفاتٍ لله وأوَّل باقي الصِّفات، وقسَّم كلام الله إلى نَفْسِيٍّ قديمٍ، ولَفْظِيٍّ حادث.

7- 4- 5. نفى تعليل أفعال الله، وقال بنظريَّة الكسب في ركن القضاء والقدر، واعتبر الحسن والقبح في الأشياء اعتباريَّاً وليس جوهريَّاً

7- 4- 6. وافق مذهب السَّلف عند حديثه عن النُّبوَّات والملائكة والجنِّ ونعيم القبر وعذابه وأشراط السَّاعة الكبرى، وأحداث يوم الآخر، ورؤية الله يوم القيامة، وموجبات الرِّدة إلَّا أنَّه أغفل ردَّة التَّرك، كمن ترك الصلاة متعمداً.

7- 4- 7. خالف مذهب السَّلف في مسمَّى الإيمان، واعتبر الإيمان مجرَّدُ التَّصديق القلبيِّ فحسب، وأنَّ صاحبَه ناجٍ يوم القيامة. كما خالف في إثباتِ علاماتِ السَّاعة الصغرى لورودها بالخبر الآحاد، ونفى الجهة عن الله.

7- 4- 8. اعتبر حكم المرتدِّ مِنْ باب أحكام الإمامَّة والسِّياسة الشَّرعيَّة مخالفاً بذلك إجماع العلماء ومعتبراً علَّة قتل المرتدِّ الحرابة لا الكفر.

المقارنة بين رسالة الماجستير والبحث الحالي:

بعد قراءة الرِّسالة يتبيَّن أنَّ الباحث بذل جهده في التزام الموضوعيَّة في استقراء آراء الدُّكتور البوطيّ وعرضها، وظهرت بوضوحٍ في اختيار المفردات العلميَّة الحياديَّة، ولكنَّ البحث فَقَدَ الموضوعيَّة عند مقارنة آراء الدُّكتور البوطي مع آراء المذاهب الأخرى، حيث جعل الباحث قناعاته ميزاناً للحكم على آراء الدُّكتور البوطي، وهذا مخالفٌ لأصول البحث العلميِّ، فميزان الآراء فيه هو قواعد ومنهج البحث العلميِّ.

وقدِ اعتمد في رسالته على عشْرة كتب للدكتور البوطيّ رحمه الله أهمها كبرى اليقينيَّات، نقض أوهام الماديَّة الجدليَّة، يغالطونك إذ يقولون. أمَّا النَّتائج التي توَّصَّل إليها فبعضها بحاجةٍ إلى إعادة نظر، وكلٌّ منها مفصَّلٌ في هذا البحث يراجع في مظانِّه.

8- منهج البحث وأدواته

8- 1- منهج البحث

- اعتمد البحث أوَّلاً على المنهج الاستقرائيِّ الوصفيِّ حيث تمَّتْ قراءة جميع كتبه رحمه الله، مع التَّركيز على كلِّ ما يخصُّ آراءه العقديَّة أو منهجَ البحث العلميِّ عنده.
- ثمَّ اعتمد على المنهج التَّحليليّ، مِنْ خلال تحليل آرائه في كتبه وأدلَّته التي اعتمدها في بعض المسائل التي تحتاج لتفصيل.

8- 2- **أدوات البحث**

8- 2- 1. البحث مرتَّبٌ في بابه الثَّاني على ترتيب أبواب علم الكلام كما قسَّمها رحمه الله في كتابه كبرى اليقينيَّات: الإلهيَّات – النُّبوَّات – الكونيَّات – الغيبيَّات وأخيراً الإيمان.

8- 2- 2. التَّرجمة للأعلام والفرق غير المشهورة فقط، وفهرستها.

8- 2- 3. التَّوثيق في الحاشية للكتب التي تمَّ فيها الاعتماد على طبعاتٍ مختلفةٍ بذكر رقم الطَّبعة، للتَّفريق بينها.

8- 2- 4. المواقع الإلكترونيَّة، ذُكر اسمها في الحاشيَّة فقط، وإثبات عنوانها الإلكترونيّ في فهرس المصادر.

8- 2- 5. عند وجود أكثر مِنْ مرجعٍ في الحاشيَة الواحدة تمَّ اعتماد التَّرتيب حسب المصدر الأساسيِّ للمعلومة ثم الثَّانويِّ وهكذا.

8- 2- 6. في الإحالة إلى الكتب ذات العنوان الطَّويل؛ تمَّ الاكتفاء بجزء مِنَ العنوان الذي يميِّزُ الكتاب عن غيره؛ مثال:(كبرى اليقينيَّات الكونيَّة وجود الخالق ووظيفة المخلوق) أُثبت بعنوان:(كبرى اليقينيَّات) فقط، وذُكر العنوان كاملاً في فهرس المصادر.

8- 2-7. عند الحديث عن الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي، يستخدم مصطلح (الدُّكتور البوطي) دون ذكر الاسم كاملاً، أمَّا عند الحديث عن أيِّ عَلَمٍ مِنْ عائلة (البوطيّ) فيُذكر الاسم كاملاً، كالدُّكتور توفيق البوطيّ، والدُّكتور محمود البوطيّ، واعتُمِدَ هذا في الحواشي أيضاً.

9- أقسام الرِّسالة

البحث مقسَّم إلى تمهيدٍ وبابين، بالإضافة إلى مقدِّمة وخاتمة.

المقدِّمة: وفيها؛ أسئلة وأهداف، وأهميَّة، وحدود البحث، الدِّراسات السَّابقة، منهج البحث وأدواته، مكوِّنات البحث.

التَّمهيد: ترجمة لحياة الدُّكتور البوطيّ وفيه؛ نشأة الدُّكتور البوطيّ رحمه الله ولادته ونسبه، والداه، وحياته العلميَّة وشيوخه، وأخلاقه ونشاطه العلميّ، ومشاركاته الإعلاميَّة المرئيَّة والمكتوبة، وموقعه في المؤسسات الأكاديميَّة والعالميَّة، والتَّخصُّص العلميِّ لمؤلفاته، وذكر أهمِّها في مجال العقيدة، وأبرز الأحداث الاجتماعيَّة والتَّيَّارات الدِّينيَّة التي عاصرها، التَّزكية في حياته، وأخيراَ استشهاده.

الباب الأوَّل: منهج البحث العلميِّ وتطبيقاته في دراسة مسائل العقيدة عند الدُّكتور البوطيّ، وفيه

الفصل الأوَّل: منهج البحث العلميِّ، وما يتصلُ به من مسائل.

الفصل الثَّاني: منهج الدُّكتور البوطيّ في الاستدلال بالأدلَّة العقليّة على العقائد، وفيه؛ المبحث الأوَّل: الاستقراء، المبحث الثَّاني: اللُّزوم (قانون التَّلازم)، المبحث الثَّالث: القياس الفصل الثَّالث: منهج الدُّكتور البوطيّ في الاستدلال بالأدلَّة النّقليّة على العقائد وفيه؛ المبحث الأوَّل: الأدلَّة النّقليّة من حيث عدد الرواة والقبول، المبحث الثّاني: الأدلَّة النّقليّة مِنْ حيث قواعد اللُّغة العربيَّة والتَّفسير، المبحث الثّالث: الإجماع.

الفصل الرَّابع: حكم الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله.

الباب الثّاني: الآراء العقديَّة[1] للدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ وفيه

الفصل الأوَّل: الإلهيَّات، وفيه؛ المبحث الأوَّل: وجود الله، المبحث الثّاني: صفات الله، المبحث الثّالث: رؤية الله، المبحث الرّابع: أسماء الله.

الفصل الثّاني: النّبوَّات، وفيه؛ المبحث الأوَّل: منهجه رحمه الله في إثبات ظاهرة الوحي وتفسيراتُها، المبحث الثّاني: النّبوَّة والرّسالة، المبحث الثّالث: المعجزات.

الفصل الثّالث: الكونيَّات، وفيه؛ المبحث الأوَّل: العالم، المبحث الثَّاني: الإنسان، المبحث الثَّالث: الإيمان بالملائكة والجنِّ.

الفصل الرّابع: الغيبيَّات، وفيه؛ المبحث الأوَّل: قضايا الموت ومسائله: المبحث الثّاني: أشراط السّاعة ومسائلها: ظهور الدّجال والمهدي، نزول عيسى عليه السّلام، ظهور يأجوج ومأجوج، ظهور دابَّة الأرض، طلوع الشّمس مِنْ مغربها. المبحث الثّالث: يوم القيامة وأحداثه: المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات أحداث يوم القيامة. المطلب الثَّاني: أحداث يوم القيامة.

---

1 "نشأ بينهم خلاف عَقَديّ [فصيحة]-نشأ بينهم خلاف عَقِيديّ [فصيحة]، التعليق: اختلفت المراجع في حكم النسب إلى «فَعِيل» و«فَعِيلة»، فمنها ما قصر حذف ياءيهما على ما سمع، ومنها ما قصره على الأعلام المشهورة، ومنها ما أجاز الحذف والإثبات، ومنها ما ذكر أن القياس في النسب إليهما هو بقاء الياء، وبهذا يتبين أن بقاء الياء في النسب إلى «عقيدة» متفق عليه في جميع الأقوال، وقد عضد مجمع اللغة المصري الرأي الأخير." معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي/أحمد مختار عمر، 541/1

الفصل الخامس: الإيمان، وفيه؛ المبحث الأوَّل: حقيقة الإيمان ومسائلها: الإسلام والإيمان والإحسان والدّين، لا إكراه في الدّين، منهجه رحمه الله تعالى في مسألتي إيمان المقلِّد وأهل الفترة. المبحث الثّاني: فَقْدُ الإيمان وأحكامه: أوّلاً: الشّرك، ثانياً: الزّندقة، ثالثاً: الرِّدَّة والكفر الأصليّ وأحكامهما، المبحث الرّابع: منهجُ الحيطةِ في إثبات أنواعِ فَقْدِ الإيمان السّابقة.

وأخيراً: الخاتمة والتَّوصيات.

التَّمهيد

ترجمةٌ لحياة

الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ رحمه الله

وفيه

أوّلاً. نشأة الدُّكتور البوطيّ رحمه الله

1. ولادته ونسبه

2. والداه

3. استشهاده

ثانياً. حياته العلميَّة وشيوخه

ثالثاً. أخلاقه ومكانته العمليَّة

رابعاً. مشاركاته الإعلاميَّة المرئيَّة والمكتوبة

خامساً. موقعه في المؤسسات الأكاديميَّة والعالميَّة

سادساً. التَّخصُّص العلميُّ لمؤلَّفاته رحمه الله

سابعاً: أبرز الأحداث الاجتماعيَّة والتيَّارات الدِّينيَّة التي عاصرها

1. الأحداث الاجتماعيَّة

2. التيَّارات الدِّينيَّة

ثامناً: التَّزكية في حياته

1. نشأتها

2. أهم مظاهر التَّزكيَّة في دروسه ومؤلَّفات.

من المعتاد أن تبدأ الأبحاث الخاصة بدراسة منهج أحد الأعلام وآرائه بتعريفٍ عن العَلَمِ الذي يخصُّه بالدِّراسة، وخير ما يُبْتَدَأُ به الحديث عن نشأت الدكتور البوطي رحمه الله؛ عبارة (خير خلَفٍ لخير سلَفٍ)، فعند الحديث عن الدُّكتور البوطيّ لا بدَّ مِنْ ذِكْرِ والده الشَّيخ الملَّا رمضان، مَنْ كان له الفضل في توجُّهه الشَّرعيِّ ثم بصناعته عالماً؛ بعد توفيق الله.

وهذا ما يُسمَّى في علوم التَّربية الحديثة (القيادة الإداريَّة للعمليَّة التَّربويَّة)[1] حيث حدَّد الشَّيخ الملَّا رمضان هدفه التَّربويّ؛ واهباً حياته وحياة ولده في سبيل الدَّعوة إلى الله، ونظم خطواته العمليَّة لتكون خطَّة محكمة لتحقيق ذلك الهدف، وبدأ بتنفيذها مِنَ اللَّحظات الأولى التي وُلِدَ فيها الدُّكتور البوطيّ، ثُمَّ تابع في تقييم وتقويم هذه الخطَّة، مستعيناً بالالتجاء إلى الله أوَّلاً، وبكونه قدوةً بأفعاله ثانياً، واستمرَّت هذه الخطوات بعناية المربي الحكيم والأب النَّاصح حتَّى دخول الدُّكتور البوطيّ الحياة العمليَّة، وتابعَتْ الخطَّة مسارها بتوجيهاتٍ زُرِعَتْ في القلب قَبْلَ العقل بعد وفاةِ والده.

وهذا ما سيبدو واضحاً في الفصول القادمة فهي نبذةٌ عن حياة الدُّكتور البوطيّ، وضابط هذه النبذة المنهج ذاته الذي التزم به الدُّكتور البوطيّ في حديثه عن والده في كتاب (هذا والدي) حيث قال: "**فمُنْذُ ذلك الحين، اتَّجهتْ منِّي الرَّغبة مرَّةً أخرى إلى أنْ أعكِفَ على كتابة سيرة حياته رحمه الله طِبْقَ مَا أعلم، وضمن حدود الواقع، بعيداً عن منطلق التَّبجيل والتَّفخيم، وأخيلة الألقاب المصطنعة. مستعيضاً عن ذلك كلِّه باطِّلاع القارئ على واقع حياته الشَّخصيَّة وعلاقاته الاجتماعيَّة وسيرته الذَّاتيَّة كما هي ودون أيِّ صقلٍ أو تحوير**"[2].

ولضمان الالتزام بذلك؛ سيكون الحديث عن عصره رحمه الله اجتماعيَّاً وعلميَّاً فقط بعيداً عن المجال السِّياسيّ الذي ما إنْ دخل في بحثٍ إلَّا أفسده وحوَّل النَّاس عنه مذاهب. والرَّجاء بذلك نيل رضى الله عما سيُكتب أولاً ثُمَّ رضى الدُّكتور البوطيّ عمَّا سيرد في هذا

---

1 مذكرة دبلوم العلاقات الأسرية/محمَّد ياسر الكردي، 2019م، ص1–10س

2 هذا والدي/البوطي، 9

البحث، والأهمّ الالتزام بما أفنى رحمه الله حياته مِنْ أجله؛ وهو تحقيق الوفاق بين أبناء الأمَّة الإسلاميَّة. والله وليُّ التَّوفيق

أوَّلاً. نشأة الدُّكتور البوطيّ رحمه الله

إنَّ أوثَقَ ما تكون العبارات عندما يكتبها صاحبها متحدِّثاً عن ذاته؛ لذلك أفتتح هذه الفقرة بنصٍّ للدُّكتور البوطيّ رحمه الله يصف به نشأتَه:

شابٌّ... ينتمي إلى أسرةٍ متوسطةِ الدَّخل والمكانة الاجتماعيَّة والاتِّصال بالمجتمع، أمَّا طاقاته الفطريَّة فربما ارتفع بعضها عن الحدِّ الوسط. ولقد أتيح لهذا الشابِّ منذ نعومة أظفاره أبوان، يسَّرا إلى فكره سبيل الإيمان بالله والاهتداء إلى وَحدانيَّته، وإلى أنَّه لم يَخْلُق – ولا يُعْقَلُ أنْ يخلُق– هذا العالم عبثاً، بل لا بدَّ أنْ تكون ثمَّة حكمة... ثُمَّ أرشداه إلى الرِّسالة التي جاء فيها شرح هذه الحكمة وبيان وظيفة الإنسان في هذا الكون، وأوضحا له أنَّ هذه الرِّسالة إنَّما هي القرآن الذي نزَّله اللهُ على رسوله محمَّدٍﷺ خاتمةً للرِّسالات والشَّرائع التي خلَتْ مِنْ قَبْلُ. ولقد أخذ الأب بعد ذلك يتعهَّدُه بتعليم هذا القرآن وتعريفه به. أمَّا أمُّه فقد كانت تساعده في شرح بعض وظائف العبادات الهامَّة مثل الصَّلاة... أمَّا المدرسة فقد كانت غير خاليةٍ عن الإشارة إلى الدِّين ومقوِّماته، ولكنَّ المدارس كلَّها كانت فقيرةً على وجه العموم في هذه النَّاحية، إذْ كانتِ الحركات الوطنيَّة لمْ تنطلقْ بعد على سجيَّتها في حريَّةٍ واستقلال... ولقد كان أوَّل ظاهرةٍ تلت هذه العناية الأُوْلى مِنَ الأبوين لهذا الطِّفل، هي سرعة استجابة ضميره لفكرة الإله الواحد وخلقه لهذا الكون،... ولمَّا أنْ قارب هذا الطِّفل مِنْ سنِّ المراهقة، أخذ مربيه يمرُّ به على سيرة الرَّسولﷺ وحياته... ولقد أتيح لهذا الطِّفل –لحسن الحظِّ– أنْ تكون مرحلتُه الدِّراسيَّة التي تلت الابتدائيّ، مكلَّلةً بالتَّربية الإسلاميَّة، وأنْ يتلقَّى في هذه

المرحلة تتمَّة ما كان قد بدأه في البيت... والحقيقة أنَّ ذلك الطِّفل أو الشَّابَّ، لم يكنْ إلَّا كاتبَ هذه الأسطر اليوم. وإذنْ فأنا أُحَدِّثُ القارئ عن نفسي...[1]

1. ولادته ونسبه

ولد الدُّكتور البوطيّ عام 1929م- 1347هـ في قرية جيلكا التَّابعة لجزيرة بوطان (ابن عمر)، الواقعة في تركيا قرب حدود العراق، ثُمَّ هاجر مع عائلته إلى دمشق وعمره أربع سنواتٍ، وسكنوا سفح جبل قاسيون في حي ركن الدِّين[2].

2- والداه رحمهما الله

2-1. والدته منجى: أُمٌّ فاضلة ترعى شؤون بيتها وأسرتها، في عام 1942 توفِّيَتْ بعد مرضها لسنوات، وكان عمره ثلاثة عَشَرَ عاماً، وقد توفِّيَتْ قبلها أخواتُه الثَّلاث زينبُ ورقيَّةُ ونعيمة[3]، وتزوَّج أبوه بعد حينٍ بفتاةٍ مِنْ أسرةٍ تركيَّةٍ، كانتْ سبباً في إلمامه رحمه الله باللُّغة التّركيَّة بالإضافة إلى العربيَّة والكرديَّة، وأنجبَتْ لأبيه ابنتين: سمَّى الكبرى منهما زينب والصُّغرى خديجة، وقد عاشتا وتزوَّجتا في حياة والده[4].

2-2. والده الشَّيخ رمضان البوطيّ: اشتهر بـ (ملَّا رمضان)، ولد عام 1888م في قرية جيلكا في تركيا، وهاجر إلى دمشق بسبب الإساءات التي كانتْ تواجه الإسلام، وأوَّل ما نزلوا في قرية عين ديوار، وهناك سُجِّلُوا مواطنين سوريِّين وأخذوا الوثائق اللَّازمة لمتابعة

---

1 تجربة التَّربية الإسلاميَّة/البوطي، 81-83

2 انظر هذا والدي/البوطيّ، قصة الهجرة كاملة

انظر موقع نسيم الشَّام

انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والإسلام السِّياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، 15-18

انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعةٌ مِنَ المؤلفين، 13

3 انظر هذا والدي/البوطيّ، 55

4 انظر المرجع السابق/صفحات متفرقة منها 23، 55

انظر موقع نسيم الشَّام

رحلتهم، ولقد كان ملَّا رمضان رحمه الله عالِماً جليلاً فقيهاً شافعيَّاً في بلده، وكذلك حين هاجر إلى دمشق؛ حيث تولَّى بعد حينٍ مِنِ استقراره في دمشق إمامة ورعاية مسجد الرِّفاعي (البوطيّ حاليَّاً) في منطقة الحارة الجديدة، في حي الأكراد، في ركن الدِّين، مِنْ مدينة دمشق[1].

وكان صاحبَ حالٍ مع الله، وكان يصطحب معه الدُّكتور البوطيّ رحمه الله منذ أن كان في عامه الثاني؛ ليلعبَ بينما يذكر والدُه اللهَ[2]، ولا تخفى الحكمةُ البالغةُ في أنْ يشهد الولد ما يقوم به والده، فقد أثْبَتَتْ العلومُ التَّربويَّةُ الحديثةُ أنَّ الطِّفل قبل سنِّ السَّادسة يخزِّن في ذاكرته كلَّ السُّلوكيَّات التي يراها، خاصَّةً ما تكرَّر مِنْ والدَيْه[3]، ويؤكِّد ذلك التَّشابه بين حياة الدُّكتور البوطيّ وحياة والده رحمهما الله، وما تميَّزا به مِنَ التَّوازن في الجانبين العلميّ والرُّوحيّ؛ حيث بدأت حياة كليهما بالالتزام بطلب العلم والعبادات بعيداً عن التَّصوف، ثُمَّ انتقلت في مرحلةٍ فاصلةٍ إلى الاهتمام بالتَّصوف، وقد تحدَّث الدُّكتور البوطيّ عن المرحلة الفاصلة في حياة والده عندما روى قِصَّة حجِّه[4].

وبعد الاطِّلاع على سيرة الشَّيخ ملَّا رمضان رحمه الله في كتاب (هذا والدِي)[5] يتبيَّنُ ما يلي:

لقد كان الشَّيخ ملَّا إنساناً ضبط حياته وفق ميزان الإسلام والإيمان والإحسان، فكان بإسلامه عالِماً متبصِّراً لا يُؤَجِّرُ فكرَه لأحد، مؤمناً بالدَّليل ملتزماً بحدوده، كما كان مترقِّباً حقيقة الإيمان ولَذَّتَه، ساعياً للتَّحقق بأحواله في حصنٍ منيعٍ مِنَ الضَّوابط الإسلاميَّة، بعيداً عن الشَّطحات، وتجلَّى الإحسان في ورعه الذي التزمه في بلده الأوَّل، وفي مهجره

---

1 انظر هذا والدي/البوطيّ، 11-54

2 انظر المرجع السابق، 26-27

3 مذكرة دورة دبلوم البرمجة اللغوية العصبية/محمَّد ياسر الكردي، 2019م

4 انظر القصة كاملة في كتاب هذا والدي/البوطيّ، 27 وما بعدها

5 هو الكتاب الذي ألفه الدُّكتور البوطيّ موثِّقاً فيه سيرة والده العلميَّة والعمليَّة

إلى دمشق، وأجلى مظاهره؛ إصراره على العمل ليكسب قوتَه بعيداً عن العلوم الشَّرعيَّة، فالأَوْلى عنده أنْ يكون للعالِم مصدر رزقٍ فيكون أقربَ للتَّحقُّق بمقام الإخلاص.

وفي صباح يوم 15/أيار/1990م الموافق 20/ شوال/1410هـ توفيَّ والده عن عُمْرٍ يناهز مئةً وأربعة أعوامٍ، وقد ظلَّ في كامل وعيه حتَّى الرَّمق الأخير، وإلى ذلك الحين لم يُتَح للدُّكتور البوطيَ رحمه الله أنْ يحِجَّ أو يعتَمِرَ مع والدِه، بسبب قيامه مقامَه في دمشق.

ولأنَّ الدُّكتور البوطيّ كان يستشير والده في أغلب الأمور ويستمع إليه ويلتزم توجيهاته؛ شكّل فقدانُ والدِه مرحلةً فاصلةً في حياته عموماً[1].

- مِنْ أهمِّ أفكار الشَّيخ ملَّا رمضان رحمه الله:

2-2-1. رعاية وحدة المسلمين واجبٌ مقدَّسٌ، ورفض كلّ توجُّهٍ يؤسس ما يسمَّى بجماعة المسلمين[2].

2-2-2. وجوب تزويج الوالد ابنَه إذا بلغ مبلغ الرِّجال، فعندما بلغ الدُّكتور البوطيّ رحمه الله مِنَ العُمْرِ الثَّامنة عشَر أصرّ والده على تزويجه، وكانت زوجته شقيقة زوجة أبيه التي تكبره بعدَّة سنوات، وقد وافق بناءً على رغبة أبيه، وللدُّكتور البوطيّ مِنَ الأولاد ستَّة ذكورٍ وبنت واحدة[3].

---

1 انظر هذا والدي/البوطيّ، صفحات متفرِّقة، 161 وما بعدها
انظر موقع نسيم الشَّام.

2 انظر هذا والدي/البوطيّ، 133

3 انظر المرجع السَّابق، 61
انظر موقع نسيم الشَّام.

ثانياً. حياته العلميَّة وشيوخه

1- حياته العلميَّة[1]

1-1- في عام 1935 أرسله والدُه إلى امرأةٍ فاضلةٍ كانتْ تُعلِّم القرآن للأطفال، فختمه قراءةً في ستَّةِ أشهرٍ كاملاً، وبعد حينٍ رغّبه بعض أساتذته في حفظه[2]، ولكنَّ والدَه رحمه الله بيّن له عظيم الأجر لحافظ القرآن، ثُمَّ حذَّره مِنَ الوزر الذي يلحق مَنْ يحفظ القرآن ثُمَّ ينساه، فتوقَّف عن مواصلة حفظه، لكنَّه غدا بعد ذلك مِنَ المكثرين لتلاوته، وكانت نتيجة ذلك ظهورُ اهتماماته الأدبيَّة وتمثُّعِهِ بالسَّليقة العربيَّة والبلاغة في أحاديثه وكتاباته، وحفظُه للعديد مِنَ السُّور، مع استحضاره لجلِّ السُّور ومواضع الآيات فيها، مِنْ دون أنْ يقوم بأيِّ جهدٍ للقيام بحفظ شيءٍ منها على الطريقة التَّقليديَّة.

1-2- درَس الابتدائيَّة في مدرسةٍ خاصَّةٍ في زِقَاق القرمانيّ، وكانت تعتني بتعليم الدِّين واللُّغة العربيَّة.

1-3- وفي ذلك الحين كان والده هو معلِّمه الأوحد، علَّمه مبادئ العقيدة الإسلاميَّة أوَّلاً، ثُمَّ موجزاً عن سيرتهﷺ، ثُمَّ أخذ يعلِّمُه مبادئ علوم الآلة؛ مِنْ نحوٍ، وصرفٍ، ومنها الألفيَّة الشَّهيرة في النَّحو، فكان يُفَسِّر له منها كلَّ يومٍ خمسةَ أو ستَّةَ أبياتٍ، وعليه أنْ يُتْقِنَهَا حفظاً في بياض ذلك النَّهار، فحفِظَها بأقلِّ مِنْ عام، ولم يكن قد ناهز البلوغ بعد، وفي الفترة ذاتها حفّظه والدُه نظْمَ الغاية والتَّقريب في الفقه.

---

1 انظر موقع نسيم الشَّام

انظر هذا والدي/البوطيّ، 57-63

انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعةٌ مِنَ المؤلفين، 13

انظر البدايات/البوطي، 11-17

2 لم يُذكر في كتاب (هذا والدي) اسم السيدة التي علَّمته القرآن، وكذلك لم يُذكر اسم الأساتذة الذين شجعوه على ذلك.

1-3- بعد انقضاء المرحلة الابتدائيَّة بدأ رحمه الله بالحضور في جامع منجك، وفيه بِضْعَةُ طلبةٍ يدرسون العلوم الشَّرعية على يد الشَّيخ حسن حبنَّكة الميدانيّ[1]، واعتزل بيته وأصبح طالباً في السَّكن الدَّاخليّ للمسجد. وفي تلك الفترة تقدَّم للخطابة في أحد مساجد الميدان القريبة مِنْ جامع منجك، ولم يكن قد تجاوز بعدُ عامه السَّابع عشَر.

1-4- في عام 1373هـ-1953م أتمَّ دراستَه الثَّانويَّة الشَّرعيَّة في معهد التَّوجيه الإسلاميّ، الذي تحوَّل حينئذٍ إلى معهدٍ شرعيٍّ نظاميٍّ. وبذلك قضى ستَّةَ أعوامٍ في جامع منجك عند الشَّيخ حسن حبنكة.

1-5- خلال عام 1953 طُلِبَ رحمه الله للخدمة العسكريَّة الإلزاميَّة، فكانتِ الدِّراسة في كليَّة الشَّريعة في الأزهر الشَّريف هي السَّبيل للتَّأجيل، وقد تخرَّج مِنَ الجامعة عام 1955م، وانتسب في العام الذي يليه إلى كليَّة اللُّغة العربيَّة مِنْ جامعة الأزهر، ونال (دبلوم) التَّربيَّة في نهاية ذلك العام.

1-6- أُوفِد إلى كليَّة القانون والشَّريعة في جامعة الأزهر لمتابعة دراسته، وكانت أسرته معه؛ زوجته وأولاده[2]، وبتاريخ 5 رجب عام 1385هـ الموافق ل 30 تشرين أول عام 1965م. حصل على الدُّكتوراه في أصول الشَّريعة الإسلاميَّة بعنوان ضوابط المصلحة في الشَّريعة الإسلاميَّة، وحازت لأوَّل مرَّة على رتبة: (ممتاز مع التَّوصية بالطَّبع على نفقة الجامعة والتَّبادل مع الجامعات المختلفة)[3].

---

1 ولد عام 1326هـ-1908م، وتوفي 1398هـ-1978م، المذهب الفقهي شافعي، المذهب الاعتقادي أهل السنة/أشعري، مواقفه عظيمة ضد الاستعمار الفرنسي، ومرَّ بمحنة كبيرة نجى منها بعد أعوام، وأسس رابطة العلماء في دمشق. انظر الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع/عبد الرحمن حبنكة، 50-234 (نقلا عن موقع نسيم الشَّام).

2 انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/عِدَّة مؤلفين/محمَّد توفيق البوطيّ، 186

3 انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 4، 18

انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعة مؤلفين، 14

1-7- تأثَّر بعددٍ مِنَ الأدباء فتشرَّب حبَّ الأدب، وكان كثير القراءة، وبرع باللُّغة حتَّى عُدَّ مِنَ الأدباء[1]، وقد أتقن التِّركيَّة والكرديَّة، ويُلِمّ بالإنكليزيَّة[2].

2- شيوخه

2-1- والده: الشَّيخ ملَّا رمضان البوطيّ، المرجع في تأسيسه العلميّ[3]، ولم يتوقَّف تأثيره عندما التحق بجامع منجك؛ بل بقي متابعاً له في أيام عطلته ونزوله إلى ديار أهله، فقد قال الدُّكتور البوطيّ رحمه الله: "**وفي أيَّام الثُّلاثاء كنتُ أتلقَّى على والدِي مزيداً مِنَ الدُّروس... تلقَّيتُ عليه دروساً في النَّحو والبلاغة، وقد حفظْتُ على يديه عقود الجمان للسُّيوطيَ، كما درستُ عليه كُتباً في المنطق، والمقولات العشر. ودرستُ عليه شرح جمع الجوامع في الأصول**"[4]

2-2- الشَّيخ حسن حبنَّكة الميدانيّ رحمه الله[5].

2-3- الطَّلبة والشُّيوخ الأكبر منه سنَّاً في درس الشَّيخ حسن حبنكة[6]

---

1 انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 13
انظر البدايات/البوطي، 11
2 انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعة مؤلفين، 14
3 انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والإسلام السِّياسيِّ/هشام عليوان وفادي الغوش، 11
انظر هذا والدي/البوطيّ، 41
انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 3، الإهداء.
4 هذا والدي/البوطي، 60
5 انظر موقع نسيم الشَّام
انظر هذا والدي/البوطيّ، 60
انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 3، الإهداء.
6 انظر هذا والدي/البوطيّ، 60

ثالثاً. أخلاقه ونشاطه العلميّ

1- أخلاقه

1-1- إنْ كان مِنْ خُلقٍ بارزٍ له رحمه الله فهو بِرُّه بوالده؛ ويُعدُّ هذا الخُلق مصدر التَّوفيق في حياته كلِّها، وقد رافقه ذلك في حياة والده وبعد وفاته، حيث كان وفيَّاً للمبادئ التي ربَّاه عليها بالنِّسبة للانخراط في الشَّأن العام، أو رفض مقتضيات الفتنة، أو اتِّخاذ موقع النُّصْحِ مِنْ أيِّ حاكمٍ مع كلِّ ما مرَّت به سوريا مِنْ أحداثٍ سياسيَّةٍ واجتماعيَّةٍ مختلفة[1].

1-2- ومِنْ أخلاقه رحمه الله التَّواضع مع ما تميَّز به مِنْ قدراتٍ شخصيَّةٍ، وشعبيّة كبيرةً[2].

1-3- تميَّز بورعه وإخلاصه، فكان غيوراً على شرع الله جريئاً في الحقِّ بالحكمة والموعظة الحسنة.

1-4- كان متمتعاً بروحٍ شفَّافة، بكّاءً، ويُلاحَظ هذا في دروسه ومحاضراتِه[3].

---

1 انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والاسلام السياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، 25
انظر هذا والدي/البوطيّ، 46

2 انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والاسلام السياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، 72

3 انظر موقع نسيم الشَّام.

2- نشاطه العلميَّ[1]

2-1- بين الأعوام 1958م-1960م درَّس مادة التَّربية الدِّينيَّة في حمص ثلاثة أعوامٍ، وفي القنيطرة بضعة أشهرٍ[2]، بعد أنْ أذِنَ له والدُه في ذلك، وقد كان أخذ عليه عهداً ألَّا يفعل. ثُمَّ عُيِّنَ في دمشق بعد أنْ وضع مبادئَ التَّربية الإسلاميَّة المعاصرة لتكون منهجاً قويماً في مستقبل الأجيال.

2-2- في عام 1960م درَّس في دار المعلمين في دمشق لمدّة عامٍ تقريباً[3]، وعُيِّن معيداً في جامعة دمشق كليَّة الشَّريعة، قبل إيفاده إلى جامعة الأزهر ليحصل على شهادة الدُّكتوراه عام 1965م.

2-3- في صيف 1965 بدأ بمشاركاته العمليَّة في خطبة الجمعة بمسجد والده، حتَّى توسَّعتْ مشاركاتُه لتشملَ نشاطاتٍ دعويَّةٍ مختلفةٍ منها؛ المشاركة في الموسم الثَّقافيِّ الإسلاميِّ مع علماء دمشق.

2-4- في عام 1965م باشر التَّدريس في جامعة دمشق للمرحلة الأولى، وعُيِّن مدَرِّساً فيها ما بين عامي 1965-1993م، ترَّفع خلالها بين درجة (أستاذ مساعد) ثُمَّ (أستاذ

---

1 انظر هذا والدي/البوطيّ، 56-128
انظر موقع نسيم الشَّام.
انظر منهج التَّزكية عند الإمام الشهيد الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ/د.ليلى شوقي، تقديم محمَّد توفيق البوطيّ، المقدِّمة 5-6
انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعةٌ مِنَ المؤلفين،14، 187-206
انظر المذاهب التَّوحيديَّة والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 15-19
انظر البدايات/البوطي، 12-16
انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 13
2 انظر تجربة التَّربية الإسلاميَّة/البوطي، 11-12
3 انظر المرجع السَّابق، 9

عام) ثُمَّ عُيِّنَ وكيلاً للكليَّة ثُمَّ عميداً لها، ثُمَّ رئيساً لقسم العقائد والأديان، وقد استمر في التدريس فيها في مرحلة الإجازة وفي مرحلة الدِّراسات العليا حتَّى آخر حياته.

2-5- درَّس القرآن وبلاغته بقسم اللُّغة العربيَّة في جامعة دمشق ثُمَّ في جامعة اللَّاذقيَّة، عام1972م[1].

2-6- شارك في تطوير المناهج الشَّرعيَّة لتواكب شبهات العصر، ومِنْ ذلك اقتراحُه على كليَّة الشَّريعة في جامعة دمشق إدخالُ مقرَّراتٍ تناقش التَّيَّارات الفكريَّة المعاصرة.

2-7- عام 1980م ألقى كلمةَ جامعة دمشق في مهرجانٍ خطابيٍّ كبير، دعتْ إليه وزارة الأوقاف السُّوريَّة بمناسبة دخول القرن الخامس عشَر الهجريِّ[2].

2-8- عام 1990م قام بإلقاء حديث الدِّراسات القرآنيَّة في التِّلفزيون السُّوريِّ، وهذه الإطلالة وضعتْهُ في موضع المسؤوليَّة أكثر مِنْ قَبلُ، ولفتَتِ الأنظار إليه أكثرَ ممَّا كانتْ في الماضي.

2-9- له الكثير مِنَ المشاركات في عددٍ مِنَ الصُّحف في موضوعاتٍ إسلاميَّةٍ وقضايا مستجدَّةٍ، ومنها ردودٌ على الأسئلة التي يتلقَّاها تتعلَّق بفتاوى أو مشوراتٍ.

2-10- كان حتَّى عام 1981م بعيداً عن المحافل العامَّة، مكتفياً بالحقل الأكاديميِّ، ودرسين في مسجده، ودروسٍ أخرى في مسجد والده والجامع الأمويِّ.

---

1 انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 5

انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعةٌ مِنَ المؤلفين، 82

2 انظر هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك/البوطيّ، 8

2-17 اتَّخذ موقفاً مِنَ الأحداث الدَّامية في الجزائر، تعرَّض بسببه لحملاتٍ مِنَ الهجوم، وخاصَّةً بعد كتابه (الجهاد في الإسلام)، وبعد ثلاثة أعوامٍ اتخذ منتقدوه الموقفَ ذاته الذي اتَّخذه هو ببداية الأزمة.

2-18 وكان موقفه من الأحداث في سوريا عقلانياً؛ يتجلى فيه بُعد النظر فنهى عن اتباع الفتنة وسبلها، وشجع كل سبيل للوفاق يحقن الدماء ويحافظ على روابط الأخوة.

رابعاً. مشاركاته الإعلاميَّة المرئيَّة والمكتوبة

1-الدَّوريَّات والمجلَّات التي كتَبَ فيها

1-1- جريدة الأيام كتب فيها حتى عام (1962م).

1- 2- مجلة حضارة الإسلام.

1-3- مجلة التَّمدُّن الإسلاميِّ، في بداية حياته العلميَّة.

1-4- مجلة الوعيِّ الإسلاميِّ.

1-5- مجلة العلوم اللبنانيَّة.

1- 6- مجلة دراسات إسلاميَّة.

2- برامجه الإذاعيَّة والتِّلفزيونيَّة:

2-1- لا يأتيه الباطل؛ على قناة شام وقناة صانعي القرار.

2-2- دراسات قرآنيَّة؛ على القناة الفضائيَّة السُّوريَّة.

2-3- شرح كتاب (كبرى اليقينيَّات) ضمن برنامج الكلم الطَّيِّب؛ على قناة الرِّسالة.

2-4- مشاهد وعبر؛ على قناة الرِّسالة.

2-5- فقه السِّيرة؛ على قناة اقرأ.

2-6- شرح الحكم العطائيَّة؛ على قناة الصُّوفيَّة.

2-7- هذا هو الجهاد؛ على قناة أزهريِّ.

2-8- الجديد في إعجاز القرآن؛ على قناة اقرأ.

2-9- مع البوطيّ في حياته وفكره؛ على قناة نور الشَّام.

2-10- مع البوطيّ في قضايا السَّاعة؛ على قناة نور الشَّام[1]

خامساً. موقعه في المؤسسات الأكاديمية والعالميَّة

1- عام(2001م) شارك في اجتماعات المجلس الأعلى لأكاديميَّة أوكسفورد للدِّراسات العالية[2].

2- عام (2004م) نال رحمه الله لقب شخصيَّة العالم الإسلاميِّ في الدَّورة الثَّامنةِ عشْرة لجائزة دبي الدَّوليَّة للقرآن الكريم.

3- عام (2009م) حلَّ في المرتبة الثَّانية والعشرين ضمن الشَّخصيات الإسلاميَّة الأكثر تأثيراً في العالم، وفق باحثين دَوليين أعدُّوا كتاباً بعنوان (أكثر خمس مئة شخصيَّة مسلمة تأثيراً لعام 2009م).

4- له نشاطٌ مسجديٌّ بدَأَ في مسجد السَّنجقدار في سبعينات القرن العشرين، وبعد أنْ ضاق على الحضور انتقل إلى مسجد تتكز في الثَّمانينات، ثُمَّ إلى مسجد الإيمان، واستمرَّ حتَّى لحظة استشهاده.

5- وقد شغل العديد مِنَ المناصب العلميَّة، منها:

5-1. عضوٌ في المجمع الملكيِّ لبحوث الحضارة الإسلاميَّة في عمَّان.

5-2. عضوٌ في المجلس الأعلى لأكاديميَّة أكسفورد في إنكلترا.

5-3. عضوٌ في هيئة الرَّقابة الشَّرعيَّة في بنكِ الشام الإسلاميِّ.

5-4. شاركَ مستشاراً في بعض لقاءات المجمع الفقهيِّ الإسلاميِّ.

5-5. عضوٌ في جمعيَّة نور الإسلام في الغرب/فرنسا.

5-6. عضوٌّ في مؤسسة طابا/أبو ظبي.

5-7. المشرف على النَّشاط العلميِّ في الجامع الأمويِّ بدمشق.

---

1 انظر الشيخ محمَّد سعيد رمضان البوطيّ وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد/سمير الجعبري، 61
انظر موقع نسيم الشَّام الدروس العلميَّة

2 انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعةٌ مِنَ المؤلفين، 83

5-8. شارك في المؤتمرات والنَّدوات العربيَّة والدَّوليَّة والعالميَّة التي تناولت مختلف وجوه الثَّقافة الإسلاميَّة، وذلك عبر أعوامٍ عديدة.

5-9. حاضَرَ في معظم الدُّول العربيَّة والغربيَّة مِنْ أبرزها؛ محاضرته في مجلس برلمان الاتحاد الأوربيِّ في ستراسبورغ؛ عن حقوق الأقليَّات في الإسلام عام 1991م.

5-10. تمَّ اختياره أوَّل رئيسٍ لاتِّحاد علماء بلاد الشَّام عام 2012م.

سادساً. التَّخصُّص العلمي لمؤلَّفاته رحمه الله

بدأ رحمه الله مؤلَّفاتِه ضمن اختصاصِه الأكاديميِّ في الفقهِ وأصوله، وقد كان سببُ اختياره لذلك ما لاحظه مِنْ مظاهر الانحراف في الدِّين بسبب سوء فهمٍ لأحكامه الفقهيَّة، وتسلُّقِ كثيرٍ مِنَ الجُهَّال مرتقى الاجتهاد في استنباط الأحكام.

ثمَّ اتَّجه بعد ذلك إلى معالجة قضايا تخصُّ الأسس العقديَّة؛ إذ وجد أنَّ مظاهر الانحراف تنبعث مِنْ سوء فهمٍ لهذه الأسس ومِنْ شبهاتٍ تهاجم أفكار كثيرٍ مِمَّنْ تعوزهم أبسط مبادئ الثَّقافة الإسلاميَّة، ومِنْ عصبيَّاتٍ مذهبيَّةٍ تقود بعضَ مَنْ يظهرون مبدأ الدَّعوة إلى الله والتَّعريف بدينه لتغذية عصبيَّاتهم ولإروائهم الغليل ضدَّ خصومهم المخالفين لآرائهم، خاصَّةً بعد ما تبيَّن له مِنْ أنَّ المشكلات التي تنبثق عن الفروع، تظلُّ مشكلاتٍ فرعيَّة، وما ينبثق عن الأسس العقديَّة هي الأساس الذي تبدأ المعالجة منه[1].

ولم يُفَضِّل رحمه الله أحد الاختصاصين على الآخر، بل كان إدراكه شموليَّاً لِمَا يعيشه الإسلام في عصره؛ ممَّا جعله يقرِّر أنَّ كلا الاختصاصين ثغرةٌ يتسرَّب إلى الإسلام منهما الهدم والتَّخريب، وعلى العلماء أنْ يقفوا على ثغرات الحدود ويحرسوها، وذلك يتجلَّى بقوله: "**هما سبيلان إذن، تسري منهما إلى بنيان وجودنا الإسلاميِّ خططُ الهدم والتَّخريب: أحدُهما سبيل التَّلاعب بأحكام الشَّريعة الإسلاميَّة والعمل على تمييعها، باسم الاجتهاد والتَّجديد ومستلزمات الحداثة. الثَّاني سبيل الشُّبهات المتنوِّعة**

---

1 انظر المذاهب التَّوحيديَّة والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 13، 19
انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 13

التي تُسَرَّب إلى الأسس الاعتقاديَّة الإسلاميَّة باسم العلم وانتصاراً للفلسفة الحديثة. وما أظنُّ أنَّ الوقوف في وجه أحد هذين السَّبيلين بالبيان العلميِّ الذي يُعرِّي الدَّجل والجهالة وينتصر للحقِّ، يُغني عن الوقوف في وجه السَّبيل الثَّاني بالبيان ذاته."[1]

وقد عُرِفَ عنه رحمه الله بعد ذلك عدَّة تخصُّصاتٍ، فكانت له مؤلَّفاتٌ فقهيَّةٌ وأصوليَّةٌ وعقديَّةٌ واجتماعيَّةٌ وغيرها، فحيثما الإرشادُ وسدُّ الثَّغرات الفكريَّة يكون له مؤلَّفاً يقومُ بواجب الدَّعوة مِنْ خلاله.

ومِنَ الملاحظ البركة الكبيرة التي وهبها الله للدُّكتور البوطيّ رحمه الله، فبالإضافة لمؤلَّفاته المكتوبة التي امتاز بالتزامه فيها بكتابة المسوَّدة والمبيضة بيده، والاحتفاظ بأصولِ كلِّ مقالٍ وبحثٍ، يوجدُ له ما يزيد عن سبعة آلاف ساعةٍ صوتيَّةٍ ومرئيَّةٍ، ما بين خطبٍ ودروسٍ ومحاضراتٍ، كان يمضي وقتاً في التَّحضير للأفكار التي سيطرحها فيها.

ومِنَ المتوقَّع صدور كتبٍ مطبوعةٍ أخرى مِنْ مؤلَّفاته رحمه الله، بعد أنْ تمَّ العثور على عددٍ كبيرٍ مِنَ الأوراق والمصنَّفات في منزله [2].

وقد نالتْ كُتُبُ الدُّكتور البوطيّ رحمه الله العنايةَ، والتَّعديلَ، والتَّنقيحَ أثناءَ إعادة طباعتها ونشرها، كما هي عادة الكتب والكتَّاب؛ وعن ذلك يقول الدُّكتور البوطيّ رحمه الله -مضمِّناً كلامه ردَّاً على مَنْ سأله عن تغيُّر بعض فتاويه وآرائه في كتبه-:

ما كنت بحمد الله يوماً مِنْ جبابرة الاعتداد بالفكر أو الرَّأي على حساب العلم. وإنَّما كنت ولا أزال باحثاً عن الحقِّ... ومِنْ ثمَّ فإنَّ مِنَ الخيانة بمكانٍ أنْ يتبيَّن لي الحقُّ مخالفاً لاجتهادٍ رأيتُه ثمَّ أتجاهل هذا الحقَّ... لذا فإنِّي أنتظر الفرصة السَّانحة لأُدخِلَ... التَّعديل... وأُعلِنَ فيه عن رجوعي إلى الحقِّ... ولَأَنْ يُدينَنِي أصحابُ الأهواء بالرُّجوع

---

1 المذاهب التَّوحيديَّة والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 15-16

2 انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، مقدمة محمود محمَّد توفيق البوطيّ، 10-11

إلى الحقِّ الذي هو زادي لدى قدومي على الله، خيرٌ لي مِنْ أنْ أنالَ عندهم شرف الثَّبات والعناد على الرَّأي الذي ظهر لي خطؤه وبطلانه[1].

وبيان الكُتُبِ التي تمَّ تعديلها في الجدول الملحق[2].

ومن أهمِّ مؤلفاته: كبرى اليقينيات الكونيَّة، نقض أوهام الماديَّة الجدليَّة، الإنسان مسيَّر أم مخيَّر، باطن الإثم، شرح الحكم العطائيَّة وغيرها.

سابعاً. أبرز الأحداث الاجتماعيَّة والتَّيَّارات الدِّينيَّة التي عاصرها

1- الأحداث الاجتماعيَّة

1-1- عاش رحمه الله بداياته الأدبيَّة في فترة الوحدة بين سوريَّا ومصر، عام 1956م، وتأثَّرت كتاباتُه في بداياتِها بذلك، وألَّف في ذلك مقالاتٍ جُمِعَت في كتابٍ بعنوان (في سبيل الله والحقِّ)، وقد أعلن رحمه الله أنَّ هذا الكتاب كان يصلح لمرحلةٍ معيَّنةٍ انتهت وانتهت معها الحاجة له[3].

1-2- ظهور جماعاتٍ تدعو لتفكيك الأمَّة الإسلاميَّة وتدَّعي أنَّها الفرقة النَّاجيَة فحسب.

1-3- صاحب الدُّكتور البوطيّ رحمه الله والده أثناء محنة الشَّيخ حسن حبنَّكة، واكتسب الخبرات الجيِّدة ليجيد التَّعامل مع هذه الجماعات، متَّخذاً مِنْ رعاية وحدة المسلمين واجباً

---

1 مع النَّاس/البوطي، 209، 212

2 انظر الملحق في نهاية البحث

3 انظر البدايات/البوطيّ، 12، 15

انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والاسلام السياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، 16

مقدَّساً يقع على عاتقه، كما عاهد والده الشَّيخ ملَّا رحمه الله[1]. ولقد استطاع بتلك الخبرات أنْ يكونَ أقرب للحكومة والشَّعب.

1-4- كانت وسائل التَّواصل المتنوِّعة أداةً ليصل إلى جمهوره، ففي عام 2000م أطلق موقعه الشَّخصيّ (نسيم الشَّام) على شبكة الإنترنت، ضمَّنه أرشيفاً لمقالاته، ومحاضراته، وخطب الجمعة التي يلقيها، وفيه قسمٌ مخصَّصٌ للإجابة عن أسئلة النَّاس، وهناك كلمة يوجهها في نهاية كل شهر لزائريه.

والموقع متوفر أيضاً للنَّطاقين باللُّغات: الإنكليزيَّة والألمانيَّة والفرنسيَّة والتِّركيَّة والفارسيَّة والبشتونيَّة، ممَّا أتاح لكثيرٍ مِنَ المثقَّفين المسلمين وغيرهم الاتِّصال بصورةٍ شبه مباشرةٍ معه.

1-5- وقد مكَّنتْه علاقتُه الطَّيبة ونصحُه للحكومة السُّوريَّة مِنَ الاستفادة مِنَ المجالات المختلفة بما فيها الإعلاميَّة الرَّسميَّة للدَّعوة والإرشاد ونشر العلم. وكان لذلك أثر سلبي فيما يراه المنتقدون مأخذاً عليه[2].

1-6- ومِنَ المواقف التي يتجلَّى فيها ثباته أمام أحداث عصره؛ أنْ عُرض عليه رحمه الله إنشاءُ حزبٍ إسلاميٍّ، وأنْ يترأَّسَ كتلةً إسلاميَّة داخل الجبهة الوطنيَّة التَّقدميَّة في سوريا، فرفض رفضاً قاطعاً متمسِّكاً بمَا يؤمن به مِنْ أنَّ ذلك سيؤدِّي إلى تقليص سلطان الإسلام وتحجيمه، على اعتبار أنَّ ذلك إقرارٌ منه: بأنَّ الإسلام قد تقاسم مع أعضاء الجبهة النُّفوذ في القطر، وأنَّه قد فاز بالخُمس أو السُّدس، وأنَّ علاقة الإسلام مع أعضاء الجبهة غدت علاقةَ تنافسٍ سياسيٍّ وهذا قضاءٌ على الإسلام وليس تثبيتاً لأركانه[3].

---

1 انظر هذا والدي/البوطيّ، 131-134، والشَّرح المفصَّل للأفكار التي تبنَّاها الشَّيخ ملَّا رمضان ثُمَّ الدُّكتور البوطيّ رحمهما الله في سبيل الحفاظ على وحدة الأمة، في ذات المرجع، 135-137

2 انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والاسلام السياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، 11
انظر موقع نسيم الشَّام.

3 انظر البوطيّ الدعوة والجهاد والاسلام السياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، 18

2- التَّيَّارات الدِّينيَّة

ظهر في عصره اتِّجاهان متعاكسان تماماً؛ الأوَّل: الاتِّجاه الصُّوفيُّ المغالي، الذي وجدت فيه الفلسفات الباطلة والأفكار العقديَّة الخاطئة طريقاً مُيَسَّراً لتشويه الدِّين. والثَّاني: الاتِّجاه السَّلفيُّ المُتَشَدِّد، ولقد كان الدُّكتور البوطيّ رحمه الله أهمَّ أركانِ التَّيَّار الوسطيِّ، راصداً الثَّغرات الفكريَّة والفقهيَّة والعقديَّة التي يخلِّفها الاتِّجاهان، متشبِّثاً بالمبادئ التي زرعها فيه والده، المبنيَّة على الميزان العلمي السليم.

ثامناً. التَّزكية[1] في حياة الدُّكتور البوطيّ رحمه الله

1- نشأتها

لازال التَّوازن في شخصيَّة الدُّكتور البوطيّ، وجمعه بين العقل العلميِّ والقلب الرَّبانيِّ؛ هو الأكثر لفْتَاً للنَّظر مِنْ جميع مكنونات فكره وعلمه، وبعد قراءة ما سبق مِنْ نشأته، وحياته العلميَّة، وما قام به مِنْ مشاركاتٍ دينيَّةٍ وعلميَّةٍ عديدة، يتجلَّى الأساسُ الأوَّل لِمَا امتلكه مِنْ توازنٍ؛ وهو اقتداؤه بمعلمه الأوَّل: والده الشَّيخ ملَّا رمضان رحمهما الله، وهذا ما نطقتْ به فقرات كتاب هذا والدي، بدايةً مِنْ قوله:

" **لم يكنْ رحمه الله يقيم وزناً لتصوفٍ لم ينهضْ على أساسٍ مِنَ العلم السَّليم بكتاب الله وسنَّة رسوله. وكان يرى أنَّ صدق الانفعال بثمرات الإيمان التي هي حقيقة التَّصوف ولبِّه، لا يأتي إلَّا مِنْ سعة العلم بالله عزَّ وجلَّ وبرسولهﷺ، وبالشَّرائع والأحكام التي خاطب الله بها عباده، وكان إذا رآني مكثراً مِنَ الانصراف إلى كتب التَّصوف والرقائق، عاتبني وربما انتهرني، وحوَّلني عنها إلى دراسة الفقه ومعرفة الحلال**

---

1 ترجِّح الباحثة استخدام لفظ التَّزكية للتَّعبير عن التَّصوُّف الصَّحيح المتوازن، لأنَّه مستمدٌّ مِنْ كتاب الله، حيث ذُكرت كلمة التَّزكية للدَّلالة على تربيَّة النَّفس وتحسين أحوالها.

والحرام...فإذا رآني مستغرقاً في دراسة الفقه ونحوه كالتَّفسير والحديث والسِّيرة وعلم الكلام، ردَّني في عتابٍ مماثلٍ إلى كتبٍ معيَّنةٍ منتقاةٍ في التَّصوُّف وعلم السُّلوك إلى الله"[1].

وقد لخَّص موقف والده مِنَ التَّصوف بكلماتٍ جامعاتٍ فقال في كتابه هذا والدي:

"**ونظراً إلى أنَّ أبي رحمه الله كان شديد الإصرار على التَّصوُّف النَّقيِّ، مِنْ حيث إنَّه كان شديد الإصرار على الانضباط بنصوص القرآن والسُّنَّة، شديد الحذر مِنَ التَّورُّط في البدع، فقد كان ينبِّه دائماً إلى ضرورة التَّفريق بين التَّصوُّف الذي لا يمكن أنْ يحيا الإيمان في القلب إلَّا به، والطُّرق الصُّوفيَّة التي كثيراً ما تكون بؤرةً لكثيرٍ مِنَ البدع**"[2].

وقد وافق سلوكُ والدِه رحمه الله ما ذكر الدُّكتور البوطيّ عنه، حيث كان دائم التَّذكير لهم في كلِّ وقتٍ وحينٍ بالله؛ أثناء الطَّعام، وفي كل حالٍ مِنَ الأحوال، بالإضافة إلى جمعهم كلَّ اثنينٍ وخميسٍ على وِرْدٍ مِنْ ذكر الله، وتوصيتهم بعهودٍ مضمونها الالتزام بأذكارٍ معيَّنة؛ كقراءة سورة يس كلَّ يومٍ صباحاً ومساءً، وإهداء ثواب قراءتها للرَّسولﷺ، وبعض العلماء مِنْ رجال السَّلف الصَّالح[3].

وعبَّر الدُّكتور البوطيّ في أكثر مِنْ موضعٍ عن إعجابه بهذا التَّوازن في شخصيَّة مربيه، بأسلوبٍ يجمع بين الحياد في نقل الحقائق مع الاحترام والتَّقدير لوالده فقال:

ولْيأذنْ لِيَ القارئ أنْ أُعَبِّرَ لأوَّل مرَّةٍ، منذ بدْئِي في كتابة هذه السِّيرة، عن شعوري الذي كنت أُبْعِدُه جهد الاستطاعة عن مجال الوصف لواقعٍ ينبغي أنْ أنقله في منتهى الموضوعيَّة، وعمَّا قد يكون للذَّات مِنْ حظٍّ فيه.. إنَّ شعوري الذي أودُّ أنْ أعبِّر عنه الآن؛ هو إعجابي بذلك التَّوازن النَّادر في حياة أبي رحمه الله، بين الاهتمام الشَّديد بعلوم الشَّريعة الإسلاميَّة وفي مقدِّمتها أحكام الحلال والحرام المأخوذة مِنْ كتاب الله

---

1 هذا والدي/البوطي، 106

2 المرجع السَّابق، 99

3 انظر المرجع السابق، 61-65

وسنَّة رسوله، والاهتمام الشَّديد أيضاً بالاصطباغ بالتَّصوُّف الذي هو ازدهار ثمرات الإيمان في القلب مِنْ تعظيمٍ لله وخوفٍ منه وحبٍّ له ورضا عنه وثقةٍ به وتوكُّلٍ عليه، فما كنتَ تجدُ جانباً منه يطغى على جانبٍ قط. بل كان كلٌّ منهما في حياته عوناً للآخر، وخيرَ متمِّمٍ له[1].

2- أهمُّ مظاهر التَّزكيَّة في دروسه ومؤلَّفاته

2-1- جمْعُه رحمه الله بين ضوابط الشَّريعة وحالات تزكية النَّفس: وقد تجلَّى ذلك في عدَّة مواقفٍ من أبرزها؛ ما كتبه في سياق شرحه للحكمة الخامسة والسَّبعين حيث أُغلِقَ شرحُها عليه، وكان مددُ شرحِها عند زيارته لمصر[2].

2-2- ومِنْ مظاهرها تخصيصُه دروساً لشرح الرِّسالة القشيريَّة، وكذلك شرحه للحكم العطائيَّة، واستخدامه في أوَّل كتاباته تعبير (باطن الإثم) للدِّلالة على أمراض القلوب ومعالجتها[3].

2-3-كثرة التَّبتُّل بالأسحار، وتلاوته للقرآن، حتَّى انعكست مظاهر فنائه بالله على علاقته مع الخلق[4].

تاسعاً. استشهاده

ولقد اختاره الله شهيداً مساء يوم الخميس 21/آذار/2013م، الموافق: 10/جمادى الأول/1434هـ، مصلِّيَاً المغرب، ليلة الجمعة، عندما كان يُلقي درسه في تفسير سورة آل

---

1 هذا والدي/البوطيّ، 107-108

2 انظر الحكم العطائية شرح وتحليل/البوطيّ، 2/6-7، القصة كاملة.

3 انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ وآثاره الأدبيَّة/عثمان الحسين،17. (نقلاً عن حلقة تلفزيونيَّة بعنوان مع البوطيّ، عام 1430على قناة شام الفضائيَّة).

4 انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 15

عمران، في محراب مسجد الإيمان بدمشق، مع حوالي خمسين مِنْ طلبة العلم الشَّرعيِّ، رحمهم الله أجمعين. فاستحقَّ لقب شهيد المحراب، وكان عُمْرُه يناهز الرابعة والثَّمانين[1].

وهكذا ينتهي القول بأنَّه رحمه الله نشأ في بيت علمٍ، وشبَّ وعلى مسامعه تُعرض يوميَّاً ما يعتري المجتمعَ الإسلاميَّ مِنْ مشاكلَ، فسعى ليكون سدَّاً حصيناً للثُّغور الفكريَّة الإسلاميَّة بالاعتماد على ميزان العلم، مازجاً له بعلم القلوب؛ روح التَّشريع وقلبه النَّابض.

وقد اختار تخصُّصَه في المسائل العقديَّة عن قناعةٍ ذاتيَّةٍ بأنَّ ما يُصيب المجتمع الإسلاميَّ اليوم مِنْ تدهورٍ عائدٌ إلى ضعف المستوى العلميِّ لأفراده، فكانوا متأهبين ليتبنُّوا أيَّ مذهبٍ يضمَنُ لهم الإرواء الفكريَّ ولو بكأسِ ماءٍ مِلْح.

وتبقى هذه المهمَّة ملقاةً على عاتق كلِّ مَنْ اختاره الله ليعيش حياةً قريبةً في ملامحها مِنْ حياة الإمام الشَّهيد رحمه الله، حياة الاصطفاء ثُمَّ الرِّعاية ثُمَّ التَّمكين، وما ذلك على الله بعزيزٍ.

---

1 انظر موقع نسيم الشَّام.

انظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ وآثاره الأدبية/عثمان الحسين، 23

انظر منهج التَّزكية عند الإمام الشَّهيد الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ/ليلى شوقي، تقديم محمَّد توفيق البوطيّ، المقدِّمة، 5–6

انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 12

الباب الأوَّل

منهج البحث العلمي

وتطبيقاته في دراسة مسائل العقيدة

عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى

وفيه

الفصل الأوَّل : منهج البحث العلمي

الفصل الثَّاني: منهجه في الاستدلال بالأدلَّة العقليَّة على العقائد

الفصل الثَّالث: منهجه في الاستدلال بالأدلَّة النَّقليَّة على العقائد

الفصل الرَّابع: حكم الاشتغال بعلم الكلام

الفصل الأوَّل: منهج البحث العلمي

وفيه

المبحث الأوَّل: مقدِّماتٌ تعريفيَّة

المطلب الأوَّل: تعريف منهج البحث العلمي

المطلب الثَّاني: أهميَّة منهج البحث العلمي عند المسلمين

المطلب الثَّالث: مشروعيَّة اتِّخاذ المنهج سبيلاً للوصول إلى الإسلام

المطلب الرَّابع: ضوابط منهج البحث العلميِّ السَّليم عنده رحمه الله

المبحث الثَّاني: تاريخ منهج البحث العلميِّ (مراحل اكتشافه)

المطلب الأوَّل: المنطق اليونانيُّ

المطلب الثَّاني: منهج البحث العلمي في عصر الإسلام الذَّهبي

أوَّلاً. منهج البحث بحسب محل الدعوى (محسوس وغير محسوس)

ثانياً. منهج البحث بحسب مصدر الدعوى

ثالثاً. منهج البحث العلمي المعاصر

المبحث الثَّالث: منهج البحث العلمي بين المسلمين والغرب

المطلب الأوَّل: خصائص منهج البحث العلمي عند المعتزلة والأشاعرة والماتريديَّة

المطلب الثَّاني: منهج البحث العلمي عند العلماء الغربيين

المطلب الثَّالث: مثالان تطبيقيَّان على الاختلاف بين منهج الغرب والمسلمين

يُقَرِّرُ رحمه الله أنَّ الحقائق الإيمانيَّة القطعيَّة لا حاجز بينها وبين العقل، ولكنَّ الغشاوات المصطنعة بدوافع الأهواء والأحقاد هي التي أوهمت وجود حاجز، فاحتاج الأمر للتَّنبيه بأنَّ هذا الحاجز وهميٌّ، وأنَّ الحقَّ واضحٌ للمنصف، فمَنِ ارتاب في تلك الحقائق لا بدَّ له مِنَ الاستناد إلى منهجٍ علميٍّ ينطلق مِنْ مبادئِ العلم ليُثبت تلك الحقائق الإيمانيَّة[1].

5 وسيكون هذا الفصل للحديث عن منهج البحث العلميِّ عموماً وفق المباحث التَّالية:

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 11

المبحث الأوَّل. مقدِّماتٌ تعريفيَّة

المطلب الأوَّل. تعريف منهج البحث العلميِّ

1. المنهج: تمَّ بيانه سابقاً في مقدِّمة البحث، فقرة مصطلحات البحث.

2. البحث: التَّفتيش[1].

3. العلم[2]: إدراك الشَّيء على ما هو عليه في الواقع بدليل، فدراسة التَّاريخ والدِّين والفلسفة والطَّبيعيَّات وغيرها ليست إلَّا لإدراك حقائقها على ما هي عليه في الواقع[3].

أمَّا المعنى الغربيُّ الحديثُ للعلم: فهو البحث في تحليل الموجودات الخاضعة لإحدى الحواسِّ البشريَّة، أمَّا الأشياء التي لا تُدرك بالحواسِّ فهي خارجةٌ عن نطاق كلمة العلم الحديثة.

---

1 مختار الصِّحاح/الرازي، 29

2 أرجع رحمه الله نشأة مفردة (العلم) بما تعنيه مِنْ إدراك الواقع على ما هو عليه إلى القرآن، فلم يستخدمِ العرب في عصرهم الجاهليِّ خلال أشعارهم مفردة (العلم) بهذا المعنى، بل أوَّل مَنْ دعا إلى ذلك القرآن، وكتب في ذلك بحثاً كاملاً بعنوان (ما هو العلم الذي قدَّسه القرآن وما مدى الحريَّة في ممارسته). انظر البحث كاملاً في كتابه قضايا ساخنة، 250–264. انظر مِنْ روائع القرآن/البوطي، 66

3 انظر العقيدة الإسلاميَّة والفكر المعاصر/البوطيّ، 93

انظر الإسلام ومشكلات الشَّباب/البوطيّ، 27–28

انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 155

انظر إشكاليَّة تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 180

إذن هو الوصول إلى تحليل موجودٍ ما، وإدراك عناصره إدراكاً صادقاً بميزانٍ مِنَ الحسِّ المجرَّدِ، أمَّا البحث العلميُّ فهو: محاولة الوصول إلى هذا الإدراك بالوسائل التَّجريبيَّة الخاضعة للحواسِّ، وكلُّ ما لا يُدرك بها يخرج عندهم مِنْ مفهوم العلم، ويسمَّى المعرفة[1].

وعقَّب رحمه الله على ذلك أنَّ عدم شموليَّةَ الاصطلاح الحديث لكلمة العلم لما لا يُدرك بالحواسِّ ليس دليلاً على عدم وجود سبيلٍ آخر يصِل الباحث مِنْ خلاله إلى إدراكٍ يقينيٍّ لها. فالمسألة هنا تحديد نوع الجهاز الذي يُكشفُ به عن حقائق الأشياء المتنوعة وإدراكها إدراكاً يقينيَّاً، سواء سمِّي علماً أو أيَّ اسمٍ آخر[2].

فما يحتاجه العقل لصدق الإدراك؛ تطابقُ المفهوم الذِّهنيِّ مع الواقع، فإذا تحقَّق ذلك لم يعد هناك مبررٌ لإقصاء هذا اليقين عن دائرة العلم. فلا فرق عقلاً بين اليقين المنبعث عن التَّجربة الحسِّيَّة، واليقين النَّاتج عن الخبر المتواتر والبرهان العقليِّ.

وعند تدَّبُّر الأمر بعمقٍ أكثر يظهر أنَّ العلم: ما يصدر عن البراهين العقليَّة لا عن التَّجربة الحسِّيَّة، لأنَّ تجربة الحواسِّ لا تفيد الكليَّة والضَّرورة اللّازمتين للقانون العلميِّ، مهما كَثُرَتْ وتوالَتْ التَّجارب. فالحواسُّ لا تُدرِك العلَّة الحقيقيَّة بل تُدرك النَّتائج والآثار، ويُدَّعى بأنَّها حقائقٌ أزليَّةٌ بغير حقٍ، وتُسمَّى بالقوانين الطَّبيعيَّة، لكنَّها لا تعدو كونها خلاصةَ التَّجارب الحسِّيَّة القابلةِ للتَّبدُّل دائماً[3].

---

1 انظر مِنَ الفكر والقلب/البوطيّ، 73-74
انظر الإسلام ملاذ كلِّ المجتمعات الإنسانيَّة/البوطيّ، 79
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 89
انظر أدب الحوار في كتاب الله تعالى/البوطيّ، 6

2 انظر مِنَ الفكر والقلب/البوطيّ، 79-80
انظر الإسلام ومشكلات الشَّباب/البوطيّ، 30

3 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 151، 170-173
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 83-85
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 24

4. منهج البحث العلميِّ لغةً: "**خُطَّة منظِّمةٌ لعدَّة عمليّاتٍ ذهنيَّةٍ أو حسيَّةٍ؛ بُغية الوصول إلى كشف حقيقةٍ أو البرهنة عليها**"[1].

أمَّا منهج البحث العلميِّ عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله: فهو "**ميزانٌ يلجأ إليه الإنسان في تقوم أفكاره؛ ابتغاء التَّأكُّد مِنْ صحَّة قراراتها وسلامتها مِنَ الشَّوائب والأخطاء**"[2].

5 إذن وافق تعريفُه رحمه الله التعريفَ اللُّغويَّ، ومِنَ الملاحظ قيام التعريفين على ركيزةٍ واحدةٍ: هي وزْنُ الأفكار لاختبار صحَّتِها.

المطلب الثَّاني. أهميَّة منهج البحث العلميِّ عند المسلمين

تأتي أهمية منهج البحث العلمي مِنَ النقاط الآتية[3]:

10 1. أنَّ النِّقاش مع طائفةٍ كبيرةٍ مِنَ المستشكلين يكون حلقةً مفرغةً إنْ لم يُبنَ على منهجٍ علميٍّ، فإنَّك "**تضع أمام أحدهم الدِّين، فيطالبك بالدَّليل، وتقدِّم له الدَّليل فيقول إنَّه مأخوذٌ مِنَ الدِّين!.. وتبتعد عن الدِّين لتناجي فيه العقل والعلم وحده، فيقول لك إنَّ العلم لا يؤمن إلَّا ببرهان التَّجربة والمشاهدة**"[4]. فمنهج البحث العلميِّ يجعل الوصول إلى نتيجةٍ علميَّةٍ هو الغالب.

15 2. تصحيح المفاهيم التي قُلِبَتْ حقيقتُها، خاصَّةً عند الذين درسوا مِنْ كلِّ فنٍ جانباً، ثُمَّ زعموا أنَّهم تخصَّصوا في الفلسفة وطرائق البحث، وبدأوا يدَّعون البحث العلميَّ في كثيرٍ مِنْ حقائق العقيدة، ولكنْ بعيداً عن أيِّ منهجٍ صحيح، ليُثبتوا ما يريدون، وتمَّ تسمية قفْزِهم

---

1 معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة/أحمد مختار عمر، 2291/3

2 وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 115

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 24-32
انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 113-115

4 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 24

هذا بالعلم، أمَّا منهجيَّة المسلمين فتمَّ تسميتها عند هؤلاء المدعين (بالاعتقاد) أيْ أنَّه سلسلةٌ فكريَّةٌ بدأت بالكهانة والتَّنجيم، ثمَّ ترَقَّتْ إلى السِّحر، ثمَّ إلى النُّبوَّة فجُعِلَتْ لها قداسة. إذن مِنَ المهمِّ قبل البحث في حقائق الدِّين الكشفُ عن منهج البحث العلميِّ المتَّفق عليه.

3. مِنَ البدهيِّ أنَّ المقدِّماتِ اليقينيَّةِ تؤدِّي لنتيجةٍ يقينيَّةٍ، وكذلك المقدِّماتُ الظَّنِّيَّة تؤدِّي إلى نتيجةٍ ظنِّيَّةٍ، فإذا أراد الباحث عن الحقيقة أنْ يُدركها كما هي على أرض الواقع ويحقِّقَ بذلك علماً يقينيَّاً؛ عليه أنْ يسلُك إليها طريقاً مبنيَّاً على مقدماتٍ يقينيَّة، وهذا ما يُسمَّى بمنهج البحث العلميِّ، فالعلم لا يُوَلِّدُ إلَّا عن علمٍ مثله.

4. إنَّ الدِّين نفسَه أقام وجودَه على دعائم العلم، فالإسلام أعطى أهميَّةً للبحث عن الحقيقة وفق علمٍ مجرَّد، فالإنسان بطبعه يندفع إلى البحث حبَّاً بالمعرفة، أمَّا المسلم فيندفع إلى البحث لأنَّه واجبٌ يثاب على فعله ويعاقب على تركه، وليقوم بهذا الواجب لا بدَّ مِنْ وضع منهجٍ للبحث.

5. تصفيةُ المعرفة النَّاتجة عن العقل السَّليم ممَّا يمكن أنْ يشوِّهها مِنَ الأهواء النَّفسيَّة، والنِّظام الذي يُميِّز به الإنسانُ المعرفةَ النَّقيَّةَ مِنَ الشَّوائب: يسمَّى المنهج، وتشتدُّ أهميَّته لأنَّ المعرفةَ أساسُ السُّلوك الإنسانيِّ، فالمعرفة الصَّحيحة تُنتِج سلوكاً صحيحاً، إذن فالمنهج يَضْبُط سلوك الإنسان ويوجِّهه[1].

6. جمع الآراء المتناثرة والقضاء على الخلافات، فقد ذابت كثيرٌ مِنَ الفِرق باتِّفاقها على القواعد الأساسيَّة، ممَّا أدَّى لاتِّفاقهم على الفروع مِنَ المسائل[2].

7. بيان الأصول الاعتقاديَّة والتَّشريعيَّة للإسلام، وتأسيس وجودٍ موضوعيٍّ مستقلٍّ لها[3]، خاصَّة بعد انتشار الإسلام في عصره الذَّهبيِّ، ودخول الوافدين إليه، وقيام المناقشات

---

1 انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 24

2 انظر المرجع السَّابق/البوطيّ، 68-69، 74

3 إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 26

المتعلِّقة بأصول الدِّين، فبدأوا بالتَّفريق بين الحقائق التي لا يصحُّ تلقِّيها إلَّا عقلاً، والتي لا يمكن تلقِّيها إلَّا نقلاً[1].

8. قوَّة الدَّافع الكامن وراء اهتمام علماء المسلمين بمنهج البحث العلمي، حيث كان دافعهم الدِّين؛ فعلماء المسلمين وجدُوا بين أيديهم كتاب الله وسنَّة رسولهﷺ فخافوا عليهما مِنَ التَّحريف والتَّبديل، فكان لابد من الاهتمام بمنهج البحث العلمي لحفظهما، وثمرةُ هذا الاهتمام تدوينُ علمٍ كاملٍ يهتمُّ بالأخبار وصحَّتيها، وهو علم مصطلح الحديث[2].

ويتجلَّى هذا الدَّافع الدِّينيُّ في كثيرٍ مِنَ النُّصوص التي تدعو لإعمال العقل والوصول إلى اليقين قَبْلَ تبنِّي أيَّ فكرةٍ، مِنْ ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾يونس:36/10[3].

المطلب الثَّالث: مشروعيَّة اتِّخاذ المنهج سبيلاً للوصول إلى الإسلام

إنَّ القرآن سار على المنهج القائم على البحث العلميِّ وإعمال العقل واليقين بأيِّ حقيقةٍ مهما كانت، وهذا المنهج هو ذاته الذي اعتمد عليه أكثر علماء الكلام في عصورهم حتَّى اليوم، فالقرآن أَمَرَ فقال:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾الإسراء:36/17. كمَا أنَّه ناقش المشركين، ونبَّه عقولهم إلى بطلان الشَّريك لله، فقال:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا﴾الأنبياء:22/21؛ وقال تعالى:﴿أَمْ خُلِقُوا

---

1 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 118-119

2 انظر المرجع السابق، 150

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص18، 32-33
انظر مِنَ الفكر والقلب/البوطيّ، 81

مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾الطّور:25/52، إذن فالقرآن استخدم النِّقاش العلميَّ مع المشركين[1]. وهذا النِّقاش هو لبُّ علم الكلام الذي هو أحد المناهج العلميَّة في البحث.

وهذا ما فهمه وطبَّقه الصَّحابة في بداية رسالة الإسلام، فالتَّقديس للإسلام عندهم تسبقه معارضةٌ شديدةٌ قائمةٌ على نقد المعتقدات الجديدة، حتَّى يصل النَّقد ببعضهم فيتَّجه إلى قتل رسول اللهﷺ وإلحاق النَّقائص به، واتِّهام الإسلام بأنَّه مجرَّد خرافة، فمعارضتهم تلك كانت طريقاً إلى منهجِ بحثٍ يوصِل إلى الحقيقة، فقادهم منهجهم النَّقديُّ إلى الحقِّ، فالمنهج الذي سلكه أصحاب رسول اللهﷺ هو ذاته الذي سلكه السَّلف الصَّالح، وهو ذاته المنهج الذي يسلكه المسلمون اليوم[2].

المطلب الرَّابع: ضوابط منهج البحث العلميِّ السَّليم عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله

اتِّباع منهجِ البحث العلميِّ لوحده لا يكفي لتحقيق غاياتِ البحث العلميِّ في الوصول إلى الحقِّ، بل لا بدَّ له مِنْ ضوابط تحكُم الميزان الفكريَّ نفسَه ليكون منهجُ البحث العلميِّ سليماً، فكما للصَّلاة شروطٌ لا تقوم إلَّا بها لكنَّها ليست مِن أركانها؛ كذلك لمنهج البحث العلميِّ ضوابط لا يصل إلى غايته إلَّا بوجودها، وأهمُّها أربعةٌ كمَا حدَّدها رحمه الله[3]:

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34 ص19/الحاشية1
انظر العقيدة الإسلاميَّة والفكر المعاصر/البوطيّ، 20-21
2 انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 104-106
3 انظر مِنَ الفكر والقلب/البوطيّ، 153-157
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 84-85، 104
انظر هذه مشكلاتهم/البوطيّ، 41-43
انظر مِنْ هنا وهناك/البوطيّ، 74-75
انظر إشكاليَّة تجديد أصول الفقه/البوطي، 155

1. حصْرُ هدفِ البحثِ بالكشف عنِ الحقيقة المجرَّدة الخالصة: بأنْ يكون البحث والنَّقد طريقاً إلى هدفٍ معيَّن (حقيقةٍ ما)، وليس أنْ يكون غايةً بحدِّ ذاته لإشباع الرَّغبات.

2. تحديد مورد البحث وموضوعه: ما يسمَّى تحرير محلِّ النِّزاع؛ فالبحث الذي لا يقوم على موردٍ محدَّدٍ لا طائل منه، مثال ذلك تحديد معاني الألفاظ؛ فلفظ الإسلام يعني عند أحدهم: يقيناً مطلقاً بأنَّه وحيٌ مرسل، ويعني عند آخر أسطورةً مِنَ الماضي.

3. البحث في المسائل الأصول أوَّلاً والاتِّفاق عليها، ثُمَّ البحث في الفروع: فالبحث الذي يصطدم مع حقيقةٍ تمَّ البحث عنها سابقاً والتَّسليم بها بحثٌ لا طائل منه، كالبحث المتوجِّه إلى إثبات وجوب الحجاب مِنْ عدمه بعد التَّسليم بأنَّ القرآن كتاب الله تعالى وكلُّ أمرٍ فيه واجب.

4. الصِّدق والحياديِّة الذَّاتيَّة والاجتماعيَّة في البحث: فلا يحِقُّ للباحث أنْ يغلِّف البحث بإحساسه القلبيِّ، كأنْ يُروِّج لعادةٍ أو خُلُقٍ لمجرَّد أنَّه يشعر بالمتَّعة به، أو أنْ يُدافع عن مبدأٍ طمعاً بالقرب مِنْ شخصيَّةٍ ما، غير ملتفتٍ في ذلك إلى آثار ذلك على الفِكر المجتمعيِّ، ولا إلى موازين المنطق والفكر الحرِّ.

المبحث الثَّاني: تاريخ منهج البحث العلميِّ (مراحل اكتشافه)

إنَّ المنهجَ ميزانٌ تُدرَك به مدى سلامة الفكر مِنَ الشَّوائب فهو إذن يتمتَّع بوجودٍ مستقلٍّ لا يخضع لأيِّ تطويرٍ فكريٍّ أو جهدٍ إبداعي، وإلَّا لاحتاج الفكر أثناء تطوير المنهج إلى ميزانٍ يضبط سلامة سعيه وخلوِّه مِنَ الانحراف، ولاحتاج هذا المنهج لتطويرٍ أيضاً، واحتاج الفكر أثناء تطويره لمنهجٍ يسدِّد خطاه، وتتسلسل الحاجة إلى المناهج إلى ما لا نهاية. فثبات المنهج واستقلاله أساسٌ لاستقرار المعرفة.

فالمنهج إذن: هو مجموعةٌ مِنَ المبادئ والأسس الحياديَّة التي تنبثق عن أصول الدلالات اللُّغويَّة وفِقْهِها، أو المنطق العامِّ وأصول النَّظر، وهي موجودة وجوداً استقلالياً بحدِّ ذاتها[1].

وقد أكَّد رحمه الله أنَّه يَصِحُّ القولُ بأنَّ منهج البحث العلمي لم يكن مكتشفاً ثمَّ اكتُشِفَ، ولا يَصِحُّ القولُ أنَّ المنهج تطوَّر.

وكذلك يَصِحُّ التَّعبيرُ بـ(المنهج السَّديد أو غير السَّديد) وذلك احترازاً عن منهجٍ قد لا يكون سديداً بحدِّ ذاته، إذن يمكن إدخال أيِّ تعديلٍ على المنهج إلَّا أنَّه لا يسمَّى عندئذ تطويراً بل هو تصحيح[2].

---

1 انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 63-64

2 انظر المرجع السابق، 69

انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 115-116

انظر إشكاليَّة تجديد أصول الفقه/البوطي، 159-160،171

المطلب الأوَّل: المنطق اليونانيُّ

ويمثِّل المراحل الأُوْلَى في اكتشاف منهجِ البحث[1]، فالفلاسفة اليونانيُّون لم يبدعوه مِنْ داخل أفكارهم، بل تلمَّسوه على صعيد الواقع[2]، وقد كان "**جوهر العمل المنطقيِّ لأرسطو، في وضعه نظريَّةً تصِف شروطَ تصديق الأقوال وتصحيحها، وشروطَ إبطالها والتَّكذيب بها، فلقد كان الإشكال الرئيس الذي واجهه كيفيَّة بيان وجوه إثبات الدَّعاوى وإبطالها، والكشف عن الآليَّات المتحكِّمة في الاستدلال للأقوال وعليها**"[3].

وبما أنَّ هذه المحاولات كانت بدايات اكتشاف المنهج ربما تعرَّضَتْ لخطأٍ في النَّظر ثمَّ جاء مَنْ بعدهم فتنبَّهوا إلى تلك الأخطاء فلَحِقَ منهج اليونانيين ومنطقهم الاستدراكُ والإصلاح[4].

أمَّا موقفه رحمه الله مِنَ المنطق اليونانيِّ؛ فرآه ثمرةَ السَّعي إلى اكتشاف منهجٍ سليمٍ ثابتٍ للمعرفة، فدراسةُ منهجٍ شاملٍ للمعرفة في أيِّ عصرٍ مِنَ العصور لا يمكن أنْ تكونَ بمنأى عن المنطق اليونانيِّ. إلَّا أنَّ السَّعي لا يخلو مِنَ الأخطاء، والإقدامُ إلى إصلاح تلك الأخطاء أو التَّحذير منها مطلوبٌ ومهمٌّ[5].

إذن يمكن القولُ بأنَّه رحمه الله لم يقبلِ الحكم ببطلان المنطق اليونانيِّ جملةً وتفصيلاً، ولم يعتمدْ المنطقَ اليونانيَّ في عرضه لأبحاث العقيدة الإسلاميَّة اعتماداً كاملاً، بل اتَّخذ موقفاً وسطاً؛ وهو الاعتمادُ على الأدلَّة والبراهين القطعيَّة التي تحمل قيمتها العلميَّة الثَّابتة في كلِّ الأزمان واللُّغات وإنِ اختلَفَتْ مسمَّياتُها، حيث اختار الدُّكتور

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص33

2 انظر المنهجيَّة الأصوليَّة والمنطق اليونانيّ مِنْ خلال أبي حامد الغزاليّ وتقي الدِّين ابن تيمية/النقاري، 45

3 المرجع السَّابق، 47

4 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 116-117

5 انظر المرجع السابق، 117

البوطيُّ المسمَّياتِ الأيسر والألصق بالحياة الفكريَّة العامَّة[1]، كقانون بطلان الدَّور، والرُّجحان بدون مرجحٍ؛ والتي تُبنى بدورها على قانون التَّلازم.

أمَّا الأدِّلةُّ التي لم يعتمدها رحمه الله في دراسة مباحث العقيدة[2] مِنَ المنطق اليونانيِّ؛ القياس الاقترانيِّ والشَّرطيِّ القائمين على الأشكال، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل التَّالي.

المطلب الثَّاني: منهج البحث العلميِّ في عصر الإسلام الذَّهبيِّ

لم تسْلَمِ المرحلةُ الأُوْلَى لاكتشاف منهج البحث العلميِّ مِنَ الأخطاء، عندها تاهت العقول في بعض الحقائق، أهمُّها منهج التَّثبُّتِ مِنَ المسائل الغيبيَّة، فهي لا تدخل في نطاق التَّجربة، ولا يستقل العقل بمعرفتها، فدخلَتِ العقول بمرحلةٍ مِنَ الاضطراب، إلى أنْ جاء الفلاسفة المسلمون فنبَّهوا إلى هذا الخطأ الكبير، وأبرزوا القسمة العادلة في منهج البحث بين كلٍّ مِنَ العقل والنَّقل[3].

وبعد الاطِّلاع على ما ذكره رحمه الله مِنْ تفصيلٍ لمنهج البحث عند المسلمين؛ يمكن القولُ بأنَّ للبحث العلميِّ عندهم نوعين أساسيَّين، وذلك بحسب الزَّاوية التي يُنظر إلى محل الدعوى (موضوع المعرفة) مِنْ خلالها، وإنْ اختلف النَّوعان إلَّا أنَّ المؤدَّى واحد.

النَّوع الأوَّل: يعتمد تقسيمَ المنهج بحسب محل الدعوى (إمَّا محسوس أو غير محسوس)، أمَّا النَّوع الثَّاني: فيعتمد تقسيمَ المنهج بحسب مصدر الدعوى (ورد عن طريق خبرٍ منقول أو هو دعوى لأحدِهم)

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 17-18

2 انظر المرجع السَّابق، ط34، ص18

3 انظر الظَّلاميون والنُّورانيون/البوطي، 41

أوَّلاً. منهج البحث بحسب محل الدعوى (موضوع المعرفة)

إنَّ لكلِّ نوعٍ مِنَ الدَّعاوى نوعاً مِنَ الأدلَّة العلميَّة يناسبها، فالدَّعاوى المتعلِّقة بالأشياء المادِّيَّة براهينها تجريبيَّةٌ محسوسةٌ، والدَّعاوى المتعلِّقة بالمجرَّدات كالمنطق فبراهينها القوانين العقليَّة المسلَّمة، والدَّعاوى المتعلِّقة بالأحوال المدنيَّة براهينها مِنَ البيِّنات المتَّفق عليها، فإذا اقترنت كلُّ دعوى بدليلها المنسجم معها تُصبِح حقيقةً علميَّةً ثابتةً[1].

إذن إذا كان موضوع المعرفة أمراً محسوساً داخلاً في نطاق القضايا المادِّيَّة الماثلة في الوقت الحاضر؛ فالمنهج المتَّبع هنا منهج التَّجربة والملاحظة حصراً. وقد اكتسب علماء المسلمين هذا المنهجَ مِنَ القرآن حيث يُحيل الإنسان في معرفة قضايا الطَّبيعة وكلِّ مَا هو خاضعٌ للحسِّ إلى التَّجربة والملاحظة، دون أنْ يورد أيَّ إخبارٍ بشأن ذلك، مِنْ ذلك قوله تعالى:﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾الذاريات:21/51، وقوله تعالى:﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾يونس:101/10.

أمَّا إذا كان موضوع المعرفة غيرَ خاضعٍ للحسِّ، بل يدخل في إطار الماضي السَّحيق كبدء خلق الكون، أو المستقبل البعيد كنهاية الكون، أو الموجودات الخفيَّة كالرُّوح والملائكة؛ فالمنهج هنا أحد أمرين: الخبر المتواتر، أو برهان التَّلازم، فيتضافر صريح المعقول مع صحيح المنقول ليصلا معاً إلى معلومٍ يقينيٍّ في ذلك. ولا ميزانَ هنا لغرابة المعلوم وعدم إلفِه ما دام المنهج المتَّبع في إثباته علمياً محضاً[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34 ص34
انظر مِنَ الفكر والقلب/البوطيّ، 82

2 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 151، 170-173
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 83-85
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 24

ثانياً. منهج البحث بحسب مصدر الدعوى

ويتلخَّص المنهج العلميُّ للبحث عند علماء المسلمين هنا في قاعدةٍ كبرى وهي: (إنْ كنت ناقلاً فالصِّحَّة وإنْ كنت مدَّعياً فالدَّليل).

فإذا كان ورود المعرفة ادعاءً فالبحث فيه يتَّجه إلى الأدلَّة العلميَّة المنسجمة معه والتي مِنْ شأنها أنْ تكشِفَ عن مدى صدق هذا الادِّعاء، كما تم بيانه في الفقرة السابقة.

إما إذا كان ورود المعرفة بخبرٍ منقولٍ فالبحث فيه محصورٌ في تحقيق النِّسبة بينه وبين مصدره، بناء على منهجٍ خاصٍّ لتحقيق الأخبار؛ ويتضمَّن هذا المنهج العديد مِنَ الفنون الخاصَّة بعلماء المسلمين، الغاية مِنْها أنْ تُشكِّلَ ميزاناً علميَّاً دقيقاً يتميَّز مِنْ خلاله الخبر الصَّحيح عن غيره، ويبرزُ به الخبرُ الصَّحيح الذي يورث الظَّنَّ عن الذي يورث اليقين، ومنها[1]:

1-1- فنُّ مصطلح الحديث: وهو "**علمٌ بقوانينَ يُعْرَفُ بها أحوال السَّند والمتن**"[2].

1-2- فنُّ الجرح والتَّعديل وتراجم الرِّجال: وهو فنٌّ فيه معاجم "**الرِّجال الذين وردت أسماؤهم في أيِّ سندٍ مِنَ الأسانيد؛ تستطيع أنْ تقف فيها على ترجمة مَنْ تشاء منهم جرحاً وتعديلاً، وأنْ تضبط الزَّمن الذي عاش فيه لتعلم بذلك مُعاصريه الذين أمكنه أنْ يلتقيَ بهم...**"[3].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 35-37

انظر مِنَ الفكر والقلب/البوطيّ، 81

2 تدريب الرَّاوي/السُّيوطي،26/1 وهو تعريف عز الدِّين بن جماعة، واختاره نور الدِّين عتر، انظر منهج النَّقد/عتر، 32

3 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 36-37

"**الجرح عند المحدِّثين هو الطَّعن في راوي الحديث بمَا يسلُب أو يُخِلُّ بعدالته أو ضبطه. والتَّعديل عكسه، وهو تزكية الرَّاوي والحكم عليه بأنَّه عدلٌ أو ضابطٌ.**" منهج النقد في علوم الحديث/عتر، 32

1-3- فنُّ قواعد الدلالات العربيَّة وقواعد البيان: وهو منهجٌ مخصَّصٌ لفهم المراد مِنَ النَّصِّ، وتأتي بعد الاستيثاق مِنْ صحَّة الخبر وروداً[1].

يُستَنْتَج مما سبق أنَّ علماء المسلمين هم أوَّل مَنْ قنَّنَ الأخبار ووضع لها منهجاً علميَّاً تكون مِنْ خلاله دليلاً علميَّاً يُبنى عليه إدراكٌ يقينيٌّ. ويُستثنى مِنْ ذلك بعض المحاولات مِنْ فلاسفة اليونان ومنطقهم كمَا تمَّ بيانه.

ثالثاً. منهج البحث العلميِّ المعاصر

أثبتَ رحمه الله أنَّ المنهج العلميَّ لا يقبل التَّطوير، وقد اكتُشِفَ كاملاً في العصر الذَّهبيِّ للإسلام، فمهمَّة العلماء اليوم إعادة التَّنسيق بين فروع المنهج وأجزائه، ثُمَّ إعادة صياغته بلغة العصر، ثُمَّ ضبْط الجهود العلميَّة وفق قواعده، وبذلك تكون مواجهة المشكلات الفكريَّة والنَّفسيَّة والاجتماعيَّة أكثر تيسيراً[2].

---

1 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 264

2 انظر المرجع السابق، 118-119

المبحث الثَّالث: منهج البحث العلميِّ بين المسلمين والغرب

المطلب الأوَّل: خصائص منهج البحث العلميِّ عند المعتزلة والأشاعرة والماتريديَّة

أوَّلاً. المعتزلة

أضفت جهود المعتزلة الطابع الفلسفي على علم الكلام؛ وذلك نتيجة الاختلاط مع الفلاسفة في عصرهم، ومن هنا أثبت رحمه الله تعالى لمنهج المعتزلة الخصائص التَّالية:

1. المبالغة في النَّزعة العقليَّة: مما أوقعهم في مغالطات منها؛ الخروج عن قوانين العقل[1] السليم بتسلل الأهواء والرغبات إلى بعض آرائهم، ومنها إعمال العقل في مسائل لا يصح فيها ذلك، ومثاله: تأويلهم كلمة (ناظرة) بمنتظرة في قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 22 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾القيامة:75/22-23، وبذلك نفوا رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني لهذا البحث.

2. اعتمادهم على صحيح المنقول ضئيلٌ جداً، وسبب ذلك اختلاطهم بكثيرٍ مِنْ أهل الدِّيانات الأخرى الذين دخلوا الإسلام يحملون أفكاراً فلسفيَّةً، ومواجهتهم للفئة الأخطر وهم مَنْ أظهروا الإسلام وأبطنوا غيره وبدأوا ببثِّ الشّكوك في نفوس المسلمين مستخدمين

---

1 العقل: اسم مشترك ليس له حد واحد، ويطلق على الفطرة السليمة، والوقار، والقدرة التي بها يكتسب الإنسان الخبرة لتحقيق مصالحه. ويراد به عند المتكلمين: التصورات والتصديقات التي تحصل للإنسان بالفطرة، فالعلم عند المتكلمين ما يحصل بالاكتساب والنظر، والعقل ما يحصل بالضرورة، وهو المعنى المقصود بهذا المبحث: فالعقل هو تلك القوانين الضرورية التي يعلمها كل إنسان بداهة. انظر معيار العلم/الغزالي، 267

علومَهم الفلسفيَّة، فأقبل المعتزلة إليهم يجادلونهم فسرى إليهم بعضٌ مِنْ أساليبهم فسلكوا إلى معرفة العقائد طريقةً عقليَّةً خالصة.

أمَّا موقفه رحمه الله فيما ذهبت إليه المعتزلة فيتوضَّح مِنْ خلال تحديده للحقيقة التي اعتمدها منهجهم وهي: أنَّ حكم العقل هو المدار والنُّصوص تابعةٌ له، ثم عقَّب رحمه الله تعالى ببيان صحَّةِ هذه النَّظرة مِنْ حيث المبدأ، وبطلانِها في مرحلة التَّطبيق؛ لأنَّ الحقَّ يدلُّ عليه العقل الكامل الصَّافي عن شوائب الأهواء وهذا نادرٌ بين البشر، فلا يخلو عقلٌ مِنْ ميولٍ شخصيَّةٍ، وإذا تخالفت العقول بطُلَ الاعتماد عليها كمنهجٍ للعلم اليقينيِّ، فلا بدَّ مِنْ تحكيم النُّصوص أوَّلاً[1].

ثانياً. الأشاعرة والماتريديَّة

تتلخص خصائص المذهبين بما يلي[2]:

1. يعتمد منهجُ الأشعريِّ على قاعدة: النَّقل[3] أوَّلاً ثُمَّ العقل، فالعقل ليس حاكماً على النُّصوص بل خادمها. أمَّا الماتريدي فالعقل والنَّقل يسيران معاً في الاستدلال، فمنهجه السعيُ في التَّوفيق بينهما دون تكلُّفٍ.

2. وقد وصف الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله الاختلاف بين المنهجين بالاختلاف اليسير؛ إذ لم ينشأ عنه خلافٌ جوهريٌّ في المعتقدات الأساسيَّة، بل خلافٌ في جزئياتٍ اعتقاديَّة، قال رحمه الله: "**ومَا كان منه خلافاً جوهريَّاً فهو غير متعلِّقٍ بالمعتقدات الأساسيَّة التي يتسبَّب عن الانحراف عنها الضَّلالَ والفسوق...**"[4]، إذن مردُّ الخلاف عنده رحمه الله إلى خلافٍ لفظيٍّ لا طائل منه.

---

1 انظر المذاهب التَّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 91-94

2 انظر المرجع السابق، 115-118

3 ويتجلَّى ذلك في أخذه بكلِّ ما جاء في كتاب الله وسنَّة نبيِّه، لا فرق في ذلك عنده بين سنَّةٍ متواترةٍ وآحادٍ، ما دامت ثابتةً صحيحة. انظر العقيدة الإسلاميَّة والفكر المعاصر/البوطيّ، 78

وكذلك لا ينسخ القرآن إلا بالقرآن ولا ينسخ السُّنَّة إلا بالسُّنَّة، فإنْ حصل العكس لا بدَّ مِنْ وجود قرينةٍ تدعم ذلك. انظر ملحق التَّيارات الفكريَّة المعاصر/البوطيّ، 42

4 المذاهب التَّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 118

المطلب الثَّاني: منهج البحث العلميِّ عند العلماء الغربيين

أوَّلاً. منهج تمحيص النُّقول والأخبار

يقرِّر رحمه الله: أنَّ منهج البحث الغربيِّ لم يمتلك إلى الآن ميزاناً موضوعيَّاً لإثبات النُّقولات، إلَّا ما يسمَّى عندهم بالمنهج الاستردادِيِّ أو التَّوسُّم؛ وهو منهجٌ وهميٌّ لا يوصل إلى حقيقة، ففيه يستخدم الباحث ما يقع عليه مِنْ وقائعَ فيوجِّه إليها الملاحظة والوجدان والخيال ليستنتج ما قد يطمئنُّ إليه مِنْ أحكام[1].

أما عن سبب عجز الغرب عن اتخاذ منهج علمي لتحقيق النقول فقال رحمه الله تعالى: "**انَّ القيام بأعباء تحقيق النُّقول والرِّوايات يكلِّف جهداً شاقَّاً وعنيفاً دون أنْ يُوجَد في الظَّاهر مردودٌ مِنَ الكسب المادِّيِّ له، وتحمُّل جهدٍ مِنْ هذا القبيل لا يكون إلَّا إذا وُجِدَ مِنْ ورائه دافعٌ يتغلَّب في قوَّته على شدَّة ذلك الجهد**"[2]، إذن الدافع الديني هو الذي ميَّز علماء المسلمين فحفَّز ووجه جهودهم إلى اتخاذ منهج علمي لتحقيق النقول.

ثانياً. منهج تمحيص الدَّعاوى العلميَّة

أبدَعَتْ أوربا في عصر نهضتها منهجاً يعتمد على التَّجربة والمشاهدة، ويسمَّى المنهج التَّجريبي، واعتمدته في دراسة العلوم الطَّبيعيَّة، وقد بلَغَتْ فيه مِنَ الحضارة والتَّطور ما هي عليه اليوم.

إلَّا أنَّ الخطأَ المنهجيَّ الذي أربكها هو تعميم المنهج التَّجريبي على كلِّ أنواع الدَّعاوى، كمسألة وجود خالقٍ لهذا الكون، ووقائع الماضي ومخاوف المستقبل، وبسبب هذا الخطأ

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 49
انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 123-124
انظر مِنْ هنا وهناك/البوطيّ، 107
2 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 49
انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 76

تخلَّفت أوربا في ميدان الدَّعاوى المجرَّدة والغيبيَّة. فنتج عن ذلك قاعدةً اعتمدها مفكروها، مفادُهها: أنَّ الاتجاهات الفكريَّة الضَّروريَّة اثنان؛ ميِّتٌ وهو الذي لا يجد الباحث في نفسه أيَّ ميلٍ إليه، وهذا الاتجاه باطلٌ سلفاً، وحيٌّ: وهو الذي يجد الباحث نحوه الإقبال والرَّغبة. وبناءً على هذه القاعدة أقحموا أفكارهم وعقولهم في ظلمات الماضي واحتمالات المستقبل، ونسجوا مِنْ تخيُّلاتهم الحقائق العلميَّة التي يرغبون، كالحكم بأنَّ الإنسان كان ينتمي إلى فصيلةٍ حيوانيَّةٍ، وما تلك الحقائق إلَّا فرضيَّاتٍ ونظريَّات.

أمَّا عن نشأة هذا المنهج التَّجريبيِّ فلا يرى الدُّكتور البوطيُّ جدوى في قول مَنْ ينسِبُ نشأته للمسلمين وأنَّ أوربا ورثته بعد ذلك، فالتَّاريخ ليس مُلكاً إلَّا للزَّمن الذي ولد فيه، لا يعطي أمجاداً ولا انحطاطاً وإنَّما هو للعبرة فقط[1]، فلا فائدة من الفخر بما كان في الماضي من نتاجٍ لعلماء المسلمين، وحاضر المسلمين اليوم بعيد كل البعد عن أي علم وعمل في سبيل البحث العلمي والحضارة وتطويرهما.

المطلب الثَّالث: مثالان تطبيقيان على الاختلاف بين منهج الغرب والمسلمين

سيذكر هذا المطلب مثالين مختصرين لتوضيح الفرق بين منهج البحث عند المسلمين وعند الغرب، وسيكون تفصيل موقفه رحمه الله وبيان ضعف ما توصَّل إليه الغرب؛ في الباب الثَّاني من هذا البحث.

أوَّلاً. ظاهرة الوحي في حياة النَّبيِّ ﷺ

1. منهج المسلمين بدأ بتحقيق الخبر وضبط اللَّفظ والسَّند فكان الحكم على الخبر بالصِّحة، ثُمَّ انتقلَ إلى الاستدلال العقليِّ بالاستقراء التَّام باستخدام دليلي الالتزام وقياس

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 52-53
انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 122
انظر تجربة التَّربيَّة الإسلاميَّة/البوطيّ، 47
انظر الموسوعة الكونيَّة الكبرى/الصُّوفي، تقديم البوطيّ، المقدِّمة، 20

الأَوْلَى، والنَّتيجة هي الاعتقاد بأنَّ الوحي هو استقبالٌ منهﷺ لحقيقةٍ ذاتيَّةٍ مستقلَّة خارجةٍ عن كيانه.

2. منهج الغربيين: اعتبر ظاهرة الوحي مِنَ الآثار التَّاريخيَّة، فأعْمَل فيها التَّخيُّل والتَّوسُّم، والنَّتيجة كانت مجموعةً مِنَ المذاهب؛ منها أنَّ الوحي حركةٌ فكريَّةٌ داخليَّةٌ، أو إلهامٌ نفسيٌّ أو إشراقٌ روحيٌّ، ومِنَ المؤكَّد استحالة التقاء المسلمين والغربيين على رأيٍ مشتركٍ؛ لخللٍ في التوَّهم فهو ليس بمنهجٍ علميٍّ[1].

ثانياً. جمع القرآن الكريم وترتيب آياته

1. منهج المسلمين: وَجَدوا بين أيديهم أخباراً منقولةً تُبيِّن كيفيَّة ذلك؛ منها: قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ:﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾البقرة:234/2، قَالَ: قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ:{يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ}[2].

فالمطلوب إذن التَّثبتُ مِنْ صحَّة الخبر، وقد ثبَتت صحَّتُه وفق قواعد تصحيح الأخبار، فكانت نتيجة ذلك معرفةً يقينيَّةً مضمونها: أنَّ ترتيب الآيات والسُّور وتقسيمها كلُّه توقيفيٌّ، أيْ ثابتٌ كما نزل.

2. أمَّا منهج الغربيين: فقد وصفهم رحمه الله بعدم اتِّباع منهجٍ في إثبات هذه الدَّعوى، فأنكروا الأخبار المنقولة ولم يستخدموا الاستدلال العقليَّ، بل قاموا بإلباس الرَّأي الخاصَّ بهم لباس العلم بألفاظٍ لا تُغني عن منهج البحث العلميِّ شيئاً، فقالوا: أنَّ عثمان بن عفان أقبل إلى القرآن في خلافته فقسَّمه إلى سورٍ وآياتٍ طويلةٍ وقصيرة، ثُمَّ رتَّب السُّور وراء بعضها حسب طولها؛ فأطولها ثُمَّ ما دونها طولاً وهكذا[3].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 50-51

2 صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن باب﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾البقرة234/2، الحديث4530

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 57

مِنْ خلال ما سبق[1] تُستَخْلَصُ ملامح منهج البحث عند الدكتور البوطي رحمه الله؛ وهي:

1- للوصول إلى اليقين في كل ما ورد فيه نصٌّ اعتمد رحمه الله على ثلاث خطواتٍ لا تغني إحداهما عن الأخرى وهي توثيق النُّصوص، ثم تحديد معناها، ثم وزن ذلك المعنى في موازين العقل السَّليم.

2. يقبل رحمه الله كلَّ الاختلافات النَّاتجة عن التَّحرُّك ضمن قواعد المنهج السَّليم في الاستدلال، بعيداً عن العصبيَّة والحقد.

3. يؤكِّد رحمه الله أنَّ قواعد المنهج ذاته تستلزم الاختلاف، وتسمَّى نقاط الاختلاف هذه (مسائل اجتهاديَّة)، ويجوز شرعاً الاختلاف بها، فقد قالﷺ:{إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ} [2].

4. لا فرق فيما سبق بين القضايا الاعتقاديَّة أو الأحكام السُّلوكيَّة، فقد قال رحمه الله في ذلك: "**ما تمَّ الاتِّفاق عليه بين علماء الشَّريعة الإسلاميَّة وأئمة هذا الدِّين، وما قد اختلفوا فيه، سواء ما كان متعلِّقاً مِنْ ذلك بالمعتقدات وما كان عائداً إلى فقه السُّلوك وأحكامه، إنَّما تمَّ ذلك كلُّه تحت مَظَلَّة هذا المنهج الجامع، وبمقتضى طبيعته وما قد يستلزمه واقِعُه**"[3]، إذن الاختلاف الناتج عن منهج البحث العلمي مقبولٌ في كل قضية اعتقادية ما لم تثبت بدليل يقيني حقيقةً اعتقادية عندها لا مجال في قواعد منهج البحث العلمي للاختلاف فيها.

---

1 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 63 ،195، 213-214

2 صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، الحديث7352.

صحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، الحديث 1716

3 السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 92

الفصــل الثَّاني

منهجه في الاستدلال

بالأدلَّة العقليَّة على العقائد

وفيه:

المبحث الأوَّل: الاستقراء

المطلب الأوَّل: مفهوم الاستقراء أنواعه وقيمة ما ينتُج عنه مِنْ معرفة

المطلب الثَّاني: رأيه رحمه الله بالاستقراء، وصورٌ مِنْ تطبيقاته

المبحث الثَّاني: اللُّزوم (قانون التَّلازم)

المطلب الأوَّل: مفهوم اللزوم، وأنواعه

المطلب الثَّاني: رأيه رحمه الله في قانون التَّلازم، وصورٌ مِنْ تطبيقاته

المطلب الثَّالث: استحالة دعوى الخصم

المبحث الثَّالث: القياس

المطلب الأوَّل: مفهوم القياس، وأنواعه

المطلب الثَّاني: رأيه رحمه الله في القياس وضوابطه، وصورٌ مِنْ تطبيقاته

المطلب الثَّالث: بطلان قياس الغائب على الشَّاهد في الإلهيَّات عنده رحمه الله

إنَّ القضايا الاعتقادية تشمل المسائل الظنية والحقائق اليقينية، ولا يثبت وصف اليقين للمسألة عند علماء المسلمين إلَّا على أساس ما تقوم عليه هذه المسألة مِنْ أدلَّةٍ تفيدُ اليقين، وبتلك الأدلة تتميز عن غيرها من المسائل الاعتقادية الأخرى، وتسمى عندها: حقيقة اعتقادية.

وتتنوَّع هذه الأدلَّة اليقينية فمنها؛ حسيَّةٌ وعقليَّةٌ ونقليَّةٌ؛ أمَّا الحسيَّةُ فتعتمد على التَّجربة والمشاهدة وهي نادرةٌ في مجال العقائد[1]؛ إذ مدار العقيدة الفكر وهو أمرٌ مجرَّدٌ، وأمَّا العقليَّةُ فتعتمد على إعمال العقل وهي مضمون هذا الفصل، وأمَّا النقليَّةُ فتعتمد على الأخبار الواردة وطرق تحليلها والاستنباط منها، وهي مضمون الفصل الثَّاني بعنوان: منهجه رحمه الله في الاستدلال بالأدلَّة النَّقليَّة.

1 منها الاستدلال بالتَّجربة والمشاهدة على أنَّ أفعال الإنسان تنقسم إلى قسريَّةٍ واختياريَّةٍ. انظر الإنسان مسيَّر أم مخيَّر/البوطيّ، 28

المبحث الأوَّل: الاستقراء

المطلب الأوَّل: مفهوم الاستقراء وأنواعه وقيمة ما ينتُج عنه مِنْ معرفة

أوَّلاً. مفهومه

عمليَّةٌ فكريَّةٌ تقوم على الملاحظة والتَّأمل، وقد يجتمع معها الحسُّ فتصبح عمليَّةً فكريَّةً وحسيَّةً معاً؛ كمن يُعرِّض المعادن للحرارة ويُلاحظ نتائج ذلك، فهنا اشترك الحسُّ والفكر في الاستقراء. وتتمُّ هذه العلميَّة بشكلٍ مقصودٍ أو غير مقصود.

ويُعدُّ الاستقراء مِنْ طرق الاستدلال غير المباشر؛ لأنَّه يعتمد في الوصول إلى نتيجته على أكثر مِنْ قضيَّتين[1].

وهو الحكم على كليٍّ بوجوده في جزئيَّاته، فمقدِّماته تحصل بتتبُّع الجزئيَّات للوصول إلى حكمٍ عامٍ يشملها، فينتقل الفكر مِنَ الحكم على الجزئيِّ إلى الحكم على الكليِّ الذي يدخل الجزئيُّ تحته. مثال: تأثُّر المعادن بالحرارة: لا بدَّ هنا مِنْ تتبُّعِ جزئيَّاتِ المعدن، أيْ قيام التَّجربة على جميع المعادن معدنٍ معدن، حتَّى الوصولِ إلى قاعدةٍ عامَّةٍ: أنَّ المعادن تتأثَّر بالحرارة[2].

ومن تعريفاته: "**تصفُّح أمورٍ جزئيَّةٍ لنحكم بحكمها على أمرٍ يشمَلُ تلك الجزئيَّات، كقولنا في الوِتْرِ: ليس بفرضٍ؛ لأنَّه يؤدَّى على الرَّاحلة والفرضُ لا يؤدَّى على الرَّاحلة.**

---

1 انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة، 188
انظر التَّعريفات/الجرجاني، 18
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطي، ط8، ص40
انظر مِنْ هنا وهناك/البوطيّ، 73–74

2 انظر لباب الإشارات والتَّنبيهات/الرَّازي، 60
انظر أبكار الأفكار/الآمدي، 208/1
انظر الاستقراء والمنهج العلمي/محمود فهمي زيدان، 20

فيقال: لِمَ قلْتُم إنَّ الفرض لا يؤدَّى على الرَّاحلة؟ فيقال: عرفناه بالاستقراء؛ إذ رأينا القضاء والأداء والمنذور وسائر أصناف الفرائض لا تؤدَّى على الرَّاحلة، فقلْنَا: إنَّ كلَّ فرضٍ لا يؤدَّى على الرَّاحلة."[1].

ويُسمَّى الاستقراء في أصول الفقه (السَّبر والتَّقسيم)؛ ويُعتمَدُ عليه لاستنباط علل الأحكام والتَّأكُّد مِنْ صحتها، باستعراض جميع الاحتمالات ودراسة كلٍّ منها على حدة، للوصول إلى العلَّة التي لا بدَّ أنْ تكون كامنةً في كلِّ حكمٍ منها.

تنبيه: يندرج القياس الشَّرطيُّ المنفصل المنطقي تحت مسمَّى السَّبر والتَّقسيم عند الأصوليين، ومثاله: قولُهم العالَم إمَّا قديم وإمَّا محدث، لكنَّه محدث، فهو إذن ليس بقديم، ويشترط فيه أنْ يكون التَّقسيمُ منحصراً لا منتشراً؛ كالقول بأنَّ الله لو كان على العرش لكان إمَّا أكبر منه أو أصغر أو مساوياً، والكلُّ باطلٌ، فالاستقرار على العرش باطل، والتَّقسيم هنا صحيح لأنَّه منحصر، أيْ ذُكِرَتْ كلُّ الاحتمالات الواردة وتمَّ إبطالها[2].

ثانياً. أنواعه

تُقسَّم بالاعتماد على شموله لكلِّ جزئيَّات الكليِّ أو أغلبها، فإنْ تتبَّع النَّاظر كلَّ جزئيَّات الكليِّ فهو الاستقراء التَّام، وإنْ تتبَّع أغلبَ جزئيَّات الكليِّ فهو الاستقراء النَّاقص، وهو إمَّا رياضي؛ يتعلَّق بالعلوم الرِّياضيَّة، أو علميّ؛ يتعلَّق بالعلوم الطَّبيعيَّة والكيميائيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة[3].

ثالثاً. قيمة ما ينتُج عنه مِنْ معرفة

الاستقراء النَّاقص: يفيد حكماً ظنِّيَّاً على باقي جزئيَّات الكليِّ التي لم تشملها الدِّراسة، إلَّا أنَّ نسبة التَّأكُّد في الاستقراء الرِّياضيِّ أكثر منها في الاستقراء العلميِّ؛ فاحتمال مخالفة

---

1 المستصفى/الغزاليّ، 41

2 انظر معيار العلم/الغزالي، 142.
انظر أساس القياس/الغزاليّ، 21

3 انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 18

الواقع لمَا دلَّ عليه الاستقراء في الأوَّل أقلُّ منه بكثيرٍ مِنَ الثَّاني. ولا استغناء عن الاستقراء النَّاقص في بناء المعرفة لأنَّه الوسيلة الوحيدة لذلك، ما لم توجد وسيلةٌ أقوى وهي النُّصوص المثبتة بالمنهج الصَّحيح. أمَّا الاستقراء التَّام فيفيد اليقين بالاتفاق[1].

المطلب الثَّاني: رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله بالاستقراء، وصورٌ مِنْ تطبيقاته

أوَّلاً. رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله بالاستقراء

يقول رحمه الله أنَّ المنهج الاستقرائيَّ اتَّبعه علماء المسلمين في كلِّ ما لا يمكن إخضاعه لمنهج التَّجربة والمشاهدة، معتمدين في ذلك على الملاحظة والتَّأمُّل المبني على أحدِ أمرين: أوَّلُهما الحقائق الثَّابتة؛ كملاحظة مجموعةٍ مِنَ الأحكام الشَّرعيَّة الثَّابتة بنصٍ قطعي، وثانيهما الوقائع الماديَّة؛ كملاحظة عوارض الإلهام الدَّاخلي، والسِّحر على الإنسان، ومقارنتها بعوارض نزول الوحيِّ على سيدنا محمَّدﷺ. ولأنَّ تأمُّلاتهم بُنيَتْ على أركانٍ علميَّةٍ سليمةٍ ابتعدوا عنِ التَّخيلات والاستنتاجات الغيبيَّة والتَّأمَّلات المجرَّدة التي أوغلت فيها الفلسفة اليونانيَّة. وفي هذا المنهج الاستقرائي يلتقي الالتزام والقياس، فهو الطريق الموصلة إليهما[2].

كما يؤكِّدُ رحمه الله أنَّ القيمة العلميَّة للاستقراء في القضايا العقليَّة –غير المحسوسة– القطعيَّة لا تتحقَّقُ إلَّا باستقصاء الاحتمالات كلِّها أيْ أنْ يكون استقراءً تامًّا،

---

1 انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 18
انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة، 188-210
انظر لباب الإشارات والتَّنبيهات/الرازيّ، 60
انظر نصُّ تلخيص منطق أرسطو/ابن رشد، 351/4
انظر المستصفى/الغزاليّ، 41

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 40–46
انظر مِنْ هنا وهناك/البوطيّ، 73–74

لينطلقَ الباحث منه بنظرةٍ شاملةٍ، ولا مجال في هذه القضايا للاستقراء النَّاقص الظَّنِّيِّ فهو لا يغني مهما امتلك الباحث مِنْ طاقةٍ في التَّأمُّل والبحث، وهذا ما يَفتقر إليه منهج البحث العلميِّ عند الغرب[1].

ويُلاحظ مَنْ تتبَّع استدلالاتِه رحمه الله أنَّه وافق علماء المسلمين في منهجهم واعتمد الاستقراء في المسائل العقديَّة، وقد استدلَّ به تارةً بطريقةٍ مباشرةٍ كدليلٍ مستقلٍّ؛ كما في إثباته أنَّ الوحي لا علاقة له بالتَّأمُّل الرُّوحيّ –وسيأتي شرحه في الفقرة التَّالية–، وتارةً استخدمه بطريقةٍ غير مباشرة؛ وذلك بكلِّ مسألةٍ أثبتها باستخدام القياس والالتزام القائمين على الاستقراء التَّام، ومِنْ ذلك قوله في ختام حديثه عن أدلَّة وجود الله: "**وقد ظهر وجود الله عزَّ وجلَّ، بالدّليل اليقينيِّ القائم على برهان التَّلازم المرتكز على الاستقراء التّام.**"[2]

ذكر رحمه الله هذا النَّص بعد انتهائه مِنْ ذكر المبادئ الضروريَّة وهي: بطلان الرُّجحان بدون مرجِّح، بطلان التَّسلسل، بطلان الدُّور، إذن هذه المبادئ تقوم عنده رحمه الله على التَّلازم المرتكز على الاستقراء التَّام، ويدعم ذلك قوله رحمه الله في حديثه عن القياس: "**وإنَّما ينقدح القياس مِنْ هذين المبدأين أيضاً، بواسطة الاستقراء، إذ هو الذي يبصِّر الباحثَ بحقيقة العلَّة، ثمَّ هو الذي يمكن بواسطته إدراك العلاقات الثَّابتة الكليَّة بين الأشياء المتناثرة أو المختلفة في الظَّاهر وهكذا نلاحظ أنَّ الاستقراء التَّام شرطٌ أساسيٌّ لا بدَّ منه لكلٍّ مِنْ برهاني التَّلازم والقياس**"[3].

وهو بذلك يوافق فلاسفة المسلمين الذين قالوا إنَّ العقل يصدِّق المبادئ الضروريَّة وحده دون الحاجة إلى دليل، إلَّا أنَّه يستعين بالاستقراء في سبيل الكشف عن معاني

---

1 لقد مرَّت مناهج البحث عند الغربيين بمراحل متعدِّدة؛ فقد كانت حدودُ المعرفة عندهم لا تنحصر بالمحسوسات، وأدواتُها كثيرةٌ تستطيع بذلك التعرُّف على القضايا العقليَّة، وما إنْ بدأت الحضارة الصناعيَّة وتطوَّرت العلوم الماديَّة التجريبيَّة بشكلٍ كبير؛ أصبحتِ المعرفة عندهم محدودةً بالمحسوسات الماديَّات؛ وذلك نتيجةً لحصر أدوات المعرفة بأداةٍ واحدةٍ فقط ألا وهي: التَجربة، انظر المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيَّات نظريَّة المعرفة/حسن العاملي، 265–266

2 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، 75

3 المرجع السابق، ط8، 44

الذَّوات المفردة والتَّنبيه للعلاقة بينها. فاستعانة العقل بالاستقراء إما كبرهان وحجة لإثبات أمر ما أو للتنبيه عن جزئيات أمور أحاكمها واضحة ولكنَّ النفس في غفلة عنها[1].

ثانياً. صورٌ مِنْ تطبيقات الاستقراء عند الدكتور البوطي رحمه الله تعالى

مِنَ الأمور التي استخدم فيها رحمه الله الاستقراء كدليلٍ مستقلٍّ ما يلي:

1. الرَّدُّ على مَنْ قال أنَّ الوحي كان نتيجة تأمُّلٍ وتفكُّرٍ[2]، وليس أمراً خارجاً عن ذاتهﷺ.

وقد أجاب رحمه الله عن ذلك بأنَّ استقراءَ حالات التَّأمُّل عند البشر ينفي مرافقةَ الخوف والرُّعب واصفرار اللون لها؛ كما كان يحدث مع النَّبيﷺ ممَّا هو ثابتٌ بنصوصٍ يقينيَّة. إذن ثبت بالاستقراء أنَّ الوحي ليس نتيجة تأمُّلٍ منهﷺ.

2. إثبات أنَّ القرآن مِنْ كلام الله بالاستقراء التَّام.

وقد اتَّبع رحمه الله في ذلك نموذج السَّبر والتَّقسيم ففرض كلَّ الاحتمالات فقال: القرآن إمَّا مِن عند البشر أو مِنْ عند الجنِّ أو مِنْ عند الله، أمَّا أنَّه مِنْ عند البشر فثبت بطلانه بأمرين: أوَّلهما: التَّحدي المستمِّر بحيث لم يستطع أحدٌ في الماضي أو الحاضر أنْ يأتيَ بمثله، وثانيهما: ما في القرآن مِنْ إعجازاتٍ علميَّة أو إخباراتٍ غيبيَّة يستحيل أنْ يأتيَ بها بشر.

أمَّا أنَّه مِنْ عند الجنِّ فثبت بطلانه أيضاً، لاستلزامه أمراً باطلاً، وهو قدرة الجنِّ على الإتيان بمثله، فما الذي يمنع الجنيَّ الآخر أنْ يوحيَ هو أيضاً بقرآنٍ مماثل؟ وقد ثبت عجز الجنِّ عن ذلك بالتَّحدِّي المستمِّر، ولم يبقَ بعد إبطال الاحتمالين إلا الاحتمال الثَّالث أنَّ القرآن مِنْ عند الله[3].

---

1 انظر النَّجاة/ابن سينا، القسم الأوَّل 102–103

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص190
انظر من هنا وهناك/البوطي، 186

3 انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 130

المبحث الثَّاني: اللُّزوم (قانون التَّلازم)

المطلب الأوَّل: مفهوم اللُّزوم وأنواعه

أوَّلاً. مفهوم اللُّزوم

يعتبر اللُّزوم عنصراً أساسيَّاً في كلِّ البراهين والأدلَّة العقليَّة القاطعة، وهو الإدراك المباشر لاطِّراد الارتباطِ بين شيئين إذا تمَّ تصوُّر أحدهما تمَّ تصوُّر الآخر[1].

ويسمَّى بـ(قانون التَّلازم) عندما يستخدمُ كدليلٍ عقليٍّ على إثبات دعوى مَا، وقد استخدم هذا القانون علماء الكلام والفلاسفة المسلمين قديماً، وهو يلتقي عندهم مع مبحث القياس الشَّرطي الاستثنائي المتصل؛ فـ"**الشَّرطيُّ المتَّصل يقوم على نوعٍ مِنَ اللُّزوم...وجود المحمول يلزم عن لزوم الموضوع...إنَّ اللُّزوم مفهوم وعلاقة ذات طابع إسلاميّ، تعني فيما تعنيه التَّرافق والتَّتابع. فالرَّابطة شكليَّة بين اللَّازم والملزوم وليست رابطة فاعليَّة.**"[2].

وقد أجاز المتكلمون الاستدلال بالتَّلازم اعتمادا على القرآن، ويوضح ذلك القول التالي:

هذا الميزان مستفادٌ مِنْ قوله تعالى:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا﴾الأنبياء:22/21، **ومِنْ قوله تعالى:**﴿قُلْ لَوْ كَانْ مَعَهُ آلِهَة كَمَاْ تَقُوْلُوْنَ إِذَاً لَاْبتَغَوْا إِلَى ذِىْ اَلْعَرْشِ سَبِيْلَاً﴾الإسراء: 42/17، **ومِنْ قوله تعالى:**﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾الأنبياء:99/21. **وتحقيق صورة هذا الميزان أنْ نقول: لو كان للعالم إلهان لفسد، فهذا أصلٌ. ومعلومٌ أنَّه لم يفسد، وهذا**

---

1 انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة، 23-34، 111-113
انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 190
انظر مفهوم اللزوم/عصام جميل، 24
انظر أبكار الأفكار/الآمدي، 1/204-205
انظر نص تلخيص منطق أرسطو/ابن رشد، 235/4
انظر معيار العلم/الغزاليّ، 137-142

2 المنطق عند الفارابي/العجم، 3/227-229

أصلٌ آخر. فيلزم عنهما نتيجةٌ ضروريَّةٌ وهي نفي الإلهين. ولو كان مع ذي العرش آلهة، لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً، ومعلومٌ أنَّهم لم يبتغوا، فيلزم نفي آلهة سوى ذي العرش... وأمَّا حدُّ هذا الميزان فإنَّ كلَّ ما هو لازمٌ للشَّيء تابعٌ له في كلِّ حال، فنفي اللَّازم يوجب بالضَّرورة نفي الملزوم، ووجود الملزوم يوجب بالضَّرورة وجود اللَّازم. أمَّا نفي الملزوم ووجود اللَّازم فلا نتيجة لهما، بل هما مِنْ موازين الشَّيطان...[1].

ثانياً. أنواع اللُّزوم مِنْ حيث المصدر

بعد البحث المطوَّل في كتب المنطق اليونانيَّة والعربيَّة تمَّ اعتماد هذا التَّقسيم لأنواع اللُّزوم[2]، لأنَّه الأوضح والأقرب إلى بلوغ هدف البحث، بناءً على ذلك أنوع اللُّزوم حسب المصدر كما يلي:

1. لزومٌ عقليٌّ: مصدر الارتباط فيه بين الشَّيئين الضَّرورة العقليَّة، كلزوم كون الشَّيء الموجود ليس معدوماً، ويستحيل عقلاً الانفكاك بينهما.
2. لزومٌ طبيعيٌّ: مصدر الارتباط فيه بين الشَّيئين طبيعيٌّ ناتجٌ عن ملاحظة قانون الأسباب الموجود في الكون، فتكرار التَّرابط بين الأحداث نبَّه على وجود هذا التَّرابط في الواقع، كانخفاض درجة الحرارة وتجمُّد الماء، ولا يستحيل عقلاً الانفكاك بينهما.
3. لزومٌ وضعيٌّ: مصدر الارتباط فيه بين الشَّيئين تواضع النَّاس، كلزوم التزام السَّيَّارات بإشارات المرور.

ثالثاً. أنواعه مِنْ حيث القوَّة

قسَّم العلماء التَّلازم إلى ثلاثة أقسامٍ بناءً على وضوحه واستغنائه عن برهانٍ آخر يدلُّ عليه، ممَّا يحدِّدُ قوَّة ما يورثه مِنَ العلم وهل هو بدرجة اليقين أم لا.

وقد تمَّ اعتماد التَّرتيب التَّالي من المراجع الحديثة لوضوحه وتحقيقه المطلوب بعيداً عن المصادر المنطقية التي تحتاج لدراسة وتحليل[1] بحيث يرتقي مِنَ الأدنى إلى الأعلى[2]:

---

1 القسطاس المستقيم/الغزالي، 36، 38

2 انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة، 26-27، 111-113

1. اللّزوم غير البيِّن: يفتقر جزم الذِّهن باللُّزوم إلى وسطٍ، كتساوي زوايا المثلث القائم في زاويتين، فالعقل لا يجزم بذلك لكلِّ مثلثٍ ما لم يطَّلع على برهانٍ آخر.

حكمه: هذا التّلازم وحده لا يعتبر دليلاً؛ لأنَّه هو نفسه يحتاج إلى برهان، ولكنَّه يعتبر جزءًا مِنْ دليلٍ يتكامل بضمِّ تتمَّته إليه، وما دونِ هذه الدَّرجة لزوماتٌ وهميَّةٌ لا تستند إلى أكثر مِنْ دليل الاحتمال.

2. اللُّزوم البيِّن بالمعنى الأعمِّ: ويتوقَّف جزم الذِّهن باللزوم بين الشَّيئين على تصوُّرِهما والنَّظر فيهما فقط دون الحاجة إلى برهانٍ آخر، كالتَّلازم بين واجب الوجود والقديم

حكمه: دِلالته قويَّة تتوسَّطُ بين النَّوعين الأوَّل والثَّاني، فهو مِنْ حيث الدِلالة وقوَّة البرهان أقوى ممَّا قبله، أضعف ممَّا بعده.

3. اللّزوم البيِّن بالمعنى الأخصِّ: وفيه يكفي تصوُّر المُلْزِم وحده لتصوُّر اللزوم والجزم به كدِلالة سيارة الإسعاف على المريض، وكدِلالة الأنين على المرض، وفي القضايا الطّبيعيَّة كلزوم تصوُّر المحدِث بمجرَّد تصوُّر الحادث. حكمه: أقوى الأنواع مِنْ حيث الدِلالة وقوَّة البرهان يليه النَّوع الثَّاني.

المطلب الثَّاني: رأي الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله في قانون التَّلازم وصورٌ مِنْ تطبيقاته

أوَّلاً. رأي الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله في قانون التَّلازم

وافق رحمه الله علماء الكلام والفلاسفة العرب في التَّعريف والتَّقسيم السَّابق للتَّلازم، وقد اعتمد في التَّعبير عن ذلك التَّقسيمات والمصطلحات القريبة مِنَ الفهم بعيداً عن السَّفسطاتِ المنطقيَّة اليونانيَّة.

---

1 انظر معيار العلم/ الغزالي، 137-142

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، 42-43

انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 190

انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة الميداني،32-الحاشية رقم1

وملخَّص رأيه رحمه الله[1]: أنَّ التَّلازم يُستخدم كدليلٍ عقليٍّ مُعتبرٍ في إثبات الحقائق الاعتقاديَّة سواء وَرَدَ فيها نصٌّ قطعيٌّ أمْ لمْ يرِدْ، فإنْ وَرَدَ فيها نصٌّ يتآزر التَّلازم مع النَّص فيلتقيان عند الحقيقة الاعتقاديَّة ذاتها، وإنْ لمْ يَرِدْ فيها نصٌّ انحصر إثباتها بالنَّظر العقليِّ، وخطوته الأُوْلَى الحكم على أيِّ دعوى بالصِّدق أو البطلان، ويكون ذلك بالبحث عن مستلزماتها، فإنْ كانتْ هذه المستلزماتُ متوافقةً مع الواقع والعقل، كان ذلك دليلاً على صدق الدَّعوى وإلَّا كذَبَتْ، وكلُّ ذلك قائمٌ على قانون التَّلازم.

وقررَّ رحمه الله أنَّ الارتباط غير مشاهدٍ ولا يخضع للتَّجربة، فدلالته ليست دلالة العلَّة، بل هو شيءٌ خفيٌّ عن المشاهدة والحسِّ، فالتَّلازم عمليَّةٌ عقليَّةٌ سبيلها استقراء الملازمة الدَّائمة وتكرُّرِها دون تخلُّف، يقول الدكتور البوطي رحمه الله: "**فالدَّالُ...ليس علَّةً للمدلول، حتَّى نقول إنَّ دلالته عليه مِنْ قبيل دلالة العلَّة على المعلول؛ إذ النُّحول ليس علَّةً للمرض،... وأنت عندما تشاهد الدَّالَّ في هذه الأمثلة لا تُبصر معها المدلول ولا تشاهده، حتَّى تقولَ إنَّ الدَّليل هو الرُّؤية والمشاهدة، بل هو شيءٌ خَفِيَ عن مشاهدتك وإحساسك...**"[2].

كما رَفَضَ رحمه الله استخدامَ النَّظرَ العقليَّ ومنه التَّلازم في مسائلَ منها؛ نظريَّة النُّشُّوء؛ وعلَّل ذلك بأنَّها حقيقية تاريخيَّة لا تخضع للتَّلازم بل لا بد مِنَ الخبر المتواتر[3] والقضيَّة الأخطر التي لم يقبلْ رحمه الله تعالى فيها التَّلازمَ أبداً هي: الحكم بالكفر، فلا قيمة لدِلالة اللُّزوم فيها، إلَّا إذا كانت قطعيَّة؛ وذلك أنَّ الصَّلاحيَّات القضائيَّة والفقهيَّة التي منحها الله للإنسان تقوم على قاعدةٍ أساسيَّةٍ وهي: الحكم بالدَّلائل القطعيَّة فقط القائمة على ظواهر الأحوال وترك حقيقة القلب لله فهو وحده العالم بها، فالتَّلازم المُعتَبَرُ هنا القطعيُّ فقط ذاك الذي يستحيل تخلُّف الملزوم عنه بأيِّ شبهةٍ، وقد تم الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس من الباب الثاني من هذا الكتاب تحت عنوان: قيود الحكم بالردة.

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، 40-43
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 145

2 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، ص40

3 انظر الإسلام ملاذ كلِّ المجتمعات الإنسانيَّة/البوطيّ، 167-168

ثانياً. صورٌ مِنْ تطبيقات قانون التَّلازم عند الدُّكتور البوطي رحمه الله

جدول (1) تطبيقات قانون التَّلازم عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله

القضيَّة الأُوْلَى	القضيَّة الثَّانية	النَّتيجة اللَّازمة	ملاحظات
1. يلزم عن القول بأنَّ الكون منقولٌ مِنَ العدم إلى الوجود؛ الاعتقاد بوجود قوَّةٍ خارجيَّةٍ نقلَتْهُ من العدم.	وقد ثبْتَ أنَّ الكون في الماضي انتقل مِنَ العدم إلى الوجود	فله قوَّةٌ خارجيَّةٌ نقلَتْهُ وهي الله تعالى	أدرجهما رحمه الله في أدلَّة وجود الله التي تعتمد على الالتزام البيِّن بالمعنى الأخصِّ، وهي على التَّرتيب: بطلان الرُّجحان بدون مرجحٍ، والعلَّة الغائيَّة[1]
2. يلزم عن القول بأنَّ الكون مُنظَّمٌ؛ أنَّ له حكيمٌ عليمٌ أراد هذا النِّظام وأوجدَه.	وثبت بالمشاهدة أنَّ الكون مُنظَّمٌ.	إذنْ له حكيمٌ عليمٌ أراد هذا النِّظام، وهو الله	
3. إذا كان الله يتَّصف بكلِّ صفات الكمال فتنتفي عنه كلُّ صفات النَّقص لزوماً، فالمتناقضان لا يجتمعان	وقد ثبتَتْ لله صفات الكمال	فانتفتْ عنه صفات النَّقص لزوماً	وبذلك يثبت لله: القدم[2] وصفات المعاني[3] فلا بداية له، ولا جهل أو إكراه أو عجز يعتريه
4. العدد مِنْ مستلزمات الأشياء الحقيقيَّة المخلوقة	وقد حدَّد الله الإمداد بألفٍ مِنَ الملائكة	فالإمداد في غزوة بدرٍ حقيقيَّاً وليس معنويَّاً[4].	
5. الإيمان بأنَّهﷺ مرسلٌ مِنْ عند الله، يوجب الإيمان بكل ما جاء به	والغيبيَّات ممَّا جاء بهﷺ	فالإيمان بالغيبيَّات واجب	ومنها: الجنُّ والملائكة والموت وأشراط السَّاعة ويوم القيامة.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص67-86
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 2/222-225
2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص113
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116
انظر الحكم العطائية شرح وتحليل/البوطيّ، 235/1
3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص119
4 انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 242-243
انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 140

المطلب الثَّالث: استحالة دعوى الخصم

أوَّلاً. صورتُها

أنْ يعتمد الطَّرف الآخر في النِّقاش على مقدِّماتٍ غير سليمةٍ يلزم عنها ما يُناقض دعواه، فيستخدم علماء الكلام هذه الحجَّةَ التي تُسمَّى عندهم: استحالة دعوى الخصم أو قياس الخُلف[1] ، ونصُّ تعريفه عندهم: "**إنْ كانت إحدى المقدِّمتين ظاهرةَ الصِّدق، والأخرى كاذبةً، أو مشكوكاً فيها، وأنتج نتيجةً بيَّنة الكذب، ليستدل بها على أنَّ المقدِّمة كاذبةٌ، سُمِّيَ قياس الخلف**"[2].

ثانياً. مبدؤها

أنَّ اللَّازم عن مقدِّماتِ الخصم محالٌ وباطلٌ؛ وما يؤدِّي إلى محالٍ هو محالٌ. وقد أرجع الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله هذه الحُجَّة إلى قول (مِنْ فمك أُدينك) فيعتمد المناقش على مقدِّمات خصمه ليُرِيَه أنَّ مقدِّماته تُنتج نقيض دعواه[3].

---

1 انظر الاقتصاد في الاعتقاد/الغزاليّ، 13

انظر نص تلخيص منطق أرسطو/ابن رشد، 311/4

2 معيار العلم/الغزاليّ، 146.

ويقول أيضاً في ذات الكتاب "**ويجوز أنْ يُسمَّى هذا (قياس الخَلْف)، لأنَّك ترجع من النتيجة إلى الخلف، فتأخذ مطلوبك من المقدمة التي خلفتها كأنها مسلمة. ويجوز أنْ يُسمَّى (قياس الخُلْف)، لأن الخلف هو الكذب المناقض للصدق، وقد أُدرِجَتْ في المقدمات كاذبة في معرض الصدق. ولا مشاحة في التسمية بعد فهم المعنى.**"

3 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 27–28

انظر الاقتصاد في الاعتقاد/الغزاليّ، 13

انظر معيار العلم/الغزاليّ، 147

ثالثاً. تطبيقاتها

ومِنْ تطبيقاتها في إثبات الحقائق الاعتقاديَّة عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله ما يلي:

1. إبطال دعوى إيجاد الكون نفسَه بنفسه؛ لأنَّها تستلزم الدَّور والتَّسلسل، وهما مستحيلان عقلاً[1].
2. إبطال دعوى القرآن التَّنزيلي والتَّأويلي[2]: التي تفترض أنَّ القرآن المثبت في اللَّوح المحفوظ كان متعالياً عن واقع النَّاس وأفهامهم، وفي هذه المرحلة يسمَّى التَّنزيلي، فلمَّا نزل إلى الأرض توَّزع بين أفهام النَّاس واجتهاداتهم وفي هذه المرحلة يسمَّى التَّأويلي.

   ولازم هذه الدَّعوى نسبة الجهل لله تعالى، وتبديل علمه الأزليِّ وهو باطلٌ، ولمَّا كان لازم الدَّعوى باطلاً؛ بطَلَتِ الدَّعوى، وقد بيَّن رحمه الله ضعف هذه الدَّعوى بشكلٍ مفصَّلٍ تمَّ ذكره كاملاً في الباب الثَّاني.
3. أثبت رحمه الله تعالى نفيَ العلَّة الغائيَّة عن أفعال الله[3]: فلو توقَّفَتْ أفعال الله على العلل الغائيَّة، لنُسبَ إليه تعالى عكس الإرادة، فيلزم عن ذلك عدم تحقُّق إرادته إلَّا بأشياء أخرى، وهذا باطلٌ لثبوت الكمال لله تعالى.

---

1 انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 129–133
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 44–47
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص73

2 انظر الإسلام والعصر/البوطيّ والتِّيزيني، 180–218

3 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 142–146
انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 251–255
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/162–167
انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 97

المبحث الثّالث: القياس

المطلب الأوَّل: تعريف القياس وأنواعه

تختلف صورة القياس حسب الفئة التي تستخدمه، فلعلماء المنطق صورةٌ مختلفةٌ عمَّا اعتمده علماء أصول الفقه والمتكلِّمون، وسيقوم هذا المطلب بتفصيل هذا الاختلاف، ثمَّ سيحدد المطلب الثَّاني المعنى المعتمد عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله عندما يُطلِق هذا اللفظ، وضوابط إثبات الحقائق الاعتقاديَّة فيه.

أوَّلاً. القياس في المنطق

الحكم مِن كليٍّ على جزئيٍّ، وصورتُه: قولٌ مؤلَّفٌ مِنْ قضايا –مقدِّمات – يلزم عن التَّسليم بها لذاتها قولٌ آخر. وبالنَّظرة الإجماليَّة لصورة القياس هذه يُلاحَظ أنَّها واسعةٌ يندرج تحتها كلُّ برهانٍ يُستنتج فيه نتيجةٌ مِنْ مقدِّمتين أو أكثر، حيث لم تُحدِّد هذه الصُّورة عدد المقدِّمات ونوع العلاقة التي تربط بينها، إلَّا أنَّ شرح هذه الصُّورة وتفصيلها يتمُّ فيه تحديد عدد المقدِّمات بمقدمتين وبيان العلاقة اللُّزوميَّة بينها، ومنه تتفرَّع أنواع القياس المنطقيِّ[1].

ويُحكم على المعرفة النَّاتجة عن هذا القياس بما يتوافق مع مقدِّماته –قضاياه–؛ فإنْ كانت مقدِّماتٌ يقينيَّةً فالمعرفة يقينيَّةٌ، وإنْ كانتِ المقدِّماتُ مشهورةً أو مِنَ المسلَّمات كان القياس جدليَّاً، وإنْ كانتِ المقدِّمات ظنِّيَّةً كانت المعرفة النَّاتجة عنه ظنيَّةً، وهكذا

---

1 انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة، 228
انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 182–183
انظر لباب الإشارات والتَّنبيهات/الرازي، 60–62
انظر أبكار الأفكار/الآمدي، 1/198–206
انظر معيار العلم/الغزاليّ، 149
انظر مفهوم اللزوم/ جميل، 4، 16

كلَّما كانت مقدِّمات القياس أبعد عن اليقين كانت المعرفة النَّاتجة عنه أبعد عن اليقين أيضاً[1].

ثانياً. القياس عند علماء الأصول والمتكلِّمين

لم يعتمد علماء الأصول والمتكلِّمين على القياس المنطقيِّ، بل على نوعين آخرين[2]؛

الأوَّل: قياس العلَّة: وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم لاشتراكهما في العلَّة.

والثَّاني: قياس الدِلالة وهو إبانة حكم الفرع مماثلاً لحكم الأصل لجامعٍ مشتركٍ بينهما، واختيار لفظ الإبانة دون الإثبات؛ لأنَّ القياس الدِّلالي مُظْهِرٌ للحكم لا مثبت له[3].

ويشملهما مفهومٌ واحدٌ يسمَّى عند الفقهاء قياس التَّمثيل، وعند علماء الكلام قياس الغائب على الشَّاهد[4]، وتعريفه: "**حكمٌ مِنْ جزئيٍّ واحدٍ، على جزئيٍّ آخر**"[5] لأمرٍ جامع.

وله وجهان الأوَّل: أنْ يكون المقيس مماثلاً للمقيس عليه في الأمر الجامع فهو قياس المساواة. الثَّاني: أنْ يكون المقيس أَوْلَى مِنَ المقيس عليه بالحكم، فهو قياس الأَوْلَى[6].

---

1 انظر لباب الإشارات والتَّنبيهات/الرازي، 80

انظر نص تلخيص منطق أرسطو/ابن رشد، 335/4

2 باستثناء الظَّاهريَّة فقد أنكروا القياس كاملاً. انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 103

3 انظر ضوابط المعرفة/عبد الرحمن حبنكة، 286

انظر التَّعريفات/علي الجرجاني، 181

4 لم أجد في كتبه رحمه الله تعريفاً خاصَّاً به، فمنهجه قائم على عدم الخوض في تفاصيل ليس فيها فائدةٌ علميَّةٌ، فحكمه داخلٌ في حكم القياس العام، ويُرَجِّح ذلك وجودُ تطبيقاتٍ في آرائه صرَّح بها عن اعتماده عليه.

5 معيار العلم/الغزاليّ، 149

انظر أساس القياس/الغزاليّ، 107

6 هو الحكم على الفرع بحكم الأصل لاشتراكهما في العلَّة ووجودها في الفرع أقوى منه في الأصل، كقياس ضرب الوالدين على لفظ (أف) لاشتراكهما في العلَّة وهي الإيذاء، فتحريم الضَّرب أولى مِنْ كلمة (أف)، أمَّا قوَّة ما ينتج عنه مِنْ معرفة فإذا كان وجود العلَّة بتمامها قطعيَّاً، فالدَّليل قطعيٌّ، أمَّا إذا كان وجودها بتمامها ظنيَّاً، فالقياس ظنيٌّ، ولأنَّ قياس الأَوْلَى لا يشترط فيه التَّماثل والتَّشابه، بل كلُّ ما في الأمر اشتراكٌ في صفةِ كمالٍ بين المخلوق والخالق، والأصل فيه ما ثبت مِنْ أنَّ الخالق لا بدَّ مِنَ اتِّصافه بصفات الكمال كافَّة، فلا إشكال في الاستدلال به في إثبات صفات الله، مثاله صفة العلم هي مِنْ صفة الكمال فلا بدَّ مِنَ اتِّصاف الله بها مِنْ باب أَوْلَى. انظر موسوعة الأعمال الكاملة/محمَّد الخضر حسين، 79/6. التَّحبير شرح التَّحرير/المرداوي، 3300/7

ويفيدُ قياسُ التَّمثيلِ الظَّنَّ لمَا يدخل في الأمر الجامع مِن احتمالاتٍ؛ إذا سلم منها أفاد اليقين، فربَّما كان الأمر الجامع مركَّباً مِن أوصافٍ؛ والذي وصل إليه العلماء هو أحد الأوصاف، فلا يصحُّ هنا إثبات الحكم[1].

والحكم بالاستقراء أقوى مِنَ الحكم بقياس التَّمثيل عند البعض ومنهم الإمام أبي حامد الغزالي؛ لأنَّ الاستقراء حكمٌ مِنْ جزئيَّاتٍ كثيرة على جزئيٍّ واحد، وخالف بذلك ابن رشد واعتبر ما ينتج مِنْ معرفةٍ عن الاستقراء النَّاقص وقياس التَّمثيل في مرتبة واحدة[2].

المطلب الثَّاني: رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله في القياس وضوابطه وصورٌ مِنْ تطبيقاته

أوَّلاً. رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله في القياس وضوابطه

لم يعتمد الدُّكتور البوطي رحمه الله في إثبات مسائل العقيدة على القياس المنطقيِّ بأنواعه وقواعده وألفاظه الصَّريحة عندهم، ويؤكِّد ذلك قوله:

ولا تُصْغِيَنَّ إلى مَنْ جاء يستَدِلُّ بقياس الأشياء في المنطق اليونانيِّ، قائلاً: إنَّ اسم الله "الأوَّل" في حكم القضيَّة المهملة، والقضيَّة المهملة في حكم القضيَّة الجزئيَّة، فهي تَصْدُقُ بأنْ يكون الله عزَّ وجلَّ أسبق في الوجود مِنَ الكثير مِنْ مخلوقاته، ولا يُشترط أنْ يكون أسبق في الوجود مِنَ الأشياء كلِّها. نقول: لا تُصْغِيَنَّ إلى مَنْ يُناقشك بهذا الميزان، فإنَّا نرى بحق ما يراه ابن تيميَّة رحمه اللّه، مِنْ أنَّ قياس الأشكال ليس

---

1 انظر أبكار الأفكار/الآمدي، 211/1

2 انظر معيار العلم/الغزاليّ، 150

انظر نص تلخيص منطق أرسطو/ابن رشد، 356/4

ميزاناً علميَّاً صائباً، بل ما أكثر ما داخَلَهُ الخُلْف وظهر فيه الخطأ وجاءت مِنْ ورائه النَّتائج الباطلة، لا سيَّما مسألة القضيَّة المهملة وهل هي منتجةٌ أم لا...[1].

وقد استبدل رحمه الله ما سبق بقواعد وألفاظ علماء أصول الفقه والمتكلِّمين التي استلهموها مِنْ كتاب الله، فاعتمد الاستقراء واللُّزوم وقياس العلَّة والدِلالة.

وقد عرَّفه رحمه الله بقوله: "**وهو منهجٌ يتلخَّص في استخراج علَّة الشَّيء أو سببه، ثُمَّ تلمُّسه فيما قد يشبه مِنَ الأشياء المجهولة، حتَّى إذا استيقن الباحث اشتراكَ كلٍّ مِنَ المعلوم والمجهول في علَّةٍ واحدةٍ قاس الثَّاني على الأوَّل في حكمه المنبثق مِنْ تأثير تلك العلَّة**"[2]. وهذا التَّعريف يشمل قياس العلَّة والدِّلالة؛ لأنَّ العلَّة إمَّا أنْ تكون مُثْبِتَة للحكم أو مُظْهِرة له فقط، وله أركانٌ أربعة:

1. **أصلٌ، وهو الأمر الذي ورد في حكمه نصٌّ مِنْ كتابٍ أو سنَّة**
2. **فرعٌ، وهو الأمر الذي لم يردْ نصٌّ على حكمه في كتابٍ ولا سنَّة**
3. **حكم الأصل، الثَّابت بدليلٍ مِنَ الكتاب أو السُّنَّة**
4. **علَّة الحكم، وهو الوصف المناسب له عقلاً والمعتبر معه شرعاً.**"[3]، ولها نوعان "**العلَّة الملائمة: هي الوصف الذي يتحقَّق بترتيب الحكم على وفقه مقصدٌ مِنْ مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة، ولكن لا يوجد نصٌّ شرعيٌّ ولا إجماعٌ ثابتٌ على كونه علَّة...أمَّا العلَّة المؤثرة: فهي الوصف الذي دلَّ النَّصُّ أو الإجماع على كونه علَّةٌ للحكم... ففي علماء الأصول مَنِ اشْتَرَطَ في العلَّة التَّأثير ولم يكتف بالملاءمة، وفيهم مَنْ صحَّح العلَّتين، ولكنْ إذا تعارضَتْ العلَّة المؤثِّرة مع الملائمة أُلْغِيَتِ الملائمة واعتُمدتْ المؤثِّرة.**[4].

---

1 السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 169

2 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 43

3 ضوابط المصلحة/البوطيّ، 218

4 إشكاليَّة تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 166 وفيه شرحٌ أصوليٌّ واسعٌ انظر المرجع ذاته 266–271

وتقوم فكرة القياس عند الدُّكتور البوطي رحمه الله على مبدأين اثنين مِنَ المسلَّمات العقليَّة فلا يحتاجان إلى برهان، هما قانون العليَّة فلكلِّ معلولٍ علَّةٌ، وقانون التَّناسق في العالم فالمظاهر الجزئيَّة للكون تختلف في أشكالها إلَّا أنَّها ترتبط بعللٍ كليَّةٍ مِنْ شأنها أنْ تُثْبِتَ التَّناسق فيما بينها.

وكما تمَّ التَّوضيح في المبحث الأوَّل مِنْ هذا الفصل أنَّ القياس هو أداة التَّحقُّق مِنَ الفروض والنَّظريَّات التي تتم ملاحظتها مِنْ خلال الاستقراء، وكيفيَّة التَّحقُّق هنا هي تتبُّع جزئيَّات ما يُدَّعى أنَّه علَّةٌ لأمرٍ ما فيظهر أنَّه لا ينفكُّ عن إنتاج معلوله، والعلاقة بين العلَّة والمعلول تتجلَّى فيها ظاهرة الاطِّراد والانعكاس، فكلَّما وُجِدَتِ العلَّة وُجِدَ المعلول، وكلَّما فُقِدَتِ العلَّة فُقِدَ المعلول، ولا بدَّ هنا مِنَ التَّأكُّد أنَّ هذا الاطِّراد والانعكاس ليس بمحض المصادفة أو بسبب عاملٍ آخر.

وقد بيَّن رحمه الله شروط القياس حتى يُعتمد دليلاً يقينيَّاً في مسائل العقيدة، إذا تخلَّف أحدها كان القياس ظنِّيَّاً فلا يُقبل في الأحكام الاعتقاديَّة، وهي:

1. أنْ تكون العلَّة مؤثِّرةً في المعلول، فإثبات تأثيرها لا بدَّ له من دليلٍ قطعيٍّ.
2. أنْ تكون العلَّة مطَّردةً ومنعكسةً.
3. أنْ تكون العلَّة منضبطةً واضحةً غير مضطَّربة[1].

ثانياً. صورٌ مِنْ تطبيقات القياس في آراء الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى.

1. إثبات صفات المعاني لله تعالى قياساً على صفة العلم التي ثبتت بالنَّص، قال تعالى:﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾البقرة: 255/2، والعلَّة هنا أنَّ هذه الصِّفاتِ ملازمةٌ لمدلولاتها، فالعالِم لا بدَّ وأنْ يوصف بالعلم، والمريد لا بدَّ وأنْ يوصف بالإرادة وهكذا...[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، 44-46

2 انظر المرجع السّابق، ط8، ص119

2. لا يجب الاعتقاد بدوران الأرض أو عدمه كدين؛ قياساً على العلم بالنَّظريَّات الكونيَّة، والعلَّة الجامعة بينهما عدم وُرُوْدِ دليلٍ قطعيٍّ فيها.

فالبحث في دوران الأرض أو سكونها ليس ممَّا يجب الاعتقاد به ديناً، فمَنْ قال بسكونها أو حركتها أو ارتاب بذلك لا يلحقه بذلك أيُّ إثمٍ وإنَّما هو مِنْ جملة الأمور الكونيَّة التي وكَّل الله سبيل الكشف عنها إلى ما أوتيه الإنسان مِنْ طاقة البحث والنَّظر؛ فالأَوْلَى توكيل العلم بذلك إلى الله[1].

3. إنكار وجود الله موجب للرِّدَّة؛ قياساً على الشِّرك بالله، والعلَّة الجامعة هي خطورة الذَّنب وعدم مغفرته، وذلك بالنَّصِّ الصَّريح:﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾النساء: 116/4، فإنكار وجود الله يوجب الرِّدَّة بالاعتماد على قياس الأَوْلَى فالعلَّة فيه أوضح وأقوى[2].

وكلٌّ من هذه الصور تم البحث فيها مع أدلتها في الباب الثاني من هذا البحث.

المطلب الثَّالث: بطلان قياس الغائب على الشَّاهد في الإلهيَّات عند الدُّكتور البوطي رحمه الله

تبيَّن في المطالب السَّابقة أنَّ قياس الغائب على الشَّاهد عند المتكلِّمين هو ذاته قياس التَّمثيل عند الفقهاء، وأنَّ بعض العلماء لم يعتمدوه دليلاً في العقليَّات، خلافاً لآخرين اعتمدوه دليلاً عليها؛ ومنهم الدُّكتور البوطي رحمه الله، واشترط لذلك ضوابط لا بدَّ منها في الأمر الجامع بين الأصل والفرع تم بيانها سابقاً.

إلَّا أنَّ تصوُّر الجامع بين الحوادث ممكنٌ، ولكن كيف يُتصوَّر هذا الأمر الجامع بين الحوادث والخالق، دون أنْ يدخل ذلك في محظور التَّشبيه؟! لاسيَّما أنَّ هذا القياسَ لا بدَّ

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطي، ط8، ص336 الحاشية رقم 1

2 انظر المرجع السّابق، ط8، ص365-367

فيه مِنْ تشابهٍ بالمعنى الكليِّ أو تماثلٍ في العلَّة بين المقيس والمقيس عليه، ولا يصحُّ اجتماع الذَّات الإلهيَّة وأحدٍ مِنَ الخلق في مفهومٍ كليٍّ تستوي أفرادُه، وكذلك يستحيل عقلاً وشرعاً أنْ يقوم التَّشابه والتَّماثل بين الخالق والمخلوق.

مع ذلك ذكر رحمه الله كثيراً مِنَ النُّصوص ظاهرها التَّشبيه، ولكنْ عند التَّعمُّق في مضمونها تظهر حقيقتها بعيدةً عن قياس التَّشبيه، مِنْ ذلك مثال الأب والابن؛ فلو أنَّ أباً أمسك طفله الذي لم يتجاوز عامه الأوَّل وأوقفه على قدَميه، لا يصحُّ القول أنَّ هذا الطِّفل أصبح شريك والده في القدرة على الوقوف؛ لأنَّه بمجرَّدِ تركِه له سيسقطُ الطِّفل على الأرض، وبذلك يثبت الفرق بين وجود الله الذَّاتيِّ، ووجود النَّاس التَّابع لقدرة الله إنْ جزئياً في دار الدُّنيا أو كلِّياً أبديَّاً يوم القيامة، فلو تخلَّى الله عنهم لانتَهَوا جميعاً إلى الزَّوال[1].

مِن خلال التَّدقيق في المثال السَّابق والأمثلة المشابهة له يتبيَّن؛ أنَّ ما يوهم مِنَ النُّصوص حسب ظاهرها التَّشبيه بين ذات الله والإنسان ما هي في المضمون إلَّا أمثلةٌ مِنْ واقع البشر تقريباً للأذهان، بعيدةً عن قياس الغائب على الشَّاهد.

ومعتمد هذه الأمثلة هو البحث في الشاهد عن دلالة اللفظ في أصل اللغة ثم استخدام هذه الدلالة في حق الله تعالى، مع مراعاة استثناء كل ما يخالف قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشورى:11/42/ .

ومما يؤكِّد بطلان قياس الغائب على الشاهد عنده رحمه الله تعالى منْعُه مِنْ قياس أفعال الله على أفعال الإنسان بتوهُّم علَّة التَّشابه الحقيقيِّ، ومِنْ ذلك قوله: "**وقياسه عزَّ وجلَّ على عباده لا يستقيم في ميزان العلم ولا في قواعد الدِّين**"[2].

ويؤكده أيضاً إقراره أنَّ مِنَ الخطأ قياس الخالق على قوانين المخلوق في مسألة العلَّة الغائيَّة؛ فلا غاية وراء خلقه تعالى للمخلوقات؛ وإلَّا يُنسَب بذلك العجز له بأنَّه لا

---

1 انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 45

انظر هذا والدي/البوطيّ، 113

2 الإنسان مسير أم مخير/البوطي، 44-45

يستطيع الوصول إلى ما يريد إلَّا بأفعالٍ هي واسطة لذلك، وقد أمر الله بالابتعاد عن هذا القياس بقوله:﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾الأنبياء:23/21[1].

وأهمُّ ما ثبت في هذا السِّياق عدل الله؛ فللَّه الكون كلُّه وله التَّصرُّف به كاملاً كيفما شاء ومتى شاء بدون انتظار الإذن مِنْ أحدٍ، فلا وجه هنا لقياس معاملة الرَّبِّ لعباده على معاملة العبد لزميله، بل هو قياسٌ باطلٌ؛ لانعدام الجامع المشترك بين المَقيس والمَقيس عليه، فالله يقضي بما يشاء في حق عباده، وقضاؤه كلُّه عدلٌ[2].

مِنْ خلال ما سبق يخلُص القول بأنَّ الدُّكتور البوطي رحمه الله اعتمد في استدلاله على ثلاثة أدلَّةٍ عقليَّةٍ، دليلان مثْبِتَان للحكم؛ وهما التَّلازم والقياس، ودليلٌ كاشفٌ له وهو الاستقراء.

واشترط للاستدلال بها في مسائل العقيدة أنْ تكون سبيلاً لليقين دون غيره، وذلك باعتماد أنواعٍ منها دون أخرى، فاستدلَّ بالاستقراء التَّام والالتزام البيِّن بالمعنى الأخصِّ والقياس الذي توافرت به شروط اليقين.

مشترطاً في كل ما سبق عدم وُرُوْدِ نصٍّ، أمَّا في حال وجود النَّصِّ فالسَّبيل إليه بالتَّثبُّت مِنْ صحَّته ثمَّ اليقين بما جاء به.

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/328-331

2 انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 65-66

الفصــل الثَّالث

منهجه في الاستدلال بالأدلَّة النَّقليَّة على العقائد

وفيه

المبحث الأوَّل: الأدلَّة النَّقليَّة مِنْ حيث عدد الرُّواة والقَبول

المطلب الأوَّل: المتواتر

المطلب الثَّاني: الآحاد

المبحث الثَّاني: الأدلَّة النَّقليَّة مِنْ حيث قواعد اللُّغة العربيَّة والتَّفسير

المطلب الأوَّل: كيفيَّة دلالة اللَّفظ على المعنى

أوَّلاً. الحقيقة والمجاز

ثانياً. المشترك

ثالثاً. المنطوق والمفهوم

المطلب الثَّاني: قوَّة دِلالة اللَّفظ على المعنى

المطلب الثَّالث: شمولية دلالة اللفظ على المعاني

المبحث الثّالث: الإجماع

المطلب الأوَّل: الإجماع وقيمة ما ينتج عنه مِن معرفةٍ في مسائل العقيدة

المطلب الثَّاني: الإجماع وقيمة ما ينتج عنه في العقيدة عنده رحمه الله

المبحث الرَّابع: تطبيقات الأدلَّة النَّقليَّة في آراء الدُّكتور البوطي رحمه الله

المبحث الخامس: تعارض العقل والنَّقل

مدار هذا الفصل الأدلَّة النَّقليَّة وثبوت العقيدة بها، وتشمُل القرآن والسُنَّة[1] والإجماع، وتسمَّى أحياناً الأدلَّة الشَّرعيَّة المتَّفق عليها، وبهذا تشمُل القياس، وتمَّ الشَّرح عنه في الأدلَّة العقليَّة.

ولهذه الأدلَّة النَّقليَّة تصنيفان؛ يعتمد التَّصنيف الأوَّل على الحكم على مصدر وُرُوْد الأدلَّة النَّقليَّة ودرجة ثبوتها فهي؛ إمَّا قطعيَّةُ أو ظنِّيَّةُ الثُّبوت؛ وهذا التَّصنيف مشتركٌ بين علماء الكلام وعلماء أصول الفقه، ويجمعهم منهجٌ خاصٌّ في بيان ذلك، تمَّ تخصيص المبحث الأوَّل له. ويعتمد التَّصنيف الثَّاني على قواعد اللُّغة العربيَّة والتَّفسير، ولقد تناول علماء الكلام هذا التَّصنيف بالإجمال فاعتنوا في أبحاثهم بمدى إفادة الأدلَّة النَّقليَّة لليقين، أمَّا علماء أصول الفقه فقد توسَّعوا في بحث هذه الأدلَّة، وسيعتمد المبحث الثَّاني مِنْ هذا الفصل تقسيمَ علماء أصول الفقه، على أنْ يَدْرُسَ فقط ما اخُتلف في إفادته اليقين أمِ الظَّنّ، دون ما اتَّفقوا على إفادته الظَّنَّ، فلا استدلال بالأدلَّة الظَّنِّيَّة في مسائل العقيدة.

ولأنَّ الدَّليل النَّقليَّ الواحد تجتمع فيه عدَّة تصنيفاتٍ مِنْ حيث الاستدلال؛ لن يُتْبعَ كلُّ نوعٍ منها ببندٍ خاصٍّ عن تطبيقاته في آرائه رحمه الله، بل سيُخصَّص لها مبحثٌ بعنوان: تطبيقات الأدلَّة النَّقليَّة في آراء الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى.

---

1 وهي تستقي حجيَّتها في الإسلام منْ كونها وحياً غير متلو أنزل على رسول اللهﷺ فهي والقرآن مِنْ مشكاةٍ واحدةٍ، إذن الوحيُ معنى كلي يتمثَّل في حقيقةٍ واحدةٍ لا تتجزَّأ وهي مجموع القرآن والسُّنَّة، الفارق الوحيد بينهما أنَّ أحدَهما متلو بألفاظٍ محدَّدةٍ والآخر غير متلو بل عبَّر عنهﷺ بألفاظٍ مِنْ عنده، فلا يمكن الاستغناء عن أحدِهما دون الآخر أو ترجيح أحدِهما على الآخر. وقد بحث رحمه الله حجيَّة السُّنَّة بتفصيلها، وليس هنا مكان البحث عنها بل الأبحاث المتَّخصِّصة بالفقه وأصوله. للتَّفاصيل انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 23–46، انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 26–50

المبحث الأوَّل: الأدلَّة النَّقليَّة مِنْ حيثُ عدد الرُّواة والقَبول

صنَّف العلماء الأدلَّة النَّقليَّة إلى تصنيفين:

الأوَّل: باعتبار الثُّبوت؛ أيْ عدد الرُّواة وهو: المتواتر والآحاد.

الثَّاني: باعتبار القبول؛ أيْ قوَّة السَّند وضعفه وهو: الصَّحيح والحسن والضَّعيف.

وقد ذكر رحمه الله في كتبه التَّصنيفين، والذي سيعتمده هذا المبحث التَّصنيف الأوَّل، مِنْ خلال الحديث عن المتواتر والآحاد المقبول فقط، أمَّا غيرها فلا يحتجُّ به في القضايا العقديَّة لإفادتها الظَّنّ باتِّفاق العلماء[1]، وهو القول المعتمد عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى.

1 انظر نزهة النّظر/العسقلاني، 55

انظر "خبر الواحد الصَّحيح وأثره في العمل والعقيدة"/عتر، مجلة التُّراث العربيّ، العدد11، 162

المطلب الأوَّل: المتواتر

أوَّلاً. مفهومه وحكم الاعتقاد به

1. مفهومه[1]

ما رواه جمعٌ كثيرٌ يستحيل عقلاً تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى انتهاء السَّند، مِنْ غير قصدٍ منهم، وكان مستندهم الحسُّ.

وله نوعان معنويٌّ ولفظيٌّ، ولا يشترط في رجال سنده العدل والضَّبط، بل الكثرة التي يستحيل معها الاتِّفاق على كذب. ويدخل في هذا المفهوم القرآن والسُّنَّة المتواترة.

2. حكم الاعتقاد به[2]

يجب الاعتقاد به، فهو يفيد العلم اليقينيَّ الضَّروريَّ، لا النَّظري، أيْ لا يحتاج إلى نظرٍ لليقين به، بل العمدة فيه كثرة الرُّواة؛ فيضطر الإنسان فطريَّاً إلى الاعتقاد الجازم به ولا يستطيع دفعه.

ويستثنى مِنْ ذلك القضايا العقليَّة التي تعتمد في إثباتها على الأدلَّة العقليَّة لا النَّقليَّة؛ كالإيمان بوجود الله، لأنَّ مستند رواة المتواتر السَّماع والمشاهدة لا النَّظر والبحث.

---

1 انظر نزهة النّظر/العسقلاني، 41
انظر تدريب الراوي/السيوطي، 2/626-631
انظر شرح العقائد النسفية/التفتازاني، 17

2 انظر منهج النَّقد/عتر، 404
انظر الإحكام/الآمدي، 2/18-30
انظر شرح العقائد النسفية/التفتازاني، 17
انظر التوحيد/الماتريدي، 71

ثانياً. مفهومه وحكمه عند الدُّكتور البوطي رحمه الله

وافق رحمه الله العلماء في المفهوم والحكم، فذهب إلى وجوب الاعتقاد به على العقلاء جميعاً، بشرط أنْ تكون دلالتُه قطعيَّةً أيضاً، فلا بدَّ لوجوب الاعتقاد مِنْ قطعيَّة الوُرُوْد وقطعيَّة الفهم؛ بحيث لا يحتمل أيَّ تأويلٍ له أو أيَّ خطأٍ في الفهم، وذلك لأنَّ العقل الإنسانيَّ لا يملك الخيار في قبوله، فهو بطبعه موَجَّهٌ إلى الجزم به، كالجزم بأحداثٍ تاريخيَّةٍ كبيرةٍ لم يشهدها، بل وردت بطريقٍ قطعيٍّ كواقعة القادسيَّة والثَّورة الفرنسيَّة.

إذن هو يفيد اليقين، وما يفيد اليقين معتبرٌ في إثبات العقائد، ومَنْ يُنكر اعتقاداً وَرَدَ بالتَّواتر ودِلالةُ نصِّه قطعيَّةٌ يدخل في دائرة الكفر[1].

المطلب الثَّاني: الآحاد

أوَّلاً. مفهومه وحكمه

1. مفهومه

ما لم تتوافر فيه شروط التَّواتر، ويشمل الفرد والعزيز والمشهور. وله نوعان؛ مقبولٌ ومردودٌ؛ ويدخل في المقبول الصَّحيح والحسن لذاته، أمَّا المردود فهو الضَّعيف بأنواعه[2].

---

1 انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 65
انظر كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط34، 34-36
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 145
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 32-33
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 46-47، 65-66
انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 30
انظر في الحديث الشَّريف والبلاغة النَّبويَّة/البوطيّ، 22-23

2 انظر نزهة النّظر/العسقلاني، 55
انظر خبر الواحد الصَّحيح وأثره في العمل والعقيدة/عتر، 162
انظر التوحيد/الماتريدي، 72

وبيانهما: "**المقبول: وهو ما يجب العمل به عند الجمهور... المردود: وهو الذي لم يُرَجَّحْ صدق المخبر به؛ لتوقف الاستدلالُ بها على البحث عن أحوال رواتها.**"[1].

2. حكم الاعتقاد بالآحاد المقبول

يُبنى حكمه على بيان بعض أقسام العلم: الأوَّل: العلم اليقينيُّ الضَّروريُّ: الذي لا يحتاج إلى استدلالٍ، ويلزم الاعتقاد به لكلِّ عاقل، كالعلم النَّاتج عن التَّواتر. والثَّاني: العلم اليقينيُّ النّظريُّ: الذي ينتج عن نظرٍ وبحثٍ، ويلزم الاعتقاد به مَنْ وصل إليه بالعلم والنَّظر فقط، دون أنْ يُلزم غيرَه مِنْ أهل النَّظر، والثَّالث: العلم مع غلبة الظَّنِّ، وهو دونهما في المرتبة، فالأوَّل لا ينتج عن الآحاد المقبول قطعاً. أمَّا الثَّاني: فينتج بالآحاد؛ إذا تقوَّى بقرائن تُبعد عنه الظَّنِّ، أمَّا الثَّالث: فينتج بالآحاد المقبول المجرَّد عنِ القرائن[2].

بناءً على ما سبق يلزم الاعتقاد بما وَرَدَ في الحديث الآحاد المقبول سواء قُوِّيَ بالقرائن أو لا، إلَّا أنَّ الفرق في ما يترتب على منكره؛ فإنْ كان حديثاً آحاداً مقوَّى بالقرائن فمنكره يُضلَّل، وإنْ كان حديثاً آحاداً مجرداً عن القرائن فيأثم، والحكم بالتَّضليل أشدُّ مِنَ الإثم ودون الكفر اتِّفاقاً.

ثانياً. مفهومه وحكمه عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى

وافق رحمه الله العلماء في تحديد مفهوم الحديث الآحاد، أمَّا حكمه فالعلم الذي يفيدُه هذا النَّوع مِنَ الأدلَّة عنده هو: الظَّنُّ الرَّاجح القويُّ، لا اليقين الجازم كسابقه، وذلك لوجود احتمال تسلُّل شائبةٍ إلى الخبر، وإنْ كان هذا احتمالاً فقط، إلَّا أنَّه ممكنٌ لا مستحيل، بناءً على ذلك قال رحمه الله: الآحاد ليس حجَّةً ملزِمَةً في نطاق الاعتقاد، فمفاده الظَّنُّ، ولقد

---

1 نزهة النّظر/العسقلاني، 201

2 انظر خبر الواحد الصَّحيح وأثره في العمل والعقيدة/عتر، 169-175
انظر نزهة النّظر/العسقلاني، 58-59
انظر شرح العقائد النسفية/التفتازاني، 22
انظر التوحيد/الماتريدي، 71

نهى القرآن في مجال العقيدة عن اتِّباع الظَّنِّ، قال تعالى:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾الإسراء:36/17، وقوَّى هذا الرأي بقوله تعالى:﴿لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾البقرة:268/2، فالاعتقاد انفعالٌ قسريٌّ وليس فعلاً اختياريَّاً، فإجبار العقل على اليقين دون توافر موجباته هو مِنْ تحميلِ العقل ما لا وِسع له به، إذن اليقين به عائدٌ إلى القناعة الفرديَّة (الشَّخصيَّة) التي لا تُلزم الغيرَ، وتُبنى على البحث والنَّظر[1].

ونقل رحمه الله إجماعَ المسلمين على أفضليَّة الاعتقاد به، وعدم تكفير مَنْ أنكره بل يُخدَش في عدالته ويستوجب فسقه، فيظلُّ الاعتقاد به هو الأسلم للنَّجاة مِنَ الفسق[2].

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّه رحمه الله ذكر في حكم الآحاد المقبول قولين؛ الأوَّل: يَرجِع الاعتقادُ به إلى القناعة الشَّخصيّة، والثَّاني: يوافق الجمهور في أفضليَّة الإيمان به.

وترى الباحثة عدمَ التَّعارض بينهما؛ فالقولان يُكمِّل أحدُهما الآخر؛ للأسباب التَّالية:

1. القول الأوَّل ورد في كتابه كبرى اليقينيَّات الكونيَّة، وهو كتابٌ اقتصر رحمه الله في أغلب مسائله على ما يجب الإيمان به دون تفصيل، بينما ذكر القول الثَّاني في كتابه السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركة، وقد ناقش حكم الآحاد بالتَّفصيل.
2. القناعة الشَّخصيَّة عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله ليست تلك الأفهامَ الموزَّعةَ على عامَّة النَّاس المبنيَّة على الهوى دون الدَّليل والنَّظر، بل هي مرادفةٌ للعلم النَّظريِّ، ذلك

---

1 انظر كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط34، ص34
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 32، 52
انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 66
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 32-33
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 31، 46، 66-67
انظر في الحديث الشَّريف والبلاغة النَّبويَّة/البوطيّ، 23-25

2 والمقصود بالفسق هنا مرادف كلمة المعصية مع بقاء الإيمان، وليس المقصود هو المنزلة بين المنزلتين حيث الفاسق ليس مؤمناً ولا كافراً، كما اعتمدته المعتزلة.

العلم الذي يصل إليه المجتهد بعد نظرٍ واستدلالٍ، إلَّا أنَّه لا يُلزِم به غيره ممَّنْ لهم أهليَّةُ النَّظر، ودليل ذلك أنَّها وردت في سياق الحديث عن منهج البحث العلميِّ، وهذا المنهج يُخاطب به جمهورٌ يمتلك قدراتٍ أَوَّلِيَّةٍ في البحث. ويؤيِّد ذلك ما ذكره رحمه الله في كتابه قضايا ساخنة، مِنْ أنَّ المجتهد قد يصل بعد طول بحثٍ إلى درجة اليقين، ولكنَّها تبقى في حقِّ نفسه فلا يُلزِم بها غيرَه[1].

إذن حكم الاعتقاد بالآحاد عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله وفق التَّرتيب التَّالي: البدء بالنَّظر والاستدلال، فإن توَّصل به النَّاظر إلى اليقين فالإيمانُ به واجبٌ في حقِّه فقط، دون تعدِّيه لغيره، فإنْ لم يصلْ به إلى اليقين فالأفضل والأسلم الإيمان به دون تكفيرِ منكره بل يُفسَّق.

وهذا الحكم في حقِّ المجتهد أمَّا عامَّة المكلَّفين، فيُقبل منهم التَّقليد في الآحاد لأنَّه في حقِّهم داخلٌ في باب المسائل الاجتهاديَّة التي ذهب رحمه الله فيها إلى جواز التَّقليد لهم.

إذن وافق رحمه الله العلماء في تعريف الآحاد المقبول، ووافقهم في حكمه وحكم منكره إلَّا أنَّه عبَّر عن حكم الاعتقاد به بلفظ (الأفضل والأسلم) بينما عبَّر العلماء عن حكمه بلفظ اللزوم فقالوا (يلزم).

وترى الباحثة أنَّ تقسيم السَّادة الحنفيَّة للأحكام التَّكليفيَّة يُعطي حكماً واضحاً للاعتقاد بحديث الآحاد المقبول: فما كان وارداً بحديثٍ متواترٍ قطعيِّ الدِّلالةِ حكم الاعتقادِ به فرضٌ بحيث يكفَّر منكره، بينما ما كان وارداً بحديثٍ آحادٍ مقبولٍ بغض النَّظر عن دِلالته فحكم الاعتقاد به واجبٌ فلا يُكفَّر منكره بل يُفسَّق. والله أعلم

1 انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 66

ثالثاً. مسألة إرساله ﷺ رسلاً آحاداً إلى الآفاق لتعليم النَّاس عقائد الإسلام

محلُّها: إرساله ﷺ رسلاً آحاداً ليبلِّغوا الأقوام البعيدة تعاليمَ الدِّين العقديَّة والفقهيَّة دون أُن يُميِّز لهم بينها، ولذلك قال البعض بأنَّ حديث الآحاد تثبت به العقيدة كالمتواتر بدون التَّفصيل السَّابق، ومستندهم في ذلك ما قاله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا الله، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[1] فقد أمره بتبليغ التَّوحيد وهو عقيدة قبل الأحكام العمليَّة، ولم ينهه عن ذلك لكون خبره خبر آحاد.

وعند الرجوع إلى كتب العلماء يتبيَّن أنَّه ﷺ عندما يرسل الرُّسل كانت قرائن الأحوال التي يختارها تجعل هذا الآحاد ممَّا تقوَّى بالقرينة حتَّى أفاد بذلك العلم اليقيني النَّظري، ولم يكلِّف رسلاً آحاداً بدون أنْ يكون هناك قرينةً لبيان التَّوحيد وأصل الدَّعوة والرِّسالة، وكان مع ذلك يسمح لمَنْ أرسل لهم بالشكِّ بالرَّسول وطلب التَّثبُّت، فأصل "**الزَّكاة والصَّلاة فكان يجب قبوله لأنَّهم كانوا ينفذون لشرح وظائف الشَّرع بعد انتشار أصل الدَّعوة، وأمَّا أصل الرِّسالة والإيمان وأعلام النُّبوَّة فلا، إذ كيف يقول رسول الله ﷺ قد أوجبتُ عليكم تصديقي وهم لم يعرفوا برسالته؟ أمَّا بعد التَّصديق به فيمكن الإصغاء إلى رسله بإيجابه الإصغاء إليهم**"[2] ويؤكِّد هذا المعنى بوضوحٍ أكبر النَّصُّ التَّالي:

وبعثَ رسول الله أبا بكر والياً على الحجِّ في سنة تسع، وحضره الحج من أهل بلدان مختلفة، وشعوب متفرقة، فأقام لهم مناسكهم، وأخبرهم عن رسول الله بما لهم وما عليهم. وبعث عليَّ بن أبي طالب في تلك السَّنة، فقرأ عليهم في مجمعهم يوم النَّحر آيات من {سورة براءة} ، ونبذ إلى قوم على سواءٍ وجعل لهم مدداً، ونهاهم عن أمور. فكان أبو بكر وعليٌّ معروفين عند أهل مكة بالفضل والدِّين والصدق، وكان مَنْ جَهِلَهما

---

1 صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله، الحديث7372

2 المستصفى/الغزالي، 121/1

أو أحدَهما مِنَ الحاجّ وجد مَنْ يخبره عن صدقهما وفضلهما. ولم يكن رسول الله ليبعث إلَّا واحداً الحجةُ قائمةٌ بخبره على مَنْ بعثه إليه، إنْ شاء الله. وقد فرَّق النَّبيُّ عمّالًا على نواحي، عرفنا أسماءهم، والمواضع التي فرَقهم عليها... وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وأمره أنْ يُقَاتِلَ مَن أطاعه مَن عصاه، ويعلِّمهم ما فرض الله عليهم، ويأخذ منهم ما وجب عليهم لمعرفتهم بمعاذ، ومكانِه منهم وصدقِه...ولا أحسبه بعثهم مشهورين في النَّواحي التي بعثهم إليها بالصِّدق: إلَّا لِمَا وصفتُ مِنْ أنْ تقوم بمثلهم الحجةُ على مَنْ بعثه إليه... وبعث في دهرٍ واحدٍ اثنى عشر رسولاً إلى اثنى عشر ملكاً، يدعوهم إلى الإسلام، ولم يبعثهم إلَّا إلى مَنْ قد بلغته الدَّعوة، وقامت عليه الحجَّة فيها، وإلَّا يكتب فيها دلالاتٍ لمَنْ بعثهم إليه على أنَّها كتُبُهُ. وقد تحرَّى فيهم ما تحرَّى في أمرائه: مِنْ أنْ يكونوا معروفين، فبعث دحْية إلى النَّاحية التي هو فيها معروف. ولو أنَّ المبعوث إليه جَهِلَ الرَّسول كان عليه طلبُ علمِ أنَّ النَّبيَّﷺ بعثه ليستبرىء شكَّه في خبر رسول اللهﷺ، وكان على الرَّسول الوقوفَ حتَّى يستبرئه المبعوثُ إليه. ولم تَزَلْ كتب رسول اللهﷺ تَنْفُذ إلى ولاته بالأمر والنَّهي، ولم يكن لأحدٍ مِنْ ولاته تركُ إنفاذ أمره، ولم يكن ليبعث رسولاً إلَّا صادقاً عند مَنْ بعثه إليه. وإذا طلب المبعوثُ إليه عِلمَ صدقه وَجَدَه حيث هو. ولو شكَّ في كتابه بتغييرٍ في الكتاب أو حالٍ تدلُّ على تهمةٍ، مِنْ غفلة رسولٍ حَمَلَ الكتابَ: كان عليه أنْ يطلب علم ما شكَّ فيه حتَّى يُنفِّذَ ما يَثبت عنده مِنْ أمر رسول اللهﷺ. وهكذا كانت كتب خلفائه بعده وعمَّالِهم...[1].

أمَّا الدُّكتور البوطي رحمه الله أجاب عنها بقوله: "**إرسال رسول اللهﷺ للواحد منهم، كمعاذٍ بن جبل مثلاً، ليعلِّموهم الإسلام، محلُ يقينٍ، فمناط وجوب العمل بتعاليم معاذٍ إنَّما هو اليقين بأنَّه رسولُ رسولِ اللهﷺ إليهم، فكان رسول اللهﷺ يبلِّغُهم قائلاً: كلَّما جاءكم رسولٌ مِنْ قِبَلي ليخبركم عن عقائد الإسلام وجب عليكم العمل بإخباره. ومِنْ هنا كان الأخذ بما جاءهم به رسولُ رسولِ الله في حكم الأخذ بالمتواتر**"[2].

---

1 الرِّسالة/الشافعي، 1/414-419

2 استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 49

انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 67

ويقوِّي ذلك كلَّه ما ورد مِنْ قصَّة إسلام أهل اليمن فقد توافدت منهم الوفود إلى رسول اللهﷺ فآمنوا به ثمَّ عادوا إلى قومهم رُسُلاً وبعد ذلك أرسلﷺ معاذ بن جبلرضي الله عنه إليهم وأوصاه بما مرَّ في الحديث وهذا دليلٌ على بلوغ أصل الدَّعوة لهم بالتَّواتر عن رؤساء قومهم ثمَّ جاء الرَّسول الآحاد ليبيِّن لهم ما تفرَّع عنها[1].

إذن بناءً على ما سبق يتبيَّن أنَّ الدُّكتور البوطيَّ رحمه الله وافق الأشاعرة والماتريديَّة بتقسيم السُّنَّة إلى متواترةٍ وآحادٍ، وأنَّ القضايا العقديَّة التي لا تقوم أصلاً على الأدلَّة العقليَّة تثبت بهما بشرط أنْ يكون الآحاد مقبولاً، فالإيمان بما وَرَدَ بالآحاد أسلم.

أمَّا حكم منكر ما ثبت بهما فقد وافقهم أيضاً به: فمنكر المتواتر كافر، ومنكر الآحاد فاسقٌ مخدوشٌ في عدالته. لدخول الاحتمال في الحديث الآحاد وإنْ كان الظَّنُّ القويُّ ثبوتَه، خلافاً للمتواتر الذي يفيد العلم اليقينيَّ الضَّروريَّ.

1 لشرح هذه المسألة وأقوال العلماء فيها انظر منهج النَّقد/عتر، 243-247

المبحث الثَّاني: الأدلَّة النَّقليَّة مِنْ حيث قواعد اللُّغة العربيَّة والتَّفسير

يقوم هذا المبحث على بيان قواعدِ اللُّغة العربيَّة وأقوال علماء الكلام فيها كمنهجٍ علميٍّ لتفسير وفهم النُّصوص، ثم بيان قول ومنهج الدُّكتور البوطي رحمه الله فيها، وبيان الأقوال التي وافقها أو خالفها.

أمَّا سببُ اعتماد اللغة منهجاً علميَّاً؛ فلأنَّ الله اختارها ليخاطب بها عباده بنصوص الشَّرع التي كلَّفهم بها، لذلك لا بدَّ مِنَ الاعتماد على مصطلحات التَّخاطب وقواعد الدِّلالات المعتَمَدَةِ فيها دون غيرها[1].

أمَّا دعوى تبديل وتطوير هذا المنهج ليكون صالحاً لزمان البحث وعرفه، ففيها التَّفصيل التَّالي:

1. أنَّ قواعد اللُّغة العربيَّة مِنْ نحوٍ وبلاغةٍ وغيرها ثابتةٌ بالاتِّفاق، لذلك كلُّ ما هو مستمَدٌّ منها ثابتٌ بثباتها، ومنه علم فهم النُّصوص الشَّرعيَّة؛ وهو علم الأصول.
2. أمَّا دِلالات الألفاظ على المعاني فقابلةٌ للتَّغيُّر والتَّبدُّل باعتبار الوضع العرفي لكلِّ زمان، ومِنَ المتَّفق عليه أنَّ أيَّ تغيُّرٍ طارئٍ على الدِّلالات والمعاني يسري على المجتمع الذي ولد فيه وما بعده إلى حين حدوث تغييرٍ جديدٍ، دون أيِّ أثرٍ رجعيٍّ إلى

1 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 22–23

الماضي، وإلَّا لتعارض المدلول الجديد مع القديم، والقرار حتماً في ذلك للمتكلِّم، وليس للكلام الذي استخدمه في التَّعبير عن مراده[1].

إذن تبيَّن ممَّا سبق أنَّ الأدلَّة النَّقليَّة تفسَّر وفق قواعد اللُّغة، وهذا مضمون المبحث الحالي.

ويرى الدُّكتور البوطي رحمه الله أنَّ البحث ضمن هذا العنوان في باب الاعتقاد مطلوبٌ، وقد يصل إلى درجة الوجوب، ولم يزلِ الصَّحابة يبحثون عن كلِّ ذلك دون أيِّ نكيرٍ[2].

المطلب الأوَّل: كيفيَّة دِلالة اللَّفظ على المعنى

أوَّلاً. الحقيقة والمجاز

1. سبب انقسامِ اللَّفظ إلى حقيقةٍ ومجازٍ

اللَّفظ وُضِعَ أصلاً للتَّعبير عن المعاني، وهي متجدِّدةٌ بلا نهاية، لذلك قَصُرَتِ الألفاظ عن استيعابها، فتوجَّه النَّاس إلى إخراج الألفاظ مِنْ معناها الذي وُضعت له، واستُعملَتْ لمعانٍ أخرى لصلةٍ بينها وبين المعنى الأصلي[3].

2- تعريفهما

2-1- الحقيقة: اسمٌ لكلِّ لفظٍ استعمل في المعنى الذي وضع له أصلاً، في اصطلاح التَّخاطب؛ وضعاً لغويَّاً أو عرفيَّاً أو شرعيَّاً، وتنقسم إلى:

---

1 انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 161-184
نظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ،23
2 انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 62-77
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 67-68
3 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 58

2-1-1. حقيقةٍ لغويَّة: ككلمة (دآبَّة) في التَّعبير عن كلِّ ما يدبُّ على الأرض.

2-1-2. حقيقةٍ عرفيَّة: ككلمة (دآبَّة) في الدِّلالة على الحيوانات التي تمشي على أربع.

2-1-3. حقيقةٍ شرعيَّة: كالصَّلاة في الدِّلالة على أقوالٍ وأفعالٍ مفتتحةٍ بتكبيرٍ ومختتمةٍ بتسليم[1].

2-2- المجاز: اسمٌ للَّفظِ الذي استعمل في غير ما وضع له أصلاً، بشرط وجود علاقةٍ بينهما، وبدون هذه العلاقة لا شرعيَّة للمجاز، ومجال البحث بهذه العلاقة وإثبات وجودها في كتب البلاغة. وينقسم المجاز إلى:

2-2-1. مجازٍ لغويٍّ: ككلمة (أسد) في التَّعبير عن الرَّجل الشّجاع.

2-2-1. مجازٍ شرعيٍّ وعرفيٍّ: يضبطهما اصطلاحُ سياقِ التَّخاطب.

بناءً على ما سبق فالكلمة الواحدة قد تكون حقيقةً ومجازاً باعتبارين مختلفين[2].

3. الحقيقة والمجاز في الأدلَّة النَّقليَّة الشَّرعيَّة (الكتاب والسُّنَّة)

جمهور العلماء أثبت الحقيقة والمجاز في الكتاب والسُّنَّة بناءً على ثبوتها في اللُّغة العربيَّة، وخالف البعض ومنهم الظَّاهريَّة، وحجَّتهم أنَّ لجوء المتكلم إلى المجاز للضَّرورة بحيث ضاقت عليه الألفاظ فاضطرته إلى المجاز، وهو محالٌ في حقِّ الله، والقاعدة التي بنوا عليها مذهبهم مردودةٌ؛ لأنَّ المجاز قد لا يستخدم للحاجة فقط، بل قد يُستخدم للبلاغة والامتحان للعلماء وفكرهم[3].

---

1 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطي، 58-60
انظر أصول السَّرخسي/السَّرخسي، 170/1

2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطي، 58-60
انظر كشف الأسرار/عبد العزيز البخاري، 34/2

3 انظر الإبهاج/السبكي، 271/1-299
انظر البحر المحيط/الزركشي، 15/3، 48
انظر الإبانة/الأشعري، 111-113
انظر تبصرة الأدلَّة/النسفي، 202/1

وترى الباحثة أقوى دليلٍ على إثبات الأشاعرة والماتريديَّة للحقيقة والمجاز في الكتاب والسُّنَّة؛ أنَّ نقاشهم حول النُّصوص المتشابهة لم يقم على تساؤلٍ مضمونه: هل توجد الحقيقة والمجاز في هذه النُّصوص أم لا توجد؟ بل قام على التَّساؤل التَّالي: هل تُفهم هذه النُّصوص مِنْ وجه الحقيقة أمِ المجاز؟ بناءً على قاعدةٍ عندهم تقول: أنَّ الاسم لا يُنقل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمناسبةٍ قويَّةٍ، فهل مِنْ مناسبةٍ في هذه النُّصوص تقوِّي المجاز أم لا؟[1]

4. الحقيقة والمجاز عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى

يوافق الدُّكتور البوطي رحمه الله العلماء في تعريف الحقيقة والمجاز وبيان أنواعهما، وقد تمَّ اعتماد تقسيمه لهما في الفقرة السَّابقة لوضوحه. ويوافق رحمه الله مذهب مَنْ أثبت الحقيقة والمجاز في القرآن والسُّنَّة، ونقل في ذلك إجماعاً للجمهور مقابل آراءٍ شاذَّة تخالف ذلك ومنهم الظَّاهريَّة[2].

واختار رحمه الله أنَّ الأصل في الكلام الحقيقة: ولا يصار إلى المجاز إلَّا لمناسبةٍ قويَّةٍ، وفق التَّفصيل التَّالي: "**فإنْ كان الكلام متداولاً بين اللُّغويين فلا بدَّ أنْ يُحمل على وضعه اللُّغويِّ لأنَّ ما عداه مجاز، وإنْ كان متداولاً في مصادر الشَّريعة وبين علمائها فلا بدَّ أنْ يُحمل على وضعه الشَّرعيِّ فإذا قامت قرينةٌ قويَّةٌ تستوجب صرف الكلمة عن المعنى الذي وضعت له صرفت إلى ما تقتضيه تلك القرينة، وأصبحت الكلمة بذلك مِنْ قَبِيل المجاز. ففي مجال الشَّريعة تقدَّم الحقيقة الشَّرعيَّة ويفسَّر الكلام بمقتضى ذلك، فإذا قام مانعٌ صرفت الكلمة عندئذ إلى الحقيقة العرفيَّة إنْ كان لها معنى عرفي فإذا امتنع ذلك أيضاً لسببٍ ما صرفت الكلمة إلى الحقيقة اللُّغويَّة. فالشَّريعة أوَّلاً ثُمَّ العرف ثُمَّ اللُّغة**"[3].

---

1 انظر الإبانة/الأشعري، 111-113
انظر تبصرة الأدلَّة/النسفي، 202/1

2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 58-70
انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 80
انظر الإسلام ملاذ كلِّ المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 115

3 مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 60-61

ثانياً. المشترك

1. تعريفه

كلُّ لفظٍ تشترك فيه معانٍ متعدِّدة يحتمل أنْ يكون كلُّ معنى هو المراد به على الانفراد، فإذا تعيَّن المعنى المراد منه بقرينةٍ انتفت عنه المعاني المحتَمِلة الأخرى، فاللَّفظ وضِعَ وضعاً مستقلاً لكلِّ معنى على حدة. مثاله: العين، فوضعت أصالةً لعين الماء، والشَّمس والباصرة وغيرها، فعند إطلاق اللَّفظ كلُّ هذه المعاني محتَملة، فإذا تعيَّن أحدُها بقرينةٍ انتفى عنه ما تبقَّى منها[1]، وقد اعتمد رحمه الله هذا التعريف[2].

2. حكمه

يتعلَّق حكمه عند العلماء بالقرينة التي تُرَجِّح أحد معانيه على الآخر، فكلمَّا كانتِ القرينة قوية كانت دلالته أقرب لليقين[3]. أمَّا إنْ تباينتِ المعاني ولا يمكن جمعها فهو عند الدُّكتور البوطي رحمه الله مِنْ قبيل المجمل، ولا بدَّ لفهمه مِنَ البحث عن قرينةٍ، وإنْ أمكن جمع معانيه فذَكرَ فيه مذهبين: مذهب الجمهور؛ الأخذ بمعانيه كلِّها بآنٍ واحدٍ. وقول الحنفيَّة؛ منع استخدام المشترك في أكثرِ مِن معنى بآنٍ واحدٍ، ورجَّح رحمه الله مذهب الجمهور[4].

---

1 انظر أصول السَّرخسي/السَّرخسي، 126/1
انظر متن تهذيب/التفتازاني، 4
انظر المبين/الآمدي، 71
2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 71-75
3 انظر المهذب/عبد الكريم النملة، 1099/3-1112
انظر أصول السَّرخسي/السَّرخسي، 126/1
انظر إرشاد الفحول/الشوكاني، 57/1
4 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 71-75

ثالثاً. المنطوق والمفهوم

1-المنطوق: ما دلَّ عليه اللَّفظ في محلِّ النُّطق، أيْ: يكون حكماً للمذكور، وحالاً مِنْ أحواله. ولم يناقشِ العلماءُ حكم الاستدلال به لأنَّه مِنَ البدهيَّات، فالكلام يُنطَق ليُفهم منه المعنى المنطوق[1].

وقد وافق رحمه الله سائرَ العلماء في تعريف المنطوق وحكمِه، وتقسيماته وفق التالي:

1-1. دِلالة المطابقة: أنْ يتَّجه اهتمام وفهم السَّامع إلى جميع أجزاء المعنى المنبثق مِنَ الكلام المركب الذي سمعه، مثاله لفظ (أركان الإسلام) يفهم منه السَّامع كلَّ أركان الإسلام الخمسة، فالقصد منه اتَّجه إلى فهم ذلك كلِّه.

1-2. الدِّلالة التَّضمُّنيَّة: أنْ يتَّجه اهتمام وفهم السَّامع إلى جزءٍ مِن أجزاء المعنى المنبثق مِنَ الكلام المركب الذي سمعه، غير مهتَّمٍ بالباقي لعدم تعلُّق غرضه بتتمَّة الكلام، مثاله لفظ (أركان الإسلام) ذاته؛ يفهم منه السَّامع ركن الصَّلاة فقط.

وضابط الفرق بين الدِّلالتين حاجة المستمع مِنَ الكلام فدِلالتهما نسبيَّة، معتمدة على حال السامع وقصده، فالجملة ذاتها يتلقَّاها مستمعان؛ دِلالتها عند أحدِهما دِلالة مطابقة، وعند الآخر دِلالة تضمُّنيَّة، بحسب حال وغرض كلٍّ منهما.

1-3. دلالة الالتزام: أنْ يفهم السَّامع إضافةً للمعنى المطابق للمنطوق؛ ضروراتٍ متعلِّقة به، يتوقَّف عليها فهم ووجود المعنى الأصليِّ، وهي إمَّا ذهنيَّةٌ؛ كدِلالة لفظ العمى على البصر، فالذِّهن لا يتصوَّر المعنى السَّلبي إلَّا بتصوُّر الإيجابيِّ، أو خارجيَّةٌ كدِلالة كلمة (العالَم حادث) على وجود المحدِث.

---

1 انظر الوجيز في أصول الفقه/الزحيلي، 148/2

انظر إرشاد الفحول/الشوكاني، 36/2

1-4. دلالة الاقتضاء: دِلالة الكلام على كلمة لم ينطقْ بها المتكلِّم، ولكنَّ المعنى لا يستقيم إلَّا بها؛ مثالها قولهﷺ:"تَجَاوَزَ الله عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ".[1] والتَّقدير: تجاوز الله عن أمَّتي إثم الخطأ، فلا يستقيم معنى الحديث إلَّا بتقدير هذه الكلمة.

2-المفهوم: ما دلَّ عليه اللَّفظ لا في محلِّ النُّطق، أيْ يكون حكماً لغير المذكور، وحالاً مِنْ أحواله[2]، وأقسامه:

2-1. مفهوم موافقة: وهو "**دلالة اللَّفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه وموافقته له نفياً وإثباتاً.**"[3]، وأجمع العلماء على أنَّه حجةٌ، لتبادره ووضوحه للعقلاء، ودلالتها عنده رحمه الله ظنِّيَّةٌ لا ترقى إلى درجة اليقين، إذن فلا تُقبل في مجال العقائد[4].

2-2. مفهوم مخالفة: وهو "**دلالة اللَّفظ على ثبوت حكمٍ للمسكوت عنه مخالف للحكم الذي دلَّ عليه المنطوق نفياً وإثباتاً.**"[5]، وكيفيَّتُه تعليقُ الحكم بقيدٍ، فيدور معه وجوداً وعدماً، والقيود هي: الصِّفة، الشَّرط والجزاء، الغاية، العدد، الاستثناء، الحصر، اللَّقب، واتَّفق الجمهور على أنَّه حجة[6].

أمَّا الدُّكتور البوطي رحمه الله وبعد ذكره لآراء المذاهب في حكم مفهوم المخالفة، فلم يبيِّن مذهبَه فيه، وترى الباحثة بعد استقراء آرائه رحمه الله أنَّه استخدم مفهوم المخالفة في

---

1 المستدرك/النّيسابوري، كتاب الطّلاق، الحديث2801، 216/2 وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

2 انظر الوجيز في أصول الفقه/الزحيلي، 148/2
انظر المستصفى/الغزالي، 265
انظر إرشاد الفحول/الشوكاني، 36/2

3 المهذب/عبد الكريم النملة، 1743/4
انظر الوجيز في أصول الفقه/الزحيلي، 148/2

4 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 77-84
انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 86

5 المهذب/عبد الكريم النملة، 1765/4

6 انظر المستصفى/الغزالي، 265
انظر الإحكام/الآمدي، 70/3

إثبات رؤية الله في الآخرة، فعدَّ قوله تعالى:﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾المطففين:15/82، يؤكِّد أنَّ المذنبين لا يرون الله عقوبةً لهم، إذن باستخدام مفهوم المخالفة يستنبط أنَّ الصَّالحين مِنْ عباده سبحانه وتعالى يرونه ثواباً لهم[1].

وبالتَّالي يثبت الاستدلال بمفهوم المخالفة عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى كقرينةٍ في فروع العقيدة؛ لتقوية الحكم وليس دليلاً مستقلَّاً فيها؛ لأنَّ دلالته ظنِّيَّة، ففي المثال السَّابق ثبتت الرؤية بقوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 22 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾القيامة:75/22-23، ثُمَّ استخدم رحمه الله تعالى مفهوم المخالفة في آية الحجب السَّابقة لإثبات أنَّ النَّظر في الآية بمعناه الحقيقي لا المجازي، وأنَّ الكيفيَّة موكلة إلى الله تعالى.

المطلب الثَّاني

قوَّة دلالة اللَّفظ على المعنى

وفيه طريقتان للتَّصنيف؛ الأُوْلَى: طريقة المتكلِّمين، وسمَّاهم رحمه الله بالجمهور، وقسَّموا درجات الدِّلالة بحسب قوَّتيها ووضوحها إلى: نصٍّ وظاهرٍ ومجمل.

والطَّريقة الثَّانية: طريقة الحنفيَّة حيث قسَّموها إلى المحكم والمفسَّر والنَّص والظَّاهر والخفي والمشكل والمجمل والمتشابه. وقد رجَّح رحمه الله طريقة المتكلِّمين[2]، لذلك ستكون هي الطريقة المعتمدة في هذا المطلب، بالإضافة إلى تثبيت ما ذكره رحمه الله مِنْ تصنيف الحنفيَّة.

---

1 مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 84

2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 103-104

أوَّلاً. قسَّم العلماء والدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى المنطوق مِنْ حيث قوَّة دلالته على اللَّفظ إلى[1]:

1. النَّص: المنطوق الذي لا يحتمل التَّأويل، لعدم احتماله إلَّا دِلالةً واحدة، فهو غير قابل للتَّأويل بل قابلٌ للتَّخصيص والتَّقييد، وهو صريحٌ إنْ دلَّ على المراد دلالة مطابقةٍ أو تضمُّن، وغير صريحٍ إنْ دلَّ دلالة التزام. ودلالته على معناه قطعيَّةٌ فيجب الاعتقاد به قطعاً، ولا يُترك إلَّا بالنَّسخ وقد انتهى زمن النَّسخ، مثاله قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾الإخلاص:1/112.

2. المجمل: ما لا يدلُّ على معناه مستقلاً بل لا بد مِنْ قرائن تبيُّنه، بدونها لا يتبيَّن المعنى المقصود، ولا مجال للاعتقاد به ما لم توضِّحه القرينة فيلتحق إمَّا بالنَّص أو بالظَّاهر.

3. الظَّاهر: ما يحتمل التَّأويل، ودلالته على معناه ظنِّيَّةٌ راجحة، لاحتماله أكثر مِنْ مدلولٍ في وقتٍ واحدٍ، كالأسد ظاهرٌ في الحيوان المعروف، ومحتَمِلٌ للرَّجل الشُّجاع، ففيه احتمال التَّأويل، فإنْ استُعمل في معناه الرَّاجح وهو الحيوان فهو (الظَّاهر)، وإنْ استُعمل في معناه المرجوح وهو الرجل الشجاع فهو (المؤوَّل)، فهو الظَّاهر نفسُه وليس قسماً مقابلاً له، وقد نبَّه إلى ذلك الدُّكتور البوطيّ رحمه الله بقوله: "**ومِنْ أجل التّنبيه إلى هذا آثرتُ أنْ أجعل العنوان الظَّاهر وتأويلُه ولم أسلُك طريقةَ مَنْ قال: الظَّاهر والمؤوَّل**"[2].

---

1 انظر إرشاد الفحول/الشَّوكاني، 2/12-13، 36، 38
انظر الوجيز في أصول الفقه/الزحيلي، 2/98، 123
انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 83
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 95-96، 242

2 مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 242

أمَّا حكمه[1] فالأصل فيه البقاء على معناه دون تأويلٍ، ويمكن التَّأويل عند وجود القرينة التي تصرفه عن معناه الظَّاهر، ويُحكم على صدق هذه القرينة مِنْ خلال توفُّر ما يسمَّى بـ شروط التَّأويل[2].

إذن التَّأويل يعني التَّعمُّق في الشَّيء، فيتجاوز الباحث ظواهره البدهيَّة لينتقل إلى بواطنه الظَّنِّيَّة، ولكونها ظَنِّيَّةً حكم الدُّكتور البوطيّ رحمه الله بلزوم وقوع الخلاف فيها بين الباحثين، وقسَّم موقف العلماء مِنَ التَّأويل[3] على فريقين: اختار بعض العلماء التَّسليم القلبيَّ فليس مِنْ شأنهم "**تجاوز الظَّواهر التي لا مجال للخلاف فيها، إذ إنَّهم ما إنْ يتنبَّهون إلى ما وراءها مِنْ غوامضَ ومشكلاتٍ إلَّا ويطوون المسألة عن النَّظر، ويغلقون باب التَّأمُّل الفكريِّ فيها، مسلِّمين الأمر إلى الله عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يعودون إلى الاستمساك بالجذع الأساسيِّ والظَّواهر الكليَّة الواضحة التي لا مجال لنشوب الخلاف حولها. وتلك هي حالة أصحاب رسول اللهﷺ في صدر الإسلام، ولو استمرَّ الأمر على تلك الحال لَمَا تسلَّل أيُّ خلافٍ، ولَمَا ظهرت فرق أو مذاهب مختلفةٌ.**"[4]

ولكنْ لمَّا ظهرت الحاجة إلى علم الكلام، قام جمهرةُ العلماء مِنْ بقايا الصَّحابة وجلِّ التَّابعين إلى مجاوزة ظواهر الحقائق الاعتقاديَّة ونصوصها، نحو البحث في بواطنها

---

1 انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 83
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 242-243
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 71
انظر فقه السيرة/البوطيّ، 74

2 وهي ثلاثة أمورٍ:
1- أنْ يتوفَّر في النّاظر المتأوِّل شروط الاجتهاد. 2- ارتباط اللَّفظ الظَّاهر والمعنى المؤوَّلِ إليه بعلاقةٍ معتبرةٍ في مصطلح التَّخاطب. 3-: وجود دليلٍ يرجِّح هذا التَّأويل.
انظر إرشاد الفحول/الشَّوكاني، 2/206-210
انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 84-85
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 244-245

3 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 45-46

4 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 45

القابلة للنَّظر لحماية المعتقدات الإسلاميَّة مِنْ كلِّ دخيلٍ، ولو سَلِمَتْ لهم الحال السَّابقة لَمَا لجأوا إلى التَّأويل.

ثانياً. ما ذكره رحمه الله تعالى مِنْ طريقة الحنفيَّة

1. المحكم: "**ما عُرِفَ تأويله، وفُهِمَ معناه وتفسيره**"[1] ويلحق بالنَّصِّ وحكمِه عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله[2].
2. المتشابه[3]: ما يحتمل وجهين أو وجوهاً مِنَ المعنى دون تعيينٍ لواحدٍ منها تعييناً قاطعاً، ولا يمكن أنْ يحتمل المعاني كلِّها في آنٍ واحدٍ، فاستغلق بذلك معناه.

وحكمه كما قال عنه رحمه الله: أنَّه غير موجودٌ في آيات الأحكام الفقهيَّة والواجبات الاعتقاديَّة، فكلُّ نصٍ جعله الله لتكليف عباده بحكمٍ ما، هو نصٌ واضحٌ في معناه إمَّا بالاجتهاد أو بالقرائن الأخرى مِنَ النُّصوص، أمَّا في الآيات الإخباريَّة التي لا تتضمَّن أوامر سلوكيَّة أو اعتقاديَّة فيوجد فيها، وللعلماء فيه قولان بين سلفٍ وخلف.

3. المبهم: البعض ذهب لاعتباره متضمَّناً في المتشابه، وهناك مذهبٌ ميَّز بين المبهم والمتشابه[4] وهو ما رجَّحه رحمه الله ووصفه بالأدَّقِّ، والسَّبب أنَّه إذا صحَّ إدخال بعض أنواع المبهم –مثل فواتح السُور– في المتشابه، فهنالك أنواعٌ أخرى لا يصحُّ فيها ذلك[5]. فالمبهم يمكن الوقوف على معناه الظَّاهر بالقرينة، أمَّا المتشابه فالقرينة ظنِّيَّةٌ

---

1 مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 89

2 انظر أصول السّرخسي/السَّرخسي، 165

3 انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 89
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 100–103
انظر أصول السّرخسي/السَّرخسي، 169

4 انظر المرجع السَّابق، 169

5 انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 89

في ترجيح أحد معانيه على الباقي فيلزم الاختلاف فيه، فالمبهم: "**ما قد يعرف ظاهره ولكنَّ العقل يتوقَّف في تصوره وتفصيله وإدراك حقيقته**"[1] وله نوعان[2]:

3-1. الأحرف المقطَّعة في بداية السُّور: وقد اعتمد رحمه الله قول جمهور الباحثين في العقيدة والعربيَّة -كما سمَّاهم- بأنَّ لها معانٍ يمكن للرَّاسخين في العلم بالنّظر أنْ يفهموا منه فهماً ، فالإبهام هنا مِنْ خفاء المعنى لا انغلاقِه عن الفهم وذلك وجهٌ مِنَ الإعجاز

3-2. جملٌ وألفاظٌ مِنْ حيث ظاهر دِلالتها أمرٌ واضحٌ؛ ولكنَّ الإبهام فيها مِنْ حيث الزَّمن؛ كالآيات المتعلِّقة بقيام السَّاعة، أو مِنْ حيث تعيين أسماء المشار إليهم فيها؛ كالآيات التي تروي قصَّة ابني آدم وقد كشفتِ السُّنَّة هذا الإبهام، أو مِنْ حيث نكارة وغرابة المتحدَّث عنه فيها؛ كالحديث عن يأجوج ومأجوج، إذن مِنَ المبهم ما يمكن تفسيره وكشفه عن طريق الوقوف على تفسير السُّنَّة له، ومنه ما يظلُّ مبهماً مكنوناً في غيب الله، لا يكشفه إلَّا الواقع الذي أخبرت عنه الآيات، وحكمته سبحانه وتعالى مِنْ وجود مثل هذه المبهمات أنْ يتجلَّى معنى التَّكليف بالإيمان بالغيب على حقيقته.

ثالثاً. ما يترتَّب على المطلبين السَّابقين في فهم آيات الصِّفات عنده رحمه الله تعالى

وقع بسبب المجاز واستعماله في النَّصِّ الشَّرعيَّ اختلافٌ كبيرٌ[3]، وفي بيان ذلك عَرَضَ رحمه الله نوعَي المجاز:

النَّوع الأوَّل: وجه المجاز فيه غير خفيٍّ، فالتَّأويل فيه واضحٌ لكلِّ عالمٍ باللغُّة العربيَّة، ولا عبرة بمَن قصُرَت معرفته بها وبقواعدها، ويكون في عامّة الآيات التي تتجلَّى فيها البلاغة القرآنيَّة عن طريق التَّصوير وتجسيم المجرَّدات مِنَ المعاني، مثال ذلك قوله تعالى:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾الرّحمن:31/55، فالمقصود بالآية: سنقصد إليكم بعد طول التَّرك والإمهال.

---

1 مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 89

2 انظر المرجع السَّابق، 90-96

3 المرجع السَّابق، 97-100

النَّوع الثَّاني: الذي يقع بصدده الخلاف وهو مجالٌ للبحث مِنَ العلماء فوجه المجاز فيه خفيٌّ فيما يبدو. وينطبق هذا النَّوع على بعض آيات الصِّفات الإلهيَّة، مِنْ مثل قوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾طه:5/20، ومحل المسألة: في مثل هذه الآيات أنَّ ظاهرها يثبت لله جوارح ومكاناً، وهو مخالفٌ لصريح قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشّورى:11/42.

1. تحرير محلِّ المسألة

وُرُوْد نصوصٍ تُفيد بظاهر ألفاظها ثبوتُ صفاتٍ لله تعالى يشترك بها مع المخلوقات، وهي مِنَ النَّقائص التي لا تليق بذاته تعالى[1].

مِنْ أمثلته: قوله تعالى:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾الفجر:22/89، وقوله:﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾الفتح: 10/48، وقوله تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾المائدة: 64/5 وغيرها.

2- الأقوال والرّدود

2-1- اتَّفق المسلمون كلُّهم على التَّأويل تنزيهاً لله عمَّا يقتضيه ظاهر تلك النُّصوص، التزاماً بأمره تعالى بترك الخوض في المتشابه.

2-2- وخالف السَّلفيَّة فقالوا بحرمة التَّأويل مطلقاً، وأوجبوا تفسيرها على ظاهرها دون تكييفٍ ولا تشبيهٍ، وهو باطل، وقد نَسَبُوا بقولهم هذا ارتكاب المحرَّم إلى كثيرٍ مِنَ السَّلف،

1 انظر كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط8، 137-138
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 383/4
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 33
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 41،8-42،46
انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 45-46

فقد أوَّل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كلمة (جاء) في قوله تعالى:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾الفجر:89/ 22 بـ (جاء أمر ربك) [1].

أمَّا حقيقة الاختلاف بين علماء المسلمين الخلف والسَّلف فيُختَصر بمذهبين: أوَّلهما التَّأويل الإجماليُّ وتفويض التَّفصيل لله، وهو ما تمسَّك به السَّلف المتقدِّمون. وثانيهما التَّأويل بما يتوافق مع النُّصوص المُحْكَمَة، وهو ما جَنَحَ إليه مَنْ بعدهم مِنَ المتأخرين. أمَّا تَرْكُ هذه النُّصوص على ظاهرها بدون تأويلٍ فغير جائزٍ، وهو ما لم يقلْ به السّلف ولا الخلف؛ وذلك لأنَّه يُحَمِّلُ العقلَ معانيَ متناقضةً كثيرةً، منها قوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾طه:5/20، وقوله:﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ق:16/50، فإنْ تَمَّ تَرْكُ التَّأويل لَأُلزِمَ كتابُ الله التَّناقضَ الواضح، وفيما يلي بعض النُّقول الحرفيَّة مِنْ كتب الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تُبَيِّن رأي الخلف والسَّلف:

أمَّا مذهب السَّلف: التَّفويض؛ أيْ "**عدم الخوض في أيِّ تأويلٍ أو تفسيرٍ تفصيليٍّ لهذه النُّصوص، والاكتفاء بإثبات ما أثبته الله لذاته، مع تنزيهه عزَّ وجلَّ عن كلِّ نقصٍ ومشابهةِ الحوادث، وسبيلُ ذلك التَّأويل الإجماليُّ لهذه النُّصوص، وتفويض العلم التَّفصيلي بالمقصودِ منها إلى عِلْمِ الله عزَّ وجلَّ**"[2].

وقالوا عنها "**أمرُّوها بلا كيف، إذ لولا أنَّهم يؤولونها تأويلاً إجماليَّاً بالمعنى الذي أوضحنا لَمَا صحَّ منهم أنْ يقولوا ذلك. إذ لماذا يُمرُّونها بلا كيف؛ ودِلالة اللُّغة والصِّياغة العربيَّة واضحةٌ تمنَعُ كلَّ لَبْسٍ أو جهلٍ سواءً في أصل المعنى أم كيفيته. ولكنَّهم أيقنوا أنَّ الأمر ليس على ظاهر ما تَدُلُّ عليه الصِّياغة واللُّغةِ، بسبب ما دلَّت عليه الآيات المُحْكَمَة الأخرى، وهذا تأويلٌ إجماليٌّ واضحٌ. إلَّا أنَّهم لم يُقْحِمُوا أنفسهم**

---

1 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 263

2 كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط8، 138

انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 13

في تفسير هذه النُّصوص بكيفيَّاتٍ أخرى يلْتَزِمُونَهَا، وهذا هو التَّوقُّف عن التَّأويل التَّفصيليِّ. فتأمَّل ذلك فإنَّه دقيقٌ وهو الحقُّ الذي لا ينبغي أنْ يلتبسَ عليك بغيره"[1].

إذن ما يُروى عن السَّلف مِنْ تفويضِ الكيفيَّة؛ غير صحيحٍ، لأنَّ هذا يعني أنَّ لصفة اليد الثَّابتة لله كيفيَّةً؛ لكنَّها غير معلومة للبشر وإنَّما يعلمها الله، بل الصَّحيح أنَّ الكيفيَّة عند السَّلف والخلف غير معقولةٍ وليست غيرَ معلومةٍ؛ لذلك لا يصِحُّ قولُ أحدهم: الاستواء معلومٌ والكيف غير معلوم، بل الاستواء معلومٌ والكيف غير معقول[2].

أمَّا مذهب الخلف: فـ"**هو تأويل هذه النُّصوص بما يضعها على صراطٍ واحدٍ مِنَ الوِفاق مع النُّصوص المُحْكَمَة الأخرى التي تقطع بتنزُّه الله عن الجهة والمكان والجارحة. ففسَّروا الاستواء في قوله تعالى:**﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾طه:5/20 **بتسلُّطِ القوَّة والسّلطان، وهو معنى ثابتٌ في اللُّغة ومعروف**"[3] وكذلك القانون في تفسير سائر الآيات المتشابهة فلكلٍّ منها معنى مجازيٌّ تقبله اللُّغة ويتَّفق مع عرف التَّخاطب والقرائن[4].

3. مجمل رأي الدُّكتور البوطيّ رحمه الله تعالى

يرى رحمه الله أنَّ ظهور كلٍّ مِنَ المذهبين بناءً على حاجة عصرهم العلميَّةِ، فكان مذهب السَّلف هو الأفضل والأسلم لهم لقوَّة الإيمان الفطريِّ الذي كان في عصرهم مرتكزاً على العقل والقلب، أمَّا مذهب الخلف فكان ضرورةً لا سيَّما عند ظهور المذاهب الفكريَّة والمناقشات العلميَّة.

---

1 كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط8، 140

2 انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 45

3 كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط8، 140

4 انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 133

كما رأى رحمه الله أنَّ المذهبين منهجان إلى غايةٍ واحدة، فكلاهما يقول بتنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، وعن كلِّ النَّقائص، فالخلاف بين السَّلف والخلف خلافٌ في الطَّريق الموصِلِ إلى ذات النَّتيجة، فالخلاف لفظيٌّ شكليٌّ فقط[1].

وقال رحمه الله إنَّه مع السَّلف الذين يفسِّرون صفات الله في الآيات المتشابهة بمعناها الحقيقيِّ، دون تكييفٍ ولا تشبيهٍ، فما دامتِ الحقيقةُ ممكنةً فعدم التَّأويل أَوْلَى، وإنَّما تَمْتَنِعُ الحقيقةُ بسبب إلحاقِ الكيفيَّة بها، والكيف في الصِّفات الإلهيَّة كلِّها غير معقولٍ إذن فلا داعي للتَّأويل. وهو يوافق بذلك الإمام الأشعريَّ.

كما أنَّه لا يُلْزِمُ الباحثين بأحدِ القولين، فالمهمُّ تنزيه الله عن مشابهة الخلائق، وفي ذلك يقول الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله: "**ليس في منهجنا الذي عرفناه وأخذنا فكرةً موجزةً عنه ما يُلْزِمُ الباحثَ المسلمَ بأحدِ الموقفين؛ إنَّ المهمَ أنْ لا تَنْسِبَ إلى الله جارحةً مِنْ خلال فهمك لكلمة اليد التي نسبها إلى ذاته، وأنْ لا تُعطِلَ الدِّلالة اللُّغويَّة الثَّابتة بكلام الله عزَّ وجلَّ، سعياً بزعمك وراء التَّنزيه، وبُعداً عن مزالق التَّشريك**"[2].

أمَّا قول السَّلفيَّة، الذين احتجُّوا بحجتين؛ الأُوْلَى: أنَّ سلف هذه الأمَّة لم يجنحُوا إلى أيِّ تأويلٍ تفصيليٍّ، ولم يزيدوا على أنْ أثبتوا لله ما أثبته لنفسه في القرآن والسُّنَّة، مع تنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به. وحجَّتهم الثَّانية: أنَّ أيَّ تفسيرٍ لهذه الألفاظ بالمجاز أو الاستعارة والتَّشبيه هو مِنَ التَّعطيل المنهيِّ عنه.

وقد ردَّ الدُّكتور البوطيّ رحمه الله على حجَّتيهم بأنَّهما غير واقعيتين ولا حقيقيَّتين، فأمَّا حجَّتهم الأولى: فباطلةٌ بما ذُكِرَ بأنَّ الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قد أوَّل (جاء) في قوله تعالى:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾الفجر:89/ 22، بجاء أمر ربك، ومِنْ أهمِّ ما يدحض حجَّتهم صنيع ابن تيميَّة رحمه الله في البحث عن تأويلٍ سائغٍ للوجه، في قوله تعالى:﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾الرَّحمن:27/55، فأوَّل الوجهَ بالجهة، فكلُّ شيءٍ هالكٌ

1 انظر كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط8، 141

2 السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 133

إلَّا ما أريد به وجه الله، ولا وجه لمَنْ يبحث عن عذرٍ لتأويله هذا بأنَّ الوجه في الآية المذكورة لا يتعيَّنُ أنْ يكون مِنَ الصِّفات، ولذلك فلا ضير في استخدام التَّأويل فيه[1]. وأمَّا حجَّتهم الثَّانية: فالقول فيها أنَّ الميزان الذي لا محيص عنه في فهم المتشابِه؛ "**هو تحكيم اللُّغة العربيَّة التي نزل بها كتاب الله ووصلت مِنْ خلالها السُّنَّة النَّبويَّة المطهَّرة إلينا، وتحكيم اللُّغة العربيَّة إنَّما يكون بتطبيق قواعدها فيما يتعلَّق بكلٍّ مِنَ الحقيقة والمجاز وموجبات التَّأويل وموانعه وإنَّما يمارِس ذلك مَنْ تضلَّع في فهم هذه اللُّغة وتنامتْ لديه مَلَكَةُ المعرفة بأصول الشَّريعة الإسلاميَّة وعقائد الإسلام إلى درجةٍ تؤهله للاجتهاد مع الانضباط بتقوى الله والاستقامة والصِّدق في الدِّين...**"[2].

وأخيراً إنَّ مِنْ أهمِّ ما يميِّز منهجَ الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله في مناقشة هذه المسائل؛ أنَّه يدعو للاتِّفاق والوفاق، مِنْ خلال تأكيده على أنَّ الأمرَ لا يعدو كونَه أمراً اجتهاديَّاً، لا يؤدِّي الخلاف فيه إلى تفرقة المسلمين وتحديد الفرقة النَّاجية منهما ويتجلَّى ذلك بقوله:

والمهمُّ أنْ نعلمَ أنَّه مهما اختلف علماء السَّلف والخلف أو اختلف هؤلاء مع أولئك في تحرير النَّظرات الاجتهاديَّة المتعلِّقة بهذا الموضوع فإنَّ أياً مِنْ آراء أيِّ فئةٍ منهم لا يُشكِّلُ دون غيره مقياساً للحقِّ أو الباطل، ومِنْ ثمَّ لا يجوز أنْ يُعتَبَرَ مِنْ حيث هو رأيٌ اجتهاديٌّ مؤشِّراً للمذهب الحقِّ وأداةَ تمزيقٍ أو تفريقٍ لجماعة المسلمين التي يضبطها الاهتداء بكتاب الله والتَّمسُّك بسنَّة رسول اللهﷺ، واتِّباع ما اتَّفقت عليه هذه الجماعة مِنَ القواعد المُحْكَمَةِ في أصول دِلالات الألفاظ، ومنهج المعرفة، ولا ينافي هذا الذي نقول أنْ يميل أحدنا لدى الدِّراسة والنَّظر إلى ما قد يراه أحد الفريقين أو إلى ما قد ذهب إليه بعضٌ مِنْ كلٍّ مِنَ الفريقين دون الآخر، بل ذلك هو شأن الاجتهاد واستعراض ما تقضي به القرائن وأصول الدِّلالات، ما دام أنَّ الاجتهاد لا يَتِمُّ إلَّا ضمن دائرة القواعد والأصول التي تمَّ الإجماع عليها..."[3]

---

1 انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 133-136

2 المرجع السَّابق، 138

3 المرجع السَّابق، 144

وختم رحمه الله الحديث عن الخلاف بقوله: "**هذا وليس لنا شأنٌ، بتلك الطَّوائف التي ضلَّت وشذَّت، ممَّن يقال عنهم المعطِّلة والمجسِّمة، إذ لا يقام لهم أيَّ حسابٍ فيما يتعلَّق بكتاب الله وتفسيره، وليسوا مِنْ كتاب الله: محكمه أو متشابهه في شيءٍ، وإنَّما هم تصوَّروا الذَّات الإلهيَّة كما صوَّرته أخيلتُهم المجرَّدة، ثُمَّ استنهضوا آياتٍ مِنْ كتاب الله إلى تلك الأخيلة لِتُصدِّقها وتُؤمِنُ لهم بها، وأنَّى لآيات الله الباهرة أنْ تدلَّ إلَّا على الحقِّ الواضح المنير. فعادوا يعكفون على أصنامٍ لهم أقاموها في رؤوسهم بدلاً مِنْ أنْ ينصِبوها أمام أعينهم**"[1].

المطلب الثَّالث

شمولية دِلالة الألفاظ على المعاني

يَعْتَبُر الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله البحثَ في هذا العنوان مِنَ الأبحاث المهمَّة، والتي يغفل عنها الباحثون عادةً، وأهمِّيته تنبثق مِنْ كثرة التَّطبيقات الدِّلاليَّة القائمة عليه، فاللَّفظ يدلُّ على حقيقةٍ مجرَّدةٍ؛ كالنُّطق حقيقةٌ مجرَّدةٌ تشمُل كلَّ الإنسان، أو يدلُّ على مجسمَّاتٍ خارجيَّة تتمثَّل بالأشخاص والأفراد، وعلى الباحث أنْ يتتبَّع القرائن والإشارات ليعيِّن المراد باللَّفظ. وبناءً على هذه القرائن ينقسم اللَّفظ إلى: علم الجنس، المعرفة، النَّكرة، المطلق، العدد، العلم. وقد خصَّص رحمه الله الحديث عن المطلق والعامِّ فقط، لوضوح دِلالات باقي الأقسام[2].

أوَّلاً. المطلق والمقيَّد

1-المطلق: اللَّفظ الذي يدل على الذَّات دون الصِّفات، ويبقى على إطلاقه ما لم يرد في موضع آخر مقيداً. ويُحمل على إطلاقه ويُعمل به مباشرةً ولا يَفترض الباحثُ وجود

---

1 مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 97-100

2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 128-142

المقيَّد ويبحث عنه ويجعل اللَّفظ المطلق مجمَّداً طول فترة البحث. كما يُحمل المطلق على الفرد الكامل أيْ الذي تتحقَّق فيه كمال الماهيَّة[1].

2-المقيَّد: اللَّفظ الذي يدلُّ على الذَّات مع صفةٍ مِنْ أوصافها تقوم مقام القيد فتصبح الذَّات معه معيَّنةً ومحدَّدةً، والأصل أنْ يُحْمَلَ على قيده، ما لم يردْ في موضعٍ آخرَ مطلقاً.

3-في حال ورد اللَّفظ مطلقاً في موضعٍ، ومقيَّداً في موضعٍ آخر ففيه أقسام:

3-1. أنْ يختلفا في السَّبب والحكم أو في الحكم فقط، فلا يُحمَل أحدُهما على الآخر.

3-2. أنْ يتَّفقا في السَّبب والحكم، فيُحْمَلُ المطلق على المقيَّد.

3-3. أنْ يختلفا في السَّبب دون الحكم، جمهور الشَّافعيَّة قالوا: بالتَّقييد، والحنفيَّة بعدمه.

4-وقد أقرَّ العلماء شروطاً لحمل المطلق على المقيَّد وهي:

4-1. أنْ يكون المقيَّد مِنْ باب الصِّفات، مع ثبوت الذَّات في الموضعين.

4-2. أنْ يَرِدَ على المطلق قيدٌ واحدٌ فقط، أمَّا إذا وَرَدَ نصَّان بقيدين مختلفين يبقى المطلق على إطلاقه.

4-3. أنْ يكون في باب الأمر والإثبات، أمَّا في باب النَّفي والنَّهي والإباحة فلا يصحُّ الحمل.

4-4. أنْ يتعيَّن الجمع بينهما بواسطة الحمل فقط، أمَّا إنْ أمكن بغيره فلا يصحُّ.

4-5. أنْ لا يُفهم مِنَ القيد الخصوصيَّة، كأنْ يكون التَّقييد بسبب هذه الخصوصيَّة، أيْ "**أنْ لا يكون المقيَّد ذُكِرَ معه قدرٌ زائدٌ يمكن أنْ يكون القيد لأجل ذلك القدر الزائد، فلا يُحمل المطلق على المقيَّد ههنا قطعاً.**" [2]

4-6. أنْ لا يقوم دليلٌ يمنع مِنَ التَّقييد.

---

1 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 143-146

2 إرشاد الفحول/الشوكاني، 10/2

أمَّا القاعدةَ الأصوليَّةَ التي اعتمدها رحمه الله في حال وُرُدِ لفظٍ مطلقٍ في موضعٍ، ومقيَّدٍ في موضعٍ آخرَ فهي: تفسير اللَّفظ المطلق في ضوء تفسير اللَّفظ المقيَّد لا العكس[1]، وفق الشُّروط السَّابقة التي ذكرها العلماء، على أنَّه وافق الشَّافعيَّة في حمل المطلق على المقيَّد، وإنْ اختلفا في السَّبب واتَّفقا في الحكم[2].

ثانياً. العامُّ والخاصُّ

1-العامُّ: كلُّ لفظٍ يستغرق جمعاً مِنَ الأسماء بوضعٍ واحدٍ، سواءً كان الاستغراق باللَّفظ كزيدون أو بالمعنى كمَنْ ومَا. أمَّا قطعيَّة دلالته ففيها اختلافٌ عند العلماء، فذهب الحنفيَّة والمعتزلة وقولٌ عن الشَّافعي أنَّ دلالته قطعيَّةٌ قبل التَّخصيص ظنِّيَّةٌ بعده، أمَّا الجمهور قالوا دلالتَه ظنِّيَّةٌ قبل التَّخصيص وبعده[3].

وما رجَّحه رحمه الله أنَّ دِلالة العامِّ ظنِّيَّةٌ قبل التَّخصيص وبعده موافقاً بذلك رأي الجمهور خلافاً للحنفيَّة [4]، كما أنَّه وافق رحمه الله القاعدةَ الأصوليَّة التي تقضي أنَّ: تفسير اللَّفظ العامِّ يكون على ضوء تفسير اللَّفظ الخاصِّ لا العكس[5]. أمَّا عن العمل بالعامِّ قبل اليقين من وجود مخصِّصٍ؛ فقد ذكر رحمه الله الأقوال في المسألة ثمَّ انتهى إلى أنَّ الجميع يقولون بالعمل به قبل وجود المخصِّص، ولكنَّ البعض لا يشترِط البحثَ، والآخرون يشترطون البحث، ويكفي مِنَ البحث ما يورث الظَّنَّ بعدم وجود مخصِّصٍ[6]، وهو بذلك

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 364/1-365
2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 234-241
3 انظر أصول السَّرخسي/السرخسي، 124-132
انظر الوجيز في أصول الفقه/الزحيلي، 53/2-59
انظر إرشاد الفحول/الشَّوكاني، 285/1، 250
4 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ ، 154
5 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 364/1-365
6 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ ، 231-233

ينفي وجود مذهب المتوقِّفين الذين قالوا بالتَّوقُّف عن العمل باللَّفظ العامِّ حتَّى يتبيَّنَ المرادَ منه بدليلٍ ومنهم الإمام الأشعريّ رحمه الله[1].

2-الخاصُّ: كلُّ لفظٍ موضوعٍ على الانفراد لمعنى كرَجل أو مسمَّى معلومٍ كخالد، ويجب العمل به على ما وُضِعَ له، فدلالته قطعيَّةٌ على ما ذُكِرَ له اتِّفاقاً[2].

وهنا أقرَّ رحمه الله القاعدة التي تقضي أنَّ: العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، وأثبتَ اتِّفاق العلماء على ذلك، فخصوصِيَّة السَّبب لا تؤثِّر على عموم الصِّيغة، استناداً إلى منهج القرآن الذي يبني على الوقائع الخاصَّة أحكاماً عامَّة[3]، وَرَدَّ رحمه الله بهذه القاعدة مسألة القرآن التَّأويلي والتَّنزيلي القائمة بأحد أدلَّتها على دعوى ارتباط تفسير النُّصوص بأسباب نزولها[4].

1 انظر اللُّمع/الأشعري، 227-230
انظر مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/ابن فورك، 200
2 انظر أصول السَّرخسي/السرخسي، 124-132
انظر الوجيز في أصول الفقه/الزحيلي، 2/53-59
انظر إرشاد الفحول/الشَّوكاني، 1/285، 250
3 انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 222
4 انظر الإسلام والعصر/البوطيّ، وطيب تيزيني، 199-200

المبحث الثَّالث: الإجماع

المطلب الأوَّل: الإجماع

وقيمة ما ينتج عنه مِنْ معرفةٍ في مسائل العقيدة

أوَّلاً. تعريف الإجماع

تعدَّدت تعريفات وشروط الإجماع بين العلماء، إلَّا أنَّ الجامع بينهم ما يلي: "**اتفاق المجتهدين في أمّة سيدنا محمَّدﷺ في عصرٍ على أمرٍ دينيٍّ**"[1] والأمر الدِّينيُّ أعمُّ مِنَ الشَّرعيِّ فهو يشمل ما يثبت بالنَّصِّ والعقل والحسِّ معاً، وكلُّه يُتَصَوَّر فيه الإجماع؛ وفائدته ارتقاء الدِّلالة به مِنَ الظَّنِّ إلى القطع. وهناك مَنْ خصَّص فقال: أمرٌ شرعيٌّ فقط فلا إجماع بما يثبت بالعقل والحسِّ[2].

ومِنْ أهمِّ شروطه حتَّى يكون حجَّةً شرعيَّةً: ألَّا يخالف نصَّاً أو إجماعاً سابقاً، وأنْ يستند إلى نصٍّ، وأنْ ينقرض عصر المجمعين على الاتِّفاق سواءً كان إجماعاً سكوتيَّاً أو صريحاً[3].

ثانياً. قيمة ما ينتج عنه مِن معرفةٍ في مسائل العقيدة.

1. الإجماع حجَّةٌ موجبةٌ للعلم قطعاً؛ وأدلَّة حجيَّته كثيرة[4]، منها قول رسول اللهﷺ:"لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا، وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ هَكَذَا -وَرَفَعَ يَدَيْهِ - فَإِنَّهُ مَنْ شَذَّ فِي

---

1 التَّعريفات/الجرجاني، 10

2 انظر شرح التلويح/التفتازاني، 82/2

3 انظر مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/ابن فورك، 202
انظر الوجيز في أصول الفقه الإسلامي/الزحيلي، 252/1-253

4 لتفصيل أقوال العلماء انظر أصول السرخسي/السرخسي، 295/1-300

النَّارِ"[1]، وسبب كونه حجَّة لا لانقطاع توهُّم اجتماع الأمَّة على الضَّلال عقلاً بل كرامةً لها على الدِّين، وهذا مذهب الفقهاء وأكثر المتكلِّمين[2]، وخالف الظَّاهريَّة، ونُقل ذلك عن الإمام الشَّافعي في الجديد.

وحصيلة الخلاف أنَّهم اتَّفقوا على وجوب العمل به، منهم مَنْ جعله دليلاً مستقلاً سمَّاه الإجماع، ومنهم مَنْ ألحقه بالنَّقل[3].

2. يرى المقرُّون للإجماع أنَّ: "**خبر الواحد والقياس وإنْ لم يكنْ موجباً للعلم بنفسه فإذا تأيَّد بالإجماع فذلك يضاهي ما لو تأيَّد بآيةٍ مِنْ كتاب الله أو بالعرض على رسول اللهﷺ والتَّقرير منه على ذلك فيصير موجباً للعلم مِنْ هذا الطريق قطعاً**"[4].

3. له نوعان سكوتيٌّ وصريحٌ؛ النَّوع الأوَّل: عندما يصرِّح جمعٌ مِنَ العلماء عن حكمٍ بفتوى ولا يجيب العلماء الآخرون بموافقةٍ أو مخالفة، فالاحتمالان واردان، والنَّوع الثَّاني: ما كان باتِّفاق الكلِّ على الحكم بالتَّصريح قولاً أو فعلاً، ومنهم مَنْ جعل حكم الإجماع السُّكوتي أدنى مِنَ الإجماع الصَّريح[5]، كالإمام الأشعريّ فقسَّم الإجماع إلى: إجماعٍ مقطوعٍ بغيبه؛ وذلك الذي ينقرض عصر المجتهدين المجمعين فيه ولم يخالف أحدٌ منهم الإجماع قولاً أو فعلاً والمنكر له ضالٌّ، وإجماعٍ غير مقطوعٍ بغيبه؛ وهو الذي يَرِدُ عن بعض المجتهدين قولاً ويبلغ باقي المجتهدين فلا ينكرونه، وكأنَّه تابعٌ للإجماع السُّكوتيّ[6].

4. أمَّا في ثبوت الإجماع فيثبت بالمشاهدة والنَّقل؛ فإنْ كان إجماع المجتهدين خاصَّةً فلا فرق بين نقله بخبر الآحاد أو التَّواتر، وإنْ كان إجماع الأمَّة كلِّها فلا بدَّ مِنْ نقله متواتراً[7].

---

1 المستدرك/النّيسابوري، كتاب العلم، الحديث394، 200/1

2 انظر أصول السرخسي/السرخسي، 279/1، 302

3 في حجيِّته أقوال وتفصيل انظر إرشاد الفحول/الشَّوكاني، 224/1-227

4 أصول السَّرخسي/السرخسي، 302/1

5 انظر المرجع السَّابق ، 303/1

6 انظر مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة/ابن فورك، 201

7 انظر المرجع السَّابق، 203

5. "**لأنَّ الإجماع موجبٌ للعلم قطعاً بمنزلة النَّصّ؛ فكما لا يجوز ترك العمل بالنَّصّ باعتبار رأي يعترض له، لا يجوز مخالفة الإجماع برأي يعترض له بعدما انعقد الإجماع بدليله**"[1] وقد جعل الإمام الأشعريُّ قول المعتزلة في المنزلة بين المنزلتين مِنْ هذا الباب؛ فقد خالفوا إجماع أهلِّ الملَّة على حكم أهل الكبائر[2].

المطلب الثَّاني: الإجماع وقيمة ما ينتج عنه مِنْ معرفةٍ في مسائل العقيدة عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى

لم يتحدَّث رحمه الله بالتَّفصيل عن الإجماع في حدود ما اطَّلعتْ عليه الباحثة مِنْ مؤلفاته، إلَّا أنَّه قال: "**هو مِنَ المصادر الأصليَّة للشَّريعة الإسلاميَّة، يُكسِب الحكم درجة اليقين والقطع، قد يتعرض حكمه للنَّسخ والزَّوال عندما يكون مستند الإجماع مجرَّد مصلحةٍ زمنيَّةٍ**"[3].

وقال عنه: "**هو ليس خطاب الشَّارع بل دليله**"[4]، وبما أنَّه يفيد اليقين فهو مِنَ الأدلَّة المعتبرة عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله في مسائل العقيدة.

ومما يدل على ذلك التطبيقات التي ستذكر في المطلب التالي.

---

1 أصول السَّرخسي/السرخسي ، 308/1

انظر مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/ابن فورك، 201

2 انظر المرجع السَّابق، 201-202

3 مجمل الشُّبهات/البوطيّ، 21

4 مباحث الكتاب والسنة/البوطيّ، 222

المبحث الرَّابع: تطبيقات الأدلَّة النَّقليَّة في آراء الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى

سيتناول هذا المبحث نماذج وصوراً مِنْ تطبيقات الأدلَّة النَّقليَّة في الآراء العقديَّة للدُّكتور البوطيِّ رحمه الله، ولأنَّ المسألة الواحدة قد يجتمع فيها أكثر مِنْ دليلٍ تمَّ تقسيم المطالب إلى ثلاثة؛ ما ثبت بدليلٍ مِنَ القرآن، ثُمَّ مِنَ السُّنَّة، ثُمَّ مِنَ الإجماع.

ولأنَّ المسألة الواحدة قد يجتمع لها دليلان معاً؛ قرآنٌ وإجماعٌ أو قرآنٌ وسنَّة، أو سنَّةٌ وإجماعٌ، تمَّ ذِكرُ جميع الأدلَّةِ معاً عند وُرُوْد المسألة للمرَّة الأُوْلَى في هذا المبحث، طلباً للاختصار ووضوح الاستدلال كاملاً عند القارئ.

المطلب الأوَّل. القرآن

كلُّ ما أثبته رحمه الله بآياتٍ قرآنيَّة داخلٌ في الخبر المتواتر، وتختلف تقسيماته بحسب دِلالة كلِّ آية، ولكثرتها لن تُحصَرَ هنا، وسيقتصر هذا المطلب على ذكر نماذج منها.

1. أثبت رحمه الله أنَّ الله لم يخلقْ ذاته، وذلك بتخصيص عموم قوله تعالى:﴿الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾الرّعد:16/13 فمقتضى العموم أنَّ الله داخلٌ في لفظ شيء، ولكنَّ العقل خصَّص العموم بأنَّ قدرة الله يستحيل أنْ تتعلَّق إلَّا بالممكنات، أمَّا وجود الله فواجب، يستحيل عدمه[1].

1 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 213-225

2. نفى رحمه الله التَّفرُّغ الحقيقيَّ عن الله، وذلك بتفسير قوله تعالى:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾الرّحمن:31/55، على سبيل المجاز والمشاكلة اللُّغويَّة لا الحقيقة[1].
3. قال رحمه الله في اشتراك الإنسان والله باسم الصِّفات كالعلم والقدرة وغيرها أنَّه اشتراكٌ بالمصطلحات وليس في حقيقة الصِّفة، وأجاز رحمه الله ذلك بناءً على تخصيص النَّفيِّ العامِّ الذي وَرَدَ؛ وهو نفي مماثلة الله للحوادث، حيث خصَّصه بنفي المماثلة بما هو مِنْ خصائص الحوادث أمَّا غير ذلك فلا إشكال في المماثلة بالتَّسمية فقط بدون الحقيقة، وقال في ذلك: "**والخلاصة أنَّ الملاحظ في نفي مماثلة الله للحوادث، نفي المماثلة في الصِّفات التي هي مِنْ مستلزمات الحدوث وخصائصه، أمَّا الصِّفات الأخرى التي هي مِنْ مستلزمات الرَّبِّ جلَّ جلاله، ولكنَّه سبحانه تعالى أفاض منها آثاراً أو ظلالاً على بعض مخلوقاته كالإنسان، فهي غير داخلةٍ في عموم هذا النَّفي.**"[2] وبهذا يتبيَّن أنَّه رحمه الله خصَّص عموم نفي قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشّورى:11/42، وغيرها مِنَ النُّصوص التي تنفي المماثلة، بالنُّصوص التي تثبتها، بشرط أنْ تكون المماثلة بالتَّسمية فقط لا بالحقيقة.
4. استخدم رحمه الله دلالة الاقتضاء في ردِّ مسألة خلق القرآن؛ القائمة على أنَّ القرآن كلام الله وسيدنا عيسى عليه السَّلام هو كلمة الله وهو مخلوق، إذن القرآن مخلوق. واستدلُّوا بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ﴾النّساء: 171/4، فقد أجاب عن ذلك رحمه الله بما هو معلومٌ عند علماء العربيَّة وعامَّة العقلاء أنَّ عيسى ابن مريم عليه السَّلام ليس هو نفس كلمة (كن) ولكنَّه متعلَّقُها، ولقد أخبر الله عن عيسى عليه السَّلام بالكلمة نفسِها مبالغةً في بيان هذا التَّعلُّق ومبالغةً في تنبيه الذِّهن إلى أنْ خَلْقَهُ إنَّما كان بمحض إرادة الله التي تمثَّلت في قوله: كن، وعلى ذلك يكون تقدير الآية: إنَّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وخُلق بكلمته أيْ بإرادته[3].

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/1-8

2 كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط8، 118.

3 انظر المرجع السابق، ط8، ص126-130

5. بيان أنَّ صفة العلم في حقِّ الله تتعلَّق بكلِّ شيءٍ؛ الجزئيَّات وغيرها؛ فالنَّصُّ فيها لا يحتمل التَّأويل، ومَنْ يقول مِنَ الفلاسفة أنَّ عِلْمَ الله لا يتعلَّق بالجزئيَّات فاعتبره الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله كفراً صريحاً، وإنكاراً لقوله تعالى:﴿إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾التَّوبة:115/9، ومَنْ يتَّبعُهم مِنْ المسلمين فقد خالف صريح النَّصِّ القطعيِّ وهذا كفرٌ معلَن[1].

6. أثبت رحمه الله خالقيَّة الله لكلِّ شيءٍ، ونفى دعوى القِدَم النَّوعيّ[2]، مستدلاً بقوله تعالى:﴿الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾الرَّعد:16/13، وقال عنه أنَّه نصٌّ واضحٌ لا جدال فيه، وهو ممَّا عُرِف مِنَ الدِّين بالضَّرورة، والجنْس الماديُّ للأشياء المتكاثرة ليس خارجاً عن مدلول كلمة الشَّيء في الآية، وممَّا يؤكِّد ذلك قوله تعالى:﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾الأنبياء:104/21، وقوله:﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾يونس:5/10، وقوله:﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾العنكبوت:20/29، فالدِّلالة فيها جازمةٌ قاطعةٌ.

كما ردَّ رحمه الله مسألة القِدَم النَّوعي بالاعتماد على صحيح السُّنَّة منها: "كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"[3].

ولا بدَّ هنا مِنَ التَّنبيه إلى أنَّ هذا النَّصَّ عامٌّ يحتمل التَّخصيص، وقد يقول قائلٌ: العامُّ قبل التَّخصيص دلالته ظنِّيَّةٌ عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله، وما كانت دلالته ظنِّيَّةً فإنكاره لا يوجب الكفر بل الفسق، وهذا القول مردودٌ بمقتضى الأدِلَّة المذكورة آنفاً.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص131
انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشَّام، 59

2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 95/2، 236/1-237
انظر السَّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 164-169

3 صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى "**وَهُوَ يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيْدُه وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**" الرُّوم/27، الحديث3191

7. أثبت رحمه الله المغايرة بين متعلَّقات صفتَي السَّمع والبصر بالنَّصِّ القطعيِّ بعيداً عن العقل، فالله أثبت لنفسه الصِّفتين، ولو كانتِ المتعلَّقات نفسَها لكان ذكرهما باسمين مختلفين مِنَ التكرار وهو محالٌ في هذا المقام[1].
8. رجَّح رحمه الله ثبوت رؤية الله في الآخرة بأدلَّةٍ منها؛ قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 2 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾القيامة:75/22-23، واعتبرَ تأويلها بالمنتظرة غير واردٍ؛ والقرينة في ذلك أنَّ ناظرة تتعدَّى بإلى بينما منتظرةٌ تتعدَّى بنفسها، فناظرةٌ هنا بمعناها المعروف لا يدخلها التَّأويل[2].

كما أثبت رحمه الله رؤية الله في الآخرة؛ بقولهﷺ:"إِنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ"[3]، وهو حديثٌ متواترٌ[4]. ويُلاحظ أنَّه رحمه الله استدلَّ أيضاً بأحاديث أخرى لم يثبت أنَّها متواترةٌ إلَّا أنَّ ذكرها للاستئناس بعد أنْ أثبتَ الرُّؤية بدليلٍ قطعيٍّ.

وباستخدام مفهوم المخالفة أثبت أيضاً رحمه الله رؤية الله في الآخرة، فقوله تعالى:﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾المطففين:83/15، يؤكِّد أنَّ المذنبين لا يرون الله عقوبةً لهم، إذن مفهوم المخالفة يقول إنَّ الصَّالحين مِنْ عباده سبحانه وتعالى يرونه ثواباً لهم.

9. منع رحمه الله تأويل التَّأييد بالملائكة بالمدد المعنويِّ أو الرُّوحيِّ مجازاً بل هو مددٌ حقيقيٌّ، في قوله تعالى:﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص123-124
2 انظر المرجع السابق، ط8، 170-173
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/320-322
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 73-74
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116
3 صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصّلاة، باب فضل صلاة العصر، الحديث554
4 انظر نظم المتناثر/الكتاني، كتاب البعث وأحوال القيامة، الحديث 307، الصفحة 238

الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِين﴾الأنفال:9/8، وقرينة منع التَّأويل تحديد الملائكة بعددٍ، والعدد مِنْ مستلزماتِ الكَمِّ المنفصل[1].

10. باستخدام دلالة الاقتضاء حسم رحمه الله دعوى التَّناقض بين قوله تعالى:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾البقرة:285/2، وقوله:﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾البقرة: 253/2. وكانت قرينته رحمه الله سياقَ الآيات، فالمراد مِنَ الآيتين يَظهر في توضيح السِّياق الذي ذُكِرَت كلٌّ منهما فيه؛ فالأُوْلَى ذُكِرَتْ في سياق توضيح وجوب الإيمان بكلِّ الرُّسل، فلا يجوز الإيمان ببعضهم والكفر ببعض، أمَّا الآية الثَّانية التي تؤكِّد تفضيل بعض الرُّسل على بعضٍ، فسياقها تفضيلهم في المرتبة عند الله، ويؤكِّد ذلك تتمَّة الآية في قوله تعالى:﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ البقرة: 253/2، فمَنْ كلَّمه الله منهم أعلى درجةً عند الله ممَّنْ لم يتبوَّأ هذه المنزلة، بناءً على ذلك يكون معنى الآية الأُوْلَى: لا نفرِّق في وجوب الإيمان بهم بين أحدٍ منهم، والثَّانية تلك الرُّسل فضَّلنا بعضهم على بعضٍ في المرتبة[2].

11. قرَّر رحمه الله أنَّ صفة الذُّكورة واجبةٌ للأنبياء والرُّسل على السَّواء عند جمهور المسلمين.

وأمَّا كلمة الوحي التي وَرَدَتْ في حقِّ أمِّ سيدنا موسى وعيسى عليهما السَّلام فهي مأخوذةٌ على معناها الواسع بمعنى الإلهام[3].

وعند البحث في المسألة يظهر فيها اتجاهان مبنيَّان على تحديد الفرق بين النبي والرسول، فالفرق بينهما إما في التبليغ أو في التشريع؛ فإن كان الفرق بينهما

---

1 انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 242-243

انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 140

2 انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 120-124

3 انظر هذا البحث/275

هو التبليغ فالرسول مأمورٌ بالتبليغ والنبي غير مأمور[1]، وإن كان الفرق بينهما هو التشريع فالرسول له تشريع بينما النبي يبلغ تشريع من قبله؛ وعلى هذا القول الكل مأمورٌ بالتبليغ[2].

وبالمختصر في المسألة اتجاهان الأول يصف النساء بالنبوَّة دون الرسالة وتعليله أن النساء نُفيت عنهنَّ الرسالة لأعباء التبليغ وصعوبتها عليهنّ؛ وبما أنَّ هذه الأعباء غير موجودة في النبوة فلا تُنفى عنهن.

أمَّا الاتجاه الثاني فلا يصف النساء بالنبوة كما الرسالة وذلك لأنَّ كليهما مكلَّف بالتبليغ، فالرسول مبلغٌ لتشريع جديد، بينما النبي مبلِّغٌ لتشريع الرسول الذي سبقه.

إذن القول بثبوت صفة الذُّكورة للرُّسل باتِّفاق العلماء، أمَّا الأنبياء ففي ثبوت الذُّكورة احتمال تأويلٍ يطرأ على كلمة وحي، وحيثما وجد التَّأويل فالمسألة ظنِّيَّةٌ، والاختلاف فيها لازمٌ، والقول بأحدِ القولين لا يؤدِّي إلى الكفر.

12. رجَّح رحمه الله استمرار إمداد الله للخلق، فإن انقطع الإمداد انقطع الوجود تمسُّكاً بظاهر حقيقة ما يدلُّ عليه الفعل المضارع (يمسك) و(تقوم) مِنَ الاستمرار والتّجدُّدِ في قوله تعالى:﴿إِنَّ الله يُمْسِكُ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالتا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾فاطر:41/35، وقوله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾الرّوم:25/30. والقرينة العقليَّة التي تؤيِّد استمرار الإمداد: أنَّ الاستمرار مِنْ مستلزماتِ اسم الله القيُّوم[3].

13. أَوَّلَ رحمه الله لام التَّعليل وباء السَّببيّة في النُّصوص التي توهم ثبوت العلَّة والغرض لله في أفعاله، بأنَّها للتَّعبير عن العلَّة الجعليَّة لا عن العلَّة الحقيقيَّة، أيْ

---

1 مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري/ابن فورك، 180
الاقتصاد في الاعتقاد/ الغزالي، 137

2 شرح المقاصد/التفتازاني، 5/6-7

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/162-166

جعلها اللهُ وكأنَّها تبدو عللاً حقيقيَّةً، مثال ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾الذّاريات:56/51، ولم يأخذْها على ظاهر أصلها اللُّغويِّ؛ وهو التَّعليل الحقيقي، لأنَّ ذلك يوهم أنَّ الله مستكملاً ألوهيَّته بعبادة النَّاس له، وهذا مستحيلٌ عقلاً[1].

14. أثبت رحمه الله سؤال القبر، وعذابه ونعيمه للرُّوح والجسد معاً، وفق ما دلَّتْ عليه ظاهر النُّصوص، ممَّا لا حاجة فيه للتَّأويل بإجماع المسلمين، منها قوله تعالى:﴿وَقَاهُ الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ 45 النّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾غافر:45/40-46، فالعطف بين يوم القيامة وغدوًّاً وعشيًّاً يقتضي المغايرة وفق قواعد اللُّغة العربيَّة، وهذا العذاب واقعٌ ما بين الموت والنُّشور، ومنها أنَّ الرَّسولﷺ وقف على القليب الذي ألقيت فيه جثث المشركين يوم بدر وأخذ يكلِّمهم، فلمَّا عَلِمَﷺ أنَّ الأجساد بنفسها هي التي تسمع كلامه اتَّجه بخطابه إليها، وقال رحمه الله أنْ لا قرينةَ توجِبُ تخصيص العذاب بالرُّوح فقط دون الجسد[2].

15. ردَّ رحمه الله قول المعتزلة (خلود غير الكافر في النَّار) بأنَّه يخالف النُّصوص الصَّحيحة، وإجماع المسلمين على معناها، ثمَّ خصَّص الآيات التي يمكن أنْ يعترضَ أحدُهم بها كقوله تعالى:﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾النّساء:93/4، وقوله:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾المائدة:44/5، فقد أجاب عنهما: أنَّ هاتين الآيتين وما في معناهما

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 142-146
انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 251-255
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/162-167

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص313-314
انظر من الفكر والقلب/البوطيّ، الحاشية، ص117

يُخَصِّصُ عمومَ ظاهرِهَا قولُ الله:﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾النساء: 116/4[1].

المطلب الثَّاني. السُّنَّة

1. ذهب رحمه الله إلى الجمع والتَّوفيق بين حديث: "وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّار، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّار، حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، فَيَدْخُلُهَا."[2] وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾الكهف:30/18، وذلك بالعودة إلى حديثٍ آخر لرسول الله ﷺ جاء في جزءٍ منه ذات المعنى ولكنْ بالصِّيغة التَّالية:"...إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[3] هذه الرِّواية قيَّدت عمل الإنسان بكلمة "فيما يبدو للنَّاس" وبذلك تُفهم الرِّواية الأُوْلَى المطلقة على ضوء الرِّواية الثَّانية التي قيَّدتها[4].

2. لم يحصر رحمه الله أسماء الله بحديث (التِّسعة والتِّسعون) اسماً[5]، وذلك بالجمع بين حديث الأسماء التِّسعة والتِّسعين وحديث دعاء الكرب، "اللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ،

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص363-364

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 53

2 صحيح البخاري، كتاب القدر، باب في القدر، الحديث 6594

صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، الحديث1

انظر نظم المتناثر/الكتاني، كتاب الأدب والرقائق، الحديث 216

3 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، الحديث 2898

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأنَّ منْ قتل نفسه بشيء عذِّب به في النَّار، وأنَّه لا يدخل الجنَّة إلَّا نفسٌ مسلمة، الحديث179

4 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 1/364-365

5 انظر المرجع السابق/البوطيّ، 5/406، 4/100-101

نَاصِيَتِي فِي يَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...."[1].

3. ذهب رحمه الله إلى جواز التَّبرُّك بآثار النَّبيِّﷺ والتَّوسُّل به، والأحاديث الواردة فيه متواترةٌ معنويَّاً، ويضاف إليها الإجماع على جواز التَّوسُّل والتَّبرُّك بآثار النَّبيِّﷺ[2].

4. قال رحمه الله بعدم استقلال العقل كمصدرٍ للتَّكليف، ويبقى فقط مصدراً لمعرفة بعض أمور العقيدة، واستثمار الأدلَّة النَّصيَّة لمعرفة حكم أمور أخرى، أمَّا التَّكليف فيكون بالنَّصِّ حصراً، وذلك تمسُّكاً منه بالدِّلالة الواضحة لظاهر قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:15/17، وقوله:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيماً﴾النساء:165/4، وقوله:﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصّحُفِ الأولى 133 وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾طه:133/20-134، ومِنَ السُّنَّة ظاهر حديث رسول اللهﷺ:"لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرّسُلَ"[3] فدلَّ ذلك كلُّه دلالةً واضحةً على أنَّ الذي لم تبلغه الدَّعوة إلى الإسلام عن طريق الرُّسل مِنْ غير تقصيرٍ منه معذورٌ، والمعذور غير مكلَّفٍ[4].

---

1 المستدرك/النّيسابوري، ص690، كتاب الدّعاء، الحديث 1877، وقال عنه "**هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ إِنْ سَلِمَ مِنْ إِرْسَالِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ، عَنْ أَبِيهِ فَإِنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي سَمَاعِهِ عَنْ أَبِيهِ** "

ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعودﷺ،الحديث4316، وقال المحقق عنه إسناده صحيح

2 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 153-155

انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 295-296

انظر نصيحة لإخواننا علماء نجد/يوسف الرفاعي، تقديم البوطيّ، 11-12

انظر مع الناس/البوطيّ، 209/1، 191/2

انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 354

3 صحيح مسلم، كتاب التّوبة، باب غيرة الله وتحريم الفواحش، الحديث35

4 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 29

5. منع رحمه الله السُّؤال عن الغيبيَّات بتفاصيل عقليَّةٍ مجرَّدةٍ بعيدةٍ عن النُّقول، ممَّا نصَّ الشَّارع على ضرورة الإيمان بها كما أَخبَرَ، دون الوقوف عند البحث عن أيِّ كيفيَّةٍ لها، مستدلًّا بقولهﷺ على سبيل الاستنكار والتَّحذير: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ"[1].

6. اختار رحمه الله أنَّ الاعتقاد بالمهدي غيرُ واجبٍ، وأنَّ علماء الحديث اتَّفقوا على أنَّ الصّريح مِنْ أحاديث المهدي غيرُ صحيحٍ، والصَّحيح منها غيرُ صريح، وبناءً على ذلك اتَّفق علماء العقيدة على أنَّه لا يجب الاعتقاد بظهور مَنْ يُسمَّى المهدي، وهو يخالفُ بذلك ما وَرَدَ عند العلماء وجمهور المسلمين مِنْ تواتر ذكر المهدي تواتراً معنويًّاً، وربما اختار رحمه الله هذا الرَّأي بناءً على قول العلماء الذين قالوا إنَّ المتواتر المعنويَّ لا يفيد العلم اليقينيَّ الضَّروريَّ الذي يكفر منكرُه بل يفسُق فقط، والملاحظ هنا أنَّه لم يُصرِّح رحمه الله عن هذه القاعدة في منهجه عند الحديث عن المتواتر وإفادته للعلم[2].

7. أوجب رحمه الله الإيمان بأنَّ لفظ الدَّجال، عَلَمٌ دالٌ على أمارة مِنْ أمارات السَّاعة، وإنْ لم يُذكرْ في القرآن، لأنَّه ذُكِرَ بالسُّنَّة المتواترة[3].

---

1 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، الحديث212

2 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 48
انظر البدايات/البوطي، 329
انظر نظم المتناثر/الكتاني، كتاب أشراط الساعة، الحديث289، ص225-228

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 48
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص318-321
انظر اتحاف ذوي الفضائل المشتهرة/الغماري، كتاب أشراط السَّاعة، الحديث 270، ص182

المطلب الثَّالث: الإجماع

1. أثبتَ رحمه الله تعالى أفضليَّة الاعتقاد بالحديث الصَّحيح الآحاد، وعدم تكفير مَنْ أنكره؛ بإجماع المسلمين على ذلك[1]. وقد تتم الحديث عنه مفصلاً في الفصل السابق.

2. قيَّد رحمه الله تعريف النَّبي والرَّسول بكلمة الوحي قطعاً ودليله إجماع علماء المسلمين[2]، والحديث عن الأدلة وتحليلها في الفصل الثاني من الباب الثاني في هذا البحث.

1 انظر كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط34، ص34
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 32، 52
انظر السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ/البوطيّ، 66
انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 32-33
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 31، 46، 66-67
انظر في الحديث الشَّريف والبلاغة النَّبويَّة/البوطيّ، 23-25

2 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص184

المبحث الخامس: تعارض العقل والنَّقل

مِنَ الفوارق الأساسيَّة في البناء المنهجيِّ لأيِّ مذهبٍ ذلك القدْرُ مِنَ الاعتبار للنَّقل أو العقل، فكلَّما زاد الاعتبار لأحدهما قلَّ باتِّجاهِ الآخر، وحصل الغلوُّ في المذهب، ويتَّضح هذا الفارق بشكلٍ كبيرٍ عند تعارض العقل والنَّقل.

وسيُخصَّص هذا الفصل لبيان مقدار الاعتماد على كلٍّ مِنَ العقل والنَّقل في منهج الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله، لاسيَّما عند تعارضهما.

أوَّلاً. صورة المسألة كما يراها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله تعالى

يرى رحمه الله أنَّ أساسَ وجود هذا الإشكال في الأذهان توهُّمُ التَّنافس بين الدِّين والعلم، على أنَّهما خطان منفصلان متوازيان، ينتهي كلٌّ منهما إلى غايةٍ مُعيَّنةٍ، وبالتَّالي بدأ الإنسان بالبحث عن الخطِّ الذي يجب اتباعه.

وكانت نتيجة هذا البحث اتجاهين؛ الأوَّل ذهب إلى تخليص الدِّين مِنْ سلطان العقل، والثَّاني قال بتفضيل العلم على الدِّين[1].

إلَّا أنَّه رحمه الله يذكر أنَّ التَّعارض بين العقل والنَّقل لا يمكن تصوُّره، فيقول؛ "**والجواب أنَّ مهمَّة العلم تقف عند حدود إيقاظ العلم إلى أنَّ عالَم الغيب حقيقةٌ ثابتةٌ وليس وهماً باطلاً، ثمَّ إنَّ العلم يسَلِّمك –لمعرفة دخائل هذا العالَم المجهول– إلى النَّبأ الصَّادر مِنْ خالق هذا الكون ومالكه، وربِّ هذا الغيب ومنظِّمه... والمنهج العلميُّ المتكامل إنَّما**

1 انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 20

يتألَّف مِنْ عقلٍ ونقلٍ، لا يستقلُّ الواحد منهما عن الآخر على طريق السَّعيِّ إلى معرفة حقائق الكون والإنسان والحياة، فلا تتحرَّك طاقة العقل إلَّا بضياءٍ مِنْ أشعَّة النَّقل"[1].

كما قرَّر رحمه الله أنَّ الله جعل الدِّين صنوَ العلم، فبينهما تلازمٌ بيِّنٌ؛ فقال: "**فحيثما وجد العلم الحقيقيُّ فإنَّ الإسلام بكامل عقائده وشرائعه هناك، وحيثما فُقِدَ العلم الحقيقيُّ، فإنَّ الإسلام يكون مفقوداً معه**"[2].

ويضاف إلى ذلك أنَّه رحمه الله صرَّح بما يبيِّن منهج البحث العلميِّ السَّليم، فقال:

وغنيٌّ عن البيان أنَّ المعرفة لا تتحقَّق إلَّا مِنْ تلاقح العقل الإنسانيِّ مع هذه البلاغات. فلا يغني واحدٌ منهما عن الآخر على طريق معرفة الغيوب الكونيَّة، مهما حاول الإنسان وجاهد..! وإنَّه لشيءٌ مذهلٌ أنْ تصل الدِّقَّة القرآنيَّة في تصوير هذه الحقيقة المنهجيَّة والتَّعبير عنها، إلى درجة أنْ يُعبِّر القرآن عن الوحي الذي يتضمَّن هذه البلاغات التَّعليميَّة بالنُّور، النُّور الذي تتوقَّف عليه رؤية العقل وتبصُّره لقضايا الغيب، بحيث إذا عُدِمَ هذا النُّور الذي هو الشَّرط الأساسيُّ لرؤية العقل؛ لم يكن أمامَه مناصٌ مِنْ أنْ يخبَّ في ظلامٍ دامسٍ على غير هدى. فعن هذا المعنى يعبِّر البيان الإلهيُّ قائلاً:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾المائدة:5/15-16، **والقرآن مِنْ خلال هذا التَّعبير، ينبهنا إلى أنَّ قانون الإدراك العقليِّ الصَّحيح، هو ذاته قانون الرُّؤية البصريَّة الصَّحيحة، فكما أنَّ وجود النُّور المتكافئ للقوَّة المبصرة والعينين لا بدَّ منه في رؤية الأشياء على حقيقتها، وهو يتمثَّل في ضياء الشَّمس وما يتفرَّع منه، فكذلك النُّور المتكافئ مع الطَّاقة الإدراكيَّة في العقل، شرطٌ لا بدَّ منه في إدراك الحقائق الغيبيَّة على وجهها الصَّحيح وهو يتمثَّل في ضياء الوحي الإلهيِّ الذي أنزله الله على رسله وأنبيائه. وبوسعنا الآن أنْ نعلم مصدر نقطة الضَّعف في علم الفلسفة**

---

1 انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 96-97

2 مختارات من خطب الجمعة/البوطيّ، 378

ومواقف الفلاسفة اليونانيين، وكلُّ مَنْ نسج على منوالهم إلى يومنا هذا؛ إنَّها تتمثَّل في أنَّ هذا العلم يحاول، على أيدي رجاله، تحميل العقل وحده مهمَّة حلِّ سائر الألغاز الكونيَّة، دون أيِّ اعتمادٍ على شريحة خبرٍ علميٍّ صادرٍ مِنْ صانع الكون ذاته، ليستضيء به العقل في طريق معاناته التي حُمِلَ عليها. فشأن هؤلاء الفلاسفة كشأن مَنْ خاض غباب نفقٍ مظلمٍ ثمَّ حملق بعينيه وأكرههما على أنْ تأتياه بالصُّور الحقيقيَّة لكلِّ ما حوله، زاعماً أنَّ ضياء عينيه يغنيه عن أيِّ ضياءٍ رديفٍ..! إذن: فالوحي ضياءٌ لا بدَّ منه على طريق المعرفة[1].

بناءً على ما سبق بيانه يظهر التَّوازن الفكريُّ عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله حيث جعل كلاً مِنَ العقل والنَّقل كفَّتي ميزانٍ لا يستقيم الرَّأيُ حتَّى يُعرَضَ عليهما وينال الموافقة منهما، فالحقائق العلمية مزيجٌ مِنَ محسوساتٍ مادِّيَّة حاضرة وسبيل معرفتها العقل القائم على التَّجربة والمشاهدة. وغيوبٍ ماضيةٍ أو آتيةٍ وسبيل معرفتها النَّقل، وتتكامل المعرفة الصَّحيحة عندما يُعتَبَر هذان المصدران معاً، وبذلك فسَّر رحمه الله معنى الوسطيَّة في تفكير الأمَّة الإسلاميَّة حيث سمَّاها الله أمَّةً وسطاً، وأوصاها أنْ تتمسَّك بهذا الميزان، قال تعالى:﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾الأنعام:153/6، فالعقل أو النَّقل وحده لا يهتدي إلى الحقيقة، فالإنسان إذا هُديَ إلى الحقِّ بيقينٍ عقليٍّ تقع عواطفه تحت تأثيراتٍ متنوِّعةٍ قد تصل إلى التَّطرف والغلو، وهنا يأتي دور النَّقل ليحافظ على اليقين العقليِّ صافياً مِنَ الآثار المتطرفة لبعض العواطف النَّاتجة عن النَّفس والأهواء، وهذا ما سمَّاه رحمه الله بالتَّربية القرآنيَّة التي تضمن للإنسان التَّعامل مع أسباب الحياة بتوازنٍ للنُّهوض بعمارة الأرض وإقامة الحضارة الإنسانيَّة فيها على أساسٍ علميٍّ سليمٍ، أساسه ألَّا يوجد دينٌ مِنْ غير علمٍ قائمٍ على أداته وهي العقل[2].

---

1 قضايا ساخنة/البوطيّ، 26

2 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 273-276

انظر كبرى اليقينيّات/البوطيّ، ط34، مقدمة ط1، ص22

انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 21-29

ثانياً. منهجه رحمه الله تعالى بين العقل والنَّقل

يقوم منهجه رحمه الله على قاعدةٍ تقول: إنَّ التَّعارض بين صحيح النَّقل ويقين العقل غير واردٍ حتماً، فلو وقف الدُّكتور البوطيّ رحمه الله تعالى على تعارضٍ بينهما أعاد النَّظر وفق التَّالي:

1. إنْ ثبتَ أنَّ أحدهما ظنِّيٌّ والآخرَ يقينيٌّ: فالمنهج؛ التزام ما يُفيد اليقين سواءً كان نقلاً أو عقلاً مع استمرار البحث عمَّا يدعمه ويتمِّم معه كفَّتي الميزان مِنْ عقلٍ أو نقل.

2. إنْ ثبت أنَّ كليهما يقينيٌّ: المنهج؛ إعادة النَّظر في المعنى المفهوم منهما، فربَّما كان سبب التَّعارض توهُّم الفهم الصَّحيح لأحدهما والواقع خلاف ذلك، فإذا ما صحِّح الفهم انتفى التَّعارض.

3. إنْ ثبت أنَّ كليهما يفيد الظَّنَّ: فالمنهج التَّوقُّف عن الحكم الجازم في المسألة، والحكم عليها بأنَّها مسألةٌ اجتهاديَّةٌ ظنِّيَّةٌ تحتمل الوجوه فلا يُبنى عليها أصلٌ عقديٌّ يُكفَّر مخالفه.

والقاعدة في ذلك قوله رحمه الله: "...**إنَّ التَّعارضَ الحقيقيَّ لا يقومُ بين يقينٍ وظنٍّ، وإنَّما يقومُ بين يقينينِ أو ظنَّينِ، ومآل التَّعارضِ الذي يبدو بين يقينين إلى أنْ يتجلَّى أنَّه تعارضٌ وهميٌّ لا حقيقيٌّ...**"[1]

ثالثاً. صورةٌ مِنْ منهجه رحمه الله تعالى بين العقل والنَّقل

يظهر منهجه رحمه الله الذي تمَّ بيانه منذ قليل مِنْ خلال صورةٍ واضحةٍ؛ وهي تخصيص النَّص النَّقلي العام بالعقل والحسِّ، فقد ذكر رحمه الله أنَّ مخصِّصات الدَّليل النَّقليِّ العامِّ[2]:

1. العقل: "**ويراد به كلُّ ما اقتضاه العقل وجزم به، وكان محلَّ وفاقٍ مِنْ جميع العقلاء، فلا عبرة إذاً بفهومٍ خاصَّةٍ يتبناها أفرادٌ مِنَ النَّاس ويخيَّل إليهم أنَّها مِنْ مقتضيات**

1 من سنن الله في عباده/البوطيّ، 74

2 انظر مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 213-225

العقل. فإذا رأينا نصَّاً مِنْ قرآنٍ أو سنَّةٍ وكان شاملاً لبعض الجزئيَّات التي يعرضها حكم العقل الكليِّ الصَّحيح فإنَّ دِلالة العقل تكون مخصِّصَةً للنَّصِّ الشَّرعيِّ"[1].

مثاله قوله تعالى:﴿الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾الرّعد:16/13، فمقتضى عموم هذه الآية أنْ يكون الله قد خلق ذاته؛ لأنَّه تعالى داخلٌ في عموم الشَّيء، إلَّا أنَّ العقل يجزم بأنَّه يستحيل أنْ يخلُقَ الله ذاتَه أو شيئاً مِنْ صفاته، لاستحالة تعلُّقِ القدرة بهما فهي تتعلَّق بالممكنات، أمَّا واجب الوجود فلا يقبل الإيجاد والعدم، وبذلك تعتبر دلالة العقل هذه مخصِّصةٌ لعموم الآية، فالله خالق كلِّ شيءٍ ما عدا ذاته وصفاته، ويسمَّى النَّصُّ الشَّرعيُّ الذي خصَّصه العقل عامَّاً أريد به الخصوص[2].

2. الحسُّ: "**والمقصود به الدَّليل المنبثق مِنَ الرُّؤية البصريَّة أو السَّمع أو اللَّمس أو الذَّوق أو الشَّمِّ فهذه هي الحواسُّ كما هو معروفٌ.**"[3]

3. العرف القوليُّ فقط السَّائد في زمن وُرُوْد النَّصِّ، لأنَّه بمثابة الدِّلالة اللُّغويَّة للَّفظ.

4. الشَّرع: أيْ الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس.

تبيَّن ممَّا سبق أنَّ الدُّكتور البوطيَّ رحمه الله قد بنى على تخصُّصه الأكاديميِّ في الفقه الإسلاميِّ منهجاً متيناً في استخدام الأدلَّة، حيث استغنى في إثبات وفهم النُّصوص عن المنطق اليونانيِّ، واستبدله بقواعدِ علم مصطلح الحديث وأصول الفقه؛ ذلك المنهج العلمي الذي طوَّره علماء المسلمين.

---

1 مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 213

2 "**المتكلم إذا أطلق اللفظ العام فإن أراد به بعضا معينا، فهو العام الذي أريد به الخصوص، وإن أراد سلب الحكم عن بعض منه فهو العام المخصوص. مثاله قام الناس، فإذا أردت به إثبات القيام لزيد مثلا لا غير، فهو عام أريد به الخصوص، وإن أردت به سلب القيام عن زيد فهو عام مخصوص.**" إرشاد الفحول/الشَّوكاني، 348/1

3 مباحث الكتاب والسُّنَّة/البوطيّ، 213

وفي الختام يتبيَّن تصنيفه رحمه الله تعالى لمصادر العقيدة مِنْ حيث قوَّة دِلالتها على صنفين[1]:

1. أدلَّةٌ قطعيَّة الثُّبوت والدِّلالة: وهي المتواتر الذي لا يحتمل في دلالته أكثر مِنْ معنى واحدٍ كالأمر بالصَّلاة[2]، ومِنْ هنا لم توجد فرصةٌ للخلاف بين الأئمة في مدلولاتها[3]، والإيمان بها واجبٌ وإنكارها يوجب الكفر إنْ كانت ممَّا هو معروفٌ مِنَ الدِّين بالضَّرورة والفسق إنْ لم يكن ممَّا هو معروفٌ مِنَ الدِّين بالضَّرورة.
2. أدلَّةٌ ظنِّيَّةُ الدِّلالة أو الثُّبوت: وهي محلُّ الاجتهاد فهي قائمةٌ على الاحتمالات، فالاختلاف في الوصول إلى مدلولاتها أمرٌ لازمٌ عن طبيعتها وطبيعة العقول المفكِّرة، لذلك وقع الخلاف في هذه المسائل والأحكام وتتَّسع رقعة الخلاف وتضيق حسب قوة الاحتمال أو ضعفه، ومثل هذه الأمور لا يستوجب الخطأ في اعتقادها كفراً أو ردة.

كما يلاحظ بعد استقراء استدلاله رحمه الله بالأدلَّة العقليَّة والنَّقليَّة، أنَّه يكتفي بالدَّليل القطعيِّ عند وُرُوْده، فبه يحصل الإيمان دون الحاجة إلى أدلَّة تدعم، أمَّا في الأدلَّة الظَّنِّيَّة فيستدلُّ بعدَّةِ أدلَّةٍ في المسألة الواحدة، خاصَّةً ما اجتمع فيها نصٌّ وإجماعٌ معاً، ممَّا يجعلُها ترتقي إلى القطع واليقين.

---

1 انظر محاضرات في الفقه المقارن/البوطيّ، 10-14

2 "**ولذلك كان المكان الطّبيعي لذكر هذه المبادئ والأحكام كتب العقيدة. فالبحث في وجوب أصل الصّلاة وأصل الزّكاة والصّوم مثلا إنَّما ينبغي أنْ يكون ضمن مسائل العقيدة الإسلاميَّة أيْ تلك المبادئ التي ثبتت بدليلٍ قطعيٍّ كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ..إلخ ولئن وجدتَ الفقهاء يبدؤون باب الصّلاة مثلاً بذكر فرضيَّتها وباب القصاص بذكر حرمة قتل النّفس بدون حق، فذلك ليس إلا تمهيداً بمسألةٍ اعتقاديَّةٍ أساسيَّةٍ للوصول منها إلى مباحثَ فقهيَّةٍ فرعيَّةٍ.**" محاضرات في الفقه المقارن/البوطيّ، 11

3 "**وما اختلف المسلمون فيه مِنْ بعض مسائل الاعتقاد فذلك لأنَّ أدلَّته لم تَرْقَ إلى درجة القطع فطاف بها الاحتمال فوقع الخلاف في فهم مدلولاتها. ومثل هذه الأمور لا يستوجب الخطأ في اعتقادها كفراً أو رِدَّة، لأن سبيل القطع واليقين فيها مفقود ولم يكلّفنا الله في أمور الاعتقاد إلَّا باتباع العلم وذلك في مثل قوله تعالى﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**الإسراء36/17، **ومِنْ هنا أيضاً لم يصحْ بالاجتهاد في مسائل الاعتقاد القطعيَّة كما لم يصحِ فيها القول بالتّقليد لأنَّ الاجتهاد إنَّما يكون في دليلٍ تضمَّن احتمالاتٍ مختلفةٍ وكان لا بدَّ مِنْ جهدٍ لاستظهار أقربها إلى المقصود، ومثل هذا الدَّليل غيرُ واردٍ في هذه المسائل، ولأنَّ التَّقليد فرعٌ عن عدم التَّمكُّن مِنَ الاجتهاد فيحذو المقلِّدُ في ذلك حذو مَنْ قد تمكَّن منه واستظهر أقرب الاحتمالات إلى المقصود، وهذا غير واردٍ في أدلَّة مسائل الاعتقاد القطعيَّة كما قلنا**". محاضرات في الفقه المقارن/البوطيّ، 11-12

الفصل الرَّابع

حكم الاشتغال بعلم الكلام

عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى

وفيه

المبحث الأوَّل: تعريف علم الكلام وسبب تسميته بناءً على ما اختاره رحمه الله تعالى.

المبحث الثَّاني: حكم الاشتغال بعلم الكلام عنده رحمه الله تعالى، ودعوةٌ مستمرةٌ لتطويره.

المبحث الثَّالث: ضوابط الاشتغال بعلم الكلام عنده رحمه الله تعالى.

المبحث الأوَّل: تعريف علم الكلام وسبب تسميته بناءً على ما اختاره الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى

أوَّلاً. تعريف علم الكلام

مِنْ خلال البحث والاطِّلاع يمكن القول بعدم تَفَرُّدِ الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى بتعريفٍ خاصٍ به، بل اعتمد في ذلك على أقوال مَنْ سبقه مِنَ العلماء.

وذلك مبنيٌّ على منهجه السَّاعي إلى توحيدِ الكلمةِ وتقليلِ الخلافاتِ بين علماء الأمَّة، فقال: "**أنَّ خير تعريفٍ له** –لعلم الكلام– **ما عرَّفه به ابن خلدونٍ في مقدمته إذ قال: هو علمٌ يتضمَّن الحجاج عن العقائد الإيمانيَّة بالأدلَّة العقليَّة والرَّدِّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السَّلف وأهل السُّنَّة**"[1].

فيرى الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله أنَّ ماهية علم الكلام واسعةٌ، شمَلَتْ كلَّ مجابهةٍ عقليَّةٍ لأيِّ انحرافٍ اعتقاديٍّ أو لأيِّ بدعةٍ فكريَّةٍ على تنوُّعِها، وبذلك يشْمَلُ التَّعريفُ الرَّدَّ على الشُّبهات الفلسفيَّة الماديَّة وأيِّ نظريَّةٍ أخرى تخالف معتقداتِ الدِّين الإسلاميِّ[2].

ويؤكِّد رحمه الله أنَّ هذا التَّعريف يمنع حصرَ ماهية علم الكلام بالاعتماد على قواعد الفلسفة والمنطق اليونانيِّ، وكذلك يمنع حصرَها بدراسة أمور العقيدة الإسلاميَّة بالأصول

---

1 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 39
السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 153
إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 261
2 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 39

والمصطلحات الفلسفيَّة كما يَتَوَّهم البعض اليوم، بل كما قرَّر في مقدِّمة كتابه كبرى اليقينيَّات؛ أنَّ علم الكلام يُطلَق على المناقشات العلميَّة التي تختصُّ بمبادئِ العقيدة الإسلاميَّة بغضِّ النَّظر عن نوع الشُّبهة وطريقة البحث والنِّقاش فذلك ممَّا يختلف ويتطوَّر مِنْ عصرٍ لآخر[1].

وعند النَّظر يظهر أنَّ هذا التَّعريف يُخرِج أيضاً علمَ العقيدة الذي يبحث في وجود الله وصفاته وسائر أركان الإيمان، وإثباتها بأدلَّتها النَّقليَّة والعقليَّة، بعيداً عن الشُّبهات ورَدِّها، فالإثبات للعقائد أخصُّ مِنَ الحجاج والذَّود عنها؛ فالأوَّل عقيدة؛ وهو مطلوبٌ مِنْ كلِّ مكلَّفٍ[2]، والثَّاني علم كلام؛ وهو مطلوبٌ مِنْ طائفةٍ مِنَ المسلمين.

ثانياً. سبب تسميته

اكتفى الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله بذكر الأقوال في سبب تسمية علم الكلام، دون أنْ يُضيفَ رأياً خاصَّاً به، وذلك مبنيٌّ على اهتمامه بالقضايا الفكريَّة التي تنعكس سلوكاً في حياة المجتمع بعيداً كلَّ البُعد عن القضايا الفلسفيَّة التي لا حاجة لطول النِّقاش فيها.

وبذلك نجد أسباب تسمية علم الكلام التي جمعها رحمه الله تعالى؛ كما يلي:

1. أنَّ بِضاعة الكلام رأس مال هذا العلم، فقد عُرِف أهله بكثرة الكلام.
2. أنَّ البحث في كلام الله مِنْ أكثر المسائل التي اشتغل بها علماء هذا الفنِّ، وذلك مِنْ قَبِيلِ تسميةِ الكلِّ باسم جزئه؛ لأهميَّة ذلك الجزء.
3. أنَّ مناهج الفلاسفة اختلطت بدراسة مسائل العقيدة وذلك بعد أنْ طالع المعتزلةُ كتبَ الفلاسفة ومناهجَهم[3].

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص18
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 153
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 22
2 انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 13-14
3 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 39-40

المبحث الثَّاني: حكم الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى ودعوةٌ مستمرَّةٌ منه لتطويره

للعلماء في حكم الاشتغال بعلم الكلام قولان معتمدان وثالثٌ مردودٌ؛ وهو قول الظَّاهريَّة؛ حيث قرَّروا حُرمة الاشتغال بعلم الكلام ووصفوه بالبدعة؛ ولم يلاحظوا بقرارهم هذا أنَّهم خالفوا كثيراً مِنَ السَّلف[1].

أمَّا القولان المعتمدان؛ فأحدُهما يستنكرُ الاشتغال بعلم الكلام دون تحريمه، والآخرُ يدعو إلى العمل به. وكانتْ للدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى وِقْفَةٌ مع هذين القولين خلاصتُها ما يلي[2]:

1. لا يوافقُ مَنْ قال أنَّ علماء الكلام أفسدوا صفاء التَّوحيد.
2. لا يوافقُ مَنْ يُدخل في علم الكلام إلى الآن السَّفسطات والشُّبهات التي لا جدوى مِنْ دراستها اليوم.
3. يرى أنَّ مضمون علم الكلام وما يحتويه مِنْ ردٍّ على الشُّبهات تحكمه وتحدِّده الضَّرورة، فهو استجابةٌ لِمَا تقتضيه الدَّعوة الإسلاميَّة في كلِّ عصر.

فمَا فَعَلَهُ علماء السَّلف مِنَ الاشتغال بعلم الكلام كان مِنْ أهمِّ أسبابه الرَّدُّ على الذين نشروا الشُّبهات، منعاً لانتشارها بين النَّاس.

---

1 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 261

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 56، الحاشية رقم 1

2 انظر المرجع السَّابق، 162

فعلم الكلام اليومَ يسلُك السّبيلَ ذاتَها، فالمنهج لا يختلف وإنْ اختلفَتْ أنواع الشُّبهات، فواجبُ علمِ الكلام اليومَ حسب ما يراه الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله أنْ يدْحَضَ شُبهات الفلسفات الماديَّة الدِّيالكتيَّة والوجوديَّة وغيرها، ولا يَصِحُّ أنْ تُردَّ بعرْضِ ما يحتويه القرآنُ –مع عظمته– بل لا بُدَّ مِن استخدام أدلَّة العلم وبراهينه التي يَزْعُم أربابُ هذه الشُّبهات أنَّهم يتمسَّكون بها، فهم لا يعلمون القرآن ولا قيمتَه الذَّاتيَّة[1].

وعدَّ رحمه الله تعالى الخلافَ بين مَنْ يُنكر الاشتغال بعلم الكلام ومَنْ يدعو إليه خلافاً مِنْ حيث الظَّاهر، فقال:

لا أرى أيَّ تعارضٍ بين مَنْ استنكر علم الكلام والاشتغالَ به، ومَنْ حبَّذه ودعا إليه. فإنَّ الطّرفين لم يُحررا محلَّ البحث والخلاف بينهما. ولو تحرَّر محلُّ البحث في الموضوع لسقط الخلاف...وحَلُّ هذا الخلاف، الذي نراه خلافاً في الظَّاهر فقط، إنَّ الذين استنكروا علم الكلام، إنَّما حذَّروا مِن اتخاذه صُنعَةً وديدناً،...على أنَّهم أنكروه قبل أنْ تشتدَّ ضراوة الزَّنادقة وتشيْعَ شُبَهُهُم في النَّاس. وهذا الاستنكار بهذا القيد ليس محلَّ خلافٍ، فحتَّى الذين ألَّفوا في علم الكلام واشتغلوا به...حذَّروا مِنْ استعماله في غير حاجةٍ إليه. أمَّا الذين استحبُّوه وعدُّوه مِنَ الفروض الكفائيَّة، فإنَّما عدُّوه كذلك، بعد أنْ شاعت الشُّبه والمشكلات، وبعد أنْ تغلَّب تيَّار النِّقاش والجدل حول آيات الصِّفات والآيات المتشابهة في المساجد وحلقات العلم، على الوازع الذي كان يجعل النَّاس يلجؤون إلى حِمى السَّكينة الإيمانيِّة والتَّسليم لمراد الله، كلَّما طُرِحَت شُبهة. فاستلزم الأمر إعداد العدُّة، وإفحام الباطل بسلاحه، وإسكاته بالحجَّة ذاتِها التي يصطنعها دعاته، وهذا الاستحباب المقيَّدُ بهذا الحدِّ لا نراه محلَّ خلافٍ عند أحد الطَّرفَين[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، مقدمة ط1، ص23–24

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 84، الحاشية رقم 1

2 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 41–43

ويزيد الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله توضيحاً لحكم الاشتغال بعلم الكلام؛ فالحكم يختلف عنده بناءً على صفة مَنْ يشتغل به، فللعلماء المختصِّين علمُ الكلام علمُ آلةٍ لا بدَّ منه، إلَّا أنَّه مطلوبٌ لغيره لا لذاته، فهو مرحلةٌ غير أساسيَّةٍ مِنْ مراحل الوصول إلى اليقين في العقيدة الإسلاميَّة، حيث يقول: "**بقي أنْ علينا أنْ ننبِّه أنفسنا، نحن الذين نعتمد في إيماننا بالله ومعرفتنا له، على الأدلَّة والبراهين الكونيَّة وعلى منطق الحِجاج والأقيسة العلميَّة، إلى أنَّ علينا إذا وصلنا إلى المطلوب مِنْ وراء البحث والاستدلال فآمنَّا بالله واهتدينا إلى وجوده ووَحدانيَّته، أنْ نتجاوزَ الأدلَّة والبراهين ونُقْلِعَ عن الاشتغال بها والوقوفِ عندها، وأنْ نُفَرِّغَ عقولنا وأفكارنا للمدلول والمبرْهَنِ عليه، ألا وهو الله...**"[1].

أمَّا سائر المسلمِين البعيدِين عن الحِجاج والمنطق؛ فعلم الكلام بالنِّسبة لهم كالدَّواء، لقوله: "**لا يَصْلُحُ إلَّا لِمَنْ تسرَّبتْ إلى عقولهِم أمراضُ الشُّبهات الفلسفيَّة، فإنْ عُولِجَ به المعافَوْن مِنْ هذا الدَّاء، تحوَّل إلى جرثومةِ داءٍ قد يستقرُّ في عقولهِم**"[2].

مِنْ خلال ما سبق يتبيَّن أنَّ حكم الاشتغال بعلم الكلام مقترنٌ بالضَّرورة؛ وهو علم آلةٍ يُستخدم مع مَنْ يحتاج إليه فقط، وبذلك يكون رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله يُمَثِّلُ الوسطيَّة العلميَّة بين الأقوال السَّابقة، وقد لخَّصَ رحمه الله هذا الحكم في كتابه الإسلام ملاذ كلِّ المجتمعات الإنسانيَّة فقال:

كنْتُ قد قلْتُ في مناسباتٍ كثيرةٍ: أنَّ على المسلمِين أنْ يُدْرِكُوا أهميَّة علم الكلام في تاريخ المسلمِين الغابر ويومِهِم الحاضرِ، وأنَّ عليهم أنْ يُجَدِّدُوه ويُطَوِّرُوه بدلاً مِنْ أنْ يَنْتَقِصُوا قدْرَه أو يَظْلِمُوا أهله، إذ هو في حقيقته ليس إلَّا حواراً أو نقاشاً يعتمد على أسلوب المنطق ومنهجيَّة البحث، في تبديد كلِّ ما قد يُثار حول أصول الإسلام مِنْ شبهاتٍ ومشكلات. وقلْتُ في مناسباتٍ كثيرةٍ، وأقولها اليوم أيضاً: إنَّ على علماء المسلمِين أن يُحَمِّلُوا علم الكلام مهمتين اثنتين:

---

1 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 33/2

2 المرجع السّابق، 419/2

انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 262

الأُوْلَى: وضع التَّيَّارات والشُّبهات الفكريَّة الجديدة في ميزان هذا العلم، ثُمَّ نقضُها على ضوئه وبأسلوبه نقضاً علميَّاً موضوعيَّاً وعلميَّاً هادئاً. وإنَّما تعود فائدة هذه المهمَّةِ الأُوْلَى على أولئك الذين يَطوفُ بأفكارهم أو يُهيمِنُ على عقولِهِم بعض هذه التَّيَّارات.

الثَّانية: استخلاص قانونٍ يوضِّح للمسلمِين اليومَ الحدود الأخيرة التي يمكن أنْ تَصِلَ إليها نهضة العلوم الكونيَّةِ، في ميزان الإسلام وحكمه، بحيث يقف الفكر الإنسانيُّ مِنْ بعدها أمام جدارٍ صُلْبٍ لا يمكن اجتيازُه أو اختراقه. وإنَّما تعود فائدة هذه المهمَّةِ الثَّانية على عامَّة الطَّبقة المثقَّفة مِنَ المسلمِين اليوم. غيرَ أنَّ جمهرةً مِنْ مفكريْ المسلمِين اليوم، لا يزالون يرفضون هذا الكلام وهم بصدد المهمّة الأُوْلَى يرَون أنَّ ما يسمُّونه بالمنهج القرآنيِّ يغني عن كلِّ شيءٍ ويبدِّدُ كلَّ شبهةٍ ومشكلةٍ!..أمَّا بصدد المهمّة الثَّانية فيرَون أنَّ مِنَ السَّابق لأوانه شَغْل بال المسلمِين بالدَّرجات المقبلة في سُلَّم النَّهضة العلميَّة القائمة، مقتنعين بأنَّ لكلِّ حادثةٍ حديثاً، وبأنَّ لكلِّ مفاجأةٍ جزئيَّةٍ حلولاً جزئيةً تناسبها![1].

وهذا الكلام يُمَثِّلُ دعوةً مستمرَّةً منه رحمه الله لتطوير علم الكلام فهو اليوم، وفي كلِّ يوم، لا بدَّ وأنْ يناقشَ القضايا والشُّبهات التي تُثار في عصره، بعيداً عن شبهات الماضي التي انتهى زمنها وأتباعها. فعلى المشتغلين في هذا الفنِّ أنْ يتوصَّلُوا إلى ميزانٍ فكريٍّ ثابتٍ، ومنهجٍ واحدٍ، يستندُ إليه علماء الكلام في كلِّ عصر، فيكون المُنطلقَ لكلِّ نقاش.

بناءً على ما سبق يتبيَّنُ أنَّه لا بدَّ مِنَ الوقاية قبل الوصول إلى مرحلة الاستطباب واستخدام الدَّواء. والوقاية تتمثَّلُ في ترسيخ حقائق العقيدة الإسلاميَّة مبنيَّةً على الأدلَّة النَّقليَّة والعقليَّة في قلوب وعقول أفراد المجتمع الإسلاميِّ عموماً صغاراً وشباباً وكباراً، وذلك مِنْ خلال توجُّهٍ عامٍ بتكاتف علماء المسلمِين ودعاتهم. عندها يُستخدم علم الكلام كعلاجٍ نافعٍ لمَنْ أصابَتْ فِكْرَه أمراضٌ عقديَّة.

---

1 الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 125-126

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 25

المبحث الثَّالث: ضوابط الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى

ممَّا سبق في تعريف علم الكلام وحكم الاشتغال به، تستنتج الباحثةُ ضوابط الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله، وهي مجموعةُ شروطٍ لا بدَّ مِنْ توفُّرِها حتَّى يَدْخُلَ البحثُ والنِّقاشُ والاستدلالُ في إطار مسمَّى علم الكلام:

1. أنْ يُتَوَصَّلَ مِنَ النِّقاش والاستدلال إلى ردِّ الشُّبهات، أمَّا ما يزيد الخلافَ بدون أيِّ طائلٍ في الدِّفاع عن الإيمان بالله، فهو خارج نطاق الضَّرورة، فالأَوْلَى عدم الاشتغال به، كالخوض في حقيقة الصِّفات الإلهيَّة وتحليلها هل هي عين الذَّات أمْ غيرها.
2. أنْ يكون محلُّ البحث والنِّقاش مِنَ الأمور التي ينتهي أحد القولين فيها إلى الكفر، أمَّا ما كان فيه احتمالٌ وآراءٌ مبنيَّةٌ على أدلَّةٍ ظنِّيَّةٍ فنترُك البحث فيه لوجود السَّعة وخروجه عن نطاق الضَّرورة.

وقد التزم رحمه الله تعالى هذا الشرط في مواضع كثيرة منها؛ مسألة أفضلية الإنسان على الملائكة في كتابه شرح الحكم العطائية، وقد تم تخصيص مبحث لها في الفصل الثالث من الباب الثاني في هذا البحث.

3. أنْ يتعلَّق محلُّ البحث والنِّقاش في شُبهةِ عصر العالِم، فلا فائدة مِنْ ردِّ الشُّبهات التي لا وجود لها، لأنَّ ذلك سيعيدها للأذهان بعد أنْ تخلَّص المسلمون مِنْ شرورها.

قد تجلى هذا الشرط بوضوح عندما اكتفى رحمه الله تعالى في تعريف الزمان والمكان بتعريف إجمالي بعيد عن خلافات الفلاسفة وأقوالهم فذلك مما لا ترتبط به شبهة معاصرة. بينما اختار رحمه الله تعالى أن تكون مناقشته التفصيلية ورده بالتحليل الواسع للفلسفات التي عاصرها نحو المادية الجدلية والتاريخية وغيرها فقد أفرد لها كتباً كاملة منها؛ (نقض أوهام المادية الجدلية).

وعن ذلك يقول الدُّكتور البوطيّ رحمه الله في مقدِّمة كتابه كبرى اليقينيَّات: "**وقد التزمتُ في كتابة هذه البحوث..عدمَ التَّوغُّلِ في كثيرٍ مِنَ الخلافات التي قامت بين المعتزلة**

وجمهور المسلمِين مِنْ أهل السُّنَّة والجماعة إذ هي أمورٌ لا ينتهي الجزم فيها بأحدِ القولَين إلى الكفر، لقيام الشُّبهة والاحتمال في أدلَّتها؛ ثُمَّ هي لا تتعلَّق بأيِّ شبهةٍ في الإيمان لأيِّ فئةٍ مِنَ النَّاس اليوم. فحسبنا في ذلك أنْ نتبنَّى ما اتَّفق عليه جمهور المسلمِين مِنْ أهل السُّنَّة والجماعة بعد معرفة الدَّليل والبرهان."[1].

والظاهر أن هذه الضوابط من أساسيات منهج البحث العلمي عنده رحمه الله تعالى، ويدل على ذلك المناسبات والأسباب التي دعته لتأليف معظم كتبه، حيث كانت الكتب غالباً رداً على استفسارات كثيرة حول موضوع معين، أو إبطالاً لشبهات عصفت في فكر أبناء الأمة الإسلامية، حتى أن عناوين الكتب تأتي موافقة للشبهة المطروحة، مثال ذلك عنوان كتابه (حريَّة الإنسان في ظلِّ عبوديَّته لله)، وقد ذكرت المناسبات في الملحق

ويدل على التزامه بهذه الضوابط أيضاً تركه الخوض في أحداث الماضي والمستقبل التي لم يرد فيها نص قطعي، من ذلك تركه البحث عن أصل نشأة اللغة عند الإنسان، وحقيقة عذاب القبر ونعيمه، والحساب وغيرها الكثير من المسائل، تنظر في الباب الثاني من هذا البحث.

ختاماً لا بدَّ وأنْ يقفَ المتأمِّلُ في ما سبق ليرى التَّوازن الفكريَّ في الشَّخصيَّة العلميَّة للدُّكتور البوطيِّ رحمه الله فليس هو الرَّافض رفضاً قطعيَّاً لكلِّ جديدٍ –ومنه علمُ الكلام– وليس هو القابل للجديد بغير فكرٍ ولا رويَّة، بل يُنَقِّحُ الأفكار فيختارَ منها ما يُلَبِّي الحاجة الدَّعويَّة موافقاً العقل السَّليم والشَّرع، ويرفض ما يخالف كلَّ ذلك.

ويُضاف إلى ذلك مَا يَبْرُزُ بوضوحٍ مِنْ جمعِه رحمه الله بين علمي القلوب والعقول، فقد أجاز مِنْ علم الكلام ما يوصله إلى الدَّفع عن دين الله، ولم يكنْ هذا العلم حاجباً له عن الوصول إلى الغاية القصوى ألَا وهي معرفة الله والتَّحقُّقِ بِمَعْنَى العبوديَّة المطلوب، فتوازنُه الفكري أوضحَ له الوسيلة ألَا وهي (الحجاج بعلم الكلام) مِنَ الغاية وهي (التَّحقُّق بمعنى العبوديَّة)، فجعل الأُوْلَى طريقاً لبلوغ الثَّانية ليس إلَّا.

---

1 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، ص27

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 94

الباب الثَّاني

الآراء العقديَّة للدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى، وفيه

الفصل الأوَّل: الإلهيَّات

الفصل الثَّاني: النُّبوَّات

الفصل الثَّالث: الكونيَّات

الفصل الرَّابع: الغيبيَّات

الفصل الخامس: الإيمان

الفصـل الأوَّل: الإلـهـيَّات

وفيه:

المبحث الأوَّل: وجود الله تعالى
المطلب الأوَّل: صفة الوجود
المطلب الثَّاني: منهجه رحمه الله في الاستدلال على وجود الله
المطلب الثَّالث: الفلسفات المعاصرة وأدلَّة وجود الله تعالى
المبحث الثَّاني: صفات الله تعالى
المطلب الأوَّل: أحكامٌ عامَّةٌ عن الصِّفات
المطلب الثَّاني: الصِّفات السَّلبيَّة
المطلب الثَّالث: صفات المعاني والصِّفات المعنويَّة
المبحث الثَّالث: رؤية الله تعالى
المطلب الأوَّل: حكم رؤية الله تعالى نقلاً وعقلاً
المطلب الثَّاني: رؤيته تعالى في الدُّنيا
المطلب الثَّالث: رؤيته تعالى في الآخرة
المبحث الرَّابع: أسماء الله تعالى

لمَّا كان علم الكلام هو أداةٌ للدِّفاع عن العقيدة الإسلاميَّة، وتثبيتِ أركانها في وجه الشُّبهات، كانت أهمُّ المسائل التي يتضمَّنُها؛ معرفةَ الله تعالى، فهي أساس أركان العقيدة الإسلاميَّة كلِّها.

وهنا يحدِّد الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله أنَّ أسمى ما يمكن أنْ يصِلَ إليه الإنسان مِنْ معرفة الله هو معرفة صفاته لا ذاته، فمعرفة الذَّات داخلةٌ في إطار المستحيل، لذلك قال:

"**أمَّا معرفة الإنسانِ الذَّات الإلهيَّة، على نحو ما يعرف المخلوقات التي تدخل تحت إدراكه وعلمه، فهي مستحيلةٌ، وليست ممَّا يدخل في إمكانات العقل البشريِّ. إذ كيف يحيط العقل المخلوق بذات الخالق؟ ولذلك قالوا: كلُّ ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك. وإنَّما تتحقَّقُ معرفة الله بمعرفة صفاته، مِنْ وجودٍ ووَحدانيَّة وقدرةٍ وعلمٍ وحكمةٍ ورحمةٍ...**"[1].

ويؤكِّد رحمه الله هنا أنَّ عجز العقل عن تخيُّل شيءٍ ما؛ لا يستلزم بالضَّرورة عدم اليقين العلميّ بهذا الشَّيء، فالقدرة على تصوُّر الأشياء على حقيقتها، متخلِّفةٌ دائماً عن الطَّاقة العقليَّة لإداركها، وأقرب مثالٍ على ذلك "**الضَّرير الأكمه (الذي خُلِقَ دون بصرٍ): إنَّه يدرك وجود الشَّمس المشرقة يقيناً بعقله، ولكنَّه لا يقوى على تصوُّرها في خياله، فلا يكون هذا العجز الثَّاني دحضاً لليقين الأوَّل. كذلك وجود الله عزَّ وجلَّ وما يتبعه مِنْ يقينيَّاتٍ متفرِّعةٍ عن الإيمان به: لا مناص للعقل الحرِّ مِنَ اليقين بهما، ولكنْ لا سبيل للخيال البشريِّ إلى التقاط صورةٍ صادقةٍ عنهما...**" [2].

بناءً على ما سبق سيتناولُ هذا الفصلُ آراءَ الدُّكتور البوطي رحمه الله في صفات الله بدءًا مِنْ صفة الوجود ثمَّ الصِّفات التَّفصيليَّة – تتمةَ العشرين– ثمَّ أسمائه ورؤيته تعالى، ومَا يتعلَّق بذلك مِنَ المباحث.

---

1 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 133/4

2 الظَّلاميون والنُّورانيون/البوطيّ، 36

المبحث الأوَّل: وجود الله تعالى

وجود الله أصل العقيدة الإسلاميَّة كلِّها، فعنه تتفرَّع كلُّ المعتقدات وأركانُ الإيمان الأخرى، وقد قال في ذلك الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله تعالى: "**فإنَّ أساس الإسلام؛ عقيدتُه، ومكمن العقيدة فيه إنَّما هو الإيمان بوجود الله عزَّ وجلَّ ووَحدانيَّته، فلا مطمع في تحقيق شيءٍ مِنْ أحكام الشَّريعة الإسلاميَّة إنْ لم تكن المبادئ الاعتقاديَّة مرتكزةً مِنْ قبلِ ذلك في القلب، ولا مطمع في ارتكاز شيءٍ مِنْ هذه المبادئ فيه إلَّا بعد الإيمان بوجود الخالق جلَّ جلاله.**"[1].

وهذا سببُ الافتتاح بمبحث وجود الله تعالى، فالبَدْءُ بإثباتِ الأصولِ قبل الفروع – التي تُبنى عليها– مِنْ أوضحِ أسسِ المنهجِ المُتَّبع عند الدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى، فالإيمان بوجودِ الله تعالى أصلُ الفروعِ كلها.

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص21

المطلب الأوَّل: صفة الوجود

وتسمَّى الصِّفة النَّفسيَّةُ، لأنَّها تَدلُّ على ذاتِ الله تعالى دون مَعْنَى زائداً عليها، وتعني أنَّ الله تعالى له وجودٌ ذاتيٌّ حقيقيٌّ.

وينبه الدُّكتور البوطيّ رحمه الله تعالى إلى الاكتفاء بهذا الحدِّ مِنَ التّأمُّل في الفَرق بين الذَّات والوجود في حقِّ الله تعالى، والسَّبب راجعٌ إلى استحالة الاعتماد في ذلك على أيِّ منهجٍ مِنْ مناهج البحث العلميِّ[1].

والوجود الذَّاتيُّ: هو الوجود القائم بالذَّات، الذي لا يحتاج إلى فيضٍ أو تأثيرٍ مِنْ غيره ليتحقَّق له الوجود،[2] وهو وجود الله تعالى. ويقابله الوجودُ التَّبعيُّ: وهو وجود المخلوقات، كلِّ ما سوى الله تعالى. ويتَّضح الفَرق بينهما مِنْ خلال الجدول التَّالي:

جدول (2) الفرق بين الوجود الذَّاتي والوجود التَّبعي

الوجود الذَّاتيُّ (الكامل)	الوجود التَّبعيُّ (النَّاقص)
غيرُ مكتسبٍ (حقيقيٍّ)	مكتسبٌ مِنَ المَوجود بذاته
يستمرُّ دون الحاجة إلى مؤثرٍ يمدُّه باستمرار الإيجاد	يستمرُّ بإمداد المَوجود بذاته له
لا يقوم بين عدمين (ليس له بداية ولا نهاية)	يقوم بين عدمين، سابقٍ ولاحقٍ (له بدايةٌ وله نهايةٌ)

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص95، 88

2 انظر المرجع السّابق، 88

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 26/2

انظر هذا والدي/البوطيّ، 113

وبما أنَّ وجود الله ذاتيٌّ كاملٌ، كان السُّؤال المتوارد إلى الذِّهن؛ مَنْ خلق الله؟! سؤالاً عجيباً ومغلوطاً، والسَّبب أنَّ المخلوقيَّة صفةُ نقصٍ لا تكون إلَّا للوجود التَّبعيِّ النَّاقص، أمَّا الله فوجوده كاملٌ ويستحيل عقلاً اجتماع النَّقص والكمال في ذاتٍ واحدةٍ[1].

المطلب الثَّاني: منهجه رحمه الله في الاستدلال على وجود الله تعالى

وجود الله دعوى لا تخضع للتَّجربة والمشاهدة، وقد اتَّبع الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله في إثبات هذه الدَّعوى مسلكَين؛ التَّدرُّج مِنَ الأدنى والتَّدرُّج مِنَ الأعلى، وقد ذكر ذلك في كتابه كبرى اليقينيَّات، فقال: "**الطَّريق الأوَّل: التَّحقيق في وجود الله مباشرةً...حتَّى إذا ثبتَ عندنا ذلك بالبراهين اليقينيَّة، دلَّنا وجودُه على أنَّه لم يَخلُقْ شيئاً مِنْ هذا الكون عبثاً، ودلَّنا هذا بدوره على صدق الرُّسل والأنبياء فيما بُعثوا به مِنَ التَّكاليف، ودلَّنا الإيمان بالرُّسل على الإيمان بالكتب وبالقرآن أنَّه كلام الله عزَّ وجلَّ، ثُمَّ دلَّنا الإيمان بكلام الله على الإيمان بكلِّ ما تضمَّنه مِنْ أخبارٍ وأحكامٍ وأوامرَ ونواهٍ مختلفة...ولْنُسَمِّ هذا الطَّريق بطريق التَّدرُّج مِنَ الأعلى.**

الطَّريق الثَّاني: ترك البحث في ذات الله، والبَدء بالنَّظر في خبرٍ نُقل إلينا عن حقيقةِ هذا الكتاب الذي بين يدينا والذي اسمه القرآن. حتَّى إذا علمنا بالبرهان اليقينيِّ المتعلِّق بتحقيق النُّقول والأخبار أنَّه قد وصل إلينا بواسطة محمَّدﷺ، وأنَّه قال عنه إنَّه وحيٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، أخذْنا نحقِّق في مَعنى الوحي...حتَّى إذا ثبتَ لنا...أنَّه لا يمكن أنْ يكونَ لهذا الوحيِّ مُنْزِّلٌ إلَّا الله جلَّ جلاله، دلَّنا ذلك على وجود الله عزَّ وجلَّ... ولْنُسَمِّ هذه الطَّريقة بطريق التَّدرُّج مِنَ الأدنى."[2].

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 28/2

2 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص65-66

ويرى الناظر أن الدكتور البوطي رحمه الله تعالى قد ساهم كما فعل كثير من العلماء في تصنيف طرق إثبات وجود الله تعالى؛ وقد قارب الدكتور البوطي رحمه الله تعالى في شرحه لطريق التدرج من الأدنى ومن الأعلى ما ذكره الشيخ مصطفى صبري في كتابه موقف العقل، الباب الثاني منه بعنوان إثبات الواجب (وجود الله تعالى).

وسيعتمد هذا المطلب على الطَّريق الأوَّل في إثبات وجود الله، أمَّا الطَّريق الثَّاني فمحلُّه عند الحديث عن الوحي وإثباته بالأدلَّة العلميَّة

والأدلَّة التي اعتمد عليها الدُّكتورُ البوطيُّ في إثبات وجود الله تعالى، تعتمد في دِلالتها على الالتزام البيِّن، وهي:

1. بطلان الرُّجحان بدون مرجِّح.
2. بطلان التَّسلسل.
3. بطلان الدَّور.
4. قانون العليَّة.

وسيكون الحديث عنها مختصراً، حيث يمكن الرُّجوع إليها بتفاصيلها في كتابَي؛ كبرى اليقينيَّات والحكم العطائيَّة شرح وتحليل.

- أدلَّة وجود الله تعالى [1]

1-بطلان الرُّجحان بدون مرجِّح

والرُّجحان بدون مرجِّحٍ: انتقالُ وتحوّلُ الشَّيء مِنْ نَسَقٍ إلى آخر بدون مؤثِّرٍ سبَّبَ له هذا التَّحوُّلَ، وهذا باطلٌ، إذ أجمع العقلاء على أنَّ الأصل بقاء ما كان على ما كان حتَّى يؤثِّر فيه مؤثِّرٌ يغيِّره مِنْ حالٍ إلى حال.

والكون كان في الماضي غيرَ موجودٍ ولِينتقلَ مِنْ حالِ العدم إلى حال الوجود لزم له وجودُ قوَّةٍ خارجيَّةٍ تؤثِّرُ فيه فَتُوجِدَه، وهذه القوَّةُ هي قدرة الله تعالى.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص67-86

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 2/222-225

2-بطلان التَّسلسل

ويُقصد بالتَّسلسل هنا "**أنَّ المخلوقات كلَّها متوالدةٌ عن بعضها إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كلُّ واحدٍ منها معلولاً لِمَا قبله وعلَّةً لِمَا بعده دون أنْ تنبُع هذه السِّلسلة أخيراً مِنْ علَّةٍ واجبةِ الوجودِ هي التي تُضْفِي التَّأثير المتوالد على سائر تلك الحلقات.**"[1].

وهذا باطلٌ بإجماع العقلاء، فالعقل يحكم باستحالته بالضَّرورة، لأنَّ كلَّ حلقةٍ في هذه السِّلسلة وجودها غير ذاتي فتستمدُّ وجودها مِنْ غيرها. ويعني ذلك إمَّا أنْ يُحكَم على هذه السِّلسلة بالعدم وهذا ينفيه الواقع، وإمَّا أنْ تكون هذه السِّلسلة تعتمد في وجودها على مَوجودٍ بذاته أمدَّها بالوجود. فيلزم عن ذلك وجود علَّةٍ واجبةِ الوجودِ؛ هي الله تعالى[2].

3-بطلان الدَّور

ويُقصد بالدَّور: "**أنْ يتوقَّفَ الشَّيء، في وجوده المطلق، أو تكييفٍ مُعيَّنٍ له، على شيءٍ آخر. إلَّا أنَّ هذا الشَّيء متوقِّفٌ في ذلك الوجود أو التَّكييف وفي نفس الوقت على ذلك الشَّيء الأوَّل. فمِنَ المحال إذاً أنْ يوجد أو يتكيَّف هذا الشَّيء أو ذاك. ولا يمكن أنْ تجدَ عاقلاً يقول: بل إنَّهما تعاونا فأوجد كلٌّ منهما الآخر.**"[3]، وهذا الدَّور باطلٌ باتفاق العقلاء. إذن لا يمكن أنْ يُنسَبَ إيجاد الكون إلى الكون نفسِه، فهذا هو الدَّور المستحيل عقلاً.

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص69

2 انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 129-133
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 44-47

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص73

4-قانون العليَّة (العلَّة الغائيَّة) [1]

ويسمَّى بدليل الحكمة والتَّناسق، واعتمد رحمه الله منهجاً علميَّاً قائماً على أدلَّةٍ عقليَّةٍ للرَّدِّ على مَنْ أنكر دليل الحكمة والتَّناسق مِنَ الماركسيَّة، فردَّ على حُجَجهم وفق التَّالي:

4-1. حجَّتُهمُ الأُوْلَى: التَّناسق مصدرُه المصادفة، حيث استمرَّ الكون في تقلُّباته العشوائيَّة ملايين السِّنين حتَّى استقرَّ على نظامه الحاليِّ. وقد وصفها رحمه الله بالحُجَّة العجيبة والطَّريفة، ويكفي لرَدِّها السُّؤال عن سبب توقُّف التَّقلُّبات العشوائيَّة مصادفةً على هذا النِّظام المتناسق؟ إذن هناك إدارةٌ نظَّمَتْ ذلك.

4-2. حُجَّتُهمُ الثَّانية: لو أنَّ هذا التَّناسق نَظَّمَه مدبِّرٌ حكيمٌ؛ لماذا استغرق ملايين السِّنين حتَّى استقرَّ على ما هو عليه، فإنَّه كان قادراً على خلق هذا النَّظام المتكامل مع خلقه للأشياء ذاتها! والجواب على شِقَّين؛ أوَّلاً: أنَّ تغيُّر الأرض خلال عمرها الزَّمنيِّ ليس محلَّ الخلاف هنا، بل الخلاف هنا هو ذاك التَّناسق بين الإنسان والكون والطَّبيعة والحيوان، ففي بدايات حياة الأرض كان التَّناسق موجوداً، فلكلِّ حقبةٍ زمنيَّة مِنْ عُمر الأرض نظاماً مِنَ التَّناسق خاصَّاً به وهذا مِنْ أبرز مظاهر وجود إلهٍ مدبِّرٍ حكيمٍ. ثانياً: إنْ كان مقصودهم تدرُّج الإنسان ذاته فهي مِنَ المسلَّماتِ عندهم فقط، فليست حجَّةً ولا إلزام فيها إلَّا عليهم.

4-3. حجَّتهم الثَّالثة: خفاء الحكمة في بعض مظاهر التَّناسق في هذا الكون، والجواب: أنَّ هذا الجهل لا يمكن أنْ يكون دليلاً على بطلان التَّدبير في الكون كلِّه، فالجهل في الشَّيء لا يعني عدم وجوده، بل يعني البحث عنه أكثر[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطي، ط8، 142-146

انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 251-255

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/162-167

انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 97

2 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ،187-190

وقد بيَّن رحمه الله تعالى الفرق بين دليل الحكمة والتَّناسق، والمعنى الحقيقيِّ للعلَّة الغائيَّة باعتبارها الغرض والغاية التي تقوم في الذِّهن ثمَّ يكون التَّوجُّه إلى تحقيقها، باتِّخاذ الوسائل الموصلة إليها. وهي سابقةٌ في الوجود الذِّهنيِّ على القيام بالأسباب، أمَّا في الوجود الخارجيِّ متأخرةٌ عنه؛ كالحاجة إلى الدِّفء تدفع الإنسان إلى معطفه، فالدِّفء هو العلَّة الغائيَّة، إذ هو الحامل على الفعل وهو الماثل في الذِّهن قبل الفعل.

كما نقل رحمه الله تعالى الإجماع على نفي العلَّة الغائيَّة بهذا المعنى الحقيقيِّ عن أفعال الله تعالى[1]، ومستند النَّفي أدلَّةٌ نقليَّةٌ وعقليَّة؛ منها؛ ثبوت صفة الإرادة والقدرة لله تعالى؛ فلو قيل إنَّ أفعال الله مرتبطةٌ بعلَّةٍ ما فبذلك يُنسب الإجبار والاحتياج لله تعالى، وكلاهما نقصٌ، وإثبات النَّقص في حقِّه تعالى كفرٌ؛ لأنَّه يناقض مقتضى الألوهيَّةِ. ويؤيِّد ذلك قوله تعالى:﴿هُوَ الذى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾البقرة:29/2، ويكون كلُّ شيءٍ بخلْقه تعالى إذا توجَّهت إليه قدرته ابتداءً لا بواسطةٍ أو سبب، وهذا ينفي العلَّة الغائيَّة في أفعاله تعالى، لأنَّها تجعلُ بين قدرة الله وبين المخلوقات أسباباً هي المؤثِّر المباشر.

---

1 اختلاف الماتريديَّة والأشاعرة كان مآله عنده رحمه الله إلى الاختلاف في أسلوب التَّعبير لا في الحقائق الإيمانيَّة، فالماتريديَّة قالوا أنَّ أفعاله تعالى معلَّلةٌ بالعلل لا على سبيل الوجوب بل على سبيل التَّفضُّل والإحسان منه عزَّ وجلَّ، أمَّا الأشاعرة قالوا أنَّ أفعاله تعالى لا تُعلَّل، فالفريقان ينزهان الله عن أنْ يحمله على الفعل قصدٌ إلى غايةٍ لا سبيل إليها عنده إلَّا بواسطة ذلك الفعل. أمَّا المعتزلة فأوجبوا في حقِّ الله تعليل أفعاله بالصَّالح مِنْ جهة، ولكنَّهم قرَّروا في نفس الوقت أنَّ القوة التي بها تؤثِّر العلل هي بخلق الله.
انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 145-146
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 121
انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 89

ويرى رحمه الله تعالى أنَّ نفي العبث عن الله تعالى لا يثبت له علَّةً غائيَّةً، بل يُثبِتُ حِكَماً ومصالح تأتي مترتِّبةً على أفعاله تعالى، وهذه الحكم هي بُنية دليل الحكمة والتَّناسق الذي يُثْبِتُ أنَّ للعالَم خالقاً مدبِّراً[1].

ومن هنا أجاب رحمه الله تعالى على سؤال: لماذا خلق اللهُ الإنسانَ؟ بقوله: إذا أريد بهذا السُّؤال البحث عن العلَّة، ثُمَّ عن علَّة العلَّة، ثُمَّ عن علَّة علَّة العلَّة، فسيستمرُّ التَّسلسل، وهذا وهمٌ كبيرٌ لِمَا ثبت مِنْ نفي الغايات عن أفعاله تعالى، وأوضح رحمه الله تعالى أنَّ الخطأ هنا ناتجٌ عن قياس الخالق على قوانين المخلوق، وقد أمر الله بالابتعاد عن هذا السُّؤال بقوله:﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾الأنبياء:23/21، إذن الجواب أنَّ الله تعالى خلق الإنسان لحكمة ومهمَّة ألا وهي عبادة الله تعالى وعِمارة الأرض[2].

المطلب الثَّالث: الفلسفات المعاصرة وأدلَّة وجود الله تعالى

أوَّلاً- الجدليَّةُ الدِّيالكتيَّة عند هيجل

1- عرض الفلسفة

يرى هيجل أنَّ وجود الشَّيء على الصَّعيد الخارجيِّ، إنَّما هو ثمرة الفكر، وليس الفكر عنده الأفكارَ المتناثرة في رؤوس النَّاس بل التَّدبيرَ الكليَّ للكون، فالفكر يُبدِع الشَّيءَ صورةً ومثالاً ثُمَّ يدفعه إلى الصَّعيد الخارجيِّ حقيقةً مطابقاً لذلك المثال، ويَظَلُّ الفكر يأخذُها ويردُّها ليُضِيفَ عليها التَّطويرات والتَّحسينات اللَّازمة، وهكذا دواليك. والمهمُّ في هذه الفلسفة أنَّ الفكر الكليَّ هو المصدر الأوَّل للوجود، وأشياء المادَّة انعكاسٌ عنه، فالكون عنده طرفان: الأوَّل فكرٌ كليٌّ مدبِّرٌ، والثَّاني مخلوقاتٌ كونيَّةٌ متفرِّعةٌ عنه[3].

---

1 انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 96، 98
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 147-148
2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/328-331
3 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 140-144
انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 19

2- مقابلة آراء الفلسفة بأدلَّة وجود الله تعالى التي أثبتها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله

2-1- لقد أثبْتَ الدُّكتور البوطيّ رحمه الله تعالى وجود الله تعالى بأربعة أدلَّة:

أوَّلُها: بطلان الرُّجحان بدون مرجِّحٍ، وهنا يظهرُ أنَّ فلسفة هيجل لا تنفي وجود المرجِّح بل يمكن اعتبار الفكر الكليِّ هو المرجِّح لكلِّ الموجودات.

أمَّا بطلان التَّسلسل فيظهر أيضاً أنَّ هيجل جعل الفكر الكليَّ مصدراً لكلِّ الأشياء الماديَّة فلا وجود لسلسلةٍ مِنَ العلل اللَّامتناهية كما هو الحال في التَّسلسل الباطل عقلاً.

وكذلك لا تحمِل فلسفتُه في طيَّاتها معنى الدَّورِ؛ إذ لمْ يُذكَرْ فيها أنَّ الفكر الكليَّ محتاجٌ للأشياء الماديَّة حتَّى يتمكَّن مِنْ إيجادها فلا اعتمادَ لكليهما على الآخر.

بقي الدَّليل الأخير وهو دليل العلَّة الغائيَّة: لمْ يتحدَّث عنه هيجل، ولمْ يَذْكُرْ ما يوافقُه أو يعارضُه فلسفيَّاً، إذن فلسفتُه لمْ تتعارضْ مع الأدلَّة العقليَّة السَّابقة بل وافقَتْها في معناها وروحها لا في مصطلحاتها.

2-2- بناءً على ما سبق يرى الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله أنَّ فلسفة هيجل هي فلسفةٌ إيمانيَّةٌ استخدم فيها هيجل مصطلحاته الخاصَّة في التَّعبير عنها، فقد قال رحمه الله: "**والفكر الكليُّ المدبِّر في فلسفته تعبيرٌ مِنْ وجهة نظره عن الله عزَّ وجلَّ، بالطَّريقة التي يفهمُه بها. فهو إذن مِنَ المؤمنين بالله، طِبقاً لتصوُّره الفلسفيِّ.**"[1].

ثانياً- الماديَّة الجدليَّة والتَّاريخيَّة

تُعدُّ الماديَّة الجدليَّة تطوُّراً عن جدليَّة هيجل، إلَّا أنَّ لها توجُّهاً مخالفاً تماماً عنها، وكذلك تُعتبر الماديَّة التَّاريخيَّة فرعاً عن الماديَّة الجدليَّة، ويختلفان في تحديد أصل الفكر وجذوره، فأصل الفكر عند الماديَّة الجدليَّة هو المادَّة، بينما عند الماديَّة التَّاريخيَّة هو وسيلة الإنتاج

1 المذاهب التّوحيديَّة والفلسفات المعاصرة/البوطي، 29

أو المنافع المادِّيَّة بين الجماعات[1]، ويتَّفقان فيما سوا ذلك مِنَ القوانينِ والمستلزماتِ، لذلك ستكون المقابلة مع أدلَّة وجود الله تعالى لكليهما معاً في هذه الفِقرة.

1- عرض الفلسفة

1-1- المادَّة هي الأصل والفكر ثمرةٌ عنها، وقد عكسوا بذلك فلسفة هيجل تماماً، وقد نقل رحمه الله تعالى عنهم قولهم "**إنَّ هيجل وضع الدِّيالكتيك، ولكنْ على رأسِه، فجاءتْ الماركسيَّة وأقامتْه منتصباً على قَدَمَيه!**."[2].

1-2- الفكر عندهم ليس الفكرَ الكليَّ المطلق، بل الأفكارَ الجزئيَّةَ التي يتمتَّع بها آحاد النَّاس.

1-3- سرُّ تطوُّر الكون والموجودات المختلفة يتمُّ ضمن المادَّة ذاتِها بدءًا مِنْ أدقِّ جزئيِّاتها إلى أشيائها المتباينة، مِنْ دون الحاجة إلى أيِّ عاملٍ خارجيٍّ مِنْ فكرٍ وغيره، وهو تطوُّرٌ مستمرٌّ يسير باتجاهٍ دائريٍّ؛ أيْ يرتدُّ على نفسه، ولكنْ لا على معنى أنَّه يتكرَّر بحركةٍ دائريَّةٍ ضمن مستوى لا يتبدَّل، بل هو سيرٌ لولبيٌّ يكرِّرُ الدَّائرةَ ذاتَها كلَّ مرَّةٍ، ولكنْ على صعيدٍ أعلى مِنْ سابقه.

1-4- قوانينُها التي قامت عليها ثلاثة: قانون تحوُّل الكمِّ إلى كيف، قانون وحدة الأضداد وصراعها، قانون نفي النَّفيِّ. ولها مستلزماتٌ أربعة: المادَّة هي أساس الوجود، ملازمةُ المادَّة للحركة، سرمديَّة العالم، الوعي والفكر مِنْ ثمرة المادَّة، بين السَّبب والمُسَبَّبِ تفاعلٌ مستمرٌّ[3].

---

1 انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 47
انظر المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والإسلام/البوطيّ، 12

2 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 145
انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 30

3 انظر المرجع السابق، 34-46
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 103-108

2- مقابلة آراء الفلسفة بأدلَّة وجود الله تعالى التي أثبتها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله

2-1- لقد قدَّم الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله نقداً مفصَّلاً لقوانِين هذه الفلسفة ومستلزماتِها ليس هنا مكان تفصيله[1]، بل سيقتصر البحث هنا على مقابلة القوانين والمستلزمات التي تتحدَّث عن وجود الله فقط، بينما يؤجَّل الحديث عن باقي القوانينِ والمستلزماتِ مِنْ سرمديَّة العالَم، وعلاقةِ الأسبابِ بالمُسَبَّبَات، إلى مكانه المخصَّص مِنْ هذا البحث.

2-2- أمَّا الأدلَّةُ الأربعةُ على وجود الله ومواقف المادِّيَّة الجدليَّة منها، فهي كما يلي:

دليل بطلان الرُّجحان بدون مرجِّحٍ: إنَّ الفلسفة الجدليَّة تذهَبُ إلى القول بأنَّ المادَّة أوجدَتْ نفسَها بنفسِها مِنْ خلال الحركة الدِّيالكتيَّة في مضمونها، وهو باطلٌ عقلاً فبَطُلَ ما يلزم عنه.

أمَّا دليل بطلان الدَّور: فيُبطلُ مقولتَهم أيضاً لأنَّ وجود المادَّة الأُوْلَى عندهم متوقِّفٌ على وجودها، فهي مَنْ أوجدَتْ نفسَها، فوجودُها متوقِّفٌ على وجودها، وهذا باطلٌ عقلاً.

وكذلك دليل بطلان التَّسلسل: فنجد أنَّهم جعلوا المادَّة سرمديَّةً، وتوَصَّلُوا مِنْ خلال ذلك إلى أنَّ العالم قديمٌ وأزليٌّ، محاوَلَةً منهم لعدم تعارض فلسفتهم مع هذا القانون، إلَّا أنَّ محاوَلَتَهم تلك لمْ تنجحْ لأنَّ المادَّة ليسَتْ سرمديَّةً بل حادثةً، وأبسط دليلٍ هو المُشَاهَدُ مِنْ أنَّ لكلِّ مادةٍ نهاية، فلا بدَّ ولها بداية، ولا بدَّ لها مِنْ مُوْجِد.

أخيراً دليل العلَّة الغائيَّة: وقدْ أثبَتَ الدُّكتور البوطيّ رحمه الله في كتابه نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة أنَّهم أنكروا هذا الدَّليل جملةً وتفصيلاً فقال: "**بَقِيَ أنْ نُنَاقِشَ إنكار**

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص96-104

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 103-176

الماديِّيين لظاهرة (العلَّة الغائيَّة) في الكون، فقد علمْتَ أنَّهم يرون أنَّه لا مسوِّغ لتخيُّلِهَا في عالَمٍ كلُّ ما فيه هو الطَّبيعةُ والماديَّة!"[1].

إذن الماديَّة الجدليَّة عارَضَتْ كلَّ الأدلَّةِ العقليَّةِ البدهيَّةِ على وجود الله، وكلُّ حكمٍ خالفَ قوانينَ العقل فهو باطلٍ، وبذلك تَبْطُلُ هذه الفلسفة واستدلالاتُها كافَّة.

2-3- لذلك قال الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله ببطلان هذه الفلسفة كاملةً؛ فمِنْ المستلزماتِ الأساسيَّةِ لهذه الفلسفة الإلحاد ونفي وجود مكوِّنٍ لهذا الكون، وقال في بيان ذلك: "**فقد تجلَّى لك مِنْ بين هذا الأصل للماديَّة الماركسيَّة، وجوه الفرق بينها وبين جدليَّة هيجل، فنظريُّة هيجل لا تستبطن إلحاداً، كما قد رأيت. أمَّا الجدليَّةُ الماركسيَّةُ، فإنَّها تنهض على تأليه المادَّة وحدَها. فهي تُنكِرُ وجودَ الخالق عزَّ وجلَّ، وتكفي نفسها مشكلةَ أعظمِ برهانَين على وجوده أَلَا وهما الرُّوح والفكر، عندما تقرِّرُ أنَّ كُلاً مِنَ الرُّوح والفكر أثرٌ مِنْ آثار التَّطوُّر الجدليِّ للمادَّة.**"[2]

ثالثاً- الفلسفة الوجوديَّة

1-عرض الفلسفة

تهتَمُّ هذه الفلسفة بالوجود الإنسانيِّ وحريَّتِه واختيارِه، وتقوم على مبدأ واحدٍ وهو عدم وجود الله[3]، وذلك مِنْ خلال مجموعةِ قواعدَ[4]، وسيقتصر البحث هنا على ذكر ما يتعلَّق بوجود الله فقط وهي ثلاث قواعد:

---

1 نقض أوهام المادية الجدلية/البوطي، ص185

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 135

2 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 147

3 انظر المرجع السابق، 238

4 انظر عرض هذه الفلسفة كاملة ونقدها المرجع السّابق، 234-294

1-1- لا يطمئنُّونَ إلى معنى وجود الآخرين، ولا يستريحون إلى العلاقات معهم، فهم لا يُحيلون الوجودَ والعلاقةَ بين المخلوقات إلى أيِّ حكمة، فلا مدبِّر حكيمَ لهذا الكون[1].

1-2- تمَّ تقسيمهم بناءً على ذلك إلى فريقين؛ الوجوديَّة الملحدة (الأحرار): وهم الذين يعتبرون أنَّ الإنسان أوجد نفسَه بنفسِه، والقدسيَّة لحريَّته المطلقة واختياراته، فهي التي حرَّكت إمكانياته فنقلَتْها مِنَ العدم إلى الوجود أصلاً وبدءًا بدون تدخُّلٍ مِنْ أيِّ إله. والفريق الثَّاني الوجوديَّة الدِّينيَّة (المقيَّدة): وهي التي ترى أنَّ وجود الإنسان في نوعه الكليِّ إنَّما يعني الله بطريقةٍ ما، ولعلَّ غالبيتَهم مِنَ الفريق الأوَّل[2].

1-3- فالفريق الثَّاني يقول: إنَّ الإنسان في أوَّل عهده بالحياة يكون عبارةً عن مجموعة إمكانيَّاتٍ وقدراتٍ كامنةٍ في ذاتها، ومنطويةٍ على نفسها، وإنَّما يتوقَّف انطلاقها إلى حيِّز الواقع على إقباله هو إليها ليستعملَها ويستفيدَ منها باختياره وحريَّته، فوجود الإنسان عندهم قبل ماهيته، فالإنسان هو الذي يحقِّقُ ذاتَه ويبني ماهيتَه وفق ما يختارُه مِنْ إمكانياتٍ وقدرات، مِنْ دون الخضوع لأيِّ سلطانٍ مِنَ القيم والأخلاق، والحكم في هذا الكون بحسب رغبته وغرائزه ومشاعره، أيْ أنَّ وجودَه يسبِقُ ماهيته.

2. مقابلة آراء الفلسفة بأدلَّة وجود الله تعالى التي أثبتها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله

2-1- يقول الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله بعد عرضه لهذه الفلسفة: هم جعلوا وجود الإنسان قبل ماهيته، ورغم أنَّ ذلك لا يصِّحُّ حسب قوانين المنطق -إلَّا إنْ فرضنا ذلك جدلاً- فكيف لإنسانٍ بلا ماهيَّةٍ أنْ يُوجِدَ ذاتَه؟ وهو في تلك الحال أعجَزُ مِنْ أنْ يحقِّقَ لنفسه شيئاً فضلاً عن أنْ يُحقِّقَ ماهيتَه ويوجد ذاته، وقولهم ذلك يُدْخِلَهم في معنى الدَّور المحض الذي يتحدَّثُ عنه المناطقة والفلاسفة[3].

---

1 انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 239

2 انظر المرجع السّابق، 240

3 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 246

2-2- أمَّا عن حريَّة الإنسان فالواقع المُشاهَدُ خلاف ذلك، فالإنسان في قبضة النَّواميس والنُّظم الكونيَّة الرَّاسخة التي لا مفرَّ منها ويستوي في ذلك المؤمنون بالله، والجاحدون به، فهو الواقع الذي لا مناص مِنَ اليقين به[1].

2-3- إذن تحدَّث رحمه الله عن معارضة هذه الفلسفة لدليل بطلان الدَّور، وبقي مِنْ أدلَّة وجود الله ثلاثة:

أوَّلها: بطلان الرُّجحان بدون مرجِّحٍ: ولقد تمكَّنوا مِنْ نفي التَّعارض بين هذا الدَّليل وأقوالهم، وذلك بأنْ نسبُوا وجود الإنسان إلى نفسه، فهو مَنْ أوجد نفسَه.

إلَّا أنَّهم وقعوا في معارضةٍ أقوى لدليليِّ الدَّور والتَّسلسل: فينبغي أنْ يكونَ مَنْ يُوجِدُ الإنسانَ قديماً أزليَّاً، وإلَّا احتاج كلُّ معلولٍ إلى علَّةٍ قبله وهكذا إلى ما لا نهاية، وبالتَّالي يلزمهم ذلك بأنْ يقولوا بِقِدَم الإنسان وأزليَّته، وقد ثبت بطلان ذلك بالأدلَّة العقليَّة، وأقواها الواقع المُشاهد بأنَّ الإنسان فانٍ وله نهاية، وكلُّ ما له نهاية له بداية حتماً كما يفرض ذلك العقل السَّليم.

أمَّا الدَّليل الأخير على وجود الله: دليل العلَّة الغائيَّة؛ فقد أنكروه صراحةً عندما نَفَوا وجود حكمةٍ في هذا الكون.

2-4- والنَّتيجة لكلِّ ما سبق أنَّ الفلسفة الوجوديَّة عارَضَتْ أدلَّةَ ثبوتِ وجود الله تعالى الأربعة، وهي أدلَّةٌ عقليَّةٌ بدهيَّةٌ، وكلُّ ما خالفها باطلٌ عقلاً، وبذلك يثبت بطلان هذه الفلسفة أيضاً.

---

1 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 254

ملاحظات ختامية.

1-اقتصر هذا المطلب على ذكر القوانين التي اعتمدتها الفلسفات بما يتعلَّق بإثبات وجود الله، أمَّا ما يخص الفلسفة كاملةً ونقدِها؛ فقد نال مِنْ فكره رحمه الله اهتماماً كبيراً، تحتاج إلى دراسةٍ متخصِّصة، وليس هذا البحث مكاناً لها.

2-بعد ما تمَّ عرضُه عن وجود الله مِنْ أدلَّةٍ ونقاش، لا بدَّ مِنَ التَّأكيد على ميزة منهجه رحمه الله؛ ألَا وهي الجمع بين تزكية النَّفس والبحث العلميِّ، ويتجلَّى ذلك مِنْ خلال ذكره لطبقات النَّاس الثَّلاث في إثبات وجود الله في كتابه شرح الحكم العطائيَّة وهي:

- العلماء **الرَّبانيُّون**؛ الذين تحرَّروا مِنْ سجن الكون، وتعرَّفوا على المَوجود الذَّاتي أوَّلاً، ثُمَّ أثبتوا وجود الفرع (الكون) بإثبات وجود أصله، وهو الله، وهذا اليقين هو كرمٌ مِنَ الله لهم.

- **العوامُّ** بالنِّسبة للعلماء الرَّبانيين؛ الذين بدأوا النَّظر في هذا الكون، وظنُّوا له وجوداً ذاتيَّاً، فأشكلَ ذلك في عقولهم، وبعد أنْ استعانوا بالمحاكمات العقليَّة اهتَدَوا إلى أنَّ الله هو مُوجِدُ هذا الكون، وأنَّ وجودَه هو الوجود الذَّاتيُّ فقط، وهذه الفئة في خيرٍ.

- **الملحدون**[1]؛ الذين لمْ يهتدُوا بعقولهم ولا بقلوبهم إلى وجود الله، وهذه فئةٌ إمَّا عطَّلَتْ عقلَها عن منهجِ البحث العلميِّ الموضوعيِّ، أو رانَ على قلبها، فنسأل الله لهم الهداية[2].

3- إجابةٌ عن سؤال: لماذا لا يَذْكُر القرآنُ بكثرةٍ أدلَّة وجود الله، وإنَّما يُقَرِّرُ وَحدانيَّته وينبِّه العقول إلى الأدلَّة المختلفة على ذلك؟ والسَّبب الذي اختاره رحمه الله تعالى: أنَّ وجود الله تعالى أمرٌ مفروغٌ منه، وإنكار وجوده لا يتصوَّره عقل، وهذا المعنى الذي أراد القرآن أنْ يوحي به مِنْ خلال عدم عرض الاستدلال على أصل وجود الخالق إلَّا في آياتٍ قليلة.

إذن الحديث عن أدلَّة وجود الله تعالى لم يُعرَف إلَّا في القرون الأخيرة، أمَّا سابقاً فالحديث كان يدور حول تفسير هذا الخالق أو توهُّم تعدُّده ووجود شركاء له[1].

---

1 هم الذين ينكرون الدّين عموماً، سواء كان ذلك بإنكار الإله في الفكر اليوناني أو بإنكار الإله اللّامتناهي عند الفكر الغربي أو في إنكار النّبوَّة وبالتّالي إنكار الدّين في الفكر العربي. انظر من تاريخ الإلحاد في الإسلام/البدوي، المقدمة. ويرى الدُّكتور توفيق البوطي أنَّ الإلحاد وإنكار وجود الله: تخلُّفٌ عقليٌّ ومكابرةٌ وجمودٌ في التَّفكير.

2 انظر 2/25-28

المبحث الثَّاني: صفات الله تعالى

لقد تبيَّن في الحديث عن حكم الاشتغال بعلم الكلام أنَّ للدُّكتور البوطيِّ رحمه الله ضوابطَ خاصَّة للاشتغال به، أهمُّها الوصولُ به إلى ردِّ شبهةٍ موجودةٍ في العصر الذي يتحدَّث به عالِم الكلام؛ ويؤدِّي الإيمان بتلك الشُّبهة إلى الكفر.

بناءً على ما سبق ابتعد رحمه الله عن الخوض في مسألة حقيقة الصِّفات الإلهيَّة، وهل هي عين الذَّات أمْ غيرها، واكتفى باتِّباع مذهب جمهور المسلمين، ويتجلَّى ذلك في قوله: "**وقد التزمْتُ الأمور التَّالية في كتابة هذه البحوث: أوَّلاً: الابتعاد عن الخوض في حقيقة الصِّفات الإلهيَّة وتحليلها وهل هي عين الذَّات أمْ غيرها، وما يترتَّب على كلٍّ منهما، مكتفياً باتِّباع مذهب جمهور المسلمين في ذلك. إذ يسع المسلم العاقل أنْ لا يفكِّر في ذلك أصلاً وأنْ لا يلتزم إلَّا ما نسبه الله إلى نفسه مِنْ صفات الكمال، على أنَّه لا توجد ثَّمة أيُّ شبهة في الإيمان بالله يتوقَّف ردُّها على الخوض في هذا البحث الذي لا طائل فيه.**"[2].

واستدلَّ على منهجه هذا بما أُنزِل على المشركين عندما طلبوا مِنَ النَّبيِّ ﷺ أنْ ينسِبَ لهم ربَّه، فكان الجواب: أنْ أَنزل الله تعالى سورة الإخلاص، فقد كان سؤالهم عن الذَّات فجاء الجواب عن الصِّفات[3]

---

1 مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 163-164

2 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص26

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 335/5

المطلب الأوَّل: أحكامٌ عامةٌ عن الصِّفات

أوَّلاً. الألفاظ التي يجوز استخدامها في وصف الله تعالى

أجاز الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله استخدام الألفاظ والمفردات الوارِدَة في تعابير القرآن والسُّنَّة لوصف الله بها، وإنْ زادَتْ عن الصِّفات العشرين التي أثبتها علماء العقيدة تفصيلاً لله، وهو يوافق بذلك أهل السُّنَّة والجماعة،[1] وقاعدته في ذلك؛ وُرُوْدُ النَّص بالصِّفة وليس قبول العقل لها، ولمْ يفرِّقْ في ذلك بين صفات الذَّات كالعلم والقدرة، وصفات الأفعال كالخير والرِّزق.

فقد قال: "**مِنَ المعلوم أنَّ لله صفات...منها ما تجدُه في أسماء الله الحسنى...ومنها ما تقرأُ التَّعبير عنه في القرآن، كقوله تعالى:**﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾**الرّحمن:31/55،...وكقوله تعالى:**﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَان﴾ **الرّحمن:60/55**"[2] فيصح القول أنَّ الله محسنٌ، فهي نتيجةٌ للإحسان الوارد في الآيات.

وممَّا يؤكِّد ذلك جوابه لمَنْ سأله مستفتياً على موقع نسيم الشَّام[3]: "**قولك خُصَّني..اكْلأني..متِّعني.. جائز، أمَّا قولك (رأيتُك متربِّعاً في..) فغير جائز، لأنَّك تَنْسِبُ إلى الله بذلك وصفاً لم ينسبْه إلى ذاته**"[4].

ومِنْ ذلك قوله و بحزمٍ صارمٍ، جواباً لمَنْ سأله: هل يصِحُّ القولُ بأنَّ الله موجودٌ معنا في كل مكان؟: "**هل قال الله في القرآن: إنَّ الله موجودٌ في كل مكان؟ أنت تعلم أنَّه لم يقل ذلك. فلماذا تَنْسِبُ إليه اختراعاً مِنْ عندك ما لم يقلْه هو عن ذاته. قال:**﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾**الحديد: 4/57، وقال:**﴿وَهُوَ الذى فِى السّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ

---

1 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 45

2 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/1-8

3 https//www.naseemalsham.com

4 استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 11

إِلَهٌ﴾**الزّخرف:84/43، وقال:**﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾**الملك:16/67، بوسعك أنْ تصف الله بهذا الذي وصف به ذاته."**[1].

ثانياً. صفات الله تعالى أزليَّةٌ، وغيرُ مكتسبة

يقرِّر رحمه الله أنَّ الصِّفات أزليَّةٌ قائمةٌ في ذاته تعالى، فالصِّفة لا وجود لها إلَّا بوجود الموصوف، فعلمه أزليٌّ وقدرته أزليَّة، أيْ خارجةٌ عن حدود الزَّمان.

والقدرة ثابتةٌ لله بالمعنى الصَّلوحيِّ[2] قبل إيجاد المكوَّنات، وبالمعنى التَّنجيزيِّ[3] بعد إيجادها، ويصِحُّ القول إنَّ المعنى الصَّلوحيَّ أزليٌّ والمعنى التَّنجيزيَّ حادثٌ[4].

وقد اعتمد هذا البحث على التَّصنيف المعهودِ لصفات الذَّات في كتب العقيدة فالبداية بالصِّفة النَّفسيَّة ثُمَّ السَّلبيَّة ثُمَّ المعاني والمعنويَّة، وبما أنَّ ذِكْرُ الصِّفة النَّفسيَّة تمَّ في المبحث السَّابق فسيبدأ المطلب التَّالي بالصِّفات السَّلبيَّة.

---

1 استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 16

2 أي أنَّ لكل من هذه الصِّفات معنى ذاتياً قائماً بذاته تعالى هو قابليته المحضة للإرادة والعلم والسّمع وغيرها، لو كشف الغطاء عنا لرأيناه، بقطع النّظر عن وجود متعلقات هذه الصِّفات، وهي بهذا المعنى صفات قائمة بذات الله قديمة قِدَم ذاته. انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 68

3 انظر المرجع السّابق، 68

4 انظر المرجع السّابق، 20، 26، 61

المطلب الثَّاني: الصِّفات السَّلبيَّة

أوَّلاً. مفهوم الصِّفات السَّلبيَّة وأدلَّتُها

أثبت الدُّكتور البوطيُّ جميع صفات الكمال للذَّات الإلهيَّة، معتمداً في ذلك على اللُّزوم البيِّن بالمعنى الأخصِّ[1] ولأنَّ المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان معاً؛ فتُنفى عن الذَّات الإلهيَّة جميع صفات النَّقص، فعند ثبوت الكمال يُرفع النَّقص لزوماً، والعكس صحيح.

وقد اتَّبع الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله المنهج المتعارف عليه مِنَ الاكتفاء بذكر الصِّفات الخمس السَّلبيَّة، والتي سمَّاها رحمه الله بأمَّهات الصِّفات؛ لأنَّها تنفي كلَّ النَّقائصِ مهما كَثُرَتْ أشكالُها وأنواعُها، وهي بالتَّرتيب كما ذكرها في كتابه كبرى اليقينيَّات:

1- الوَحدانيَّة[2]: أيْ أنَّه تعالى واحدٌ ليس مركباً مِنْ أجزاء، ولا مكوَّناً مِنْ جُزْئِيَّات، فليس له عِلْمَان أو قدرتان، بحيث تُتَمِّمَان بعضَهما، فهذا هو نفي الأجزاء، وليس لغيره علمٌ كعلمه، أو قدرةٌ كقدرته، فهذا نفي الجزئيَّات.

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾الإخلاص:1/112

الدَّليل العقليُّ:

1-1- لو صحَّ أنَّه تعالى كلٌّ مركبٌ مِنْ أجزاء، لاستلزم ذلك أنْ يكون عاجزاً بنفسه محتاجاً لغيره، وأشبه بذلك الحوادث وهو باطلٌ

1-2- لو صحَّ أنَّه تعالى كليٌّ مكوَّنٌ مِنْ أفرادٍ، لأمكن أنْ يقوم تمانعٌ في الإرادة والخلق! فقد يريد أحدُهما الخلق والثَّاني الإعدام، وتَحَقُّقُ المرادين محالٌ لاجتماعِ المتناقضين، وتَحَقُّقُ أحدِهما دون الآخر إثباتُ عجزٍ ونقصٍ للآخر، وهذا ينفي الألوهيَّةَ عن العاجزِ منهما، ومِنْ ذلك قوله تعالى:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء:22/21.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص87

2 انظر المرجع السَّابق، ص111

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ،56

انظر استفتاءات النَّاس/موقع نسيم الشَّام،64

2- القِدَم: أيْ "**الكينونة التي لا أوَّل لها**"[1] أمَّا المتعارف أنَّه تطاولُ الأمدِ، فغير مقصودٍ هنا، وكلُّ ما عدا الله له بداية فهو حادث[2].

الدَّليل النَّقليُّ:

2-1- قوله تعالى:﴿هُوَ الأوَّل وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾الحديد3/57 فالأوَّل الذي لا شيء قبله.

2-2- وقولهﷺ:"كانَ الله ولمْ يكنْ شيءٌ غيرَه"[3]

2-3- "**وإذا ثبت أنَّ الله كان موجوداً ولم يكن شيءٌ غيره، فإنَّ ذلك يستلزم أنْ كان الله موجوداً ولا شيء قبله مِنْ باب أَوْلَى**"[4]

الدَّليل العقليُّ:

بطلان التَّسلسل، فالموجودات كلُّها لا بدَّ وأنْ تكون مستندةً في وجودها إلى ذاتٍ واجبة الوجود؛ ولا تكون واجبة الوجود إلَّا إذا كانتْ مُؤَثِّرَةً في غيرها غيرُ متأثِّرةٍ بغيرها، وذلك يستلزم اتِّصافها بالقِدَم[5].

4-البقاء[6]: أيْ أنَّ الوجود الإلهيَّ لا نهاية له، فلا يلحق العدم بذاته تعالى.

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى:﴿هُوَ الأوَّل وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾الحديد 3/57 فالآخر الذي لا شيء بعده.

الدَّليل العقليُّ: كما لا يمكن تصوُّر وجود مُؤَثِّرٍ لواجب الوجود بالإيجاد، لا يمكن تَصَوُّرُ وجود مؤثرٍ له بالإعدام، وإلَّا لانتفى عنه الوجود الذَّاتيُّ واحتاج لموجد، واحتاج موجدُه إلى موجِد وهكذا، وقد أُثبِتَ بطلان التَّسلسل.

---

1 انظر الحكم العطائية شرح وتحليل/البوطيّ، 235/1

2 انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116

3 صحيح البخاري كتاب بدء الخلق/ما جاء في قوله تعالى "وهو يبدأ الخلق ثم يعيده" الرّوم/27، الحديث3191.

4 الحكم العطائية شرح وتحليل/البوطيّ، 235/1

5 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص113

6 انظر المرجع السابق، ص113

4- القيام بالنَّفس[1]: أيْ أنَّ الله غير محتاجٍ إلى محلٍّ أو مُخَصِّصٍ، ولا يحتاج إلى جهدٍ لاكتساب المنفعة فهو غنيٌّ عن المنفعة وعن الجهد.

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى:﴿الله الصَّمَدُ﴾الإخلاص:2/112

الدَّليل العقليُّ: أنَّ الله كان قبل وجود أيِّ شيءٍ، إذاً هو غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ، فعندما ثبت لله القِدَم ثبت له القيام بالنَّفس.

5-مخالفة الحوادث[2]: أيْ عدم مماثلته تعالى للمخلوقات الحادثة، فكلُّ ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، فليس له شبيهٌ ولا نظيرٌ ولا يتحيَّز في مكانٍ ولا يحويه زمانٌ وليس جسماً أو شيئاً ممَّا يدخل في سلطان الحواس.

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشّورى:11/42.

الدَّليل العقليُّ: اللُّزوم البيِّن بالمعنى الأخصِّ، فالألوهيَّة تقتضي الكمال والتَّنزُّه عن سائر النَّقائص، ومِنْ أبرز مظاهر النَّقص ما يكون للحوادث مِنَ الصِّفات التي هي في الحقيقة ليست إلَّا نتيجةَ حدوثها وحاجتها إلى الموجِد والمخصِّص.

مما سبق يتضح منهجه رحمه الله تعالى في إثبات الصفات حيث استخدم الدليل النقلي اليقيني؛ المتمثل هنا بالآيات القرآنية وهي قطيعة الورود وقطعية الدلالة، ثم أضاف الأدلة العقلية ليؤكد إثبات هذه الصفات؛ فاستخدم دليل التلازم، وبيانه أن نفي الصفات السلبية عن الله تعالى يستلزم أحد أمرين؛ الأول: إثبات النقص لله تعالى وهو محال لاجتماع النقيضين، الثاني: مخالفة صريحة لقوانين العقل البدهية كبطلان التسلسل.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص115
انظر الحكم العطائية شرح وتحليل/البوطيّ، 415/5
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 56

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص117
انظر وهذه مشكلاتنا، البوطيّ، 45
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116

ثانياً- مسائل وبيانها.

لقد أورد الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله عدَّة مسائل تتعلَّق بالصِّفات السَّلبيَّة، وسيكتفي هذا المطلب بتعدادها فقط، والتَّوقُّفِ عند بعضها، وما عدا ذلك الرَّدُّ عليه مفصَّلاً في بابه.

المسائل:

1- عدم قدرة العقل على تخيُّل وتصوُّر بعض الصِّفات السَّلبيَّة في حقِّ الله تعالى.
2- الصِّفات المشتركة بين الله تعالى والإنسان.
3- هل من اشتراك بين بقاء الله وبقاء (خلود) الإنسان في الجنَّة والنَّار؟ وهل يتعارض ذلك مع صفة الوَحدانيَّة؟
4- فاعليَّة الأسباب في الكون ووَحدانيَّة الله تعالى.
5- القِدَم النَّوعيُّ.
6- الجهة والمكان في حقِّ الله تعالى.

المسألة الأُوْلَى: عدم قدرة العقل على تخيُّل بعض الصِّفات السَّلبيَّة في حقِّ الله تعالى.

صورة المسألة: الإنسان يدرك مِنْ هذا العالَم بواسطة حواسِّه كلَّ ما يُمكنُ أنْ يكونَ له تصوُّرٌ حسيٌّ، ويغيب عن إدراكه كلُّ ما لا يُدرك بالحواسِّ، وبالتَّالي يستحيل عليه إدراك ما لم يسبِقْ له نموذجٌ أو مقياسٌ، أيْ تصوُّرٌ ذهنيٌّ حسِّيٌّ مسبَق.

لذلك مِنَ السَّهل أنْ يتخيَّل العقل صفات الرَّحمة والعقاب والثَّواب في ذات الله، لوجود نموذجٍ مسبقٍ لها، وإنْ كانت هذه الصِّفات مختلفةٌ في ذات الله عن ذات المخلوقات.

أمَّا عندما يتَّصف الله بأنَّه لا يحدُّه زمانٌ ولا مكانٌ، أو أنَّه قديمٌ وباقٍ بدون بدايةٍ ونهايةٍ، يصعُب على العقل تخيُّله وتصوُّره؛ ذلك لعدم وجود نموذجٍ مسبقٍ لتصوُّرٍ ذهنيٍّ حسيٍّ لهذا المعنى، ولكنَّ السَّؤال هنا: هل عدم قدرة العقل على تصوُّر ذلك يعني عدم وجوده؟

وهنا يستخدم رحمه الله تعالى الدَّليل العقليَّ القائم على القاعدة التَّالية: عدم وجدان الشَّيء لا يعني عدم وجوده، فإدراك الإنسان مبنيٌّ على الحواسِّ، والحواسُّ بطبعها محدودة، فهل يمكن الحكم على هذا الخارج عن نطاق محدوديَّة الحواسِّ أنَّه غير موجود؟ العقل لا يحكم بعدم وجوده، فكثير مِنَ الأمور لمْ يُنكرِ العقل وجودَها لكنَّه لم يدرك حقيقتها[1].

وينوِّه هنا الدُّكتور البوطيّ رحمه الله إلى أنَّ وجود الحَيْرَة أمرٌ طبيعيٌ، بل هو مَكْمَنُ التَّكليف بالإيمان بالغيب حيث قال:

وليس شيئاً كثيراً في حقِّك أنْ تبلُغ الحَيرَة بك في تصوُّر الذَّات الإلهيَّة مبلغَ حَيرتَك في عقلك وروحك والطَّاقة التي جعلها الله سرَّاً يقوم عليه وجودُ أكثرِ ما تراه حولك مِنَ الموجودات، فأين هو مكان العقل أو الرُّوح في جسمك؟ وأين هو مستقرُّ الحياة مِنَ الأشياء الحيَّة وما هي حقيقتها؟ لا تعلم، ولا أحد يعلم الجواب، على الرغم مِنْ تيَقُّنِ الجميع بوجود العقل والرُّوح والحياة.

إنَّ الحَيْرَة أمام هذه الأمور ضرورةٌ ناتجةٌ عن كون العقل محدوداً بالحدود التي أرادها له الخالق جلَّ جلاله، وكيف لا يَحَار المخلوق لدى محاولة تحليل خالقه وتصوُّره؟! مِنْ أجل هذا كانت الحَيْرَة –بعد الإيمان به وبصفاته سبحانه وتعالى– أعلى مراتب الإيمان، فحسبك أنْ تتيقَّن بوجوده ثمَّ تَحارَ في فهمه وتصوُّره. وتلك هي حقيقة (الإيمان بالغيب) الذي أمر الله به عباده. إذ هو أنْ يؤمنوا بما غاب عن محسوساتهم وعن عقولهم مِنْ حيث التَّحديد والتَّكييف لهذا الغيب[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص114–115

2 المرجع السَّابق، ط8، ص116–117

المسألة الثَّانية: الصِّفات المشتركة من حيث الاسم بين الله تعالى والإنسان.

صورة المسألة: لقد ثَبَتَتْ لله صفة مخالفة الحوادث؛ ولكنْ يجد النَّاظر أنَّ هناك الكثير مِنَ الصِّفات المشتركة مِنْ حيث الاسم بين الله تعالى والإنسان؛ كالعلم والرَّحمة وغيرها!

لقد ميَّز الدُّكتور البوطيّ رحمه الله تعالى في بيان ذلك بين نوعين مِنَ الصِّفات؛ صفاتٌ هي بالأصل ناتجةٌ عن كون الإنسان مخلوقاً وحادثاً مثل التَّحيُّز في المكان والزَّمان، وعوارضُ العجز والضَّعف كالنَّوم والأكل.

وصفاتٌ هي في الأصل مِنْ صفات الألوهيَّة، ولكنَّ الله أعطى للإنسان قدراتٍ بسيطةً منها ليُحَقِّقَ مُهِمَّتَه التي كلَّفه الله بها مِنْ عِمارة الأرض حيث قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾البقرة:30/2[1]، واتِّصاف الإنسان بالنَّوع الثَّاني مِنَ الصِّفات بالقدر اليسير لا يعني اعتباره شريكاً مع الله فيها، ولبيان ذلك استخدم رحمه الله تعالى دليلين:

الأوَّل عقليٌّ؛ وهو أصلٌ ثبت في الفقرات السَّابقة ومضمونه: أنَّ هذه الصفاتِ ذاتيَّةٌ بالنِّسبة لله، مكتسبةٌ للإنسان.

والثَّاني يعتمد على قواعد اللُّغة وهو ما يُسمَّى بالمشترك اللَّفظي؛ فاللفظ مشتركٌ بين الله تعالى وعباده إلَّا أنَّ معنى اللَّفظ مختلفٌ؛ فماهِيَة الصِّفات وحقيقتِها عند الله تعالى مغايرٌ تماماً لماهيتها عند الإنسان، وإنَّما الاشتراك في الاسم فقط، فلا تَصِحُّ المقارنةُ

---

1 وسمَّى تعالى هذه الصِّفات بالأمانة حين قال:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾الأحزاب:72/33. وسبب تسميتها بالأمانة أنَّها تُستَخدم في سبيلي الخير والشَّر، إنْ أيقن الإنسان أنَّها هبةٌ مِنَ الله وضَبَطَها بضوابطِ شرْعِهِ فهذا الوجه الخيِّر المشرق، أمَّا إنْ ظنَّ أنَّه بهذه الصِّفات امتلك شيئاً مِنَ الشَّراكة مع الله بالألوهيَّة، فَعَتَى وطَغَى فيها، فذلك الوجه الآخر، وليعمَّ الوجهُ المشرق؛ أنزل الله الرُّسل ومعهم العقيدة ليوضِّح طريق الضَّبط لهذه الصِّفات وتحقيق الأمانة المطلوبة. انظر من روائع القرآن/البوطيّ، 225

أصلاً بين علم الله أو قوَّته وعلم الإنسان وقوَّته، فتصوُّر المقارنة خاطئٌ هنا، لاسيَّما أنَّ أحدهما مصدرٌ للآخر، فكيف تَثْبُتُ الشِّركة بين الحقيقة وظلِّها![1].

المسألة الثَّالثة: الاشتراك بين بقاء الله تعالى وبقاء الإنسان في الجنَّة والنَّار؛ وصفة الوَحدانيَّة.

نصُّ المسألة كما أوردها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله تعالى:

يقول قائلهم: القرآن يتحدَّث كثيراً عن وَحدانيَّة الله وأنَّه منفردٌ في ذاته وصفاته، وأنَّه لا يشبهه أحد، ولا يشترك معه أحدٌ في صفات ربوبيَّته ومنها البقاء والخلود. ولكنَّه يقرِّر صفة الدَّيمومة (الخلود) للنَّاس أيضاً يوم القيامة بمَنْ فيهم الكافرون والمؤمنون، فهل هذا إلا تناقضٌ صارخٌ يقرؤه النَّاس جميعاً في القرآن. ثُمَّ إنَّ القرآن في الوقت الذي يكرِّر ويؤكِّد أبديَّة النَّاس يوم القيامة إنْ في الجنَّة وإنْ في النَّار تأكيداً مطلقاً. يعود فيُقيِّدها بالمُدَّة التي يشاؤها الله، وذلك في قوله:﴿فَأَمَّا الذينَ شَقُوا فَفِي النَّار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ 106 خَالدين فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾إلى آخر الآية 108 من سورة هود. وهكذا فقد تجلَّى في القرآن إلى جانب التَّناقض الاضطراب!**[2].

واستخدم رحمه الله تعالى لبيان هذه المسألة[3] أيضاً منهج إثبات الأصل أوَّلاً وبناءً عليه تثبت الفروع، فالأصل الثَّابت بالدَّليل العقليِّ: أنَّ صفات الله تعالى ذاتيَّة وصفات الإنسان مكتسبة، ويندرج تحت هذا الأصل فرعه وهو صفة البقاء؛ فبقاء الله وديمومته مِنْ ذاته، أمَّا بقاء وخلود النَّاس في الجنَّة والنَّار فبقدرة الله إنْ جزئياً في دار الدُّنيا أو كلِّياً أبديَّاً يوم القيامة، فلو تخلَّى الله عنهم لانتَهَوا جميعاً إلى الزَّوال.

---

1 انظر من الفكر والقلب/البوطيّ، 62-67
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص117-118
2 لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 45
3 انظر المرجع السَّابق، 46-49

والتزاماً منه رحمه الله تعالى بمنهج تبسيط مفردات علم الكلام وتقريبها للفهم استخدم مثالاً واقعياً مُشاهداً يقول: لو إنَّ أباً أمسك طفله الذي لم يتجاوز عامه الأوَّل وأوقفه على قدَمَيْه الصَّغيرتين الضَّعيفتين، هل يصحُّ القول أنَّ هذا الطِّفل أصبح شريك والده في القدرة على الوقوف، مِنَ المؤكَّد لا، لأنَّه بمجرَّدِ تركِ الأب لابنه سيسقطُ الطِّفل على الأرض، وكذلك الخلود عندما يأذن الله بانتهاء حياة البشر سيصبح الخلود هباءً، وتنتهي الحياة[1].

أمَّا ارتباط ذلك بمشيئة الله فقال عنه رحمه الله تعالى إنَّه أمرٌ مؤكَّدٌ وواجبٌ عقلاً؛ فالله هو الذَّات واجبةُ الوجود الوحيدة، وكلُّ وجودٍ غيره في الدُّنيا أو الآخرة تبعيٌّ، فبمشيئة الله يستمرُّ وبمشيئته ينتهي، وفي هذا السِّياق يأتي قوله تعالى:﴿فَأَمَّا الذينَ شَقُوا فَفِي النَّار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106)خَالدين فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ثُمَّ بيَّن الله تعالى حالَ الذين سَعِدُوا فقرَّر في حقِّهم مثل ذلك.

ثمَّ عرض رحمه الله تعالى بطلان دعواهم باستخدام قياس الخلف، فلو صحَّت دعوتهم لاستشكل على النَّاظر اشتراك الإنسان وجميع الأحياء مع الله في أصل الوجود، وهذا يناقض ما يقرِّره القرآن مِنْ وَحدانيَّة الله تعالى وعدم وجود شبيهٍ له.

ونتيجة ما سبق: وجود البشر ووجود كلِّ شيءٍ إنَّما هو بالله وليس مع الله تعالى. وكذلك سائر صفات البشر كلِّها بالله وليست مع الله، فليس المقصود هنا حقيقة (المعيَّة) التي تُوْهِمُ الشِّركة، بل حقيقة (الاستعانة) التي تؤكِّدُ عجز المخلوق وقدرة الخالق.

---

1 انظر هذا والدي/البوطيّ، 113

المطلب الثَّالث: صفات المعاني والصِّفات المعنويَّة

أوَّلاً. مفهومها

1- صفات المعاني: هي صفاتٌ قائمةٌ في ذات الله تستلزم حكماً معيَّناً له، كالعلم فهي تستلزم كونَه عالِماً، وكذلك كلُّ صفةٍ تحمِل مثل هذا المعنى ومعنى الكمال وذُكِرَت في نصِّ القرآن أو السُّنَّة هي داخلةٌ ضمن هذا التَّعريف[1].

2-الصِّفات المعنويَّة: هي النَّتائج والأحكام المترتبة على ثبوت صفات المعاني، فهي كونُه جلَّ جلاله قديراً، مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلِّماً، حيَّاً[2].

ثانياً. ذِكْرُ الصِّفات وبيان معناها ودليلها

1- العلم[3]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ بذاته تعالى، يتأتَّى بها كشف الأمور والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقع أو ما ستكون عليه في المستقبل، وهي صفةٌ كاشفة وليست مؤثِّرة[4].

الدَّليل النَّقليُّ: قال تعالى:﴿إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾التّوبة: 115/9.

الدَّليل العقليُّ: لم يُورِدْ رحمه الله دليلاً عقليَّاً مستقلاً لها، إلَّا أنَّه نفى كلَّ صفةِ نقصٍ عن الله، فلو لم يتَّصف بالعلم لاتَّصف بضدِّها، وهو نقصٌ تجلَّى الله تعالى عنه.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص119

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، ص130

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 325/1

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 29

4 أي ليس من شأنها تخصيص الممكنات أو التَّأثير بها بوجه ما، ولكنها فقط صفة كشف واطلاع سواء تعلقت بموجود أو بمعدوم. انظر حوار حول مشكلات حضارية/البوطي، 133

2- الإرادة[1]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ بذاته تعالى، مِنْ شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها مِنْ وجودٍ وعَدَمٍ وتكيُّفٍ، بقطع النَّظر عن أيِّ مؤثِّرٍ خارجيٍّ.

وتنقسم إلى صلوحيَّةٍ مِنْ حيث كون محض الإرادة قائمٌ بذاته تعالى، وتنجيزيَّةٍ مِنْ حيث التَّوجهات الفعليَّة إلى مرادٍ معينٍ، وهي إرادةٌ واحدةٌ قديمة[2]

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى :﴿وَمَنْ يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئًا﴾ المائدة:41/5، وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾يس:82/36، وقوله تعالى:﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾الفتح:11/48 .

الدَّليل العقليُّ: اللُّزوم البيِّنُ، فلو أنَّها ليسَتْ قائمةً بذاته تعالى منذ الأزل، للزم نقيضها وهو الإكراه، وهو نقصٌ ويستلزم مُكْرِهاً، وذلك ينافي واجب الوجود ومعنى الألوهيَّة والوَحدانيَّة.

3- القدرة[3]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ في ذاته تعالى يتأتَّى بها إيجاد كلِّ ممكنٍ وإعدامه وتكييفه، وتنقسم إلى صَلوحيَّةٍ مِنْ حيث صلاحيَّتها المحضة لإيجاد الممكنات أو إعدامها وهو

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص120-122

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 183/4

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 76-77

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص120-121

ولعل السّؤال المتوارد إلى الذّهن هنا كيف نقول أنها إرادة قديمة مع أننا سميناها تنجيزية؟ "**والجواب أن تعلق الإرادة الإلهية بإيجاد شيء أو إعدامه، قديم ولا يمكن أن يكون حادثاً. إذ لو كان كذلك، لكان من مستلزماته أن لا يكون الله عالماً ببعض ما يريد خلقه وفعله في المستقبل. وهو محال لما مرَّ بيانه. فثبت عكسه إذاً، وهو أن الله يعلم في الأزل كل ما سيفعله وسيخلقه في الحين والوقت الملائمين، وهذا يعني بالبداهة أن إرادة الله التّنجيزية مصاحبة لعلمه القديم هذا. بقي أن تعلم بأن الشُّبهة إنما تحوم حول فكرك، من كلمة "تنجيزية". إذ تتخيل أن معناها الخلق والظهور وهو شيء حادث قطعاً، غير أن هذا صحيح بالنّسبة للقدرة التي سنتحدث عنها. أما الإرادة فالتّنجيز بالنّسبة لها هو محض تعلقها بممكن من الممكنات. وقد تتعلق إرادة الإنسان بعمل من الأعمال ثم يطويه عن التّنفيذ إلى ما بعد سنوات كثيرة فتسمى إرادته هذه تنجيزية، أي ليست مجرد قابلية محضة، بل هي توجه فعلي إلى مراد معين.**". كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص121

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص122

التَّعلق الصَّلوحيُّ، ومِنْ حيث التَّنفيذ لذلك فهي تنجيزيَّةٌ، وهو التَّعلق التَّنجيزيُّ، فالقدرة ذاتها قديمةٌ بكلِّ الأحوال، وكذلك تعلُّقها الصَّلوحيُّ قديمٌ أمَّا التَّنجيزيُّ فهو حادث.

الدَّليل النَّقليُّ: لم يُورِد رحمه الله دليلاً نقليَّاً، ربما لبداهته وكثرة وُرُوْدِه في النُّصوص القطعيَّة، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾البقرة:20/2.

الدَّليل العقليُّ: لم يُورِد دليلاً عقليَّاً، وربما اعتمد في ذلك على نفي النَّقص المطلق عن الذَّات الإلهيَّة، فلو لم يتَّصف بالقدرة لاتَّصف بضدِّها وهو العجز، وهو نقصٌ.

4- السَّمع[1]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ في ذاته تعالى، تتعلَّق بالموجودات على جهة السَّمع، فتُدرَك إدراكاً تامَّاً لا عن طريق التَّخيل أو تأثير حاسةٍ.

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشورى:11/42، وتمسُّكاً بالدَّليل النَّقليِّ لا يجوز أنْ تُنسَبَ لله صفة الذَّوق والشَّمِّ واللَّمس، لعدم وُرُوْدِ نصٍّ فيها.

الدَّليل العقليُّ: ويتكرَّر هنا دليل نفيُ النَّقص عن الذَّات الإلهيَّة، إذْ لم يخصِّصْ رحمه الله صفات السَّمع والبصر والكلام بدليلٍ عقليٍّ، لذلك يُقال: لو لم يتَّصِفْ تعالى بهذه الصِّفات لاتَّصف بضدهما وهو نقصٌ تنزَّه الله عنه.

5- البصر[2]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ في ذاته تعالى، تتعلَّق بالموجودات على جهة الإبصار، فتُدرَك إدراكاً تاماً لا على طريق التَّخيُّل أو الشُّعاع. ودليلها ذاتُه دليلُ السَّمع السَّابق.

6- الكلام[3]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ في ذاته تعالى، هو بها آمرٌ وناهٍ ومخبر، عبَّرَ عنها نظمُ ما أوحاه إلى رسله كالقرآن.

الدَّليل النَّقليُّ: إجماع الأمَّة، والتَّواتر عن الأنبياء أنَّه تعالى متكلِّمٌ، وقوله تعالى:﴿كَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النّساء:164/4، وما ثبت في الصَّحيح مِنْ خطابه ﷺ ليلة المعراج[4]. ودليلها العقليُّ ذاتُه دليل السَّمع السَّابق.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص122

2 انظر المرجع السّابق، 122

3 انظر المرجع السّابق، 124

4 صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، الحديث3887

7–الحياة[1]: صفةٌ أزليَّة قائمةٌ في ذاته تعالى، يتأتَّى بها ثبوت الصِّفات السَّابقة.

الدَّليل النَّقليُّ: قوله تعالى:﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾البقرة:2/255.

الدَّليل العقليُّ: ما ثبت مِنْ اتصافه تعالى بصفة العلم وغيرها، فلا تقوم إلَّا بمَنْ ثبتَتْ له صفة الحياة.

ثالثاً– موقفه رحمه الله تعالى مِن مسألة ثبوت صفات المعاني بين المعتزلة وأهل السُّنَّة والجماعة.

ذكر رحمه الله تعالى إنكار المعتزلة للصِّفات وإثباتهم لأثرها، فالله تعالى عندهم يتَّصف بكونه عالِماً مِنْ غير أنْ يتَّصفَ بالعلم، وبيَّن رحمه الله تعالى أنَّ الذي دفعهم إلى هذا:

1– أنَّهم تصوَّروا أنَّ إسناد مثل هذه الصِّفات لله تستلزم تعدُّد القدماء، واعتقاده كفرٌ بالاتِّفاق.

2– تصوُّرهم أنَّه إنْ توقَّف اتِّصافه تعالى بكونه عالِماً على إسناد صفة العلم، فهذا احتياجٌ منه لغيره، والله كاملٌ بذاته، فحاجته لصفة العلم باطلةٌ، لذلك لم يثبتوها.

3– والسَّبب الذي أوهم هذه التَّصورات أنَّهم حمَّلوا العقل أكثر مِنْ طاقته في هذه المسائل.

وأورد الرَّدَّ على ما سبق في نقطتين:

1– المحال في تعدُّد القُدَماء؛ تعدُّد الذَّوات لا تعدُّد الصِّفات لذاتٍ واحدة، وكون الله عالماً ليست في حقيقتها إلَّا إسنادُ صفة العلم لله، فليس فيها محتاجٌ ومحتاجٌ إليه، فلا تعني استكماله تعالى بغيره.

2– الصِّفة معنى لا يقوم بذاته، فلا وجود له إلَّا بوجود مَنْ يتَّصف به، فإذا وصفنا الله بصفة العلم؛ هذا لا يعني قديماً غير الله، بل هو معنى قائمٌ في ذاته تعالى[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص130

2 انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ 47

وقال رحمه الله تعالى إنَّ الدَّليل الأقوى والثَّابت هنا هو الدَّليل النَّقليُّ فالله تعالى نسبها لنفسه فقال:﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾البقرة:255/2، فلو كان العلم غير ثابتٍ له تعالى لَمَا نسبَه لنفسه، ولَمَا عبَّر به عن المعلوم. فالتَّعبير بالعلم عن المعلوم فرعٌ عن صحَّةِ نسبةِ العلم إليه تعالى.

وبالقياس على صفة العلم قرَّر رحمه الله تعالى أنَّ العقلَ يُسنِدُ الصِّفات الأخرى كالإرادة والقدرة والكلام والسَّمع والبصر والحياة، ولا يرى رحمه الله تعالى هنا مبرِّراً لتأويل العلم بالمعلوم وفق منهجه الذي لا يجيز التَّأويل إلَّا للضَّرورة[1].

رابعاً- كلام الله تعالى قديمٌ أم مخلوق.

1- تحرير محلِّ المسألة:

لأهميَّة هذه المسألة بدأ رحمه الله ببيان تاريخها؛ فقدِ اشتُهِرَتْ عند علماء الكلام في عصر المعتزلة، وكانت مأساويَّةً في نتائجها، وانتهتْ بانتهاء عصرهم[2].

وكما تبيَّن في الباب الأوَّل أنَّ تحديد محل البحث مِن أساسيات نجاح البحث العلميِّ مِن وجهة نظر الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى، وهذا ما التزمه رحمه الله هنا، حيثُ عرض بدءًا اتِّفاق الجمهور مع المعتزلة على أنَّ الكلام الذي هو الألفاظ المعبِّرة عنِ المعنى القائم بالنَّفس مخلوق، كالصَّوت الذي نقرأ به القرآن، وهو غير قائمٍ بذاته

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص119 الحاشية
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 72-73
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 46-47
2 انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 19

تعالى[1]، أمَّا المعنى القائم بالنَّفس –بذاته تعالى– الذي يُعبَّر عنه بألفاظٍ، كمعاني ألفاظ القرآن التي تتضمَّنُ الأمر والنَّهي والإخبار؛ هذه المعاني قديمةٌ باتِّفاقهم.

وبالتَّالي حدَّد رحمه الله تعالى محلَّ البحث في تسمية هذه الصِّفة؛ فهل هي كلامُ الله النَّفسيِّ وهو صفةٌ زائدةٌ على العلم والإرادة، قائمةٌ في ذاته تعالى، أمْ هي عِلْمٌ إنْ كان إخباراً؛ وإرادةٌ إنْ كان نهياً أو أمراً؟ وقد لخص رحمه الله تعالى الآراء بما يلي[2]:

المعتزلة جعلوا لفظ (كلام الله) اسماً للأصوات والحروف التي يخلقها الله في غيره كاللَّوح المحفوظ وجبريل، وهو حادثٌ وليس بقديم، ولم يُثبِتُوا له تعالى أيَّ صفةٍ أخرى تحت مسمَّى الكلام.

ومدلول العبارات عندهم الذي أُطلق عليه اسم الكلام النَّفسي؛ راجعٌ إلى العلم إنْ كان خَبَراً، وإلى الإرادة إنْ كان أمراً أو نهياً.

أمَّا الجمهور فقد قالوا: ما ذكرَتْهُ المعتزلة هو كلامٌ لفظيٌّ والكلُّ متَّفِقٌ على حدوثه، وهو غير قائمٍ بذات الله تعالى. ويُثبتُ الجمهورُ زيادةً على ذلك صفةً هي غيرُ حقيقةِ العلم والإرادة، وإنَّما صفةٌ مُهَيَّأةٌ لِأَنْ يُخاطَبَ بها الآخرون على وجه الأمر أو النَّهي أو

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8/ص126.

المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 154

وقال الدكتور البوطي رحمه الله في ذلك: "**وفيما يتعلق بمسألة القرآن، لم يكن يرى الإمام أحمد رضي الله عنه مبرراً للدخول في أي تفصيل أو تفريق، في اليقين بكونه كلام الله القديم، بين اللّفظ والمعنى، والتّفريق بين الكلام النَّفسي والألفاظ المعبرة عنه. بل كان يرى أن الاشتغال بهذا التّفصيل والتّفريق بدعة حادثة لم يعرفها أصحاب رسول الله ﷺ؛ ومن ثم تحمل ما تحمل من المحنة وكابد ما كابد من الشّدائد في سبيل الثّبات على الحق الذي اقتنع بأنه الحق أو في سبيل الحيطة فيه ورعاً...ونحن لا نشك في أن الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يخامره شك في أن ألفاظ القرآن والحِبرَ الذي كتبت به والورق الذي كتب عليه، كل ذلك حادث غير قديم. ولكنه لم يكن ليجد مسوغاً– من باب الورع أو القناعة العلميّة– من دليل الكتاب أو السّنة أو عمل كبار الصّحابة، لهذا التّقسيم والتّشقيق والتّفريق.**" السلفية/البوطي، 154–155.

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص125– 134

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 75

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 49

الإخبار، لاستحالةِ تَوَارُدِ الخواطرِ وطروءِ المعاني على الله كما هو شأن الإنسان، وهذا هو المقصود بإسناد الكلام إلى الله تعالى عندهم.

2- رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى في المسألة

2-1- يذهب رحمه الله في هذه المسألة مذهب الجمهور حيث قال: "**تعتقد ما ذهب إليه الجمهور مِنْ أنَّ المعنى الذي هو مدلولُ العبارات اسمه الكلام النَّفسيُّ، وأنَّه صفةٌ زائدةٌ على كلٍّ مِنْ صفتي العلم والإرادة.**"[1] ويرى أنَّ هذا التَّخريج للمعتزلة غير صحيحٍ للأسباب التَّالية:

2-1-1. الإخبار لا يدخل في صفة العلم، فقد يُخبِر الإنسان عمَّا لا يعلمه بل يعلم خلافه أو يشكُّ به.

2-1-2. الأمر لا يدخل دائماً تحت الإرادة، فقد يأمر الإنسان بما لا يريده.

2-2- وما توصَّل إليه رحمه الله أنَّ الخلافَ لفظيٌّ: فكُلٌّ مِنَ المعتزلة والجمهور يُثبت لله هذا المعنى الذي تحمله ألفاظ القرآن، وأنَّه قائمٌ بذاته تعالى واختلفوا في المسمَّى، هل هو صفة الكلام أم العلم والإرادة.

2-3- أمَّا الأصداء التَّاريخيَّة الكبيرة لهذه المسألة فأصداء المحنةِ التي مرَّ بها الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وزادت أصداؤها باستغلال الكيد الصَّليبيُّ[2]، الذي ستتحدث عنه الفقرة التَّالية.

3- مسألة كون سيدنا عيسى بن مريم عليه السَّلام كلمة الله تعالى.

يَعتَبِرُ رحمه الله أنَّ ما تمَّ ذكره في المسألة السابقة كافٍ، إلَّا أنَّ التَّدخُّل الاستشراقيَّ والتَّبشيريَّ في هذه المسألة استدعى أنْ يقفَ عنده، فأساس الجدل الذي دار بين المسلمين

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص127

2 انظر المرجع السابق، ط8، ص127

والكنيسة قولُه تعالى:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ﴾النساء:171/4؛ فطالما المسيح كلمة الله، فهذه الكلمة إمَّا مخلوقةٌ وإمَّا غير مخلوقة، فإنْ كانت غيرُ مخلوقة كان المسيحُ هو الله لأنَّه قديم، وإنْ كانت مخلوقةً؛ ليس هناك وجودٌ للكلمة والرُّوح قبل ولادته، وأرجعوا السَّبب في الخلاف بين المسلمين –على أنَّ كلام الله قديمٌ أم حادث– إلى حَيْرَتهم وعدم قدرتهم على الإجابة، ولتوضيح بطلان دعواهم عرضها رحمه الله تعالى على ميزان منهج البحث العلميِّ كما يلي[1]:

4–1– دعواهم بأنَّ حَيْرَةَ المسلمين في مسألة خلق القرآن ناتجةٌ عن عدم قدرتهم على تأويل الآية:﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ﴾النساء: 171/4؛ هي مسألةٌ تاريخيَّةٌ لا تثبتُ إلَّا بالدَّليل النَّقليِّ، وهذا غير مُتَحَقِّق فتبطُل دعواهم[2].

4–2– أوَّل رحمه الله تعالى (كلمة الله) في الآية الكريمة بلفظ: كن، وبيَّن أنَّ معناها قديمٌ، ولكنَّ تعلُّقها حادثٌ، فعيسى عليه السَّلام ليس هو نفس كلمة (كن) بل هو متعلَّقُها، وعلَّل رحمه الله إخبار الله عنه عليه السَّلام بالكلمة نفسِها مبالغةً في بيان هذا التَّعلُّق، وتنبيهاً إلى أنَّ خَلْقَهُ كان بإرادة الله التي تمثَّلت في قوله: كن، فلو كان متعلَّق الإرادة قديماً مثل الإرادة، لكان العالَم كلُّه قديماً أيضاً، إذ هو ليس إلَّا نتيجةَ إرادتِه تعالى، ويؤيِّد ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾يس:82/36[3]

خامساً: حقائقٌ اعتقاديَّةٌ تترتَّب على صفات المعاني.

1– المتشابِه مِنْ آيات الصِّفات.

2– نفيُ العلَّة الغائيَّة عن أفعاله جلَّ جلاله.

3– الحسن والقبح اعتباريَّان.

4– الإرادة الإنسانيَّة وإرادة الله تعالى.

5– القضاء والقدر.

وسيتمُّ الحديث عنها مفصَّلاً في الفصول القادمة.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص126–130

2 انظر المرجع السابق، ط8، ص128

3 انظر المرجع السَّابق، 129

سادساً: أقسام صفات المعاني حسب تعلُّقاتها

جدول (3) تعلُّقات صفات المعاني

الأقسام	الصِّفة	ملاحظات عامَّة
القسم الأوَّل: يتعلَّق بالواجبات والممكنات والمستحيلات جميعاً[1]	صفتا العلم والكلام	1- صفة العلم: تكشف حقائق الأشياء على ما هي عليه، ومحالٌ أنْ لا تتعلَّق بالأحكام الثَّلاثة، وإلَّا نُسِب الجهل لله 2- ومَنْ يقول أنَّ عِلْمَ الله لا يتعلَّق بالجزئيَّات فهذا كفرٌ لمخالفته النَّصَّ القطعيَّ في قوله تعالى:﴿إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾التوبة:115/9 3- صفة الكلام: تتعلَّق بالأشياء تعلُّق دِلالةٍ وبيانٍ أو أمرٍ ونهي، وقد احتوى بيانه تعالى وأمرُه ونهيُه الحديثَ عن الأحكام الثَّلاثة.
القسم الثَّاني: يتعلَّق بالممكنات فقط[1]	صفتا القدرة والإرادة	1- يتعلَّقان بالممكن على وجه التَّأثير كالإيجاد والإعدام، والواجبُ لا يُعدم، والمستحيلُ لا يُوجد، وإلَّا لاجتمع النَّقيضان في آنٍ واحدٍ وهو محال. 2- تعلُّقهما بالممكنات فقط لا يعني العجز، بل تحقيقٌ لمعناهما وتعلُّقهما، فالمستحيل إنْ كان معدوماً لا يمكن إيجاده، وكذلك الواجب. 6- سؤال: هل يستطيع الله أنْ يَخْلقَ إلهاً مثله؟ إنْ أُجيب بالإمكان أُقرَّ بوجود شريكٍ لله، وإنْ أُجيب بالاستحالة نُسبَ العجز لله. وخير جوابٍ هنا: أنَّه سؤالٌ بصياغتِه فقط أمَّا مضمونه ففراغ، فالسُّؤال لا يمكن الإجابة عنه إلَّا إنْ كان له تصوُّرٌ في الذِّهن، وهذا السُّؤال لا تصوُّرَ له فلا إجابة له[2]، لأنَّ مدلولَه هل يستطيع الله تعالى أنْ يَخْلقَ إلهاً؟ والإله لا يكون إلهاً إلَّا إذا كان وجوده ذاتيَّاً! فالسُّؤال مضمونه باطل. ومثله سؤال هل يستطيع الله أنْ يخلق صخرةً يعجز عن حملها؟[3] لأنَّ مدلولَ هذا السُّؤال: هل يستطيع الله تعالى أنْ يكون عاجزاً؟!

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص131 وانظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 59 ، 39

2 ولو صدر هذا السّؤال من طفل فالجواب أن تضع صورة جواب كما وضع صورة سؤال، بأن تقول "الله قادر يا بني على خلق كل شيء، ولكن شريك الله ليس شيئاً". انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص134

3 "**لكي يتميز السؤال عن الهذيان ينبغي أن يدرك السائل معنى سؤاله وأن يكون بصيراً بالحاجة التي تدعوه إلى سؤاله وقول القائل "هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟" معناه "هل يستطيع الله أن يكون عاجزاً" وهذا من نوع الهذيان الذي لا معنى له إذ العجز لا يكون استطاعة لأن كلاً منهما نقيض للآخر.. والذي يصوغ مثل هذا الكلام بصيغة سؤال إما أنه غبي أحمق، أو جاهل يتحامق، إذ إنه ليس في العقلاء من يسأل" هل تستطيع أن تكون عاجزا**" مع النَّاس/البوطيّ، 148/2

القسم الثَّالث: يتعلَّق بالموجودات (الممكنات أو الواجب)[1]	صفتَا السَّمع والبصر	1- وللعلماء في تعلُّقهما قولان: الأوَّل: تعلُّقهما بكلِّ الموجودات، فسَمْعُهُ تعالى متعلِّقٌ بما هو قابلٌ للسَّمع بالنِّسبة إلينا، وبما هو غير قابلٍ له مِنْ سائر الموجودات. الثَّاني: تعلُّق السَّمع بالمسموعات، وتعلُّق البصر بالمبْصَرَاتِ. 2- والذي يُرَجِّحُهُ الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله: الوقوف عند الإيمان بثبوت هاتين الصِّفتين له سبحانه وتعالى طِبقاً لما وصف به نفسه، ثُمَّ الإيمانُ بأنَّ لكلِّ صفةٍ مِنْ هاتين الصِّفتين وظيفةً تمتازُ عن الأخرى، وإلَّا لَمَا كان في إسناد كلٍّ منهما إليه تعالى على حدة أي معنى غير التَّكرار، وهو محالٌ في هذا المقام. وما سوى ذلك مِنَ التَّفاصيل يُفوَّض العلم بها إلى الله جلَّ جلاله، والاعتماد في ذلك على النَّصِّ القطعيِّ فلا مجال للعقل في إثباتها أو إنكارها. 3- وممَّا تمَّ الاتِّفاق عليه: أنَّهما لا تتعلَّقان بالمعدومات وإلَّا ثبت لها صفة الوجود، واجتماع الوجود والعدم معاً محالٌ لأنَّه تناقض[2]
القسم الرَّابع: لا يتعلَّق بشيءٍ[3]	صفة الحياة	1- فهي صفةٌ قائمةٌ بذات الله ليس لها تعلُّقٌ بسواه. 2- فلا تتعلَّق بالأشياء لا على وجه الكشف ولا التَّأثير والتَّخصيص. 3- شأنها أنْ تُصَحِّحَ قيام تلك الصِّفات السَّابقة بذاته سبحانه وتعالى.

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص123-124

2 انظر المرجع السّابق، 135

3 انظر المرجع السّابق، 135-136

المبحث الثَّالث: رؤية الله تعالى

بَحَثَ علماءُ المسلمين في إمكانيَّة رؤية الله تعالى في الدُّنيا والآخرة، وذهبوا فيها مذاهب، وقد ذكر الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله هذه المذاهب وأدلَّتَها مختصرةً في أغلب كتبه؛ والسَّبب في ذلك أنَّ القول بأحد تلك المذاهب لا يؤدِّي إلى الكفر؛ لأنَّها غيرُ قائمةٍ على أدلَّة قطعيَّةٍ، فهي إذن ليست مِنَ الشُّبهات الضَّروريَّة التي ينبغي أنْ يشتغلَ بها عالِم الكلام[1].

وسيكون في هذا المبحث عرضُ هذه المذاهب والأدلَّة مختصرةً كما ذكرها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله تعالى، ثُمَّ ذِكْرُ الآراء التي اختارها، وذلك مِنْ خلال مطالب ثلاثة.

المطلب الأوَّل: حكم رؤية الله تعالى نقلاً وعقلاً

أوَّلاً: الحكم العقليُّ[2]

ذهبَتْ المعتزلة إلى القول باستحالة رؤية العبادِ ربَهم عقلاً، بينما أجمع جمهور المسلمين على جواز رؤيته تعالى مِنْ قِبَلِ عباده فهو مِنْ قَبيل الممكن عقلاً، فالعقل لا يُحيل رؤيتَهم لربِّهم بأعين رؤوسهم.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص134

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، 170-173

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/320-322

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 73-74

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 47-48

وقد احتجَّ المعتزلة بأنَّ الرُّؤية ما هي إلَّا انطباعُ صورة المرئيِّ في الحدقة، وذلك يستوجب انحصار المرئيِّ في جهةٍ معيَّنةٍ، ومِنَ المعلوم يقيناً تنزُّه الله عن الجسمانيَّة والمكانيَّة، فهو غير متحيِّزٍ في جهة.

وأمَّا أهل السُّنَّة والجماعة قالوا: أنَّ الرُّؤية تشمَلُ معانٍ أكثرَ مِنْ مجرَّد الرُّؤية بالحدقة وانطباعِ الصُّورة عليها، فكما خلق الله هذه القوَّة في الإنسان فبها يرى وسمَّاها رؤية، فكذلك هو قادرٌ على خلق رؤيةٍ بكيفيَّةٍ جديدةٍ لا يكون فيها انحصارٌ للمرئيِّ في جهةٍ مكانيَّةٍ، وبالتَّالي تُصبح الرُّؤية مُمكنةً حتَّى وإنْ كان اللهُ ليس جسماً ولا متحيِّزاً في جهةٍ ما مِنَ الجهات.

ثانياً: الدَّليل النَّقليُّ[1]

وقد استدلَّ المعتزلة على عدم رؤيته تعالى مطلقاً:

1- بقوله تعالى لسيدنا موسى عندما طلب مِنَ الله أنْ يراه:﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾الأعراف:143/7 فالله استخدم في جوابه (لن)، وهي تفيد نفيَّ الرُّؤية على التَّأبيد في الدُّنيا والآخرة.

2- وكذلك علَّق أمر رؤيته على استقرار الجبل مع علمه تعالى أنَّه لن يستقرَّ، فاستقرار الجبل أمرٌ مستحيلٌ فلمَّا علَّق الرُّؤية عليه فكانت مستحيلةً مثلَه.

3- واستدلُّوا بالآية:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾الأنعام:103/6

4- وأوَّلوا الآية:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 22 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾القيامة:75/22-23 بالمُنْتَظِرَةِ نعيم ربِّها.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة قالوا: أنَّ الرُّؤية واجبةٌ وثابتةٌ بالسَّمع، ومِنْ ذلك:

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 170-173

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/320-322

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 73-74

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 47-48

1- قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 2 إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾القيامة:75/22-23، وأمَّا تأويلها بالمُنْتَظِرَةِ غير واردٍ؛ لأنَّ ناظرة تتعدَّى بإلى بينما منتظرةٌ تتعدَّى بنفسها، فناظرةٌ هنا بمعناها المعروف لا تحتاج إلى تأويل.

2- وكذلك قوله تعالى:﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾المطففين:83/15، فالمذنبون لا يرون الله عقوبةً لهم، إذن الصَّالحون مِنْ عباده يرونه ثواباً لهم.

3- ويؤكِّده قولهﷺ:"إِنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ"[1]

4- أمَّا آية الرُّؤية الخاصَّة بسيِّدنا موسى عليه السَّلام؛ هي دليلٌ على ثبوت الرُّؤية وليس العكس، لسببين:

الأوَّل: أنَّ سيِّدَنا موسى عليه السَّلام لو كان يعلم أنَّ رؤية الله مستحيلةٌ لَمَا طلبها أصلاً، فهو أَوْلَى مِنَ المعتزلة بمعرفة ذلك لِمَا هو متفقٌ عليه مِنْ عصمة الأنبياء[2].

الثَّاني: أنَّ الله علَّق رؤيتَه على استقرار الجبل وهو شيءٌ جائزٌ، فهو شيءٌ ممكنٌ في ذاته ضرورةً كما هو معلوم، وما عُلِّقَ على الممكن لا بُدَّ وأنْ يكونَ هو أيضاً ممكناً.

أمَّا (لن) في قوله تعالى:﴿ لَنْ تَرَانِي﴾ فلا تفيدُ تأبيدَ النَّفي، وإنْ قيلَ إنَّها للتَّأبيد فهي تَعُمُّ التَّأبيد والنَّفي الدُّنيويَّ في حدود هذه الحياة وزمانها، لكنَّها لا تَشْمَلُ الحياة الآخرة، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمتْ أَيْدِيهِمْ﴾البقرة:2/95، فقد استخدم اللَّفظُ القرآنيُّ (لن) لكنَّه ذكرَ بعدها أنَّهم سيتمَنونَ الموت في الآخرة في قوله تعالى:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾الزّخرف:43/77.

وبناءً على ما سبق أجمع المسلمون على أنَّ الصّالحين مِنَ العباد يرَونَه تعالى يوم القيامة.

---

1 صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصّلاة، باب فضل صلاة العصر، الحديث554

2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/321

المطلب الثَّاني: رؤيتُه تعالى في الدُّنيا

بعد اتِّفاق عامَّة المسلمين على إمكانيَّة رؤية الله عقلاً ونقلاً، اختلفوا هل الرُّؤية ممكنة في الدُّنيا والآخرة أمْ في الآخرة فقط حسب ما جاء في النَّقل؟ وهم في ذلك على قولين[1]:

الأوَّل: أنَّ النَّقلَ لم يردْ إلا على الرُّؤية في الآخرة فقط، بل ورد النَّقل بامتناع رؤية الله قبل الموت، وذلك لقولهﷺ:"تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عزَّ وجل حتَّى يَمُوتَ"[2]

الثَّاني: وهو قول جمهور أهل السُّنَّة والجماعة: دلَّ النَّقل على إمكانيَّة رؤية الله في الدُّنيا، واستدلُّوا بقول الله:﴿وَمَا جَعَلْنَا الرّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾الإسراء:60/17.

وقد ردَّ الفريق الأوَّل الاستدلال بهذه الآية بقولهم: إنَّ (الرُّؤيا) بالألف تطلق على الرُّؤيا المناميَّة لا الحقيقيَّة، ولكنَّ قواعد اللُّغة العربيَّة تخالف ذلك فالرُّؤيا بالألف تطلق على المنام وعلى اليقظة، وكذلك قالوا: أنَّ الله وصف هذه الرُّؤيا بالفتنة للنَّاس أي اختباراً وابتلاءً لهم، فكيف يكون المنام اختباراً؟

أمَّا القول المعتمد عند الدُّكتور البوطي رحمه الله فيظهر بقوله: "**هذا ومَا دامتِ المسألة مختلَفاً فيها بين الصَّحابة أنفسِهم: فليس ثَمَّة ما يدعو في باب العقيدة –إلى الجزم بقولٍ مِنَ القولين، وإنْ كنَّا نُرَجِّحُ في ذلك مذهب الجمهور مِنَ الصَّحابة ثُمَّ مَنْ بعدِهم مِنَ الأئمَّةِ والعلماء، وهو أنَّ السَّمع دلَّ على إمكان رؤية الله عزَّ وجل في الدُّنيا بل دلَّ على وقوعها أيضاً مِنْ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.**"[3].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 172–175

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 73–74

2 صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط السّاعة، الباب 19 (ذكر ابن صياد)، الحديث (169).

3 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص175

المطلب الثَّالث: رؤيتُه تعالى في الآخرة

مِنْ خلال ما سبق تبيَّن أنَّ في رؤية الله ثلاثة أقوالٍ:

الأوَّل: قول المعتزلة الذين نَفَوْهَا في الدُّنيا والآخرة.

الثَّاني: قول الذين أثبَتُوها في الآخرة فقط.

الثَّالث: قول الجمهور الذين أثبَتُوها في الدُّنيا والآخرة.

والمطلب هنا سيذكر أدلَّة ثبوت الرُّؤية في الآخرة، حيث اتَّفق القولان الثَّاني والثَّالث، والأدلَّة بالتَّرتيب كما يلي[1]:

1- الله تعالى عندما يُعيْدُ خَلْقَ النَّاس في الآخرة سيُبَدِّلُ أعضاءَهم وأجسادَهم، وبالتَّالي ستكون لهم قدراتٌ وطاقاتٌ مختلفةٌ عمَّا هي عليه في الدُّنيا، فمَا كان مستحيلاً في الدُّنيا قدْ يُصبِح جائزاً هناك، خاصَّةً أنَّ الله وعد المؤمنين الطَّائعين في الجنَّة بما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، ولا شكَّ في أنَّ مقدِّمة ذلك الثَّواب العظيم هو رؤية الله، فيُبَدِّلَهم بأعضاءٍ وكيفيَّةٍ مؤهَّلَةٍ لرؤية الذَّات الإلهيَّة.

2- استدلُّوا أيضاً بالأدلَّة النَّقليَّة السَّابقة، بالإضافة إلى قولهﷺ:"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّة، قَالَ: يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّة، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّار؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النّظر إِلَى رَبِّهِمْ عزَّ وجل"[2].

3- مِنَ المعلوم والثَّابت يقيناً أنَّ الجنَّة لا نَصَبَ فيها ولا وَصَب، تنتهي بها الآلام وتستمرُّ النِّعمُ مِنَ المولى الكريم، تلك النِّعمُ التي كانت تزيدُ الحبَّ والشَّوق الإلهيَّ في قلوب العارفين المتفكِّرين في آلائه تعالى، وما سيرَونَه مِنْ نِعَمٍ في الجنَّة ستزيدُهم شوقاً وحباً،

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/317-321، 479

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 73-74

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، الحديث 267.

فإذا لم تنتهِ هذه الأشواق برؤية المُنْعِم المتفضِّل لتحوَّلتَ نِعَمُ الجنَّة ومُتَعِها إلى آلامٍ وذلك يتنافى مع وعد الله تعالى بصفاء الجنَّة مِنَ الأكدار، وحاشاه إلَّا أنْ يُنجزَ وعدَه.

إذن يعتقد رحمه الله برؤية الله في الدُّنيا والآخرة، فهي مِنَ الممكنات عقلاً وشرعاً، وهو قول الجمهور كما بيَّنه، وقد اعتمد في إثبات ذلك على الأدلَّة النَّقليَّة والعقليَّة معاً، والأهم أنَّه التزم بمنهجه القائم على عدم الجدال في المسائل الاجتهادية التي لا يُؤدِّي القولُ بأحد طرفيها إلى الكفر، فبعد أنْ أثبت لهذه المسألة (صفة الاجتهاد) أي أنَّها مسألةٌ اجتهاديَّةٌ، لم يُلزمُ بالاعتقاد بأحد الأقوال السَّابقة، كما أنَّه أكَّد أنَّها مسألةٌ فرعيَّةٌ فلا تَصِحُّ مناقشتُها مع مَنْ لم يؤمنْ بوجود الله بعد، التزاماً منه بمنهج إثبات الأصل ثمَّ فروعه؛ ووجود الله تعالى أصل الأصول كلِّها.

المبحث الرَّابع: أسماء الله تعالى توقيفيَّة قديمةٌ، وكم عددُها؟

خَتَمَ الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله بحث الإلهيَّات في كتابه كبرى اليقينيَّات عند رؤية الله تعالى، دون ذكرٍ لمبحث أسماء الله تعالى، ولكنْ عند العودة إلى كتبه الأخرى نجدُه ذكر عن أسماء الله ما هو أساسيٌّ وضروري؛ ككون أسماء الله توقيفيَّةٌ، وكم عددها، وهذه إشارةٌ منه إلى أنَّ البحث فيها ليس مِنَ القضايا التي ينبغي أنْ يشتغل بها عالِم الكلام.

أمَّا ما قرَّره رحمه الله في هذا السِّاق: فأنَّ أسماء الله توقيفيَّة؛ لا يَصِحُّ أنْ نَزِيْدَ عليها ما لمْ يردْ في كتاب الله وسنَّة رسولهﷺ، ودليل ذلك جوابه على سؤالٍ مضمونه؛ هل يَصِحُّ أنْ نقولَ لا شيءَ ثابتٌ في الكون إلَّا الله، هو الصَّمد الصَّامد السَّاكن؟ بقوله: "**أمَّا قول مَنْ يقولُ: لا شيءَ ثابتٌ في الكون إلَّا الله؛ فهو سليمٌ إنْ أُريدَ بكلمةِ ثابتٍ موجودٌ وجوداً ذاتيَّاً. إذ لا يوجد مَنْ كان وجودُه مِنْ ذاتِه إلَّا الله. وأمَّا وصفُه بالصَّامد والسَّاكن فغير جائزٍ إذْ أنَّ أسماءَه وصفاتَه توقيفيَّةٌ**"[1]، وبناءً على ذلك قال بعدم جواز إطلاق اسم الطَّبيب والمهندس والمخترع على الله[2]، وهو يوافق بذلك الإمام الأشعريَّ[3].

أمَّا كون أسماء الله مخلوقة أمْ قديمة؟ فقد ذهب الدُّكتور البوطيّ رحمه الله إلى قِدَم الأسماء موافقاً بذلك مذهبَه في قِدَم الصِّفات، فالألفاظ والأصوات التي نَنْطِقُ بها الأسماء مخلوقةٌ ودليل ذلك بَدَهِيٌّ، بينما معاني الأسماء قديمةٌ قِدَم صفاتِه، لاسيَّما أنَّ الأسماء تنطوي على تأكيد صفاتِ الكمال لله[4].

---

1 استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 19

2 انظر المرجع السّابق، 55

3 انظر ملحق التَّيارات الفكرية المعاصر/البوطي، 43

4 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/442-444

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 51

وبعدَ الاطِّلاع على كتبه رحمه الله يتبيَّنُ أنَّ عدد أسماء الله عنده غيرُ محصورٍ بما وَرَدَ في القرآن أو في حديث التِّسعة والتِّسعين اسماً؛ بل هي على ثلاثةِ أقسامٍ[1]:

1. أسماءٌ استأثر الله بعلمها لذاته فلم يُطلِعْ عليها أحداً مِنْ خلقه.
2. أسماءٌ خصَّ بها بعضاً مِنْ عباده دون بعض.
3. الأسماء التي ذُكرت في القرآن والسُّنَّة.

ودليل ذلك دعاؤه ﷺ "اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي فِي يَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ..."[2].

إذن يتَّضح ممَّا سبق أنَّ منهجه رحمه الله تعالى في إثبات الأسماء يقوم على الأدلَّة النَّقليَّة، فهي مِنَ الأمور الغيبيَّة التي لا تثبت إلَّا بالخبر الصَّادق.

ويتبيَّن أيضاً أنَّه رحمه الله تعالى اكتفى بذكر بعض الأسماء دون توسُّع، وسبب ذلك اهتمامه بالمسائل العقديَّة التي تدور حولها الشُّبهات وتُعتَبَرُ مِنَ الأصول الاعتقاديَّة التي هي الحماية الفكريَّة لما يُبنى عليها مِنَ المسائل الفرعيَّة.

أخيراً تبيَّن مِنْ عرض آراء الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله في فصل الإلهيَّات؛ أنَّه رحمه الله اتَّبع القواعد التَّالية التي هي جزءٌ مِنْ منهجه الذي تمَّ بيانه مفصَّلاً في الباب الأوَّل، وهي:

1. البَدْءَ بإثباتِ الأصولِ قبل الفروع: لذلك كانتِ البداية بوجود الله، فهو أصلُ الفروعِ.
2. عَجْزُ العقلِ عن تخيُّل شيءٍ ما؛ لا يستلزم بالضَّرورة عدم اليقين العلميِّ به: فوجود الله وإنْ كان خارجاً عن طاقة التَّصوُّر، إلَّا أنَّه ليس خارجاً عن اليقين به.
3. عدم البحث فيما لا يخضع لمنهجٍ علميٍّ: كالفَرق بين الذَّات والوجود في حقِّ الله.
4. التَّقيُّد بما وَرَدَ فيه نصٌّ في كلِّ ما يتعلَّق بصفات وأسماء الله، فبالنَّصِّ يُثبِت الصِّفة ثمَّ يدعم ذلك بالعقل، خاصَّة عند الحديث مع مَنْ لا يؤمِن بقدسيَّة النَّصِّ.

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 406/5، 100/4-101

2 المستدرك/النّيسابوري، 690، كتاب الدّعاء، الحديث 1877، وقال عنه الحاكم (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ إِنْ سَلِمَ مِنْ إِرْسَالِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ فَإِنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي سَمَاعِهِ عَنْ أَبِيهِ)، ورواه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود ﷺ، الحديث 4316، وقال المحقق: إسناده صحيح.

الفصل الثَّاني: النُّبوَّات

وفيه

المبحث الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات ظاهرة الوحي، وبيان مسائلها.

المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله في إثبات ظاهرة الوحي وتفسيرها.

المطلب الثَّاني: إبطاله رحمه الله لتفسيراتٍ غير منهجيَّةٍ لظاهرة الوحي.

المبحث الثَّاني: النُّبوَّة والرِّسالة (مقدماتٌ تعريفيَّة)

المطلب الأوَّل: تعريف النُّبوَّة والرِّسالة والفرق بينهما

المطلب الثَّاني: الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى (أحكامٌ خاصَّة بهم)

المطلب الثَّالث: صفات الأنبياء وشروطهم

المبحث الثَّالث: المعجزات

المطلب الأوَّل: تعريفها وحكم الإيمان بها

المطلب الثَّاني: المسائل الخاصَّة بالمعجزات

بعد أنْ أتمَّ الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله تعالى الحديث عن فصل الإلهيَّات، وأشار إليه في كتابه كبرى اليقينيَّات باسم (القسم الأوَّل مِنَ الشَّهادة وهو أنْ لا إله إلَّا الله)، انطلق في فصل النُّبوَّات وأشار إليه باسم (القسم الثَّاني منها وهو أنَّ محمَّداً رسول الله).

وهنا يتأكَّد منهجُه في تأسيس الحقائق العقديَّة بالتَّرتيب المنطقيِّ فالأصل أوَّلاً ثمَّ الفرع، فلمَّا ثبتَ عند كلِّ عاقلٍ وجودُ إلهٍ حكيمٍ أَوْجَد هذا الكون، وثبتَتْ له كلُّ صفات الكمال؛ وهو الله؛ لا بدَّ وأنْ يتبادر إلى الذِّهن سؤال:

ماذا أراد الله مِنْ خلق الإنسان؟ فمِنَ المؤكَّد أنَّه تعالى لمْ يخلُقْ ذلك عبثاً، فالعبث نقصٌ وتستحيل نسبة النَّقص للذَّات الإلهيَّة، وهنا تتبادر الأسئلة: مِنْ أين أتى الإنسان؟ ولماذا وجد في هذه الحياة؟ وإلى أين؟

وللإجابة على ما سبق وهبنا الله طريقين؛ الطَّريق الأوَّل طريق العقل والفطرة، وقد لا يهتدي للإجابة إنْ استُتِر بظلمات الجهل، والطَّريق الثَّاني وهو طريق الأنبياء والرُّسل.

وهذا ما سيتناوله الفصل الثَّاني مِنْ خلال مقدماتٍ تعريفيَّةٍ مختصرة عن النُّبوَّة والرِّسالة والفرقِ بينهما وصفاتِ الرُّسل وغيرها، وسيكون محور هذا الفصل الحديث عن المعجزات وظاهرة الوحي وأهمِّ المسائل التي أثيرت حولها[1].

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص179-182

المبحث الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات ظاهرة الوحي وبيان مسائلها

ظاهرة الوحي، تمثِّل الرُّكن والأساس في ثبوت كافَّة الحقائق السَّماويَّة عموماً والعقديَّة خصوصاً، لذلك كثُر دسُّ الشُّبهات فيها؛ فالتَّشكيك فيها هو تشكيكٌ في ثبوت الدِّين كلِّه، فهي إذن مِنْ أَوْلى الشُّبهات الضَّروريَّة التي يجب أنْ يناقشها علم الكلام اليوم حسب ما قرَّره رحمه الله في حكم الاشتغال بعلم الكلام. وسيتناول هذا المبحث عدَّة مطالب.

المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات ظاهرة الوحي وتفسيرها.

اعتمد رحمه الله تعالى في إثبات ظاهرة الوحي وتفسيرها على الخبر الصَّادق، وعلَّل ذلك بسببين[1]؛ الأوَّل: أنَّ بدء الإخبار عن كلمة الوحي كان في القرآن والسُّنَّة أصلاً؛ وإلَّا لم تكن معروفةً قبلهما. الثَّاني أنَّ ظاهرة الوحي قضيَّةٌ تاريخيَّةٌ فثبوتها وتفسيرها يكون بالخبر الصَّادق حصراً، ولا مجال لإعمال العقل فيه، وفي ذلك قال رحمه الله تعالى لمَنْ أراد أنْ يُفسِّر ظاهرة الوحي بعيداً عن النُّصوص: "**إمَّا أنْ يضرب صفحاً عن حديث التَّاريخ كلِّه وعن هذه النُّصوص الوارِدَة جميعها، وعندئذ فليس له أنْ يتحدَّث عن شيءٍ اسمه الوحي في حياة رسول اللهﷺ أصلاً؛ لأنَّ المفروض أنَّها كلمةٌ غير موجودةٍ في حياته، وإمَّا أنْ يعتمدها ولا يسعَه إنكارها، وعندئذٍ فإنَّ عليه أنْ يُلقيَ السَّمع إلى كلِّ ما تُثبته**

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:34، ص187-194
انظر فقه السّيرة/البوطيّ، ص101-102
انظر قضايا ساخنة/البوطي، 55- 56
انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 27

وتنطق به هذه النُّصوص مِنَ الحقائق والوقائع."[1]، إذن أنْ تُستمدَّ كلمة الوحي مِنَ القرآن والسُّنَّة ثمَّ لا يُقبل تفسيرها منهما مخالفةٌ واضحةٌ لبدهيَّات العقل.

وبالعودة إلى ما وَرَدَ في كتاب الله وسنَّة نبيِّه اعتمد الدُّكتور البوطي رحمه الله التَّعريف التَّالي للوحي: "**تلقي النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام حقيقةً إخباريَّةً أو إنشائيَّةً، خارجةً عن كيانه ليس مِنْ سبيلٍ إلى دفعها عنه أو جلبها إليه**"[2].

كما اعتمد الأدلَّة النَّقليَّة التَّالية لإثبات ظاهرة الوحي[3]:

1. ما تواتر معنويَّاً مِنْ تمييزهﷺ بين القرآن والحديث، حيث كان يأمر بتسجيل القرآن فوراً، في حين كان يكتفي لحفظ الحديث بقوَّة ذاكرة الصَّحابة.

2. ما ورد مِن ارتباط جوابهﷺ عن بعض الأمور بالوحي، فربما تأخَّر جوابه أو لم يجب إلى أنْ تُنَزَّلَ آيةٌ مِنَ القرآن في شأن ذلك السُّؤال، وربما تصرَّفﷺ على وجهٍ معيَّنٍ، فتنزل آياتٌ مِنَ القرآن تصرفه عن ذلك، وأحياناً ينطوي ذلك على العتاب، ومنه ما كان يقوم بهﷺ مِنْ اجتهاد فأحياناً كان الوحي ينزل مؤيِّداً لِمَا حكم به وأحياناً يأتي بحكمٍ مخالف، وفي ذلك حكمةٌ باهرةٌ تؤكِّد بشريَّة سيدنا محمَّدﷺ ومظهراً مهمّاً مِنْ مظاهر نبوَّته وأدلَّتِها.

3. ما ثبت مِنْ كونهﷺ أميَّاً.

4. ثبوتُ اتصافهﷺ بالصِّدق لمدَّة أربعين سنةٍ مع قومه؛ ممَّا يشيرُ إلى أنَّه صادقٌ مع نفسه، فقد وصل إلى اليقين في فهمه لهذه الظَّاهرة قبل أنْ يُعلن عنها، وقد قال تعالى جواباً على تأمُّلاتهﷺ تلك:﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾يونس:94/10.

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص188

2 قضايا ساخنة/البوطي، 23

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:34، ص187-194

انظر فقه السّيرة/البوطيّ، ص101-102

انظر قضايا ساخنة/البوطي، 55- 56

انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 27

المطلب الثَّاني: إبطاله رحمه الله تعالى لتفسيراتٍ غير منهجيَّةٍ لظاهرة الوحي

وردتْ عدَّة تفسيراتٍ لظاهرة الوحي؛ لكنَّها لا تعتمد المنهج العلميَّ القائم على الخبر الصَّادق في طرحها، بل اعتمدت منهج التوسُّم والاسترداد، وقد ردَّها رحمه الله تعالى بالاعتماد على ما ورد مِنْ أخبارٍ صادقةٍ عن ظاهرة الوحي، وسيذكر المطلب هذه التَّفسيرات وردِّ الدُّكتورِ البوطيِّ عليها وفق الجدول التَّالي[1]:

جدول (4) التَّفسيرات غير المنهجيَّة لظاهرة الوحي

التَّفسير	أدلَّة بطلانه
التَّفسير الأَوَّل: الوحيُ ليس إلَّا أمراً داخليَّاً نفسيَّاً	1. مفاجأتهﷺ وهو في غار حراء بجبريل ماثلاً بين يديه عن غير اتِّفاق مسبق، وضمُّه للنَّبيِّﷺ وإرساله ثلاثاً، قائلاً: اقرأ. 2. انقطاع الوحي، وتلبُّثه ستَّة أشهرٍ، على الخلاف المعروف فيه[2]. 3. عدم امتزاج القرآن بالحديث. 4. تأخُّر نزول بعض الآيات رغم الحاجة إليها أحياناً. 5. كرَّرﷺ أنَّه ناقلٌ أمينٌ لِمَا يأتيه مِنَ الله، كما أنَّ الصَّادق مع قومه أربعين عاماً؛ بدهيٌّ أنْ يكون صادقاً مع ذاته في أفعاله وأقواله. 6. كانﷺ أميَّاً باتِّفاق المؤرخين، فكيف لِمَنْ لم يطَّلعْ على كتابٍ مسبقٍ أنْ يأتيَ بمثل القرآن مِنْ داخل عقله وقلبه.

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، 190-192
انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 98-101
انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 27-30
2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص192

التَّفسير	أدلَّة بطلانه
التَّفسير الثَّاني: الوحي نتيجةَ تدرُّجٍ في التَّأمُّل والتَّفكُّر	أكبر ردٍّ عليه هو الخوف والرُّعب الذي داخلهﷺ عند نزول الوحي حتَّى أنَّه قطع خلوته في الغار وأسرع عائداً إلى البيت يرجف فؤادُه، ممَّا يؤكِّد أنَّهﷺ لم يكن متشوِّقاً للرِّسالة، ثمَّ إنَّ التَّأمل "**لا يستدعي الخوف والرُّعب واصفرار اللَّون. يدلُّ على ذلك القياس اليقينيُّ القائم على استقراء الحالات وجميع الظُّروف المشابهة...**"[1].
التَّفسير الثَّالث: لقد كان لدى النَّبيِّﷺ معلومات عن الوحي وهذا ساعده في التَّأمُّل والإشراق الدَّاخليِّ	1. ما سبق مِنْ ذكر الخوف الذي اعتراهﷺ عندما نزل عليه الوحي (جبريل عليه السلام). 2. ذهابهﷺ إلى السَّيدة خديجة، وخوفه مِنْ أنْ يكون ما جاءه نوعاً مِنَ الجنِّ، ثمَّ سؤالهما عن حقيقة الأمر، كلُّ ذلك يدلُّ على عدم العلم المسبق المساعد على التَّأمُّل والإشراق الرُّوحيِّ.
التَّفسير الرَّابع: عدم رؤية الوحي دليل عدم وجوده	والقاعدة هنا التي أثبتها رحمه الله في أكثر مِنْ موضعٍ (عدم وجدانك للشَّيءِ لا يعني عدم وجوده).
التَّفسير الخامس: لم يكن الوحي إلَّا صَرَعَاً ينتابه بين الحين والآخر	لم يُدْرِجْ رحمه الله هذه المسألة ضمن النَّظريَّات العلميَّة الموضوعيَّة لذلك لم يذكُرْها بالبحث والنِّقاش، واعتبر الحديث عنها تضيعاً للوقت.
التَّفسير السَّادس: أنَّ النَّبيَّ إنسانٌ عظيمٌ جاء لِيُصْلِحَ قومه، ودراسة شخصيَّته هكذا أقرب إلى الأذهان مِنْ كونه نبيَّاً	يؤكِّد رحمه الله هنا على دراسة شخصيَّة سيدنا محمَّدﷺ على أنَّه نبيٌّ كما عرَّف نفسه للعالَم وليس على أنَّه شخصٌ عظيمٌ يتمتَّع بصفاتٍ مميَّزةٍ، فلا اجتهاد في موضع النَّصِّ؛ وقد نصَّﷺ على أنَّه نبيٌّ، ومَنْ يعتقد أنَّه بذلك يكرِّمهﷺ فحقيقة الأمر هو يَصِفُه بالكذب لأنَّه كان يؤكِّد دائماً أنَّ هذا القرآن ليس كلامَه، وإنَّما كلام الله تعالى[2].

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص190
انظر من هنا وهناك/البوطي، 186
2 انظر مع النَّاس/البوطي، 179/2
انظر الظلاميون والنورانيون/البوطي، 72
انظر من هنا وهناك/البوطي، 184–185

المبحث الثَّاني: النُّبوَّة والرِّسالة

المطلب الأوَّل: تعريف النُّبوَّة والرِّسالة والفرق بينهما

أوَّلاً. معنى النُّبوَّة والرِّسالة

لقد اعتمد رحمه الله في تحديد معناهما على النَّظر في العلاقة القائمة بين طرفيها، فالنُّبوَّة: علاقةٌ قائمةٌ بين الله ومَنْ اختاره نبيًّاً؛ تقوم بشكلٍ كليٍّ على الوحي والإنباء. والرِّسالة: علاقةٌ قائمةٌ بين مَنْ اختاره الله نبيًّاً والنَّاس، تقوم على التَّبليغ لِمَا جاء به الوحي الإلهيُّ.

وأكَّد أنَّ العلاقة التي تُعَبِّرُ عن صلة النَّبيِّ مع الله تعالى وهي (النُّبوَّة) أشرف مِنَ العلاقة التي تُعَبِّرُ عن صلة النَّبيِّ مع سائر النَّاس وهي (الرِّسالة).

أمَّا ما اجتهد فيه العلماء مِنَ البحث في الفرق بين النُّبوَّة والرِّسالة فعدَّه رحمه الله بحثاً اجتهاديًّاً غير داخلٍ في الحقائق القطعيَّة المتَّفَقِ عليها لذلك تعدَّدت فيه الآراء والأقوال. وكما تبيَّن إنَّ منهج الدُّكتور البوطي رحمه الله في الأمور غير القطعيَّة أنْ يمرَّ عليها باختصارٍ مبتعداً عن ذكر الأدلَّة والنِّقاشات التي ربَّما تَطُوْلُ في كتبٍ أخرى؛ إذ حُكْمُ الاشتغالِ في علم الكلام عنده محصورٌ في شبهةٍ يُؤَدِّي الاعتقادُ بأحدِ قوليها إلى الكفر، وهذه المسألة ليست مِنْ ذلك، لذلك قرَّر رحمه الله تعالى عدم الخوض فيها[1].

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص183-186

ومختصر المسألة: هل للنَّبيِّ والرَّسولِ مدلولٌ واحد، أمْ مدلولان مختلفان، فيكون أحدهم نَّبيَّاً ولا يكون رسولاً؟ وما عليه كثيرٌ مِنَ العلماء أنَّ بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، فالنَّبيُّ أُوحيَ إليه بأمرٍ مِنَ الله سواء أُمِرَ بتبليغه أم لا، فإن كُلِّفَ بتبليغه فهو رسول، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ عندهم وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

وهذا ما اختاره رحمه الله تعالى، فقال: الرَّسولُ "**إنسانٌ أَوحَى الله إليه بواسطة جبريل أنْ يُبلِّغ عامَّة النَّاس أو فئةً منهم أمراً مِنْ قِبَل الله جلَّ جلاله، فإنْ أَوْحَى الله إليه بأمرٍ ولم يأمُرْه بتبليغه فهو نبيٌّ فقط.**"[1]، ويؤكِّد رحمه الله تأكيداً كبيراً على كون كلمة (الوحي) قيدٌ أساسيٌّ في التَّعريف، لا يمكن الاستغناء عنه، وهذا ما اتَّفق عليه المسلمون كلُّهم منذ عصر النُّبوَّة إلى اليوم.

أمَّا تعريف الشَّيخ محمَّد عبده[2] للنَّبيِّ بأنَّه "**إنسانٌ فُطِرَ على الحق علماً وعملاً، أيْ بحيثُ لا يعلم إلا حقاً ولا يعمل إلا حقاً على مقتضى الحكمة، وذلك يكون بالفطرة، أيْ لا يحتاج فيه إلى الفكر والنَّظر... فإنْ فُطِرَ أيضاً على دعوة بني نوعه إلى ما جُبِلَ**

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص184

2 محمَّد بن عبده بن حسن خير اللّه، ولد بمصر، أواخر عام 1849م، من أشهر مشايخه درويش خضر، وجمال الدّين الأفغاني أخذ عنه العلوم الفلسفية والكلامية والرّياضية، تولّى منصب القضاء لفترة، ثم عين عضوا في إدارة الأزهر، ثم مفتياً للديار المصرية، أتقن اللّغة الفرنسية، وهو من رواد الفكر الإصلاحي، توفي بالإسكندرية عام 1905م/انظر عبقري الإصلاح والتّعليم/ محمود عباس العقاد، بالإضافة إلى موقع ويكيبيديا. يقول الدُّكتور البوطي رحمه الله عن منهج الشيخ محمَّد عبده: "ليس لي موقف من شخص الشيخ محمَّد عبده أو أحد من الذين ساروا على منواله، ولكن لا بد أن يكون لي موقف من المواقف التي اتخذها محمَّد عبده وتلامذته.... حياة الشيخ محمَّد عبده مرت بمرحلتين: مرحلة اشتراكه في ثورة عرابي وإصداره (العروة الوثقى) مع جمال الدين الأفغاني، (ولا اعتراض لنا على شيء من سلوكه وأفكاره آنذاك) ومرحلة عودته إلى مصر بعد نفيه حيث اتجه إلى ما سمي بحركة الإصلاح الديني، وراح يبذل أقصى ما يملك من جهد للمصالحة بين الإسلام الحقيقي والمدنية الغربية. وهي المرحلة التي أثنى عليه فيها كرومر حاكم مصر آنذاك.." حوار حول مشكلات حضارية/البوطي، 38/الحاشية

عليه فهو رسول أيضاً."[1] فهو مردودٌ لكونه استبدل كلمة الوحي بالفطرة، والفارقُ بين الوحي والفطرة كبيرٌ، فمحور تعريفه يقوم على تجاهل الوحي تجاهلاً متعمَّداً يخدم أهدافاً استعماريَّةً.

ثانياً. هل النُّبوَّة مكتسبة؟

ذكر رحمه الله تعالى في الإجابة عن هذا السُّؤال دليلين؛ الأوَّل نقليٌّ وهو قوله تعالى:﴿الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالتهُ﴾الأنعام:124/6، وقال:﴿الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاس إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾الحج:75/22.

والثَّاني دليلٌ عقليٌّ قائمٌ على اللُّزوم؛ فالنُّبوَّة تلزم عن شرطٍ أساسيٍّ وهو الوحي؛ وهذا الشَّرط يستحيلُ عقلاً الوصول إليه بطول تأمُّلٍ وتفكُّرٍ أو تعلُّمِ سحرٍ وغيره، بل الوحي اصطفاءٌ مِنَ الله للعبد، إذن النُّبوَّة غيرُ مكتسبةٍ بل هي اختيارٌ مِنَ الله تعالى[2].

المطلب الثَّاني: الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى

(أحكامٌ خاصَّة بهم)

1. أَوَّلُ الرُّسل وآخرهم.

إنَّ أَوَّلَ الأنبياء تأييداً بالوحي والأحكام هو سيدنا آدم، وذلك ثابتٌ في كتاب الله وسنَّتهﷺ في كثيرٍ مِنَ النُّصوص، وآخرُهم هو سيدنا محمَّدﷺ، فلا نبيَّ بعدَه كما ثبت في النُّصوص الصَّريحة؛ قال تعالى:﴿مَا كَانَ محمَّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبيّينَ وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾الأحزاب:40/33، وقالﷺ:"مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ

1 موقف العقل والعلم/مصطفى صبري، 40/4. وقد نقله الدُّكتور البوطيّ حرفياً انظر كبرى اليقينيَّات، ط:8، ص185 الحاشية

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ،ط:8، ص236-238

قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاس يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ "[1]، وهذا ممَّا أجمع عليه المسلمون وعُرِفَ مِنَ الدِّين بالضَّرورة[2].

وبهذا يثبت أنَّ الحقائق الاعتقاديَّة كانت موجودةً منذ فجر الوجود الإنسانيِّ، فليست نتيجةً لتطوُّر فكر المجتمعات الإنسانيَّة كما يَتَوَهَّمُ البعض[3].

كما أنَّه لا يتنافى كونه خاتم النَّبيِّين مع ما ثبت مِنْ نزول سيدنا عيسى في آخر الزَّمان؛ فهو ينزل متَّبعاً سيدنا محمَّدﷺ، وليس بوصفه نبيَّاً يُبْعَثُ بعد سيدنا محمَّدﷺ[4].

ولكونهﷺ خاتمَ النَّبيِّين كانت رسالته عامَّةً لكلِّ النَّاس، بينما كانت رسالاتُ الأنبياءِ قَبْلَهُ خاصَّةً لأقوامهم.

2. عدد الرُّسل والأنبياء.

يجب على المسلم الاعتقادُ تفصيلاً بنبوَّة خمسة وعشرين نبيَّاً مرسلاً؛ هم الذين ذُكِرَتْ أسماءُهم بالقرآن؛ آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، سليمان، داود، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى، محمَّد عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام.

ولا يجوز لمسلمٍ أنْ يُسأل عنهم ولا يعرف هل هم مِنَ الأنبياء أو لا، أمَّا الأنبياء الآخرون الذين لم يُذكروا في القرآن تفصيلاً فالإيمان بهم واجبٌ بالجملة كما ذُكروا، قال تعالى:﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾النساء:164/4، وقال:﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾فاطر:24/35.

---

1 صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب ذكر كونهﷺ خاتم النَّبيّين، الحديث:2286
صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النَّبيّينﷺ ،الحديث:3535

2 انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 51
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطي، 5

3 انظر المرجع السابق، 4

4 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص196-197

وقد ذهب بعض العلماء إلى تحديدهم بعددٍ، ولكنَّه رحمه الله يرى –كما قال الجمهور– أنَّ الالتزام بعددٍ غيرُ واردٍ في دليلٍ صحيحٍ مِنْ كتابٍ أو سنَّةٍ؛ لذلك الأَوْلى عدم حصرهم بعددٍ احترازاً مِنْ إدخال فيهم مَنْ ليس منهم أو إخراجِ منهم مَنْ هو فيهم[1].

3. مرتبة النُّبوَّة واحدة، أمَّا المنزلة عند الله تعالى تختلف.

يقول رحمه الله أنَّ النُّبوَّة حقيقةٌ واحدةٌ لا تتفاوت، مِنْ هنا مُنِعَتْ التَّفرقة فالإيمان واجبٌ بهم جميعاً قال تعالى:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾البقرة:285/2، وهذا المقصود مِنْ حديثهﷺ:"لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى"[2]، أمَّا مِنْ حيث المنزلة يقول رحمه الله: "**فلا ريب أنَّ أفضل الخلق على الإطلاق هو نبيُّنا محمَّد وهو ممَّا أجمع عليه المسلمون قاطبةً وذلك لعموم بعثته إلى النَّاس كلِّهم، وفي بيان ذلك يقول عليه الصَّلاة والسَّلام:** "وَأَنَا أَكْرَمُ الأوَّلينَ وَالآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ"[3]، **وفي بيان ذلك يقول الله عزَّ وجلَّ:**﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾آل عمران:**110/3 إذ لا شكَّ أنَّ خيريَّة هذه الأمَّة تابعةٌ لخيريَّة نبيِّهاﷺ**."[4].

وبهذا يبطُلُ ما يُنَسَبُ مِنْ تناقضٍ إلى القرآن في آيتين كريمتين؛ الأُوْلَى قوله تعالى:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾البقرة:285/2، والثَّانية قوله تعالى:﴿تِلْكَ الرُّسل فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ البقرة:253/2. فالمراد مِنَ الأُوْلَى وجوب الإيمان بكلِّ الرُّسل فلا يجوز الإيمان ببعضهم والكفر ببعض، أمَّا الآية الثَّانية فسياقها تفضيلهم في المرتبة عند الله[5].

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص198

2 صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه الصّلاة والسّلام، الحديث:2373
صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد، الحديث:3408

3 سنن التّرمذي، أبواب: الفضائل، باب: في فضل النَّبيّﷺ، الحديث: 3616، وقال عنه التّرمذي: غريب
سنن الدّارمي، المقدّمة: باب ما أُعطي النَّبيّﷺ من الفضل، الحديث:48، وقال عنه المحقق حسين سليم أسد الدّاراني: حديث ضعيف

4 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص199

5 انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 120–124

المطلب الثَّالث: صفات الأنبياء وشروطهم

يرى رحمه الله أنَّه لا فرق بين الصِّفات والشُّروط، فصفات الأنبياء هي الشُّروط الواجب توافرها فيهم، ويؤكِّد رحمه الله تعالى أنَّ ثبوت هذه الصِّفات بالسَّمع والعقل؛ أمَّا السَّمع فما وَرَدَ عن صفات الأنبياء في كتاب الله تعالى وسنَّةِ نبيِّه، وأمَّا العقل فيلزم اتِّصافهم بها لتمام الهدف مِنْ إرسالهم، وإلَّا تحوَّل إرسالهم إلى ضربٍ مِنَ العبث تعالى الله عنه[1]. وبالتَّالي تكون الصفات الواجب توافرها في الأنبياء كما يلي:

الصِّفات الواجب توافرها في الأنبياء[2]

1. الذُّكورة.

وهي شرطٌ ثابتٌ عند الجمهور، أمَّا ما أسنده تعالى مِنَ الوحي إلى أمِّ موسى:﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾القصص:7/28، والأمر إلى السَّيدة مريم:﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾مريم:24/19، فهو عندهم بمعنى الإلهام، وهو مشتركٌ بين النَّاس كلِّهم، وقد أسند الله الوحي إلى النَّحل فقال:﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾النحل:68/16، كلُّ ذلك قد يكون نداءً مِنْ مَلكٍ مثل جبريل، وهو بمجرده لا يعني النُّبوَّة ولا يستلزمها.

2. الأمانة.

وتعني الصِّدق، وحفظ الله لظواهرهم وبواطنهم عن المنهيَّات، وعدمها يجعل بعثَتُهم عبثاً، وهو محالٌ. وهذا يؤدي بالضَّرورة إلى أنَّ الأنبياء معصومون عن تعمُّد الكذب فيما يتعلَّق بالتَّبليغ بالإجماع، ومعصومون عن الكذب في أمور التَّبليغ سهواً، عند جمهور المسلمين، فالأمانة عصمةٌ عن الكذب في أمور التَّبليغ، والعصمة صفةٌ عامَّةٌ عن كافَّة الذُّنوب.

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص204

2 انظر المرجع السابق، ط:8، ص202-204

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 59

انظر مختارات من خطب الجمعة/البوطي، 485

3. الفطنة والعدالة.

عدم الاتِّصاف بها يتعارض مع هدف الرِّسالة، فتغدو عبثاً، وهو محالٌ في حقِّه تعالى.

4. العصمة عن الوقوع في الذُّنوب.

فصَّل رحمه الله فيها لأهميَّتها، حيث قسَّم الذُّنوب حسب خطورتها، وذلك وفق الجدول التَّالي: جدول (5) العصمة في حقِّ الأنبياء

درجة الذَّنب ونوعه	حكم العصمة منه عند العلماء
الكفر، وهو أخطر الذُّنوب	معصومون عنه قبل النُّبوَّة وبعدها بالإجماع
تعمُّد الكبيرة	معصومون عنه قبل النُّبوَّة وبعدها بالإجماع
الصَّغائر التي لا تَخرم المروءة	محلُّ اختلافٍ؛ لأنَّه غيرُ مبنيٍّ على أدلَّةٍ قطعيَّةٍ، فهو مِنَ الأمور الاجتهاديَّةِ التي لا يُؤَدِّي الاعتقادُ بأحدِ قوليها للكفر، لذلك هيَ غيرُ داخلةٍ في الضَّرورة التي مِنْ أجلها أجاز رحمه الله الاشتغال بعلم الكلام، ولكنَّ الجمهور يميلون إلى عصمتهم عنها خاصَّة بعد البعثة.
الخطأ في الاجتهاد ليس ذنباً بل هو عبادةٌ يثاب عليها المجتهد أخطأ أو أصاب	الأنبياء لا يستمرُّون باجتهادٍ خاطئٍ بل يَنْزِلُ الوحي بالتَّصحيح، لذلك لا يُسمَّى خطأُ النَّبيِّ بالاجتهاد خطأً؛ إلَّا بالنَّظر للعلاقة بينه وبين ربِّه، أمَّا بينه وبين النَّاس لا يَسَعُهُم إلَّا اتِّباعه، فكلُّ ما يأتيهم مِنْه حقٌّ[1].

أخيراً.

مِنْ خلال ما سبق يتَّضحُ أنَّ الصِّفات الواجبة للأنبياء لا تُخرِجهُم عن كونهم مِنَ البشر يتَّصفون بصفاتهم ويتعرَّضون لِمَا يُصِيْبُهُم مِنْ عوارضِ الألم والجوع والنَّوم وغيره، وليس هذا نقصاً في حقِّهم بل فيه حكمةٌ بالغةٌ: وهي سهولة الاقتداء بدون عذر، وفي ذلك قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾الفرقان:20/25[2].

1 انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 244-245

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص204-205

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 73/2

المبحث الثَّالث: المعجزات

المطلب الأوَّل: تعريفها وحكم الإيمان بها

أوَّلاً. تعريفها

عرفها الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله بقوله: "**هي كلُّ أمرٍ خارقٍ للعادة يظهر على يد مدَّعي النُّبوَّة عند تحدِّي المنكرين له، على وجهٍ يبيِّن صدق دعواه.**"[1].

وفي هذا التَّعريف قيودٌ أربعة:

الأوَّل: أنَّها خارقةٌ للعادة، فهي تخالف المألوف وليس العقل، أيْ تخالف المستحيلات عرفاً، وليس عقلاً.

الثَّاني: على يد مدَّعي النُّبوَّة؛ فما يحدث للأولياء يسمَّى كرامةً لا معجزة.

الثَّالث: تحدِّي المنكرين؛ بنوعيه الصَّريح والضِّمني، فما حدث مِنْ باب المصادفة لا يُعتبر مِنَ المعجزات.

الرَّابع: تصديق المدَّعي فيما يقول، أيْ تُثْبِتُ صِدْقَ ادِّعائِه.

ثانياً. المعجزة والكرامة والاستدراج

1. الكرامة: "**أمرٌ خارقٌ للعادة يجريه الله على يد مَنْ شاء مِنْ عباده على وجه الإكرام له.**"[2]، ويُسَمَّى هذا العبد وليَّاً؛ حيث عرَّفه رحمه الله بأنَّه: رجلٌ صالحٌ تولَّاه الله بفضلِه ورعايته، فالنَّبيُّ مُيِّزَ بالوحي، أمَّا الوليُّ فتميَّز بفضل الله تعالى وكرمه[3].

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطي، ط:8، ص214

انظر أيضاً الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 139-140

انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 206 -207

2 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 229/4

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 12

ولقد "**أجمع أئمة المسلمين وعامَّة أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً؛ أجمعوا أنَّ كلَّ ما قد جاز أنْ يكون معجزةً لنبيٍّ، يمكن أنْ يكون كرامةً لوليٍّ عقلاً وشرعاً. لأنَّ مناط الأمر فيهما واحدٌ؛ فالإله الذي شاء أنْ يُؤَيِّدَ رسولَه ببعض الخوارق، لا يمنعه أيُّ مانعٍ مِنْ أنْ يُكرِمَ وليَّه، إذا شاء، ببعض تلك الخوارق أيضاً لحكمةٍ يعلَمُها.**"[1].

ولا يَصِحُّ وصفُهم بأنَّهم شخصياتٌ خرافيَّةٌ جسَّدَتْهَا بقايا الوثنيَّةِ في نفوس الخبثاء أو الأذكياء مِنَ النَّاس. فقد أَثْبَتَ البيان الإلهيُّ وجودَهم موضحاً صفاتَهم بقوله:﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 62 الذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾يونس:10/62-63[2].

2. الاستدراج: وقوع الخوارق على يد الفسقة أو الكفرة مِنَ النَّاس، قال تعالى:﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾القلم:68/44[3].

3. الفرق بين المعجزة والكرامة.

جدول (6) الفرق بين المعجزة والكرامة[4]

المعجزة	الكرامة
تحدُث على يد مدَّعي النُّبوَّة	تحدُث على يدِ الوليِّ
الغاية منها تصديق النَّبيِّ	الغاية منها الإكرام للوليِّ
يُصَاحِبُها التَّحدِّي	لا يُشْتَرَطُ فيها التَّحدِّي
يُلَازِمَها عصمةُ صاحِبها	لا يُشْتَرَطُ عصمةُ صاحبها بل استقامتُه

1 الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 143

2 انظر المرجع السّابق، 141

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 39

4 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8،ص227-235

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 273/3، 229/4

انظر مع النَّاس/البوطي، 203/1، 167/2-168

4_ حكم الإيمان بوجود الأولياء[1].

4-1. الولي: مَنْ تمتَّع عقلُه بالإيمان التَّام، وتمتَّع سلوكُه بتقوى الله، دون الحاجة إلى الغرائب والخوارق.

4-2. ولقد أثْبَتَتْ الأدلَّة النَّقليَّة القطعيَّة وجودَ الأولياءِ، قال تعالى:﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 62 الذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾يونس:10/62-63، وقالﷺ فيما يرويه عن ربه: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ"[2].

4-3. فالمسلم مكلَّفٌ بأنْ يعتقد أنَّه مِنَ الممكن عقلاً وشرعاً ظهور الخوارق على الأولياء، أمَّا الوقائع الجزئيَّة التي تُنقل فالاعتقاد بها راجعٌ إلى القناعة الشَّخصيَّة وطريقة ثبوت خبرها عند السَّامع.

4-4. كما لا يَلْزَمُ تصديقُ كلِّ مَنْ يدَّعي لنفسه الكرامات، بل إنَّ ادِّعاءَه لها دليلٌ على كذبه؛ إذ حالُ الرَّجل الصَّالح ألَّا يذكر ذلك[3].

4-5. كما أنَّ الحكم على حقيقةٍ إيمانيَّةٍ بالنَّفي اعتماداً على بعض القَصص الباطلة المؤلَّفة لا يَصِحُّ.

4-6. ليس مِنْ مقتضيات الإيمان بوجودهم إلَّا محبَّتهم واحترامهم وتقديرهم فذلك مظهرٌ مِنْ مظاهر كمال الإيمان، وحدود ذلك ألَّا يصل إلى التَّقديس المنهيِّ عنه، قال تعالى:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا

---

1 انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 141-145
انظر مع النَّاس/البوطي، 2/167-168

2 صحيح البخاري: كتاب الرّقاق، باب التّواضع، الحديث:6502، ولفظه كامل: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: "إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 51

إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾التوبة:31/9. فالفرق واضحٌ بين الحبِّ في الله والحبِّ مع الله، فالأوَّل غايةٌ في التَّوحيد المطلوب، والثَّاني غايةٌ في الشِّرك المذموم. أمَّا تقديسُهم إنْ وُجِدَ فهو بدعةٌ عند جماعةٍ تدْخلُ في عموم قوله تعالى السَّابق، ولا يُمَثِّلون إلَّا أنفسهم وجهلَهم.

ثالثاً. المعجزة وحكمها في ميزان العلم.

ذَكَرَ رحمه الله تعالى للفظ العلم معنيين:

الأوَّل: خاصٌ؛ يستخدمه المختصُّون بالعلوم الطَّبيعيَّة المختلفة، وهذا لا ارتباط له بالمعجزة؛ لأنَّه قائمٌ على أساس التَّجربة والمشاهدة، وهي غير ممكنةٍ في المعجزة.

والثَّاني: عامٌ؛ وهو إدراك الشَّيء على ما هو عليه في الواقع بدليل. وهو يشمل كل المعتقدات الإيمانيَّة بدءًا مِنَ الاعتقاد بوجود الله تعالى، ثمَّ الاعتقاد بأنَّه خالق الأسباب والمسبَّبَات والرَّابطة بينهما، فهذا كلُّه عِلْمٌ.

وبما أنَّ المعجزة هي انفكاك السَّبب عن المسبَّب، فالعِلْمُ يحكُمُ بجوازِ وقوعِها؛ لأنَّ الذي خَلَقَ الرَّابطةَ بين الأسباب والمسبَّبَات لنْ يكون عاجزاً عن عَدَمِ خَلْقِهَا، وبالتَّالي تنفكُّ الأسبابُ عن مسبَّبَاتها فتحصل المعجزة.

إذن باستخدام الدَّليل العلقيِّ أثبت رحمه الله تعالى أنَّ حدوثَ المعجزةِ مِنَ الممكنات[1].

رابعاً. حكم الإيمان بالمعجزات

الإيمان بها إجمالاً لجميع الأنبياء واجبٌ وعدمه كفر، دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة، منها قولهﷺ:"مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَد اعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ."[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص229

2 صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمَّدﷺ إلى جميع النَّاس،الحديث:239، 134/1

أمَّا الإيمان بها تفصيلاً على قسمين، فما وَرَدَ منها بدليلٍ يقينيٍّ قطعيٍّ متواترٍ؛ وجب الإيمان به وإنكاره كفر، وما وَرَدَ منها بخبر الآحاد وإنْ كان صحيح الإسناد فإنكاره فِسْقٌ[1].

وبناءً على هذا المنهج في قَبُولِ المعجزاتِ ذَكَرَ رحمه الله تعالى في كتابه كبرى اليقينيَّات الكونيَّةِ أهمَّ المعجزاتِ المتواترةِ عنه ﷺ.

خامساً. أهمُّ المعجزاتِ المتواترة عنه ﷺ.

المعجزة الأُوْلَى. القرآن الكريم.

ويتمثَّل بالنَّظم القرآنيِّ الذي أعجز البلغاء مِنَ الإنس والجنِّ في عصره حتَّى الآن أنْ يأتوا بمثله، حيث أنَّهم خسروا التَّحدِّي رغم تخفيفه عدَّة مراتٍ حيث قال تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 23 فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّار التى وَقُودُهَا النَّاس وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ 24﴾البقرة:2/23-24.

وهنا يستخدم الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله برهانَي الاستقراء التَّامِّ والتَّجربة والمشاهدة، فالأوَّل منهما يقول: عَجْزُ العرب كلِّهم عن الإتيان بمثل القرآن دليلٌ واضحٌ على أنَّه لا يمكن أنْ يكون مِنْ تأليف أحدهم، وليس مِنْ تأليف نفسه، وإلَّا ما يمكن أنْ يفعله أحد البشر يمكن لغيره القيام به، فعجزهم أثبت أنَّه كلام الله تعالى.

والثَّاني منهما اعتبر فيه رحمه الله تعالى الواقع نفسه يدلُّ بالتَّجربة والمشاهدة على ثبوت الإعجاز للقرآن، مِنْ خلال الوقائع التي تُثبت محاولة قلَّةٍ مِنَ النَّاس أنْ يأتوا بشيءٍ مِنْ مثل القرآن فجاؤوا بما يثير السُّخرية مِنْ سُخْفِ مستواه[2].

ومِنْ أهمِّ المسائل التي ذكرها رحمه الله تعالى:

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص235

2 انظر المرجع السَّابق، ط34، ص218-219

انظر مِنْ روائع القرآن/البوطي، 129-130

1- القرآنُ مُنَزَّلٌ مِنْ عند الله تعالى. ودليله:

1-1. عَجْزُ العربِ عن الإتيان بمثله رغم كونهم أصحاب بلاغةٍ.
1-2. دليل الاحتمالات أو دليل التَّدرُّج مِنْ مرحلة الاتِّهام إلى مرحلة التَّقديس.

وهو عبارةٌ عن مجموعة افتراضاتِ اتِّهامٍ -أيْ تفترض أنَّ القرآن مِنْ عند البشر- وبناءً على هذه الافتراضات ينبغي الوصول إلى نتيجةٍ محدَّدةٍ وهي إمَّا عدم التَّقديس للقرآن لأنَّه كلام البشر أو التَّسليم واليقين بتقديسه فهو كلام الله، وفي توضيح هذا الدَّليل يعتمد رحمه الله على قاعدة: أنَّ الكلام صفةُ المتكلِّم، أيْ أنَّ طبيعة المتكلِّم ومظهره سيتجلَّى مِنْ خلال كلامه، وبالتَّالي عند النَّظر والتَّمعن في كلام الله نجده مغموساً في مظهر جلال الرُّبوبيَّة كما أطلق عليها، وهنا بدأت الاحتمالات والافتراضات بالزَّوال، وقد كانت أوَّل الآيات التي نظر فيها رحمه الله؛ قوله تعالى:﴿نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ 49 وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾الحجر:15/49-55، وقوله تعالى:﴿إِنَّنِى أَنَا الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى 14 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى 15 فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى16﴾طه:20/14-16[1].

1-3. إخبار القرآن عن أمورٍ تتعلَّق بطبيعة الأرض وقوانين الكون العلميَّة، وأين للعرب في ذلك العصر الذي أُطلق عليه عصر الجاهليَّة أنْ يعلموا مثل هذه القوانين.
1-4. ذِكْرُه لأمورٍ غيبيَّةٍ مِنَ الماضي أو مِنَ المستقبل[2].
1-5. آيات العتاب الواردة في القرآن لسيِّدنا محمَّدﷺ؛ كيف يُتَصَوَّرُ أنْ يُعَاتِبَ ذاته[3].

---

1 انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 108-109
انظر هذه مشكلاتهم/البوطيّ، 195-198، 174-177
انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 226-232
2 انظر من روائع القرآن/البوطي، 193
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 110-111
3 انظر المرجع السَّابق/البوطيّ، 112-113

2- القرآن ووصوله إلينا بدون تحريف.

نقل رحمه الله إجماع العلماء على أنَّ ترتيب آيات وسور القرآن ووضع البسملة في أوَّلها توقيفيٌّ، فهو لازال كمَا نزل به جبريل عليه السَّلام حتَّى اليوم.

وَأَوْرَدَ على ذلك دليلين؛ الأول: قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾البقرة:234/2، قَالَ: قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»[1].

والثاني: أنَّه نُقلَ بطريقين موصولين إليهﷺ مباشرةً، الطَّريق الأوَّل: الحفظ في الصُّدور؛ وهو التَّلقي الشَّفهيِّ، الطَّريق الثَّاني: الحفظ في السُّطور؛ وهو الكتابة في حياتهﷺ، والجمع بين دفتين في خلافة سيدنا أبي بكر وعمر، وكتابة سبع نسخٍ في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنهم[2].

3- ورقة بن نوفل هو معلِّم النُّبوَّة للرَّسولﷺ.

أوَّلاً. دعاوى أبي موسى الحريري[3]

1. **ورقة بن نوفلٍ** درَّب النَّبيَّﷺ على فنَّ النُّبوَّة، ونفَّذ المخطَّط بمساعدة السَّيدة خديجة رضي الله عنها.

---

1 صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾البقرة:234/2، الحديث:4530.

2 انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 217-222

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 158

انظر مِنْ روائع القرآن/البوطي، 42-46

3 هو الأب جوزيف قزي (مواليد 20 نوفمبر 1937 في الجيّة) ، كاتب وباحث وراهب لبناني يشتهر بأسماء أخرى منها أبو موسى الحريري و أنور ياسين. ألَّف العديد من الكتب والمقالات المثيرة للجدل حول الأديان، ونشر كتبه بأسماء مستعارة لأسباب تتعلق بأمنه الشّخصي، من أكثر كتبه التي أثارت الجدل كتابه "قس ونبي" عام 1979، ونشره بالاسم المستعار أبو موسى الحريري. ففيه يعتبر أن المجتمع الإسلامي "نصراني" الأصل، وأنَّ ورقة بن نوفل كان سبباً في تأليف القرآن، وداعماً للنَّبيّ محمَّد. انظر موقع ويكيبيديا، والحوار المتمدن مقال: "من هو أبو موسى الحريري" سامي الذيب.

2. نفيُ أميَّة النَّبيِّﷺ بل كان يقرأ ويكتب حتَّى تمكَّن مِنَ التَّعلُّم عند ورقة بن نوفل، وتمَّ تأويل كلمة (أُمِّيّ) الواردة أنَّه غير كتابيّ، فما عدا النَّصارى واليهود أُمِّيين، ولا تعني كونهﷺ لا يقرأ ولا يكتب.
3. واستدلَّ على عدم أمِّيَّتهﷺ بطلب القراءة منه في القرآن أكثر مِنْ مرةٍ، عند حادثة بدء الوحي، حيث قال جبريل عليه السَّلام للنَّبيِّﷺ اقرأ ثلاث مراتٍ[1]، فإنْ لم يكن قارئاً فيكون جبريل قد طلب منه أمراً ليس أهلاً له. ويضاف لذلك قوله تعالى:﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾الإسراء:14/17[2].

ثانياً. ردود الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى

1. أمَّا كون ورقة بن نوفلٍ علَّمه فنَّ النُّبوَّة، فذلك يستلزم كون النُّبوَّة كسباً عن أستاذ، وهذا ما ثبت خلافه، وكذلك يستلزم السُّؤال عن أسماء أساتذة الرُّسل والأنبياء السَّابقين.
2. أمَّا كلمة أمِّيّ، فلا مجال لتفسيرها إلَّا بما وَرَدَ في مصادر اللُّغة؛ فهي تعني بشكلٍ أساسيٍّ مِنْ لَمْ يتعلَّم الكتابة، نسبةً إلى الأمِّ، وتشبيهاً بحالته يوم ولدته أمُّه في بقائه على الجبلَّة، وهذا هو قول أئمة اللُّغة[3].
3. أمَّا كلمة اقرأ ففي اللُّغة أيضاً تُطْلَقُ على معنى أعمّ مِنَ القراءة مِنْ كتابٍ، بل قد تُطْلَقُ على مَنْ يُرَدِّدُ شيئاً متلوَّاً على لسانه سواء قرأه مِنْ كتابٍ أو مِنْ حفظه.
4. أمَّا قوله تعالى:﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ فيقول رحمه الله عنه: إنَّ الآية التي قبلها مباشرةً تُظهر أنَّ الخطاب هنا ليس لسيدنا محمَّدﷺ، إنَّما هو وصفٌ لحالٍ مِنْ أحوال يوم الحساب حيث يقول تعالى:﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا 13 اقْرَأْ كِتَابَكَ..﴾الإسراء:13/17-14.

---

1 صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي للرسولﷺ، الحديث:3

2 انظر هذه مشكلاتهم/البوطيّ، ص185-191

انظر من هنا وهناك/البوطي، 182-190

3 انظر لسان العرب/ابن منظور، فصل الألف: مادة أمم، 34/12

5. وأمَّا طلب سيدنا جبريل عليه السَّلام مِنْ سيدنا محمَّدﷺ أنْ يقرأَ ففيه مناقضةٌ واضحةٌ وتامَّةٌ لِكونهﷺ غير أمِّيّ، فرَدُّهﷺ كما وَرَدَ في الحديث الصَّحيح: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ"[1].

6. إنَّ قريشاً بعد فشل محاولاتها في نسب السِّحر والجنون والجنِّ إلى دعوتهﷺ، لجأت للقول بأنَّ القرآن علَّمه معلِّمٌ للنَّبيِّﷺ وبدأتْ بالبحث عنه، فلمَّا أَيْقَنَتْ ألَّا وجود له دَفَعَهَا عنادُها إلى اختراع رجلٍ يعيش في اليمامة اسمه الرَّحمن ونَسَبَتِ القرآن إليه، وقالَتْ لسيدنا محمَّدﷺ أنَّها لنْ تُؤْمِنَ بالرَّحمن الذي يزعم أنَّه إلهاً، فلو كان ورقة بن نوفل هو المعلِّم للنَّبيِّﷺ لَعَلِمَه زعماءُ قريش خاصَّةً أنَّه يعيش قريباً منهم[2].

المعجزة الثَّانية: الإسراء والمعراج.

وقد كانت بالرُّوح والجسد معاً بإجماع جمهور المسلمين، ودليلهم استعظام قريش لها، فلو كانت بالرُّوح فقط كمنامٍ فلا داعيَ لاستغرابهم، فالمرئيَّات في المنام لا حدود لها، وتجوز للمسلم والكافر، ويزيد التَّحدِّي أنَّهم طلبوا وَصْفَ بيت المقدس ومداخله.

وذَكَرَ رحمه الله ادِّعاءَ الارتقاءِ بالجسم الأثيريِّ الطَّاقيِّ، وعقَّب بأنَّ هذا أمرٌ غيبيٌّ فلا يخضع للتَّجربة والمشاهدة، ودور العقل فيه يتوقَّف عند إثبات نبوَّتهﷺ والحكم بصدق ما جاءنا به[3].

المعجزة الثَّالثة: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

وكان الإمداد حقيقيَّاً وليس معنويَّاً أو روحيَّاً ودليل ذلك ضبط عدد الملائكة بعددٍ محدَّدٍ، فقد قال تعالى:﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾الأنفال:9/8، فالعدد منْ مستلزمات الكمِّ المنفصل الماديَّة والمحسوسة حصراً، فالتَّقييد بعددٍ معيَّنٍ يمنع تفسير الملائكة بالدَّعم المعنويِّ[4].

---

1 صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي للرسولﷺ، الحديث:3

2 انظر هذه مشكلاتهم/البوطيّ، 185-194

انظر من هنا وهناك/البوطي، 182-190

3 انظر مختارات من خطب الجمعة/البوطي، 73

4 انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 242-243

انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 140

ومِنْ معجزاته المتواترة[1]: انشقاق القمر، نبع الماء مِنْ أصابعه، تكثير الطَّعام، تكليم الشجر والجمل والشَّاة المسمومة له، حنين الجذع وغيرها[2].

ويُلَاْحَظُ هنا اقتصارُه رحمه الله تعالى على المعجزات المتواترة في أغلب كتبه وأوَّلها كتاب كبرى اليقينيَّات؛ وذلك التزاماً بمنهجه القائم على وجوب الاعتقاد تفصيلاً بالمعجزات المتواترة. أمَّا مَاْ ذُكِرَ في هذه الفِقرة هو على سبيل المثال لا الحصر.

المطلب الثَّاني: المسائل الخاصَّة بالمعجزات

المسألة الأُوْلَى: مفهوم المعجزة ودعوى الإصلاح الدِّينيِّ.

وضَّح رحمه الله تعالى ارتباط الدعوى المزعومة للإصلاح الديني بتغيير مفهوم المعجزة[3]؛ حيث قَصَرَ جمعٌ مِنَ المستشرقين وأتباعِهم مِنْ مُدَّعِي الإصلاح الدِّينيِّ معجزاتهﷺ على القرآن، وقالوا إنَّه ﷺ نفى معجزاتِ الرُّسل السَّابقين ممَّا لا يَفْهَمُهُ العقلُ، ويتابعون زعمهم بأنَّ هذه مِنْ خصائصهﷺ فهو لم يُخاطبِ النَّاس بمَاْ لا يفهمون، بل كانت معجزتُه قريبةً لعقولهم.

وقد شاعت هذه الآراء تحت مسمَّى (الإصلاح الدِّيني) الذي بدأ بتدبيرٍ استعماريٍّ يهدف إلى إضعاف مكانة الأزهر في الوسط الدِّينيِّ، ليتمكَّن المحتلُّ البريطانيُّ مِنَ السَّيطرة على الثَّقافة والفكر المصريِّ بعيداً عمَّن يقف متيقِّظاً لكلِّ محاولاته وهو الأزهر.

---

1 انظر نظم المتناثر مِنَ الحديث المتواتر/الكتاني، كتاب المعجزات والخصائص، 203-217

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص219-221
انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 73، 164، 242
انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 140-141

3 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص221-228
انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 32-33
انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 135-141

وكان المخطط أنْ يُبهروا بعض المتعلِّمين الجدد بالحضارة التي وصلت إليها أوربا ويقنعونهم بأنَّ دعواهم بالإصلاح الدِّينيِّ –أيْ قياسُ كلِّ الأمورِ الدِّينيَّةِ بميزان علمهم المزعوم– هي السَّبب في التَّحَضُّر.

وهذا يعني بالضَّرورة تخليص الفكر الدِّينيِّ مِنْ كلِّ حقيقةٍ غيبيَّةٍ أو غير مفهومةٍ أو غير داخلةٍ في قوالب العلم الحديث، ومِنْ أهمها المعجزة، وأَوَّلها الوحي، عندها سينهار صرح النُّبوَّة ثُمَّ الرِّسالة[1]، إذن اختاروا نقطةً حاسمةً إنكارُها هدمٌ للدِّين الإسلاميِّ عموماً[2].

وقد اعتمد الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله لتوثيق هدفهم الهدَّام على نصوصٍ صرَّحوا فيها عن أهدافهم، ومِنْ ذلك ما نقله مِنْ مذكَّرات المندوب السَّامي لمصر في وقتها، ونصُّه:

إنَّ التَّعليم الوطنيَّ عندما قَدِمَ الإنكليز كان في قبضة الجامعة الأزهريَّة الشَّديدة التَّمسُّك بالدِّين والتي كانت أساليبها الجافَّة تقف حاجزاً في طريق أيِّ إصلاحٍ تعليميٍّ، وكان الطَّلبة الذين يتخرَّجون مِنْ هذه الجامعة يحملون معهم قدْراً عظيماً مِنْ غرور التَّعصُّب الدِّينيِّ، فلو أمكن تطوير الأزهر لكانتْ خطوةً جليَّةَ الخطر، فليس مِنَ اليسير أنْ نتصوَّر لنا أيَّ تقدُّمٍ طالما ظلَّ الأزهر متمسِّكاً بأساليبه هذه، ولكنْ إذا بدا أنَّ مثل هذه الخطوة غير متيسرٍ تحقيقُها فحينئذٍ يصبح الأمل محصوراً في إيجاد التَّعليم اللَّادينيِّ الذي ينافس الأزهر حتَّى يتاحَ له الانتشارُ والنَّجاح[3].

---

1 وفي سبيل هذا الإصلاح الدّيني برزت الأسماء التّالية وكان لها دورها البارز في ترسيخ الإصلاح الدّيني المزعوم في الأزهر الشّريف: الشّيخ محمَّد عبده، الشّيخ مصطفى المراغي، ومحمَّد فريد وجدي، وحسين هيكل وجهودهم واضحة في نفي كل الغيبيات وتفسيرها بمنظور علمي ومنها: أنَّ الشّيخ محمَّد عبده عرَّف النَّبيّ بأنه إنسان فُطِرَ على الحق علماً وعملاً؛ وبما أنَّه فُطِرَ على ذلك فقد انتفى دور أو بالأحرى وجود الوحي. ومن أخطرها التّأكيد على نسب صفة العبقرية والقيادة و العظمة للنبي صلى الله عليه وسلم بدلاً من النُّبوَّة والوحي والرِّسالة.

2 انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 162

3 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط:8، ص223–224

وختم الدُّكتورُ البوطيُّ فقال: "**ولقد تبيَّن لنا كما تبيَّن لكلِّ باحثٍ أنَّ تلك المدرسة الإصلاحيَّة لم تُكسِبْ أربابها ودُعاتِها أيَّ نهضةٍ علميَّةٍ كالتي نهضتها أوربا كما كانوا يَتَوَهَّمُون وكما وَهَمَتْهُم بريطانيا التي اختُصَّت بفنِّ المكر والخديعة واللَّعب بالعقول وليتَها كانت عقولاً غير عقول المسلمين، كلُّ ما جَنَتْهُ أيدي ذلك الإصلاح الدِّينيِّ فقدانُ الحقيقتين معاً؛ فلا هم على حقيقتهم الدِّينيَّة أبْقَوا، ولا على النَّهضة العلميَّة عثروا**"[1].

إذن الواقع المشاهد والنَّتائج الخاطئة التي حقَّقَتْها دعوى الإصلاح الدِّينيِّ هو الدَّليلُ الأقوى في إبطال دعواهم مِنْ وجهة نظر الدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى.

المسألة الثَّانية: المعجزة وَوُرُود نفيها في القرآن.

صورة المسألة: أنَّ القرآن أثبتَ أنَّهﷺ ليس مِنْ شأنه الإتيان بالخوارق، قال تعالى:﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ الله وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾العنكبوت:50/29، وقال:﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا 90 أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا 91 أَوْ تُسْقِطَ السّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِالله وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا 92 أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾الإسراء:90/17 -93.

بيان المسألة كما أَوْرَدَهُ رحمه الله تعالى: إنَّ سياق وُرُوْدِ هذه الآيات هو الاستهزاء والعناد والتَّكبُّر مِنْ أرباب الكفر، فالله يعلم لو أنَّه أرسل لهم المعجزات لَزَادَتْهُمْ عناداً، وقالوا إنَّها سحرٌ، ولو عَلِمَ الله صدْقَهم لحقَّق لهم المطلوب، بل وصَفهم بدِقَّةٍ في قوله:﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ 14 لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾الحجر:14/15. وممَّا يؤكِّد ذلك ذِكْرُ المعجزات الأخرى في صريح

---

1 كبرى اليقينيات/ البوطي، 228

انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 162-166

الآياتِ كقوله تعالى:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾القمر:1/54، وقوله:﴿سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الذى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الإسراء:1/17[1]

إذن تحدَّث هذا الفصل عن قضايا النُّبوَّة والرِّسالة، وأهمِّ الدعاوى التي تطرأ عليها، ومِنْ خلال ما سبق تتجلَّى النُّقاط التَّالية في منهجه رحمه الله:

1. ردَّ على الدَّعاوى بطريقتين الأُوْلَى علميَّةٌ، والأخرى استنكاريَّةٌ تقريعيَّة، فيبدأُ بمناقشة الدَّعوى وتحليلها منطقيَّاً، وإقناع المستمع والقارئ بما يَؤُوْلُ إليه العقل السَّليم، وغالباً يَتَوَجَّهُ بمنهجه هذا لأولئك الذين يبحثون عن الحقيقة العلميَّة متحرِّرين مِنْ كلِّ عنادٍ وتعصُّبٍ، ثُمَّ ينطَلِقُ في أسلوبه المستنكِر التَّقريعيِّ متوَجِّهاً لأولئك الذين أخفَوا عقولهم وراء تقليدٍ أعمى بحثاً عن حضارةٍ وهميَّةٍ منشودة.
2. ميزان الدَّعوى الذي يُحدِّد خطورتها وأهميَّتها هو: ما يَحْمِلُهُ مضمونُها مِنْ كفرٍ، أو فتح بابٍ لتغيير الدِّين أو هدمه كاملاً، وكذلك ما تقوم عليه الدَّعوى مِنْ أدلَّةٍ قويَّةٍ ومقنعةٍ في ظاهرها ، كدعوى إنكار المعجزات.
3. اِلْتَزَمَ رحمه الله منهجَه في الأمور غير القطعيَّة فذكرها باختصارٍ بعيداً عن النِّقاشات، كمسألة الفرق بين النُّبوَّة والرِّسالة.
4. اعتمد رحمه الله تعالى في هذا الفصل على الأدلَّة النَّقليَّة أكثر مِنَ الاعتماد على الأدلَّة العقليَّة، والسَّبب في ذلك كما بيَّنه أنَّ أصل النُّبوَّة والوحي ثبت بالنَّقل، فالمنهج الصَّحيح في فهمها الاعتماد على النَّقل ويُدعم بالأدلَّة العقليَّة للمزيد مِنَ الإيضاح.

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطي، ط:8، ص234-235

الفصل الثَّالث: الكونيَّات

وفيه

المبحث الأوَّل: العالَم.

المطلب الأوَّل: حدوث العالَم.

المطلب الثَّاني: المكان والزَّمان.

المبحث الثَّاني: الإنسان.

المطلب الأوَّل: أفضليَّة الإنسان على سائر المخلوقات.

المطلب الثَّاني: نشأة الإنسان ونظريَّة التَّطوُّر.

المطلب الثَّالث: أفعال الإنسان وما يتعلَّق فيها مِنْ مسائل.

المبحث الثَّالث: الإيمان بالملائكة والجنِّ.

المطلب الأوَّل: حكم الإيمان بالملائكة والجنِّ.

المطلب الثَّاني: صفات الملائكة ووظائفهم.

المطلب الثَّالث: الجنُّ والشَّيطان

سعى الإنسان منذ أقدم العصور لبناء تصوُّرٍ معرفيٍّ عن حقيقة الكون والإنسان والحياة، وصاحب ذلك خطان مِنَ المعرفة، أحدُهما عن طريق الوحي إلى الإنسان، والآخرُ عن طريق الاستنتاجات البشريَّة التي تأثَّرت بأوهامِ وخرافاتِ العوامل المحيطة بها مِنْ بيئةٍ وحضارةٍ وموروثاتٍ، حيث كان العقل الصَّافي أضعفَ هذه العوامل المؤثرة[1].

ولا بدَّ مِنَ التَّنبيه هنا أنَّ الكونيَّات حسب تعريفه رحمه الله تعالى: هي كلُّ ما عُلِم بالأدلَّة القطعيَّة مِنَ الموجودات؛ ممَّا يجب علينا معرفتُه والإيمانُ بوجوده شرعاً. فكلمة الكون ترادف في معناها كلمة الوجود؛ فلذلك تَشْمَل عنده رحمه الله تعالى كلَّ ما هو موجود، ولا مبرِّر لتخصيصها[2].

وعلى هذا ستتضمَّن أبحاثُ هذا الفصل دراسة المسائل المتعلِّقة بكلِّ المكوَّنات التي أمر الشَّرع بالاعتقاد بوجودها، بعيداً عن المسائل التي لا يتعلَّق بها حكمٌ شرعيٌّ رَغم كونها مِنَ المكوَّنات.

---

1 انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 268

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 2

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط34، ص243

المبحث الأوَّل. العالَم

المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات حدوث العالَم

يرى رحمه الله أنَّ البحث في حدوث العالَم هو غوصٌ في أعماق الماضي، وانطلاقٌ وراء كلِّ غيوب المستقبل. فهذا البحث ما هو إلَّا حقيقة تاريخيَّة، والمنهج المعتمد عنده للوصول إلى حقيقةٍ علميَّةٍ تاريخيَّة لا يكون بالتَّجربة، بل لا بدَّ مِنَ الخبر اليقينيِّ [1].

مع ذلك استخدم رحمه الله تعالى البراهين العقليَّة في مناقشة هذه الدَّعوى، وَسَبَبُ ذلك أنَّ العقل والنَّقل عنده رحمه الله تعالى يسيران في خطين متوازيين مُتَّفِقَيْنَ على كلِّ الحقائق فكلاهما نورٌ مِنْ خالِق الكون، ويستحيل أنْ يَخْتَلِفَ نوران مصدرهما واحد!؟

بناءً على ذلك افتتح رحمه الله هذه المسألة بدليلٍ عقليٍّ قائمٍ على التَّلازم؛ فقال: لمَّا ثبت أنَّ الوجود الكامل الأزليَّ هو وجود الله، وأنَّ وجود المكوَّنات تبعيٌّ يحتاج لخالقٍ ينقلُه إلى الوجود؛ وهذا الخالق هو الله، ثبت حدوثُ العالَم لزوماً، فالعالَم مجموعُ هذه المكوَّنات.

ثمَّ ذكر رحمه الله ادِّعاءاتٍ شكَّكتْ بحقيقة حدوث العالَم، وبيَّن بطلانها في ميزان البحث العلميِّ، وهذا المبحث سيوضِّح منهجه رحمه الله تعالى وفق التَّالي:

الادِّعاء الأُوَّل: القول بقِدَم العالَم، وسرمديَّته.

يقوم هذا الادِّعاء على الاعتقاد بأنَّ المادَّة قديمةٌ أزليَّة باقيةٌ، فهي تتحرَّك وتتطوَّر بتفاعلٍ جدليٍّ، والزَّمان والمكان شكلان لها. وقد أبطل رحمه الله تعالى أدلَّته كالتَّالي[2]:

---

1 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة /البوطيّ، 177
انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة /البوطيّ 129-135
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 44-47

2 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 151-175
انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 115-128

1. الدَّليل الأوَّل: الاتِّساع الكبير لهذا الكون. وبطلانُه ببيان حقيقتين؛ الأُوْلَى: إبطال التَّلازم بين ضخامة العالَم ولا محدوديَّته، فلو تمَّ قياس الكون على جبل أمانوس فإنَّ أعداد ذرَّاته أضعافَ السَّنوات الضَّوئيَّة التي قِيسَ بها حجم الكون، وهل يُقال إنَّ ذراتِ جبال الأمانوس ليس لها نهاية؟! والثَّانية: أنَّ الضَّخامة نسبيَّة؛ فلو سُمع كلام النَّمل عن جبلٍ ما، لقالوا إنَّه لا نهاية له، ولكنْ بالنِّسبة لبني البشر محدوديَّته أمرٌ قطعيٌّ.
2. الدَّليل الثَّاني: المكان والزَّمان سرمديَّان، بلا نهاية ولا بداية، فالعالَم سرمديٌّ أيضاً. يعني أنَّ المادَّة تابعةٌ للزَّمان والمكان وليس العكس، وهذا يناقض مضمون الادِّعاء، فالمادَّة سرمديَّة تابعة لسرمديَّة الزَّمان والمكان مع كونهما شكلين للمادَّة المتحرِّكة، تابعين لها، ومِنَ البداهة أنَّ الشَّكل ومضمونه لا يقومان إلَّا معاً، فإذا تقرَّر أنَّ الزَّمان والمكان شكلان للمادَّة وهي مضمونُهما لَزِمَ إمَّا كونُهم معاً جميعاً أو نفيهُم معاً جميعاً. وهنا لا بدَّ مِنْ احتمالين؛ إمَّا أنَّ الزَّمان مِنْ أشكال المادَّة فلا يُتصوَّر عقلاً الانفكاكُ بينهما فلا سرمديَّة للمادَّة، إذ الزَّمان تابعٌ لها حادثٌ كحدوثها، أو أنَّه مستقلٌّ ذاتيٌّ فلا تلازم للمادَّة معه، فالزَّمان كان ولم يكن معه شيءٌ، حيث لا وجود للمادَّة ثُمَّ بدأ وجودها، فسرمديَّة الزَّمان لا تعني سرمديَّة المادَّة.

وختاماً يقول رحمه الله تعالى:

المادَّة الكونيَّة بشتَّى صورها وأنواعها ما مِنْ ريبٍ أنَّها تطوَّرت مِنْ حالٍ إلى حال، تحت تأثيرٍ مِنَ العوامل الخارجيَّة التي هي بدورها ما ظهرت إلَّا بتأثيرٍ مِنْ عوامل خارجيَّة أخرى، ومِنَ الواضح أنَّ كلَّ عاملٍ مِنْ هذه العوامل معدومُ القيمة والتَّأثر لولا الشُّحنة التي أُفرغت فيه مِنَ العامل السَّابق عليه، والعامل السَّابق عليه مثلُه في هذا الافتقار،...إذاً فَلِكَيْ نُصَدِّقَ بوجود دفعٍ مِنَ القوَّة تنتقل خلال سلسلةِ الظَّواهر والموجودات التي نسميِّها عوامل فيما بعدها ومعمولةً بتأثيرِ ما قبلها، لا بدَّ أنْ نُوقِنَ بوجود كائنٍ ذاتيٍّ ينبع وجودُه مِنْ ذاتِه ولم يستَعِرْ قدرتَه مِنْ غيره، أضفى الطَّاقة والحركة على سلسلة الموجودات المتلاحقة الأخرى التي غدت

بفضل تلك القدرة الذَّاتية تسمَّى عللاً ومعلولات أو مؤثِّرات ومتأثرات.[1]، وبذلك أبطل رحمه الله الادِّعاء عندما عرضه على القانون العقليِّ وهو؛ بطلان التَّسلسل.

الادِّعاء الثَّاني: القِدَمُ النَّوعيُّ.

مضمونُه: أنَّ جزئيَّاتِ المادَّةِ حادثةٌ وكليَّاتها قديمةٌ، فالقِدَمُ للمادَّة الخامِ. والدَّليل الذي اعتمده أصحاب هذا القول مِنَ الفلاسفة المسلمين: أنَّ هذه الحقيقة في الكتاب والسُّنَّة، فهناك روايات صحيحة تؤكِّدها، منها؛ قوله ﷺ :"كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"[2] وقد ذُكرت هذه الرِّواية بثلاث طرقٍ ولا شيء قبله، ولا شيء غيره، ولا شيء معه، روايةٌ واحدةٌ باللَّفظ والباقي في المعنى، والذي يُرَجَّحُ أنَّها باللَّفظ (ولا شيء قبله) بدليل أنَّه ﷺ كان يدعو "اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّل فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ"[3] وهذا يناسبه لا شيء قبله، فكيف يُثْبَتُ الإجماعُ فيما ذَكَر القرآنُ والسُّنَّة خلافه؟ ففي القرآن الله خلق الانسان مِنْ الصَّلصال، وكذلك الجآنَّ مِنْ نار، وكذلك أكَّد الحديثُ أنَّ الله كان عرشه على الماء فالعرش موجود والماء موجود؟!

وقد ردَّ الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله هذا الاستدلال بأدلَّةٍ نقليَّة، التزاماً بمنهجه القائل بأنَّ علم الكلام وما فيه مِنْ حجاجٍ بالأدلَّة العقليَّة إنَّما هو كالدواء يُعطى منه بمقدار الحاجة، فما دام أصحاب الادِّعاء هذا اعتمدوا على الأدلَّة النَّقليَّة فإبطال دعواهم يكون بالأدلَّة المماثلة لأدلَّتهم. بناءً على ذلك قال رحمه الله تعالى في إبطال دعواهم ما يلي[4]:

1. قوله تعالى:﴿الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾الرَّعد:16/13 لا جدال فيه، وهو ممَّا عُرِف مِنَ الدِّين بالضَّرورة، والجنْس الماديُّ للأشياء المتكاثرة ليس خارجاً عن مدلول كلمة الشَّيء، وكذلك في قوله ﷺ :"كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ" وإنكار ما سبق مُكَفِّرٌ بإجماع

---

1 نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 131-132

2 صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى "وَهُوَ يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيْدُه" الرُّوم/27، الحديث3191

3 المرجع السَّابق، كتاب الذِّكر والدّعاء والاستغفار، باب ما يقول عند النّوم وأخذ المضجع، الحديث2713

4 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 95/2، 236/1-237

انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 164-169

الذين يُعتَدُّ بإجماعهم، سواءً كان ذلك الإنكار كليّاً أو جزئيّاً. أمَّا مَنْ يقول أنَّ الله ليس خالقُ كلِّ شيءٍ؛ فلكلامه معنيان لا ثالثَ لهما؛ إمَّا وجود شريكٍ في الخلق مع الله تعالى، أو أنَّ بعض الموجودات لم تصلْ إليها يد الخلق أبداً، وإنَّما هي قديمةٌ قِدَم الله تعالى، وكلا التَّفسيرين موغلٌ في أفظع معاني الكفر والشِّرك.

2. قوله تعالى:﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾الأنبياء:104/21، ومثله قوله:﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾يونس:5/10، وقوله:﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾العنكبوت:20/29، فالدِّلالة فيها جازمةٌ قاطعةٌ، "**تكمن في كلمة بدأنا ويبدأ؛ فعلى فرض إمكان تأويل الخلق بالصِّفة الإلهيَّة القديمة التي تستلزم قِدَم مخلوقيَّة الشَّيء في جنسه الأصليِّ البعيد، فإنَّ كلمة البدء تقطع سبيل هذا التَّصوُّر، إذ هي تجزم بأنَّ الخلق انبثق مِنْ نقطةٍ زمانيَّةٍ معيَّنةٍ، وذلك هو المدلول الذي لا بديل عنه لكلمة بدأ**"[1]، وذلك لأنَّ كلمة (البداءة) تعني أنَّ الشَّيء كان مسبوقاً بالعدم فبدأ خلقه في لحظةٍ معيَّنة. كما أنَّ الخلق في الآية عامٌّ لسائر الموجودات، فلا يصحُّ قول مَنْ خصَّص الآية بخلق الإنسان فقط، ولو صحَّ ذلك لمَا تناسق مع افتتاح الآية بالأمر بالسَّير في الأرض وتأمُّل قصة الكائناتِ عموماً.

3. معنى (الأوَّل) في قوله تعالى:﴿هُوَ الأَوَّل وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾الحديد3/57 الأسبق في الوجود مِنْ كلِّ شيء، فأوَّل اسم تفضيلٍ أصله أوءل على وزن أفعل فالتَّقدير: أوَّل مِنْ كذا أيْ أسبق في الوجود منه، فما هو هذا (الكذا) الذي يدلُّ عليه اسم (الأوَّل)؟ لا بدَّ وأنْ يشمل هذا (الكذا) كلَّ شيءٍ فلا مُخصِّص للتَّقدير هنا، فيُقال: أوَّل مِنْ بعض الأشياء، فيُستثنى أصل الأشياء ونوعها الأوَّل، ليُحكَم بأنَّها قديمةٌ كقِدَم الله تعالى.

4. عَجْزُ جزئيَّاتِ الموجوداتِ النَّاتج عن احتياجِها لِمُوْجِدٍ "**هو ذاته العجز الذي تعاني منه كليَّات تلك الأجزاء، بل إنَّ العجز لم يَسرِ إلى الجزئيَّات إلَّا مِنْ كليَّاتها ثمَّ إنَّ الشَّاردين مِنْ طلَّاب الفلسفة والمنطق، يعلمون أنَّ الكليَّ لا يقوم إلَّا بجزئيَّاته؛ أيْ فحيثما وُجِد الكليُّ لا بدَّ أنْ تكون جزئيَّاتُه ماثلةً في قوامه، فإذا صحَّت دعوى القِدَم**

1 السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 168

النَّوعي أي الكلي للأشياء إذن لا بدَّ أنْ تتَّبِعَها بالضَّرورة دعوى قِدَم الجزئيَّاتِ بل الأجزاءِ أيضاً التي لا يستقيم وجود الكلي إلَّا بها"[1]

5. الرِّوايات الصَّحيحة عن بدء الخلق التي ذُكِرَت أصرح في الرَّدِّ على الفلاسفة الذين أثبتوا القِدَم النَّوعيَّ، ويرى رحمه الله تعالى أنَّ ترجيح رواية (لم يكن قبله شيء) يخالف القاعدة الأصوليَّة القائلة: يُلجأُ إلى التَّرجيح عند التَّعارض وعدم إمكان الجمع؛ ولا تعارض هنا؛ فالمعنى كان الله وليس معه شيء وليس غيره شيء وليس قبله شيء

الخلاصة: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ما سبق.

إنَّ النُّصوصَ الصَّحيحَة السَّابقة تجعلُ المسألة مِنْ ضروريات العقيدة، بالإضافة لِمَا أجمع عليه أئمة المسلمين مِنْ كُفْرِ مَنِ اعتقد بقِدَم المادَّة، فالكون كان معدوماً كلُّه ثُمَّ أوجده الله؛ مهما كانت المادَّة صغيرةً فهي الأخرى معدومةٌ وأوجدها الله،[2] إذن "**المادَّة بمعناها النَّوعي الذي توالدت منها الأشياء داخلةٌ في عموم قوله تعالى(كلَّ شيءٍ) ولا شكَّ أنَّ خالقيَّة الله لكلِّ شيءٍ بإرادةٍ واختيارٍ لا بتسبُّبٍ ولا بفيضٍ أو اضطرارٍ، إذن فكلُّ مَا عدا الله حادثٌ مهما سبقتِ الحوادث بعضها بعضاً، ومهما قُسِّمَتْ الحوادث إلى أجناسٍ أو أنواعٍ أو أجزاءٍ أو جزئيَّاتٍ فإنَّها جميعاً تدخل تحت اسم (ما عدا الله)**"[3].

المطلب الثَّاني: المكان والزَّمان ونسبتهما لله تعالى

أوَّلاً. حقيقة المكان والزَّمان.

لم يُفَصِّلْ رحمه الله في بيان حقيقتهما كالفلاسفة، مكتفياً بحصيلة ذلك[4]:

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 95/2

2 انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 18
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 169

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 236/2

4 انظر نقض أوهام المادِّيَّة الجدليَّة/البوطيّ، 122

فالمكان: هو البعد الذي يرصد الجسم، وله ستَّة أطرافٍ (داخل–خارج–فوق–تحت–أمام–خلف) نتيجة ثلاثة اتجاهاتٍ العمق والطُّول والعَرْض.

أمَّا الزَّمان فللفلاسفة فيه قولان؛ أحدهما: أنَّه شيءٌ حقيقيٌّ خاضعٌ للوجود والعدم، والآخر: أنَّه أمرٌ اعتباريٌّ ليس له وجود مستقل، وهو قول أهل السُّنَّة.

وعلى هذا يكون الزَّمان: أمراً اعتباريَّاً متوهَّماً، يتصوَّر العقل وجودَه مِنْ تلاحق الأحداث ببعضها، وهو البعد الرَّابع للشَّيء، ويسمَّى البعد غير القارِّ أيْ غير السَّاكن، فهو يرصد تكرُّر وجود الشِّيء وحركته ومدى استمراره وبقائه. وله طرفان؛ الأوَّل يغوص في الماضي والثَّاني يمضي نحو المستقبل.

وليس للزَّمان وجودٌ ذاتيٌّ حقيقيٌّ؛ ففي حال فُرِضَ انعدام كافَّة الموجودات معاً، يظهر مِنْ ورائها اللَّاشيء وهو العدم المطلق، فلا تكرار ولا حركة بالتَّالي لا زمن، وتصوُّر هذا عسير؛ يحكمه سبق التَّصوُّر إلى العكس، أي أنَّ الإنسان اعتاد أَلَّا ينفكَّ الزَّمانُ عن الوجود، فلا يستطيع تخيُّل العدمِ المُطْلَقِ، إذ لم يَدْخُلْ في مدركاته الحسيَّة، بل سيتخيل العدمَ كسواد ليلٍ هادئ. فالزَّمان وهمٌ ماثلٌ في الفكر، يُتَحَدَّثُ عنه كأنَّه موجودٌ في الواقع[1]

ثانياً. نسبة المكان والجهة والزَّمان إلى الله تعالى.

ثبتت ملازمة الزَّمان والمكان للوجود، فكلُّ موجودٍ هما مظهرٌ شكليٌّ له، والله تعالى موجود؛ فهل يلزمانه؟

الجواب: بعد ثبوتِ حدوثِ المكان والزَّمان لأنَّهما تابعان للمادة حادثان مثلها، فهما محتاجان لله تعالى لِيُوجِدَهُما، فكيف يُنسَبُ إليهما ويلزمان وجودَه! بل وجودُه واجبٌ لا يحتاج إلى زمانٍ أو مكانٍ، ولو احتاج إليهما لكان نقصاً في حقِّه[2].

ويُلَاحَظُ أنَّه رحمه الله اعتمد في جوابه على الدَّليل العقليِّ وهو بطلان الدَّور والتَّسلسل.

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 5/311–312

2 انظر المرجع السَّابق، 2/48–49

الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 44–45

أمَّا سؤال أين الله تعالى؟

الذي يُعتبر عند البعض اختباراً للإيمان، فقد اعتمد رحمه الله أنَّ له جواباً واحداً هو قوله تعالى:﴿وَهُوَ الذى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾الزّخرف:84/43، وقوله:﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ق:16/50، وقوله:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾الحديد:4/57، فالمعيَّة لا تُفسَّرُ بما يَنْسِبُ الجهةَ والمكانَ لله أمَّا غيرُها مِنَ التَّفسيراتِ التي نسبها الله تعالى لذاتِه فلا بأس به[1].

أمَّا قول الله تعالى:﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾الأنعام:18/6، فهنا يؤكد الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله تعالى أنَّ جوهر العقيدة الإيمانيَّة يتمثَّلُ في نسبة الفوقيَّة إلى ذاتِه التي أثبتها تعالى لذاتِه، ويبقى الاجتهاد في فهم المراد مِنْ هذه الفوقيَّة مع الالتزام بحدود قواعد التَّأويل وتفسير النُّصوص[2].

وهذا موافقٌ لمنهجه رحمه الله تعالى الذي اعتمده في تأويل النُّصوص.

ثالثاً. النَّهي عن سبِّ الزَّمان والدَّهر

قالﷺ:"لَا تَسُبُّوا الدّهْرَ، فَإِنَّ الله هُوَ الدّهْرُ"[3]، وقد اعتمد رحمه الله تعالى على دلالة الاقتضاء لبيان المراد بالدَّهر، فالدَّهر هنا: الأحداث التي تجري في الكون، في دار الدُّنيا، ولمَّا كانت أحداث الكون بقضاء الله تعالى وحكمه، كنَّىﷺ عن ذلك بقوله: (فإنَّ الله هو الدَّهر) أيْ هو الذي يخلق أحداثه[4].

---

1 انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 8، 64
انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 47

2 انظر المرجع السَّابق، 47

3 صحيح مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النّهي عن سب الدّهر، الحديث5

4 انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 16

المبحث الثَّاني: الإنسان

أَدرج رحمه الله تعالى مبحث الإنسان في المباحث الاعتقاديَّة للأسباب التَّالية[1]:

1. معنى كلمة الكون عنده عامٌّ يَشْمَلُ كلَّ الموجودات؛ ومِنْها الإنسان.
2. معرفة الإنسان لذاته معرفةً صحيحةً، هي سببُ معرفته لنوع العلاقة القائمة بينه وبين خالقه، وهذه المعرفةُ هي البداية المنهجيَّة الصَّحيحة للوصول إلى المعرفة الشَّاملة لهذا الكون، وذلك وفق المنهج الأمثل للمعرفة الذي رسمه القرآن حيث قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ 6 الذى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾الانفطار:82/6-8، وغيرها مِنَ الآياتِ التي تؤكِّد هذا المنهج المعرفيَّ.
3. تبصير الإنسان بالمهمَّة التي خُلق مِنْ أجلها وتحميله مسؤوليَّة إعراضه عنها وبيان عواقب تهاونه بها، فهو لنْ يَسْتَطِيْعَ تَأْدِيَتَها على كمالها إلَّا إنْ عرف ذاته وحدَّد العلاقة بينه وبين مولاه، فهو عبدٌ مملوك، وعبوديَّتُه هي بذاتها عنوان ربوبيَّة الله، والدَّينونة علاقةٌ قائمةٌ ما بين هذين الطَّرفين، دون حاجة الرَّبِّ للإنسان وعبادته.

بناءً على ما سبق سيتضمَّن هذا المبحث المطالب التَّالية:

---

1 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 187-191

انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 58

المطلب الأوَّل: أفضليَّة الإنسان على سائر المخلوقات

أوَّلاً. أفضليَّة الإنسان على سائر المخلوقات، ما عدا الملائكة ففيها نظر.

اعتمد رحمه الله تعالى في إثبات الأفضليَّة على النَّقل الصَّريح، حيث قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾الإسراء:70/17، وقال:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾البقرة:34/2.

كما أنَّه أيَّد ذلك بالبرهان العقليِّ وفق الأمور التَّالية[1]:

1. امتياز الإنسان بالقوَّة العاقلة، فبها يَعْرِفُ عظمةَ الخالق فيعبده لأنَّه يستحقُّ، وبذلك يكون الإنسان أوَّل مظهرٍ لألوهيَّة الله، فيلزم أنْ تكون النَّفس الإنسانيَّة أشرف النُّفوس في العالَم باستثناء الملائكة.
2. اختصاص الإنسان بالرُّوح التي هي نورٌ ربانيٌّ يسري على الأعضاء فبِه تعمل[2]، ومِنَ الثَّابت يقيناً أيضاً أنَّ الرُّوح الإنسانيَّة تختلف عن روح البهائم والأحياء الأخرى إذ نسبها الله إلى ذاته قال تعالى:﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾الحجر:29/15، فكلمته تعالى (مِنْ روحي) هي نسبةٌ لِمَا وهب الإنسانَ مِنْ روحٍ إلى ذاته العليَّة، وفي ذلك تشريفٌ للإنسان وتَيْئِيْسٌ مِنْ إدراك حقيقتها قال

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 245-248
انظر مشكلات على طريق النهوض/البوطيّ، 9
انظر من هنا وهناك/البوطيّ، 232-234، 253-254
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/161-162
انظر مِنْ روائع القرآن/البوطيّ، 225
انظر القضايا الاجتماعية في فكر الدُّكتور محمد سعيد رمضان البوطيّ/عبد الغفار عبد الرؤوف، 105

2 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 3/218، وانظر المرجع ذاته، 2/68
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 284

تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾الإسراء:85/17[1].

ولا يُعارض هذا التَّشريف وجود الحقيقة التي تسمَّى النَّفس والتي هي جزءٌ مِنْ ذات الإنسان، فهي ليست إلَّا طبيعةً أودعها الله فيه تميل به إلى الحاجات والشَّهوات كالطَّعام ومشاعر التَّملُّك وغيرها، وتسمَّى بالغريزة الحيوانيَّة أو التُّرابيَّة، وسمَّاها القرآن بالنَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وهي غير الجسد الماديِّ المحسوس ولا يمكن للإنسان أنْ يتخلَّص منها إلَّا أنَّ له الاستعانة بالله ليزكِّيها وعندها تتحوَّل إلى النَّفس المطمئنَّة[2]، و بمجاهدته لتزكيتها ينال المزيد مِنَ التَّشريف.

3. تسخير الأكوان كلِّها لتحقيق حاجة الإنسان وخدمته لتحقيق أسباب الحياة الفضلى.

4. الصِّفات التي ركَّبها الله في الإنسان هي في جملتها تجليَّات مِنْ صفات الرُّبوبيَّة، كالعلم والقدرة وغيرها، وبواسطتها يُدرك الإنسان عظمة الله، فبعلمه المحدود يَتصوَّر علمَ الله الواسع الذي لا يُحدُّ، فإذا كان الإنسان مؤتَمَناً على هذه التجليَّات، فهو بذلك أشرف المخلوقات.

5. اختار اللهُ الإنسانَ ليكون خليفته في الأرض فقال:﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾البقرة:30/2، والمراد مِنَ الخلافة ليس القيام بأعمال الله كافَّة، بحيث يصبح خليفةً عن الله، وليس المقصود منها أنْ يخلُف جيلٌ بعد جيل[3].

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 369/3، 395/4
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 284
انظر هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك/البوطيّ، 152–155

2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 369/3، 159/5
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 21

3 إذ إنَّ هذا المعنى يُعبَّر عنه بلفظة (خلَف) إنْ كان الجيل القادم صالحاً و(خلْف) إنْ كان فاسداً. قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾مريم:59/19، وإنَّما المقصود بخليفة: مَنْ يَخْلُفُ غيرَه في مهمَّةٍ ما.

إذن المعنى المقصود أنَّ الله أوكل إلى الإنسان مهمَّةَ إقامة دعائم إعمار الأرض بتنفيذ مبادئ العدالة الإلهيَّة[1].

ثانياً. أفضليَّة الإنسان على الملائكة

يرى رحمه الله تعالى أنَّ الاختلاف في هذه المسألة أمرٌ علميٌّ؛ لعدم وُرُوْد نصٍّ قطعيٍّ، فقد قال تعالى:﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾الإسراء:70/17.

فدليل الخطاب للآية يعني أنَّ هناك بعضاً مِنَ المخلوقات لم يُفَضَّلْ عليها الإنسان؛ ولا ريب أنَّهم الملائكة لِمَا ثبت في فضلهم، قال تعالى:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ 26 لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾الأنبياء:26/21، وبحديث "وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ"[2]، وهو نصٌّ في أفضليَّة الملائكة.

أمَّا مَنْ أخذ بمَا ينطِق به النَّص، فقال إنَّ استعمال كلمة (كثير) بدلاً مِنْ (الكل) لا يدلُّ على أنَّ حال القليل الضِّدَّ، والآية على عمومها في أفضليَّة الإنسان على المخلوقات.

واختار أهل السُّنَّة أنَّ خواصَّ البشر مِنَ الأنبياء والصِّديقين أفضل مِنْ خواصِّ الملائكة، وعوامُّ البشر وهم الصَّالحون منَ المسلمين أفضل مِنْ عوامِّ الملائكة[3]، ومِنْ أدلَّتهم قوله تعالى:﴿ إِنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾البينة:7/98، والبريَّة تشمَل الملائكة، وقوله ﷺ:"فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضى بِمَا

---

[1] الله قادرٌ على تحقيق العدالة بدون أنْ يُكلِّف الإنسان، بجعلها غريزةً كمَا في عالَم الحيوان إلَّا أنَّه شاء أنْ يضع موازين العدالة وبصَّر الإنسان بأهميَّتها، ووهبه الاختيار ثُمَّ أمره أنْ يتوَّجه بمحض إرادته إلى تطبيقها؛ فإنْ استجاب كان وجودُه وتكليفُه تشريفاً له. قال تعالى في بيان ذلك:﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ7 أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ 8 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ 9 وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾الرّحمن:7/55-10. إذن للإنسان مهمَّتان؛ تعبديَّةٌ؛ وهي ممارسة العبوديَّة لله، وحضاريَّةٌ؛ وهي عمران الأرض.

2 صحيح البخاري، كتاب التّوحيد، باب﴿وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ﴾آل عمران28/3، الحديث7405

صحيح مسلم، كتاب الذّكر والدّعاء والتّوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، الحديث2

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 154/5 الحاشية 1

انظر مشكلات على طريق النهوض/البوطيّ، 9

يَصْنَعُ"[1]، أمَّا دليلهم العقليُّ إعطاءُ الإنسانِ الشَّهوات وأمرُه بضبطها فيستحقُّ بذلك أجراً لا تستحقُّه الملائكة؛ لأنَّهم مفطورون على الطَّاعة.

أمَّا موقفه رحمه الله مِنَ المسألة فوَرَدَ في كتبه على قولين؛ الأوَّل: في كتاب كبرى اليقينيَّات[2] يَكِلُ الأمر فيه إلى الله، لأنَّ الأدلَّة ظَنِّيَّةٌ، والأسلم فيها إحالة حقيقة الأمر إلى عِلْمُ الله، والثَّاني: في كتاب الحكم العطائيَّة[3] يقرِّر فيه مذهب أهل السُّنَّة.

والسَّبب في ذلك –حسب ما رأتِ الباحثةُ– منهجُه رحمه الله في التعامل مع المسائل الظَّنِّيَّة، خاصَّة ما لا يُؤَدِّي الاختلافُ فيها إلى الكفر، فللنَّاظر فيها اختيار المذهب الذي يترجَّح لديه حسب الأدلَّة، وقد اختار رحمه الله رأيه في هذه المسألة بما يتناسب وسياقِ حديثه؛ ففي كبرى اليقينيَّات: يقرِّر رأيه المعتمد لأنَّ سياق الكتاب تقريرُ الآراء العقديَّة بإجمال، بينما في كتاب شرح الحكم العطائيَّة فالسِّياق أميل إلى التَّزكية وحثِّ الإنسان على الإكثار مِنَ الطَّاعات؛ فاختار لذلك رأي أهل السُّنَّة.

وهنا يظهر ملمحٌ مِنْ ملامح المنهج الفكريِّ المرن القائم على الحكمة والوعيِّ الاجتماعيِّ للدُّكتور البوطيِّ رحمه الله؛ فاختلافُ الآراء فيما لا يُكَفِّر بحبوحةٌ ميَّز الله بها هذه الأمَّة، لذلك نجده يتعامل مع جمهوره مِنَ القرَّاء والطُّلاب كالطَّبيب يصف الدَّواء الفكريَّ المناسب في الوقت المناسب.

ثالثاً. الروح والنَّفس؛ تعريفهما وحقيقة كلٍّ منهما

الإنسان ثلاثيُّ التَّركيب: الرُّوح والنَّفس الغريزيَّة والقفص الجسديُّ، ومِنَ الثَّابت يقيناً أنَّ الرُّوح هي أقدسهم.

فالرُّوح: نورٌ ربانيٌّ يسري على الأعضاء فبِه تعمل، "**فهي سرٌّ مِنْ أسرار الله عزَّ وجلَّ، إذ تسري في خلايا الجسم يتكوَّن فيه الإحساس، وإذ تشرق على الدِّماغ**

1 المستدرك/النّيسابوري، كتاب العلم، الحديث/341، ص180

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 245–249

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 154/5

وحجيراته يتكوَّن فيه الإدراك، وإذ تشرق على عضلة القلب يتكوَّن فيه الوجدان، أي العواطف...وإنَّما يتمُّ هذا الإشراق بنورٍ ربانيٍّ..."[1].

أمَّا النَّفس: جزءٌ مِنْ ذات الإنسان وركنٌ مِنْ أركان إنسانيَّته، وهي طبيعةٌ أودعها الله فيه تميل به إلى الحاجات والشَّهوات الدِّنيويَّة كالطَّعام والشَّراب والزَّواج وغيرها مِنْ مشاعر التَّملك ومسابقة الآخرين والتَّغلب عليهم، وتسمَّى بالغريزة الحيوانيَّة أو التُّرابيَّة، وسمَّاها القرآن بالنَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وهي غير الجسد الماديِّ المحسوس ولا يمكن للإنسان أنْ يتخلَّص منها إلَّا أنَّ له الاستعانة بالله ليزكِّيها وعندها تتحوَّل إلى النَّفس المطمئنَّة[2].

ويرى رحمه الله أنَّ الرُّوح التي مِنْ نور الله لا توصف بالخبث، فقال: "**أمَّا الرُّوح المنسوبة إلى الله والهابطة مِنْ علياء الرُّبوبيَّة إلى الإنسان فمعاذ الله أنْ توصف بالخبث أو النَّتن وإنَّما الرِّيح هي التي توصف بذلك.**"[3] ودليله عدم ورود هذا اللَّفظ في الأحاديث الصَّحيحة، فقال أنَّ الرِّوايات كلِّها جاءت: "**بلفظ: (اخرجي أيتها النَّفس الخبيثة) ولم يَرِدْ بلفظ (أيّتها الرُّوح الخبيثة)، ثُمَّ تقول الملائكة في تتمَّة الحديث:(ما هذه الرِّيح الخبيثة) ولم يَرِدْ في أيٍّ مِنَ الرِّوايات المعتمدة (ما هذه الرُّوح الخبيثة)**"[4].

وعند العودة إلى كتب الحديث لتخريج الرِّوايات السَّابقة تمَّ العثور على روايةٍ صحيحةٍ تصف الرُّوح بالخبيثة، قَالَﷺ: "إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا... وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عزَّ و جلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ

---

1 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 218/3، وانظر المرجع ذاته، 68/2
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 284

2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 369/3، 159/5
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 21

3 المرجع السابق، 21

4 المرجع السابق، 21

رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ. وَرَدَّ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا"[1]

وترى الباحثة أنَّ الذي أراده رحمه الله تنزيه الرُّوح التي مِنْ روح الله وتُنسب إليه عن كلمة الخبث، فالواجب تنزيهها عن هذه الألفاظ وكلِّ مَا مِنْ شأنه أنْ ينسب لها النَّقص، وللخروج مِنْ هذا التَّعارض يمكن تقدير محذوفٍ في رواية مسلم (ريح روح خبيثة) وبذلك تتنزَّه الرُّوح عن الخبث وتبقى نوراً ربانيَّاً منزَّهاً ويُنسب الخبث إلى الرِّيح على أنَّها عَرَضٌ متغيِّرٌ تابعٌ لصلاح الأعمال وعدمها.

أخيراً لا بد مِنَ الوقوف عند جمعه رحمه الله بين العقل والقلب، فقد ربط بين الرُّوح سرُّ التَّشريف وصلاح السِّرِّ؛ فسمَّى الرُّوح سرَّاً، وبصلاح الرُّوح يصلحُ السِّر، وعبَّر عن ذلك بكلماتٍ دقيقةٍ: "**ووجْهُك كلُه إلى صلاح سرِّك وبناء كيانك الدَّاخلي، فهو الذي سيظل رفيق رحلتك إلى النِّهاية، بل إلى حيث الخلود. وقد علمت أنَّ سرَّك هو روحك التي تبثُّ في جسمك الإحساس، وتبثُّ في دماغك الوعي والإدراك، وتبث في قلبك الوجدان، وغداً عندما يُفَتَّتُ الجسمُ ويذوي في طوايا الحياة البرزخيَّة التي تفصلُ ما بين حياتك الدُّنيا هذه، والحياة الآخرة التي أنت مقبلٌ ومنتهٍ إليها. فعرِّض إذن سرَّك، اليوم، لأنوارٍ مِنْ نفحات الصَّفات الرَّبانيَّة، عرِّضْهُ لرحمة الله، ولإحسانه، وللطفه، ولعفوه، وإنعامه. فإنَّ هذا السِّرَّ لنْ يَؤُوْلَ إلى زوالٍ كما هو شأن المخلوقات الظَّاهرة التي لا بدَّ أنْ يكونَ مآلُها إلى ذبولٍ فانمحاق.**"[2].

---

1 صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنَّة والنّار، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الجنَّة أَوِ النّار عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتّعَوُّذِ مِنْهُ، الحديث2872

2 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 220/3

المطلب الثَّاني: نشأة الإنسان ونظريَّة التَّطوُّر

لقد ذكر رحمه الله تعالى حقائق ثابتة تبين أولاً. أصل خلق الإنسان؛ وثانياً. مصير نظريات التطور والارتقاء؛ وذلك وفق ما يلي[1]:

1. الإنسان مخلوقٌ مِنْ حيث الجنس مِنْ ترابٍ.

دليل ذلك قوله تعالى:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾طه:55/20، وقوله:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾الحجر:26/15، والصَّلصال هو طينٌ يَبِسٌ فله صوتٌ كأنَّه فخَّارُ أيْ طينٌ مشويٌّ، والحمأ طينٌ أسودٌ متغيِّرٌ، والمسنونُ أيْ المصوَّرُ صورةَ الإنسان.

ولا تناقض في تحديد أصل الإنسان فمرَّةً هو مخلوقٌ مِنْ تراب، ومرَّةً مِنْ صلصال، ومرَّةً مِنْ حمأٍ مسنونٍ. بل هو كالقول: أنَّ هذا البيت مبنيٌّ مِنْ ترابٍ مِنْ طينٍ مِنْ آجرٍّ.

2. الإنسان متكاثرٌ مِنْ حيثُ المصدر مِنَ الإنسان الأوَّل آدم عليه السَّلام. والدليل قصَّة سيدنا آدم في القرآن، فالآياتُ تحدَّثَتْ عن أنَّ الإنسان كان بأحسن تقويم دون تدرُّجٍ مِنْ حيوانٍ أعجمٍ مستوحشٍ إلى متكلِّمٍ عاقلٍ اجتماعيٍّ، وثبتَ هذا بالخبر المتواتر، قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾التين:4/95، و (أل) الدَّاخلة على الإنسان للاستغراق، فهي عامَّةٌ للأفراد كلِّهم. وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ 6 الذى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾الانفطار:6/82-8، أيْ جعلك سويَّاً مستقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال. وممَّا يزيد هذه الحقيقة يقيناً ما وَرَدَ في

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص249-272
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 146-148
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 268
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 4-5
انظر مع الناس/البوطيّ1، /209

حديثهﷺ:"خَلَقَ الله آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"[1]، أيْ أنَّه مِنْ لحظة الخلق الأُوْلَى هو بنفس الصُّورة التي هو عليها الآن، فلم ينتقل مِنْ شكلٍ إلى آخر، هذا عند مَنْ قال أنَّ الضَّمير في صورته عائدٌ إلى آدم وهو رأي الجمهور، أمَّا مَنْ قال أنَّ الضَّمير عائدٌ إلى الله تعالى فقالوا المقصود بالصُّورة الصِّفة؛ أيْ خلقه عالَماً مُريداً حكيماً سميعاً بصيراً، وتلك هي صفات الله تعالى، فهو يؤكِّد الدِّلالة القطعيَّة في القرآن؛ وهي تكريم الله تعالى لآدم منذ أوَّل خلقه.

وقد نبَّه رحمه الله تعالى إلى أنَّ الآياتِ السَّابقة لم تتحدَّثْ عن كيفيَّة نزول سيدنا آدم إلى الدُّنيا وتكاثر نسله؛ إذن الكيفيَّة ليست مِنْ حقائق العقيدة المُكَلَّف بها.

أمَّا ما يزعمُه البعض مِنْ أنَّ سيدنا آدم كان مسبوقاً بأوادم كثيرين غيره، فهو باطلٌ إذ يعتمد على الحدس المجرَّد لا على الدَّليل القطعيِّ أو البرهان العقليِّ.

3. مصير نظريَّة النُّشوء والارتقاء أمام هذه الحقائق المثبتة: تتبنَّى هذه النَّظريَّة فرضيَّةً تاريخيَّةً عنِ الإنسان، تقول أنَّه تسلسل ضمن حلقاتٍ مِنَ التَّطوُّر النَّوعيِّ، تدرَّج فيها مِنَ البسيط إلى المعقَّد، ومِنَ البدائيَّة إلى الرُّقيِّ، في كلٍّ مِنَ الشَّكل والفكر معاً. والمنهج الذي اعتمده رحمه الله لدراسة هذه النَّظريَّة هو الخبر الصَّادق لكونها حقيقةً تاريخيَّةً، أمَّا ما يستخدمه أنصار هذه النَّظريَّة مِنْ دراسةٍ للمستحاثَّات ووجوه الشَّبه بين الإنسان والحيوان، فرفضها رحمه الله باعتبارها أداة لمنهج الاسترداد والتَّوسُّم.

ولم يَقْبَلْ رحمه الله استخدام قانونِ التَّلازمِ والقياسِ الصَّحيحِ القائمين على الاستقراء التَّام في هذه النَّظريَّة، لأنَّها نظريَّةٌ تتعلَّق بتاريخٍ بعيدٍ لا يتَّصِلُ به برهانٌ علميٌّ قاطعٌ.

---

1 صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السّلام، الحديث6227

صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنّار، باب يدخل الجنَّة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطّير، الحديث38

ويوكِّد رحمه الله تعالى أنْ لا مجال هنا إلَّا للدَّليل النَّقليِّ المتمثِّل في كلام الله تعالى وسنَّة نبيِّه، فما تضمَّناه عن أصل الإنسان حقيقةٌ علميَّةٌ، وما سوى ذلك نظريَّاتٍ، وعند تناقض الأُوْلَى مع الثَّانية؛ فالحقيقة العلميَّة باقيةٌ، وتُنسَخ النَّظريَّةُ ما لم يُمْكِنُ جمعهما.

ختاماً إنَّ الدُّكتور البوطيَّ وضع منهجاً أبطل فيه كلَّ نظريَّاتِ التَّطوُّر ومسائلها[1]، سيُترَك بيان ذلك للمختصِّين، ويكتفي البحث بالوقوف على الرَّأي النَّهائيِّ له رحمه الله الذي قرَّر فيه إسقاطَ نظريَّات التَّطوُّر أمام الحقيقة العلميَّةِ القطعيَّةِ التي جاءتْ بها الأخبار الصَّادقة.

ثانياً. مسألة التَّدرُّج المتراصف بين الأجناس

يرى رحمه الله تعالى أنَّ هذه المسألة حقيقةٌ ثابتةٌ لا يسع العقل إنكارها، وتعني أنَّ سلسلةَ أصنافِ الموجودات فيها مِنَ التَّناسق في طريق الصُّعود إلى الأعلى ما يجعلها شبيهةً بحبَّات عقدٍ مرتَّبةً في التَّدرج نحو الأكثر جمالاً، وهذا برهانٌ دالٌّ على وجود الخالق وعظيم إبداعه، وقد تحدَّث عنها علماء المسلمين، أمَّا الرَّبط بين هذه الظَّاهرة الكونيَّة وبين نظريَّة التَّطوُّر، فاعتبره رحمه الله تعالى غير منطقيّ؛ فلا دليل على ذلك[2].

المطلب الثَّالث: أفعال الإنسان وما يتعلَّق فيها مِنْ مسائل

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأُوْلَى: قانون السَّببيَّة في الكون.

المسألة الثَّانية: التَّسيير والتَّخيير.

المسألة الثَّالثة: الحسن والقبح.

---

1 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة /البوطيّ، نظريات التَّطوُّر 295–318

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 271 الحاشية 1

انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 230–231

المسألة الأُوْلَى: قانون السَّببية في الكون

إنَّ كلَّ شيءٍ في الكون مسبَّبٌ مِنْ جانبٍ، وسببٌ لغيره مِنْ جانبٍ آخر، كالإنسان أصلٌ لفرعه وفرعٌ لأصلٍ سبقه، وبطول التَّأمل تتناقص الأسباب لتتجمَّع في سببٍ رئيسيٍّ واحدٍ وهو الله تعالى[1].

ويرى رحمه الله أنَّ تأثيرَ الأسباب غير ذاتي؛ بل الله أراد أنْ ترتبطَ الأسبابُ ونتائجُها باستمرارٍ، فأدَّى طول الاقتران إلى تَوَهُّمِ وجود ارتباطٍ سببيٍّ حتميٍّ، ولأنَّ هذه دعوى تجريبيَّة فاعتمد رحمه الله تعالى في إثباتها بدءًا على الدَّليل العقليِّ المعروف بردِّ الفعل الشَّرطيِّ القائم على منهج التَّجربة والمشاهدة، ويعني هذ الدَّليل أنَّ استمرار الاقتران بين شيئين مدَّةً زمنيَّةً يُرسِّخ تصوُّراً معيَّناً أنَّ أحدهما سبباً حقيقيَّاً للآخر، فالإنسان اعتاد أنْ يُولَدَ مِنْ أبٍ وأمٍّ، ولكنَّ الحقيقة أنَّ إرادة الله وقدرتَه تعلَّقتا بولادة هذا الإنسان، ولو شاء لفرَّق بين السَّبب والنَّتيجة فكان سيدنا عيسى ابن مريم.

بناءً على ذلك أُطلِق على هذه الأسبابِ الكونيَّةِ اسم: الأسباب الجعليَّة؛ أيْ جعلها الله بمحض المقارنة أسباباً[2].

بعد إثبات هذه الدَّعوى بالمنهج التَّجريبيِّ أضاف رحمه الله تعالى الأدلَّة النَّقليَّة القطعيَّة التي تُؤَيِّدُهَا[3]، منها؛ قوله تعالى:﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾البقرة: 255/2، فالقيُّوم هو

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 287

2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 66/1، 241-242
انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 288-290
انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 21
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 203
انظر هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك/البوطيّ، 172-190
انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 251

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 66/1-69، 241-242
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 176-178
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116

القائم بأمور الكون كلِّها بفاعليَّةٍ مباشرةٍ منه فلا دَوْرَ للأسباب، وقوله تعالى:﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ 13 تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾القمر:54/13-14، فالله نسب الفعلين في الآية إلى ذاته وليس إلى السَّفينة فلا قوَّة مودعة فيها بل بقوَّة الله وإرادته، وعبَّر تعالى عن السَّفينة بأنَّها مجموعةُ ألواحٍ خشبيَّةٍ ومسامير ليُهَوِّنَ مِنْ شأنها، وليؤكِّدَ أنَّها أقلُّ مِنْ أنْ تُحَقِّقَ شيئاً بذاتها، ويتوافق هذا مع ما وَرَدَ في السُّنَّة مِنْ دعائه ﷺ :(لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله) فهو ينفي جنس الحول كلَّه والقوَّة كلِّها عن كلِّ شيءٍ وفي كلِّ لحظة وتحصرهما في ذات الله تعالى[1].

إذن يوافق رحمه الله تعالى ما يقوله جمهور المسلمين مِنْ أنَّ الله يخلق النَّتائج عند اقترانها بالأسباب الظَّاهرة[2]، ويؤكِّد أنَّ مَنْ خالف الجمهور في هذه المسألة قالوا إنَّ في الأسباب قوَّةً أودعها الله تعالى بها[3]، يسلبها عنها عندما يشاء، فالمسألة عندهم ليست مسألة مقارنةٍ مجرَّدةٍ، بل هنالك تأثيرٌ كامنٌ في السَّبب المقارن، مودَعٌ فيه مِنْ قِبَلِ الله تعالى. فالخلاف كما يراه رحمه الله تعالى خلافاً لفظيَّاً؛ فتأثير الأسباب عند الجميع ليس حتميَّاً بل بإرادة الله تعالى، سواء قيل إنَّه أَوْدَعَ فيها قوَّةً مؤثِّرةً، أو لم يُوْدِعْ[4].

حتَّى المعتزلة فقد قالوا بالتَّأثير الذَّاتي للأسباب متأثِّرين بالفلسفة اليونانيَّة، ولكنْ لَمَّا وُضِعَتْ هذه الفلسفة تحت المجهر وتبيَّن بطلانُها، عاد الفكر الاعتزاليُّ إلى القرار الذي انتهى إليه جمهور المسلمين[5].

بناءً على ما سبق أثبت رحمه الله تعالى الحقائق التَّالية:

1. يجوز استعمال الألفاظ التي تدلُّ على سببيَّة الأشياء، كقولهم: نفعني الدَّواء، وكتوسُّل المسلم بالأنبياء. يقول رحمه الله في ذلك: إنْ صَاحَبَ ذلك اعتقادٌ جازمٌ بتأثير هذه

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 68/1

2 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 173

3 انظر المرجع السابق، 173

4 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 290
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 106/2

5 انظر شخصيات استوقفتني/البوطيّ، 227

الأسباب الجعليَّة فهو كفرٌ، أمَّا إنْ كان الاعتقاد أنَّ المؤثِّرَ الحقيقيَّ في ذلك هو الله تعالى، وهذا التَّعبير مجازٌ، فلا ضيرَ فيه، لأنَّه يعبِّرُ عمَّا يراه مِنْ ظاهر هذا الكون.

وإنْ كانت هذه الألفاظ بالنِّسبة للدَّواء لا ضير فيها بدون اعتقادِ التَّأثير الذَّاتيِّ في الأسباب، فكذلك التَّوسُّل والتَّبرُّك بالأنبياء لا ضيرَ فيه مِنْ باب أَوْلى، لا سيَّما أنَّ الله وصفه ﷺ بالرَّحمة وجعله سبباً لها فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ﴾الأنبياء:107/21، وثبت ذلك مِنَ الصَّحابة بالإجماع وبالأحاديث المتواترة[1].

أمَّا القول بأنَّ التَّوسُّلَ بسيدنا محمد ﷺ كان جائزاً للصَّحابة لأنَّه حيٌّ بينهم فإذا توفِّيَ بَطَلَ التَّوسُّل به وصار شركاً، فمضمون هذا الكلام هو الشِّرك بذاته؛ لأنَّه يُقِرُّ أنَّه ﷺ كان مؤثِّراً بقوَّته الذَّاتيَّة والجسديَّة لا بقوَّة الله، والصَّحيح أنَّه ﷺ لا تأثير له في شيء، لا في حياته ولا بعد موته، ومَنِ اعتقد خلاف ذلك فهو الشِّرك، أمَّا أساس التَّوسُّل والتَّبرُّك به فهو تكريمُ الله له، وهذا التَّكريم لا ينفكُّ شيءٌ منه عنه ﷺ بوفاته[2].

2. مِنَ الممكن للإنسان أنْ يتنبَّه إلى الصِّلة ما بين الأسباب ومسبِّباتها، لاسيَّما أنَّ البحث في ذلك هو سبيلٌ لليقين بوجود الخالق وحكمته[3].

أمَّا أقصى ما يمكن أنْ يكتشفه الإنسان هو ثلاثةٌ مِنْ أربعة أمور؛ فهناك السَّابق واللَّاحق مِنَ الأسباب والمسبَّبات، والنَّتيجة المتكرِّرة عند الاقتران، وهناك القوَّة والأثر الذي يكمن وراء تحقيق النَّتيجة، فالإنسان يرى الأمور الثَّلاثة الأُوْلى ويَحْكُم على الأمر الرَّابع مِنْ باب الفضول، فهو يرى النَّار المحرِقة، ويرى الإحراق النَّاتج عنها، ويرى الهشيم الذي

---

1 انظر نظم المتناثر/الكتاني، 233 الحديث303

2 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 153–155
انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 295–296
انظر نصيحة لإخواننا علماء نجد/يوسف الرفاعي، تقديم البوطيّ، 11–12
انظر مع الناس/البوطيّ، 209/1، 191/2
انظر فقه السّيرة/البوطيّ، 354

3 الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانيَّة/البوطيّ، 126

لحق بكلِّ ذلك لكنَّه لم يرَ القوَّة المؤثِّرة أو التَّأثير الحقيقيَّ فحَكَمَ فضولاً وتعوُّداً بأنَّ النَّار مُحْرِقَةٌ، وهنا ينبغي ألَّا يُجعَل هذا الحكم حتميّاً لعدم رؤية التَّأثير الحقيقيِّ وعدم خضوعه للتَّجربة[1]. أمَّا الوصول إلى الصِّلة الخفيَّة بين الأسباب والمسبَّبات، وحتميَّة ظهور النَّتائج بشكلٍ دائمٍ فهو محال[2].

ودليل ذلك دِقَّة الآية القرآنيَّة التي يقول فيها الله:﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾الأنعام:59/6، فالآية ذكرت مفاتِح الغيب لا الغيب ذاته، والفرق بينهما أنَّ الغيب هو حدوث المُسبَّبَاتِ عند وجود أسبابها، كالمطر المتوقَّع هطوله لظهور أسبابه. أمَّا مفاتِح الغيب فهو الدُّستورُ الخفيُّ المُنَظِّمُ لصلةِ ما بين المطر وأسبابه، فهو إدراكُ السَّبب الخفيِّ لسببيَّة هذه الأشياء بعضها لبعض. فالقرآن سلب عن الإنسان الوصول إلى مفاتح الغيب، وليس معرفة الغيب ذاته، فالضَّمير في قوله (لا يعلمها) عائدٌ إلى المفاتح لا إلى الغيب، ومعرفة الغيب وحده بدون أسراره الخفيَّة ليس عِلْمَاً بل هو ظنٌّ راجحٌ قويٌّ، ففي كلِّ لحظةٍ يمكن أنْ تنقطعَ صلة ما بين السَّبب ومُسَبَّبِهِ، والواجب على كلِّ مسلمٍ أنْ يجعل هذه الحقيقة ميزاناً عقديَّاً، وعلى ضوئه فليُفسِّرَ كلَّ الاكتشافات العلميَّة الحديثة، عندها لن يُفاجئ بشيءٍ منها ولنْ يقف مع نفسه باحثاً عن حكم الشَّرع في كلِّ اكتشافٍ علميٍّ جديد[3].

3. الجمع بين الأسباب ومسبَّباتها في مناخاتٍ صناعيَّةٍ لتُثْمِرَ نتائجها الطَّبيعيَّة ذاتَها مِمَّا ملَّكه الله للإنسان ليقوم بمهمَّته في الأرض، إلَّا أنَّ هذا لا يسمى خلقاً لمعدوم، بل هو جمعُ الأسباب الموجودة إلى بعضها، فتظهر الثَّمرة التي كانت كامنةً فيها[4].

---

1 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 179
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 201

2 انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 128-129
انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 23

3 انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 128-130
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 181
انظر هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك/البوطيّ، 172-190

4 انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 127-128

4. النَّفس والشَّيطان ومجاهدتهما مِنَ الأسباب الكونيَّة، فلو أنَّ الله تعالى كتب على الإنسان أنْ يعود إليه بعيداً عن خوفه مِنَ الشَّيطان والنَّفس لكان ذلك مخالفاً لسُنَّته تعالى في عباده، وهي أخذهم في كلِّ شؤونهم بالأسباب.

فكمَا أنَّ الرِّزق مقسومٌ والله أناطه بالعمل، كذلك اللُّجوء إلى الله تعالى مقرَّرٌ في علمه، ولكنَّه شاء أنْ يكون بسابقٍ مِنَ الأسباب، فالشَّيطان والنَّفس كلُّها أسبابٌ شكليَّةٌ لا فاعليَّةَ لها، والله تعالى هو الذي عقد الصِّلة بينهما وبين نتائجهما فبدَت للنَّاظر على أنَّها صلةٌ حقيقيَّةٌ[1].

5. الله خالق أفعالَ العباد[2]، فأفعال الإنسان تندرج تحت قائمة الأسباب والله بقوَّته تتحقَّق النَّتائج، وليس بالقوَّةِ المودعةِ في الإنسان، فالله هو خالق الأفعال، وخالف المعتزلة فقالوا: الإنسان يقوم بفعلٍ ما بالقدرة التي جعلها الله فيه، فالذي خلق الفعل إنَّما هو ذاك الذي أودَع القدرة عليه، وهو الله[3].

إذن الوجود المادي للفعل بخلق الله، وهذا لا يعني تقييد حرية الإنسان؛ لأنَّ الله إنَّما يخلق الأفعال الإراديَّة موافقةً للقصود الحرَّة، فخلْقُ الله لأفعال الإنسان تجسيدٌ لاختياراته الخفيَّة داخله لتكون شاهدةً عليه، وهذه القصود الحرَّة هي محلُّ الثواب والعقاب، فلا يُنسَب الظلم لله بخلق أفعال العباد ثم مجازاتهم عليها[4].

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 5/160-161

2 انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 49-50
انظر حوار حول مشكلات حضارية/البوطيّ، 134
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 1/351-352، 2/299، 3/357
انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 48-50
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 163

3 انظر شخصيات استوقفتني/البوطيّ، 226
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 76-78

4 انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 160

6. الله تعالى خالق القصد في الإنسان[1]، فالقصد ومقومات الفعل والفعل في العبد داخلٌ في مدلول الشَّيء والله خالق كلُّ شيءٍ، فكلُّ ما يصدر عن الإنسان هو بإيجاد الله.

أمَّا ترتيب الثَّواب والعقاب يكون على اختيار نوعيَّة القصد لا خلقه وإيجاده، فالله خلق في العبد قدرةً على القصد والاختيار، بها يختار العبد نوع القصد خيراً أو شراً؛ وهذا الاختيار هو مدار الثَّواب أو العقاب.

واستدلَّ رحمه الله تعالى على ذلك بالدَّليل النَّقليِّ؛ وهو قولهﷺ:"فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً"[2]، فالقصد في الحديث هو المحور.

واستدل أيضا بقولهﷺ:"إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النّار"، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ قَالَ: "إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ"[3]. فالقصد وحده حمَّل صاحبه عقابَ ما قد قصد إليه[4]. وهنا بيَّن رحمه الله تعالى بطلانُ نِسْبَةِ الظُّلم

---

1 انظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله/البوطيّ، 46
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 2/299-303، 3/ 295-297، 360
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 164
انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 130-131، 125-229
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 77
انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 51-53

2 صحيح البخاري، كتاب الرّقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، الحديث6491
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، الحديث207

3 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾الحجرات9/49، الحديث31

4 انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 57-60
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 15

لله تعالى لأنَّه يحاسب العبد على قصدٍ خلقه الله له[1]، وذلك بالاعتماد على قواعد اللُّغة العربيَّة التي تُعرِّف الظُّلم بأنَّه: تَصرُّف الشَّخص بمُلْكِ غيره بدون إذنه، والكون كلُّه مُلْكٌ لله، فليس لمخلوقٍ ملكيَّةٌ حقيقيَّةٌ بل ملكيَّةٌ ظاهريَّةٌ نسبيَّةٌ تتعلَّق بصلة النَّاس بعضها مع بعض، وهذه مِنْ أهمِّ مسلتزمات ألوهيَّة الله، وهذا هو مقتضى عبوديَّة النَّاس، والقرآن يؤكِّد ذلك فلم يَنْسِبْ الملكيَّة لإنسانٍ، بل قال تعالى:﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ﴾النور:33/24.

وقد منع رحمه الله تعالى منعاً باتاً مِنْ قياس الغائب على الشَّاهد في هذه المسألة لأنَّ الفرق كبير بينهما؛ فالعدل بين النَّاس أساسه أنْ لا سلطانَ لأحدٍ منهم على أحد فالوحدة الإنسانيَّة تجمعهم، أمَّا الله فهو المالك لرقابهم وعلاقتهم معه علاقة الرَّبِّ مع عباده تنبثق مِنْ صلة خالقٍ بمخلوقٍ، وإلهٍ بعبدٍ، فلا يصحُّ إلزامه بمنهج العدل الإنساني مع عباده.

7. التَّكليف باتِّخاذ الأسباب مع الاعتقاد بأنَّ التَّدبير لله تعالى؛ أي أنَّ خلق النتائج لا يكون إلَّا لله تعالى[2]، فالله أمرَ بمباشرة الأسباب الجعليَّة، مع اليقين بأنَّ الله خالق النَّتائج، مِنْ ذلك قوله تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾الأنفال:60/8 مع اليقين التَّام بأنَّ الله خالقُ النَّصر، قال تعالى:﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾آل عمران:126/3، ومِنْ هنا كانت هجرة النَّبيِّ ﷺ؛ مثالاً واضحاً عن الاستعداد والتَّخطيط القائمِ على مفهوم الأخذ بالأسباب.

أمَّا قوله تعالى:﴿إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ﴾محمد:7/47، فظاهره يوهم حاجة الله إلى الإنسان وهذا مخالفٌ لِمَا ثبت بالأدلَّة القطعيَّة مِنْ أنَّ الله قائمٌ بذاته لا يحتاج مَنْ يُعينُه،

---

1 انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 143-149
انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 65-66
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 153
انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 80-81

2 انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 183-194، 208، 206
انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 7
انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 209-211
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 260/1، 317، 354/5

وهذه المخالفة تُعتبر حسب منهج الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى قرينةٌ قويَّةٌ واضحةٌ توجِب التَّأويل ليُصبح المعنى: إنْ تنصروا الله تعالى بالتزام أوامره ينصرْكم بإمدادكم.

المسألة الثَّانية: التَّسيير والتَّخيير

ذَكَرَ رحمه الله تعالى عدَّةَ قضايا ترتبطُ بهذه المسألة، وستتحدَّثُ الفِقراتُ القادمة عن هذه القضايا باختصارٍ، مع بيان رأيه المعتمد فيها.

1. تاريخ مسألة التَّسيير والتَّخيير.

امتاز منهج البحث عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى في القضايا العقديَّة المهمَّة بالإحاطة التَّاريخيَّة بها، وهذا ما يسمَّى اليوم بتاريخ الفكرة، وأهميَّة هذا المنهج تتجلَّى بالوقوف على تأثير الأحداث والأشخاص والبيئة على هذه الفكرة.

وهذا ما بدأ به رحمه الله تعالى في مسألة التَّسيير والتَّخيير وعلاقتهما بالقضاء والقدر[1]، حيث أرجع نشأة هذه المسألة إلى عصر الصَّحابة، فقد جادل الصَّحابة أناساً في القدر، ثمَّ اشتدَّ أمر الجدال فنشأتِ الفرق؛ قال منها بالجبر، ومنها بنفي القدر مطلقاً، ثمَّ ظهرتِ المعتزلةُ بقولها: أنَّ الإنسان خالق أفعاله الاختياريَّة، واستمرَ هذا الجدال حتَّى قام الإمام الأشعريُّ والماتريديُّ بالصَّدِّ لكلِّ تلك الأقوال، وكانت عندها خاتمة الجدال، ثمَّ عادت المسألة إلى الجدل بسؤال: هل الإنسان مختارٌ في الظَّاهر ومجبرٌ في الباطن؟ فزادت المسألة بذلك تعقيداً.

---

1 انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 14-40
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 160
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116
انظر من الفكر والقلب/البوطيّ، 51-52

واليوم تعدَّدتِ الأقوال؛ البعض قرَّر عدم الخوض في المسألة، وقال البعض إنَّ هذه المسألة مِنَ الأسرار التي لا يمكن الوصول إلى حقيقتها إلى يوم القيامة، ومنهم مَنْ وقف منها موقف الحيرة اللَّامتناهية باحثاً عن شاطئ الأمان العقديِّ، وآخرُهم –وهم الأكثر شرَّاً على الإسلام– الذين اعتبروا المسألة ثغرةً عقديَّةً استغلوها لبثِّ الشُّبهات في العقول.

أمَّا الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله فيرى أنَّ المسألة كانت مِنْ أصفى أركان الإيمان في عهدهﷺ وعلى علم الكلام اليوم إعادتها إلى صفائها.

ولتحقيق ذلك اعتمد رحمه الله تعالى على دليلين واضحين بدهيين[1]:

الأوَّل: تجريبيٌّ مشاهد: وهو انقسام أفعال الإنسان إلى قسريَّةٍ كالتَّقدُّم في العمر، واختياريَّةٍ كالأكل والمشي وغيرها. الثَّاني: دليلٌ يسمَّى فارق الإرادة؛ وبيانه "**بأنْ نَقُوْلَ هَبْ أنَّ شخصين أحدهما متَّعه الله بنعمة الحريَّةِ والتَّمكين مِنْ أنْ يتوجَّه بقصدِه إلى ما يشاء، والآخر لم يُمَتِّعْهُ الله بهذه النِّعمة. إنَّ الشَّخص الأَوَّلَ لو قال إنَّ هذه النِّعمة التي أتمتَّع بها إنَّما هي بِخَلْقِ الله، إذن فأنا لا أتمتَّع بأي حريَّةٍ أو قَصْدٍ، لكان معنى كلامه أنَّ حالَه تُساوي حالَ صاحبه الذي لم يَخْلُقِ الله في كيانه هذه النِّعمة ولم يُمَتِّعْهُ بها. وعندئذ يصبح الخلق وعدم الخلق سواء، كما تُصْبِحُ حالُ مَنْ يَتَمَتَّعُ بهذه النِّعمة ومَنْ لا يتمتَّعُ بها سواء. ومِنَ الواضح أنَّ هذا هذيانٌ لا ينطق به عاقل**".[2]

إذن الإنسان مسيَّرٌ في أمور ومخيَّرٌ في أخرى، ويدعم رحمه الله هذه النَّتيجة بأدلَّةٍ نقليَّة؛ منها: قال تعالى:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا 7 فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا 8 قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا 9 وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾الشّمس:91/7-10، وقال:﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجَدَيْنِ﴾البلد:90/10، فالله متَّع الإنسان بالعقل وهيَّأ له ما يجذبه إلى الرُّشد والشَّهوات، ومتَّعه بالإرادة ليختار طريقه الذي سيسلكه، لاستحقاق الأجر بعد النَّصر في الصِّراع بين الرُّشد والرُّعونة.

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 299/3، 324/1-326

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 36-38

انظر مشكلات على طريق النهوض/من التطرف إلى الحوار/البوطيّ،11

2 الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 56 رقم الحاشية 1.

2- القضاء والقدر وتوهُّم الجبر

يرى رحمه الله تعالى أنَّ سبب هذا التَّوهُّم انسحاب المعنى اللُّغوي في العقول، فالقضاء في اللُّغة الحكم والإلزام، وكأنَّ الله حكم على عباده بما شاء بحيث لا يبقى مع حكمه عليهم أي إرادة لهم؛ وهذا مفهومٌ باطل ولم يَرِدْ عند علماء العقيدة؛ وقد بيَّن ذلك بالتفصيل وفق ما يلي[1]:

القضاء اصطلاحاً: هو عِلْمُ الله الأزلي بما سيجري في ملكه في المستقبل، ومنه ما سيختاره الإنسان ويفعله، ومنه ما يحدث للإنسان قسراً، وعِلْمُه تعالى مقرونٌ بإرادته.

والقدر: وجود الأشياء –ومنها وقوع الأفعال أو التَّصرُّفات التي اختارها الإنسان أو الأمور القسريَّة– مطابقةً لعلم الله تعالى الأزليِّ وإرادته، وقد عكس بعضهم التَّعريفين.

إذن قضاء الله هو علمه الكاشف المسبق بكلِّ الأمور القسريَّة والاختياريَّة، والعلم تابعٌ دائماً للمعلوم[2]، لا العكس، فالأمور القسرية علم الله بها مرتبط بإرادة الله وحكمه كحوادث الكون، فيخلقه تعالى كما هو ثابت في علمه الأزلي. أما الأمور الاختيارية للإنسان فإنَّ الله منح الإنسان الإرادة فبها يمارس الاختيار وعندها يَخْلُقُ الله الأفعال مطابِقَةً لاختياراته

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 299/3، 324/1-326
انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 36-38
انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 158-159
انظر حوار حول مشكلات حضارية/البوطيّ، 133

2 ولا إشكال في كون علم الله تابعاً لواقع الإنسان وإن كان العلم موجوداً قبل تصرفات الإنسان؛ فهذا هو معنى كون صفة العلم في حق الله تعالى صفةٌ كاشفة فهي تكشف الأمور وتظهرها على ما هي عليه دون أي تأثير فيها. وهي تابعة لواقع تلك الأمور والحال التي هي عليها. وأسبقية الزمن أو عدم أسبقيته لا يخل بهذه القاعدة أبدا، ومثاله التقريبي العلم بمجيء الخريف عقب أشهر الصيف أسبق من حيث الرتبة الزمنية من قدوم الخريف، ومع ذلك فإن الواقع الذي سيحدث هو المتبوع والأصل، والعلم أو الإدراك المنطقي المتعلق بذلك الواقع، هو التابع والفرع. انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 127-128

التي اتَّجه إليها، وهذا كلَّه ثابتٌ أيضاً في عِلْمِ الله الأزليِّ. فالله عَلِمَ وأراد ما يَصْدُرُ عنِ الإنسان باختياره مِنْ خيرٍ وشرٍّ، وهذا هو معنى القضاء[1].

3. ارتباط مشيئة الإنسان بمشيئة الله تعالى.

قال تعالى:﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾المزمل:19/73، وقال:﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعالَمينَ﴾التكوير:29/81، قد تُوهم هذه النُّصوصُ التَّعارض، وبيانها[2]:

أنَّ الآية الأُوْلَى يذكِّر الله عبادَه بأنَّه وهبهم مَلَكة المشيئة، أمَّا الآية الثَّانية فيؤكِّد فيها أنَّ المَلَكة مصدرها هو الله تكرَّم بها عليهم، فمشيئة الإنسان حرَّةٌ واستمرار وجودها متوقِّفٌ على إرادة الله، يسلبها مِنَ الإنسان متى شاء، فإرادة الله تعلَّقت بأنْ يمنحَ الإنسان الاختيار ويجعله محور التَّكليف.

وذلك يؤدِّي إلى أنَّ إرادة الله تعالى تعلَّقت بأنْ يكون الإنسانُ مريداً وبذلك سَرَتْ إرادة الله إلى كلِّ ما يريده ويختاره الإنسان، فلا تعارض بين إرادة الله تعالى وما يختاره الإنسان عن طريق إرادته الخاصَّة، فإرادة الإنسان تبقى ضمن دائرة الإرادة الإلهيَّة، وإلَّا نُسِبَ

---

1 الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 38-39

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 155-159

انظر لا يأتيه الباطل/البوطيّ، 54-55

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 80-91

انظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله/البوطيّ، 48-50

انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 4/186-187

انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 166

العجز لله بحدوث شيءٍ في الكون خارجٍ عن إرادته، وهو محالٌ، أمَّا سبب عدم ذكر مفعول تشاؤون في الآية بيَّنه رحمه الله تعالى فقال:

إنَّ المفعول ليس أمراً جزئيَّاً مقدَّراً، بل هو محذوفٌ نسياً منسيَّاً كما يقول علماء النَّحو. إذِ المراد بالمشيئة المنسوبة إلى الإنسان هنا ماهية المشيئة مِنْ حيث هي مَلَكَةٌ كليَّةٌ، بقطع النَّظر عن متعلَّقاتها الجزئيَّة. فالمعنى: وما كنتم لتتمتَّعوا بمَلَكة المشيئة..إلخ، ومَلَكة المشيئة معنى كليّ قائم بكيان الإنسان بقطع النَّظر عن متعلَّقاته الجزئيَّة. فهو كقولك: فلانٌ يعطي..أو فلانٌ يصفح..مِنَ الواضح أنَّه ليس هنا مفعولٌ مقدَّرٌ، إذِ المراد: فلانٌ يتمتَّع بصفة الجود مِنْ حيث هي، وفلانٌ يتمتَّع بطبيعة الصَّفح مِنْ حيث هي. واذا تبيَّن لك هذا، علمت أنَّ الاستثناء الذي جاء عقب هذه الجملة الأُوْلَى، وهو قوله تعالى: إلَّا أنْ يشاء الله، معناه: إلَّا أنْ يشاء الله أنْ تتمتَّعوا بهذه المَلَكة. فمفعول يشاء هنا محذوف، ولا تصلح الجملة ولا يستبين معنى الاستثناء إلَّا بذلك. إذ هو كقولك: وما توفَّقون إلَّا أنْ يشاء الله، بدهيٌّ أنَّ مفعول يشاء هنا مقدَّرٌ والمعنى: إلَّا أنْ يشاء الله لكم التَّوفيق[1]

وقد ذكر رحمه الله تعالى مثال ذلك: أنَّ أحداً أعطى خادماً في داره مالاً ووجَّهه لشراء بعض الحوائج دون رقيبٍ معه، وهدفه مِنْ ذلك اختبار أمانته، فإنْ عاد وقد خان الأمانة أو حفظها؛ فالذي أرسله مريداً للنَّتيجة بكلا الحالتين؛ لأنَّه أراد معرفة حال خادمه، وإنْ لم يرضَ منه الخيانة لكنَّه أراد له حريَّة الاختيار والتَّصرُّف[2].

---

1 الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 93-94

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 156

4- الفرق بين الرِّضا والإرادة والأمر.

4-1- الإرادة: "**هي قرار العقل القاضي بفعلٍ أو تصرُّفٍ ما، بقطع النَّظر عن كونه مرغوباً أو غير مرغوبٍ إلى نَفْسِ المريد**"[1] فهي تظهر بإرادة النَّتيجة مِنَ الأَمْرِ أيَّاً كانت إيجابيةً أو سلبيَّة.

4-2- الرِّضا: "**هو حبُّ الشَّيء والرَّغبة فيه**"[2].

4-3- الأمر: الصِّيغة المخصوصة التي يراد فيه طلب الفعل[3]، ولا يوصف بالرِّضا أو الكره بل هو فعلٌ حياديٌّ، فقد يأمر الإنسان بما لا يرضى، وقد يأمر بما يرضى، يحدِّد ذلك الهدفُ مِنَ الأمر، كمَا يأمر الأبُ بإجراء عمليَّةٍ لابنه فهو يكرهها لكنَّه يأمر بها، وقد يجتمع مع الإرادة وقد يفترق عنها، فالإنسان يرضى النَّتيجة الإيجابيَّة لأمره ويريدها، ولا يرضى النَّتيجة السَّلبيَّة ويريدها، لاسيَّما إذا أراد معرفة الواقع على ما هو عليه.

وقد ذكر رحمه الله تعالى الآراء في المسألة وفق ما يلي[4]:

4-4- ذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ كلَّ لفظٍ منها لها مدلولها الخاص، وقد يجتمعوا معاً أو يفترقوا، بدون تلازمٍ بينهم، وأدلَّتهم:

4-4-1. التَّجربة: فالفرق بين هذه الأمور الثَّلاثة حقيقةٌ جليَّةٌ في تصرُّفات النَّاس جميعاً.

4-4-2. قوله تعالى:﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾الزمر:7/39، فكفر أبي جهل داخلٌ في مرادات الله، ولكنَّه غير داخلٍ فيما يرضى ويأمر، ودلالة الآية صريحةٌ على ذلك.

---

1 الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 75

2 المرجع السَّابق، 75

3 انظر مباحث الكتاب والسنة/البوطيّ، 75

4 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ ، 157-158

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 79-80، 283-284

انظر مباحث الكتاب والسنة/البوطيّ، 109-110

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 75-77

4-4-3. الآيات التي تُثْبِتُ الإرادة لله، علَّقتها بكلِّ ما يجري في الكون، في حين أنَّ الآيات التي تُثْبِتُ صفة الرضا علَّقته ببعض الأمور دون بعضها، ولو كانتِ الكلمتان مترادفتين كما تَوَهَّمَ المعتزلة، إذن لكان ما تعلَّقت به إرادة الله تعالى مِنْ حوادثِ الكون وتصرفات النَّاس داخلاً في مرضيَّات الله تعالى أيضاً، وهو نقيض قوله تعالى: ولا يرضى لعباده الكفر في الآية السَّابقة.

4-5- وخالف في ذلك المعتزلة واضطربت أقوالهم فيها، ومِنْ أقوالهم أنَّه تعالى لا يأمر إلَّا بمَا أراد ولا ينهى إلَّا عمَّا يكره فبين أمره وإرادته تلازمٌ لا يقبل انفكاكاً، وبين نهيه وكراهيته تلازمٌ مثله، ودليلهم: أنَّ الله إنْ أمرَ العبد بفعلٍ وأرادَ نقيضَه أصبح أمرُه عبثاً وظلماً والله منزَّهٌ عن ذلك، وهو باطلٌ بما يلزم عنه مِنْ نِسْبَةِ العجز لله، فكثير ممَّن أمرهم ونهاهم لم يلتزموا بذلك، فإذا كان أمرُه تعبيراً عن إرادته ونهيُه تعبيراً عمَّا لا يريد؛ فإنَّ كثيراً ممَّا يريده لا يتحقَّق، وكثيراً ممَّا لا يريده هو الذي يتحقَّق، وذلك عجزٌ تنزَّه الله عنه.

4-6- ويرى رحمه الله أنَّ الدَّليل الحاسم هنا هو دِلالة اللُّغة إذ هي الجامع المشترك في القرآن بين المتكلِّم والمخاطب، وبما أنَّ استعمال اللُّغة لكلمتي الإرادة والرضا يُبنى على هذا الفرق فكذلك استعمال البيان الإلهيِّ لهما يُبنى عليه أيضاً.

4-7- الإرادة والرِّضا بين الأشاعرة والماتريديَّة: قال رحمه الله الخلاف بينهم في السَّبيل إلى المطلوب، لا في ذاته، ونصَّ فقال: "**أنَّ منصوص الشَّيخ أبي الحسن وجُلِّ أتباعه على أنَّ الإرادة أعمُّ مِنَ الرِّضا وأنَّ الصَّحيح الذي يروى عن أبي حنيفة هو الافتراق أيضاً فقد اتَّفق الفريقان إذن على أنَّ بين الكلمتين فرقاً في المعنى**"[1].

1 المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 121-122

5. حديث "فيسبق عليه الكتاب فيدخل النَّار": "وَالْذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّار، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النّار، حتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، فَيَدْخُلُهَا."[1]

إنَّ هذا الحديث يؤكِّد ما سبق بأنَّ الإنسان مخيَّرٌ وليس مسيَّراً، ففيه الله يعلم حقيقة نوايا وتوجُّهات الإنسان التي يحرِّك بها إرادتَه التي أودعها الله به، فإنْ أظهر الإنسان سلوكاً مخالفاً لنواياه الحسنة أو السَّيئة فالله أعلم بها وسيظهرها في آخر حياته لتكون عليه حجَّةً، ويحتمل معنى آخر حيث يَصْدُق على حال مَنْ زلَّت به القدم وتورَّط بالمعاصي بدافعٍ مِنَ الضَّعف والأهواء فالشَّأن فيه أنْ تنتهي به حاله إلى الخجل مِنَ الله تعالى فيَمُدَّ يد الرَّجاء إليه تعالى فيتوب الله تعالى عليه، أمَّا مَنْ كان في قلبه استكبارٌ فإنَّه قد يصلي ويصوم إلَّا أنَّ ذلك لا يفيده فيُختَم له بخلاف ما كان يُظهِر[2].

أمَّا الجمع والتَّوفيق بين الحديث وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾الكهف:30/18، يكون بالعودة إلى حديثٍ آخر لرسول الله ﷺ جاء في جزءٍ منه ذات المعنى ولكنْ بالصِّيغة التَّالية: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[3] هذه الرِّواية قيَّدتْ عمل الإنسان بكلمة "فيما يبدو للنَّاس" ولذلك يرى رحمه الله تعالى أنْ تُفهَمَ الرِّوايةُ الأُوْلَى المطلقةُ على ضوء الرِّوايةِ الثَّانيةِ التي قيَّدتها[4].

---

1 صحيح البخاري، كتاب القدر، باب في القدر، الحديث6594
صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته، الحديث1
2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 5/392-394
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 168
3 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، الحديث2898
صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الإنسان نفسه، الحديث179
4 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 1/364-365
انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 119-124

6- حديث احتجَّ آدم وموسى على أمرٍ قدَّره اللهُ تعالى.

قالﷺ:"احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ " فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»"[1] والإشكال فيه أنَّ سيدنا آدم تبرَّء مِنَ الأكل مِنَ الشَّجرة بأنَّه قضاء الله وقدره، وهو يخالف أنَّ الإنسان مخير! وقد أجاب رحمه الله تعالى بما يلي[2]:

6-1- سيدنا آدم أكل مِنَ الشَّجرة ناسياً، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾طه:115/20، وكلمة نسي تفسَّر بالمعنى الحقيقيِّ فلا قرينةَ توجب نقلها للمجاز البعيد وهو التَّرك المتعمَّد، فليس في فعله اختيارٌ بل هو قدرٌ إلهيٌّ محضٌ.

6-2- أَمْرُ الله تعالى لسيدنا آدم بعدم الأكل مِنَ الشَّجرة كان أمراً إرشاديَّاً، وبالتَّالي هبوطه بعد الأكل منها ليس عقاباً، ودليل ذلك قوله تعالى قبل أنْ يخلق آدم:﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾البقرة:30/2، والنَّتيجة مِنْ ذلك كما قرَّرها الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله تعالى: أنَّ الأكل مِنَ الشَّجرة هو سببٌ جعليٌّ لنزول سيدنا آدم إلى الأرض.

6-3- المعصية التي نُسِبَتْ لسيدنا آدم ليست بمعناها الشَّرعيِّ؛ لأنَّها لم تكنْ مخالفةً لأمرٍ تكليفيٍّ، بل هي معصيةٌ بالمعنى اللُّغويِّ؛ لأنَّها مخالفةٌ لأمرٍ إرشاديٍّ إذ لا تكليف في الجنَّة، ولأنَّ العصيان في اللُّغة مخالفةُ الآمرِ في الشَّيء المأمور به، وهو لفظٌ عامٌّ سواء كانتِ المخالفة عمداً أو سهواً أو نسياناً.

6-4- أمَّا توبة سيدنا آدم فمِنْ باب المشاكلة وهو أسلوبٌ بلاغيٌّ مناسبته ندم سيدنا آدم وزوجته على مخالفتهم الأمر الإرشاديَّ رغم أنَّه صدر عن نسيان.

---

1 صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، الحديث13، واللفظ له
صحيح البخاري، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، الحديث6614، وفيه "زيادة وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ"، وتكرار حج آدم موسى ثلاثا.

2 انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 137-139

المسألة الثَّالثة: الحُسن والقبح

1- صورة المسألة:

يبدأ رحمه الله تعالى الحديث عن الحسن والقبيح بدراسةٍ تاريخيَّةٍ لنشأة هذه الفكرة، حيث استمرَّ الاتِّفاق بين المسلمين على أنَّ الأفعال توصف بالحسن أو القبح، بناءً على عارضٍ خارجيٍّ كالعلاقات الاجتماعيَّة والطِّباع والآثار النَّاجمة عنها؛ فما له ثوابٌ حسنٌ وعكسه قبيحٌ، فلو صُرِفَت عنِ العوارض ما وُصِفَتْ بقبحٍ أو حسن، وإيجاد العوارض بيد الله تعالى وحده، إلى أنْ استثنَتْ المعتزلةُ أفعالاً؛ وقالتْ إنَّ لها صفة الحسن والقبح الذَّاتيين، كالعدل والظُّلم، وكانوا بذلك أوَّل مَنْ تكلَّم فيها متأثرين بمقولات الفلسفة عن الحسن والقبح العقليَّين، عندها اضطر أهل السُّنَّة أنْ يُبْطِلُوا قولَهم ولوازمَه[1].

2- الحسن والقبح بين العقل والشَّرع

أمَّا انعكاس هذه القضيَّة الفلسفيَّة على العقيدة بدأ منذ قرَّرَتْ المعتزلة أنَّ التَّحسين والتَّقبيح العقليَّ يستلزم الثَّواب والعقاب حتَّى بدون شرعٍ.

وللجمهور في الرَّدِّ على المعتزلة قولان: أوَّلُهما: الماتريديَّة حيث ذهبوا إلى ما يشبه ذلك فأثبتوا الحسن والقبح العقليَّين، ولكنَّهم لم يُثبتوا ثواباً وعقاباً قبل مجيء الشَّرع، أمَّا الأشاعرة فقرَّروا أنَّ الأشياء لا تتَّصِف اتِّصافاً ذاتيَّاً بالحسن والقبح وإنَّما هما حالتان اعتباريَّتان غير مرتبطتين بذات الشَّيء بحيث لا ينفكان عنه، بل هما معاني تَتَّبِعُ أحكامَ الله فلو شاء الله تعالى لعكس الأمر.

بناءً على ذلك يرى رحمه الله تعالى الخلاف بين الأشاعرة والماتريديَّة خلافاً نظريّاً مجرَّداً[2]، خلاصته أنَّ الثَّواب والعقاب مرتبطٌ بالشَّرع بغضِّ النَّظر عن حسن الأشياء

---

1 انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 162-163

2 انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 87-88

انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، 150، 154

انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 80-82، 119-120

وقبحها ذاتياً كان أم شرعيّاً، وهو القول المعتمد عند الدكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى في هذه المسألة[1]، التي تفرَّعت فيما بعد بعنوانٍ خاصٍ بها وهو؛ مصدر التَّكليف.

3- مصدر التَّكليف.

3-1- تحرير محلِّ المسألة: إنَّ المعرفة الإيمانيَّة تمرُّ بمرحلتين: الأُوْلَى السَّعيُ للمعرفة، والثَّانية الوصول للمعرفة؛ وعبَّر رحمه الله عن الأُوْلَى بالوسائل المؤديَّة إلى اليقين، وعن الثَّانية باليقين الذي هو نتيجةٌ للسَّعي، وهو انفعالٌ قسريٌّ لا يد للإنسان به. فمحلُّ البحث: هل التَّكليف بالسَّعي أمْ بنتيجته؟ ويثبت بالعقل أمْ بالشَّرع؟[2].

3-2- أجاب رحمه الله عن السُّؤال الأَوَّل ببيان قوله تعالى:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾محمد:19/47، فقدِ اختار تعالى فعل (اعلم) وليس (اعتقد)، إذن التَّكليف الإلهيُّ موجَّهٌ إلى إعمال الفكر بأدلَّة الاعتقاد؛ أيْ إلى السَّعي للمعرفة وليس إلى حمل العقل على نتائجها، ويؤيِّد ذلك ما هو معروفٌ بداهةً مِنْ أنَّ السَّعي إلى المعرفة ممكنٌ، أمَّا حمل العقل على نتائجها فغير ممكنٍ، فهو ممَّا لا يدخل في الاختيار فالتَّكليف، ودليل ذلك أيضاً تصريحُ القرآن بأنَّ عقاب الجاحدين بسبب الإعراض والتَّقصير في أسباب الفهم،

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 149
انظر الإنسان مسير ام مخير/البوطيّ، 164-170
انظر تجربة التربية الإسلامية/البوطيّ، 53
انظر إشكالية تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 169 الحاشية 1
انظر حوار حول مشكلات حضارية/البوطيّ، 123

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص153
انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 5/129-130
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 66 الحاشية رقم 1
انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 48
انظر من سنن الله في عباده/البوطيّ، 70-71
انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 165
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 48-49
انظر تجربة التربية/البوطيّ، 50-53
انظر حوار حول مشكلات حضارية/البوطيّ، 129-132

وليس بسبب عقائدهم القسريَّة التي كانت نتيجةً حتميَّةً لإعراضهم، قال تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَداً﴾الكهف:57/18، وقال:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾السّجدة:22/32، وربمَّا كان المقت يوم القيامة بسبب الكِبَر لا الإعراض فهو أخطر قال تعالى:﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾النّمل:14/27، وقال:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾الأعراف:146/7.

3-3- أمَّا السُّؤال الثَّاني فذهب رحمه الله إلى ثبوت التَّكليف بالوحي فقط، وإنْ كانتِ الأدلَّة العقليَّة على وجود الله واضحةً، إلَّا أنَّها لا تكفي دليلاً على أنَّ الله قد أوجب التَّأمُّل بها، وهذا ما أوضحه قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:15/17[1].

3-4- إذن وافق رحمه الله في ما سبق مذهب أهل السُّنَّة والجماعة الذين قالوا بنفي استقلال العقل في إدراك أحكام الشَّريعة وما يترتب عليها في الآخرة مِنْ ثوابٍ أو عقابٍ، فقناعات العقل لا تكون حاكماً على شرع الله وأوامره، فالتَّحسين والتقبيح عندهم فيما يخصُّ الأحكام الشَّرعية[2] شرعيٌّ، واعتمدوا بذلك على قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:15/17، وقوله:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيماً﴾النّساء:165/4. وقوله:﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصّحُفِ الأولى 133 وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾طه:133/20-134

---

1 انظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله/البوطيّ، 32-37

2 ويخرج به قول الماتريدية أن العقل يدرك الحسن والقبح في الأمور التي فيها الحسن والقبح ذاتياً وليس اعتبارياً، أما في أمور الشريعة فلا قيمة لما يدركه العقل بل الحسن والقبح عندهم شرعيان، وبذلك يؤول خلافهم مع الأشاعرة إلى خلاف لفظي. انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 83

ومِنَ السُّنَّة حديث رسول الله ﷺ :"لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرّسُلَ"[1].

فدلالة ذلك كله واضحة على أنَّ الذي لم تبلغْه الدَّعوة إلى الإسلام عن طريق الرُّسل مِنْ غير تقصيرٍ منه معذورٌ، والمعذور غير مكلَّفٍ[2].

أمَّا المعتزلة فقالوا إنَّ العقل يستقلُّ في إدراك التَّكليف، فالتَّحسين والتَّقبيح عندهم عقليَّين، والحكمة مِنْ إرسال الرُّسل التَّأكيد على ما أدركه العقل، والكشف عنِ الغوامض التي ليس فيها حسنٌ وقبحٌ ذاتيٌّ بارزٌ، فلا يستقلُّ العقل بإدراكه كالأحكام التَّعبديَّة، فالنَّاس عندهم مكلَّفون بالإيمان سواء بلغتْهُم دعوةٌ أمْ لا، وأوَّلُوا الرَّسولَ بالعقل في قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:15/17.

4- الأصلح في حقِّ الله تعالى.

يرى الجمهور أنَّ البالغ العاقل ملزمٌ بالتَّكليف مِنَ الله في كلِّ تصرُّفاته المختارة، ولكن لا يُتَصَوَّرُ أنْ يُلزَمَ اللهُ بتحقيق مصالح عباده فهو مالِكُهُم، أمَّا المعتزلة فقد أوجبوا على الله الأصلحَ، يقول رحمه الله في هذا: "**أنَّ الله ليس مجبوراً في خلقه وفي حكمه على أيِّ شيءٍ إذ لو كان مجبوراً عليه لكان سببُ الجبرِ هو ضرورة اتِّباعه الأصلحَ والأفضلَ وتَجَنُّبِهِ عن الفاسد والقبيح، وقد علمتَ أنَّ الذي جعل الصَّالِحَ صالحاً والفاسد فاسداً والقبيح قبيحاً هو الله عزَّ وجلَّ، وأنَّه لا شيء يسمَّى بالنَّظر لذاته حَسَناً أو قبيحاً وأنَّ الأمور كلَّها بالنِّسبة إلى الله في بدء الخلق سواء.**"[3]. ويقول أيضاً: "**ليس مِنْ صفات النَّقص التي علمنا أنَّ الله منزهٌ عنها أنْ يكون قد خلق القبيح والضَّار في الكون لأنَّ مِنْ صفات الكمال الثَّابتة لله أنَّه يخلق**

---

1 صحيح مسلم، كتاب التّوبة، باب غيرة الله وتحريم الفواحش، الحديث35

2 انظر من سنن الله في عباده/البوطيّ، 70-71

انظر مع الناس/البوطيّ، 235/1

3 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 151

ما يشاء دون أنْ يَصُدَّه عن ذلك أيُّ شيءٍ قوَّةً كان أو عرفاً أو قانوناً وليس خَلْقُه لأصناف الموجودات مِنْ قبيحٍ وحَسَنٍ وضارٍّ ونافعٍ إلَّا مظهراً لهذه الصِّفة الكاملة، ولكنَّ المنافي صفةَ الكمال والمستلزم للنَّقص أنْ يقال أنَّه اكتسب القبيح أو اتَّصف به، وفرقٌ كبيرٌ بين هذا وذاك، ليس نقصاً في ذات الله أنْ يَخْلُقَ العجز في الكون متمثِّلاً في شتَّى المظاهر، ولكنَّ النَّقص أنْ يتَّصِفَ هو بشيءٍ مِنَ العجز، وليس قبيحاً أنْ يَخْلُقَ الله الكذبَ (ظاهرةً يتَّصِفُ بها بعض النَّاس) ولكنَّ القبيح أنْ يتلبَّس هو بشيءٍ مِنْ هذا الكذب الذي خَلَقَهُ، لا لأنَّه قبيحٌ بحدِّ ذاته عقلاً فقد أثبتنا بطلان ذلك، ولكنْ لأنَّه متلبِّسٌ بمعانٍ ومستلزماتٍ لا تتَّفق ومصالحَ العباد، ولأنَّ الله جعله بشرعه قبيحاً فلا يمكن أنْ يتَّصِفَ البارئ جلَّ جلاله به"[1].

وقد عدَّل المعتزلة صياغة قولهم حتَّى يخرجوا ممَّا أوجبوه مِنْ إجبارٍ في حقِّ الله تعالى، فقالوا يجب مِنَ الله تعالى الأصلح وليس عليه، فلا إجبارَ خارجيَّ بل إنَّ صفة الكمال في الله تعالى هي منبع هذا الوجوب، وقال رحمه الله تعالى عن هذا الكلام إنَّه حسنٌ ولكنَّه مضطربٌ مع أصلهم الأوَّل: ثبوت الحسن والقبح في ذات الأشياء ابتداءً[2].

---

1 المرجع السَّابق، ط8، 152

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، 154

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطيّ، 87-90

المبحث الثَّالث: الإيمان بالملائكة والجنِّ

ذكر رحمه الله تعالى مبحث الإيمان بالملائكة والجنِّ في مبحث الكونيَّات وليس في مبحث الغيبيَّات، لعدَّة أمور[1]:

1- معنى كلمة الكونيَّات الذي اعتمده يشمَل كلَّ ما هو موجودٌ ثابت، أمَّا الغيبيَّات فجميع ما أخبر الله تعالى عن وقوعه في الماضي أو لم يَقَعْ بعد وقوعاً كليَّاً.

2- إنَّ سبب تصنيف الملائكة والجنِّ مِنَ الغيبيَّات هو عدم رؤية عامَّة النَّاس لهم، ولكنَّ الأنبياءَ رأوهم، والمؤكَّد أنَّ كلمة الموجودات أعمُّ مِنَ المشاهدات.

المطلب الأوَّل. حكم الإيمان بالملائكة والجنِّ

أوَّلاً. منهجه رحمه الله تعالى في إثبات وجودهم

تندرج قضية الإيمان بالملائكة والجنِّ عنده رحمه الله تعالى تحت مسمَّى الموجودات التي يَثْبُتُ الإيمان بها بالخبر المتواتر وبرهان التَّلازم، دون التَّجربة والمشاهدة لأنَّهما مِنَ الموجودات الخفيَّة.

بناءً على ذلك ذكر رحمه الله تعالى دليلين مِنَ العقل والنَّقل[2]؛ أمَّا النَّقل فقوله تعالى:﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾البقرة:285/2 وقوله ﷺ في حديث جبريل المعروف عندما سأله عن الإيمان فقال ﷺ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"[3].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 273

2 انظر المرجع السّابق، ط8، 273

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السّاعة، الحديث1

وقوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾الذّاريات:56/51. ولأنَّ وجودهم ثابتٌ بدليلٍ قطعيٍّ كان إنكارهم كفراً.

أمَّا دليل العقل: فإنَّ الإيمان بنبوَّة سيدنا محمد ﷺ وبأنَّ القرآن كلام الله يستلزم الإيمان بكل ما أخبرنا عنه لأنَّ إنكارَه إنكارٌ للنُّبوَّة والقرآن معاً.

ثانياً. مسألة: عدم الإيمان بوجودهم لعدم رؤيتهم.

إنكار وجودهم لعدم رؤيتهم يستدعي إنكار كثير مِنَ الموجودات اليقينيَّة، لعدم رؤيتها، والقاعدة العلميَّة تقول: عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، فالإيمان بوجود شيءٍ ما يكون بدليلٍ علميٍّ، كذلك نفي الإيمان بوجوده لا يكون إلَّا بدليلٍ علميٍّ. فإذا لم يَثْبُتْ دليلٌ على الوجود ولا العدم فالحالة تسمَّى جهلاً، والجهل بالشّيء لا يستلزم عدم وجوده.

ولقد ثبت بالدَّليل القاطع وجود الجنِّ والملائكة فلا مجال لإثبات عكس ذلك أو إنكاره. وما يظهر اليوم مِنْ هذه الادِّعاءات أو غيرها أرجعها رحمه الله تعالى إلى مظاهر الغزو الفكريِّ ضدَّ الإسلام وأهله[1].

المطلب الثَّاني: صفات الملائكة ووظائفهم

أوَّلاً. منهج ثبوت الصفات والوظائف.

الدَّليل الوحيد لإثبات صفات الملائكة والجنِّ دليلُ الخبر المتواتر، فلا سبيل للوقوف على الكثير مِنْ صفاتهم، فمَا كُلِّفَ المسلم بالإيمان به هو ما وَرَدَ به النَّص مِنْ غير بحثٍ عن التَّفاصيل، فكلُّ الأخبار المتواترة الواردة فيهما إجماليَّة، وهذا الحدُّ الواجب

1 انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 125
انظر فقه السّيرة النّبوية/البوطيّ، 158
انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، 281-283

الاعتقاد به، أمَّا التَّفاصيل فلا أدلَّة قطعيَّة فيها، وإذا وَرَدَتْ بعض الأخبار غير القطعيَّة بصفاتٍ لهما لا يجب الاعتقاد بها[1].

ثانياً. صفات الملائكة.

بناءً على ما سبق تنحصر صفات الملائكة التي يجب الاعتقاد بها بالتَّالي[2]:

1. العبوديَّة لله فهم ليسوا أولاداً ولا أنداداً له، لقوله:﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾الأنبياء:21/26-27
2. لا يعصُون بل يلازمون العبادة، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾التّحريم:6/66
3. لهم أجنحةٌ مثنى وثلاث ورباع، وفي ذلك قال تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾فاطر:1/35، ولا عِلْمَ لأحدٍ بتفاصيل هذه الأجنحة ولا أشكالها فهي محجوبةٌ عن البشر، ولا يوجدُ نصٌّ قاطعٌ فيها.
4. مخلوقين مِنْ نورٍ لا يُرى بالعين، ولديهم القدرة على التَّشكُّل والظُّهور بمظهر الأجسام الكثيفة المختلفة، قال تعالى:﴿اتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيّاً﴾مريم:17/19.

ثالثاً. وظائف الملائكة

لقد أخبر القرآن ببعض وظائفهم وأسمائهم، ويجب الإيمان بها كما وَرَدَتْ وهي[3]:

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطي، ط8، 274-275

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، 276-277

3 انظر المرجع السَّابق، ط8، 276-277

1. تبليغ الوحي: قال تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوح الْأَمِينُ 193 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾الشّعراء:193/26-194، وقد ثبت بالسُّنَّة الصَّحيحة المتواترة أنَّ المَلَكَ المُوَكَّل بهذه الوظيفة هو جبريل عليه السَّلام.
2. حَمْلُ العرش: قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾الحاقة:17/69
3. رعاية الجنَّة وأهلها: وسمَّاهم الله تعالى الخزنة حيث قال:﴿وَسِيقَ الذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجنَّة زُمَرًا حتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالدين﴾الزّمر:73/39
4. القيام بشؤون أهل النَّار: اسمهم الزَّبانية، وعددهم تسعة قال تعالى:﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ 27 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ 28 لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ 29 عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ30 وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النّار إِلَّا مَلَائِكَةً ...﴾المدثر:27/74-31
5. مراقبة وإحصاء أعمال المكلَّفين: ووصَفَ الله المَلكين القائمين بذلك رقيب، وعتيد، أحدهما يكون عن يمين الإنسان وهو يحصي الحسنات، والثَّاني عن شماله وهو يحصي السَّيئات، قال تعالى:﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشّمَالِ قَعِيدٌ 17 مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ق:17/50-18
6. المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته: وسمَّاهم الله تعالى بالمعقِّبة والحفظة، قال تعالى:﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله إِنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾الرّعد:11/13.
7. قَبْضُ الأرواح: والسُّؤال هنا مَنْ يقوم بهذه المهمَّة، فردٌ مِنَ الملائكة أم عددٌ منهم، فقد قال تعالى: ﴿وهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾الأنعام:18/6، وذكر في آيةٍ أخرى ما يدلُّ على أنَّه واحدٌ فقط: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الذى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾السّجدة:11/32؟ والجواب أنَّها مسألةٌ اجتهاديَّةٌ، وذهب الجمهور إلى أنَّ مَلَكَ

الموتِ واحدٌ، ولكنَّ الله عزَّزه بطائفةٍ مِنَ الملائكة شأنها معه كشأن الجنود مع القائد. أمَّا تسمية مَلَكُ الموت بعزرائيل فوَرَدَتْ به آثارٌ مختلفةٌ لم تصل إلى درجة القطع فاليقين ومعناه عبدُ الجبَّار، وهو مَلَكٌ عظيم، طُوِيَتْ له الأرض يتناول منها متى يشاء، ويدِّلُّ على ذلك قولٌ عن النَّبيِّ ﷺ مرسلاً[1].

وأخيراً هل للملائكة تأثيرٌ حقيقيٌّ؟ ولقد كان بمقدور الله تعالى أنْ يُحقِّق كلَّ ذلك بدون أنْ يكلِّفَه للملائكة، والجواب أنَّ ذلك راجعٌ إلى قانون الأسباب الذي جعله الله نظاماً كونيَّاً ثابتاً.

المطلب الثَّالث: الجنُّ والشَّيطان

أوَّلاً. مادةُ أصل خلق الجنِّ

اللَّهب الصَّافي الذي لا دخان فيه والدَّليل القطعيُّ قوله تعالى:﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾الرَّحمن:15/55[2].

ثانياً. الشَّيطان مهمَّته ومآله

1. لقد كرَّم الله آدم عليه السَّلام، وبسبب ذلك التَّكريم واستكباراً مِنْ إبليس عصى اللهَ وطُرد مِنْ رحمته، فطلب مِنَ الله أنْ يُمهلَه ليوم الدِّين ليُدخِل مَا استطاع مِنْ بني آدم معه في المعصية، وهذه هي مهمَّتُه التي لا يغفل عنها أبداً. إلَّا أنَّه لا أثر حقيقي له، بل وجوده جزءٌ مِنْ سُنَّة الكون الإلهيَّة وهي نظام الأسباب والمسبَّبات، ليكون الخوف مِنَ الشَّيطان السَّبب الظَّاهري للالتجاء والتَّضرُّع[3].

2. أمَّا مآله في النَّار حتماً، فخلافاً لمَنْ يقول أنَّ رحمة الله ستشمَلُه إذ أنَّ الله أنظره ليوم القيامة، عندها سيتوب ويدخل الجنَّة، فهذه المقولة تناقض القرآن، قال تعالى:﴿كَمَثَلِ

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، 307-308
انظر من سنن الله في عباده/البوطيّ، 130-154
انظر الحقيقة المنسية/البوطيّ، 10-12

2 انظر كبرى اليقينيات/ البوطي، ط8، 281

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 150/5، 157

الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ الْعالَمينَ 16 فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النّار خَالدين فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾الحشر:59/16-17، وإنظار الله له يعني أنَّ لعنته ستحلُّ عليه وسيُنَفَّذُ وعيدُه له بالعذاب يوم القيامة[1].

3. سلطانه على الإنسان، وهل يستطيع أنْ يؤذيَ الإنسان المسلم أو يتسلَّط عليه؟

صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ"[2]، وعمله لا يزيد على الوسواس وتحبيب الشَّر إليه، فيبقى الإنسان ممتَّعاً باختياره. أمَّا الأذى الذي قد يصل إلى الإنسان مِنَ الجآنِّ، فالشَّأن في علاقة الجآنِّ بالإنسان كعلاقة الإنسان بالإنسان، فكمَا أنَّ الإنسان قد يصيبُه أذىً مِنْ إنسانٍ مثله كذلك يُمكن أنْ يُصيبَه مِنَ الجآنِّ، ولكنَّ الحالتين تكونا بإذن الله، والحماية الوحيدة مِنْ ذلك هو اللجوء إليه[3].

وينصح رحمه الله بالوقوف عند حدود الإيمان بهم دون الدُّخول إلى تساؤلاتٍ أخرى تُرْهِقُ الفكرَ بلا نتيجة، فقوانينُ عَالَمِهم غير قوانين عَالَمِ البشر، ولو كان في معرفته مصلحة لرفع الله بينهما هذا الحجاب[4].

مِنْ خلال ما سبق يظهر[5] أنَّه رحمه الله تعالى التزم المنهج الذي أقرَّه في إثبات الحقائق الكونيَّة، ويقوم على مبدأ يقول: إنَّ منافذ العلم إلى العقل ثلاثة: الحواسُّ والوجدان وتلقِّي الأخبار، فالأُوْلَى تعتمد على التَّجربة، والثَّانية على المشاعر، والثَّالثة على صحَّة الخبر، وإحدى هذه المنافذ لا تنوب عن الأخرى غالباً.

إلَّا أنَّ نافذتَي الحواسِّ والوجدان، لا دَوْرَ لهما في هذه الحقائق إذ لا تجارب ممكنةً، ولا يمكن أنْ تَصِلَ مشاعرُ الإنسان إليها، فيتعيَّنُ إثباتُ الحقائق بالخبر اليقينيِّ القائم على شروطه وقواعده العلميَّة الدَّقيقة.

---

1 انظر مشورات اجتماعية/البوطيّ، 214

2 صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، الحديث2039

3 انظر استفتاءات النّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 23

4 انظر مع الناس/البوطيّ، 1/200-201

5 انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 144-146

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 109

انظر الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 118-119

الفصل الرَّابع: الغيبيَّات

وفيه

المبحث الأوَّل: الموت ومسائله

المطلب الأوَّل: تعريف الموت.

المطلب الثَّاني: قضايا الموت ومسائله.

المبحث الثَّاني: أشراط السَّاعة ومسائلها.

المبحث الثَّالث: يوم القيامة وأحداثه.

المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات أحداث يوم القيامة.

المطلب الثَّاني: أحداث يوم القيامة.

1. حدُّ الغيبيَّات: اختار رحمه الله قيدين للغيبيَّات؛ الأوَّل: أنَّها لا سبيل إلى الإيمان بها إلا عن طريق الخبر اليقينيِّ فلا حكم للعقل فيها. الثَّاني: أنَّها لم تُوجَدْ بعدُ، ولم يَمُرَّ على الإنسان نموذجٌ حتَّى يتصوَّرَها عن طريق القياس، وإنَّما هي محجوبةٌ عنه لا وجود لها إلَّا في علم الله، كعلامات السَّاعة وما بعد الموت وقيامِ السَّاعة، فعدمُ تحقُّق مضمونها حتَّى الآن دليلٌ على احتمال صدق الخبر المتعلِّق بها أو كذبه، وهنا محلُّ التَّكليف. بناءً على ذلك كلُّ الحقائق التي ذُكرَت في الفصول السَّابقة لا تدخل عنده رحمه الله في الغيبيَّات.

أمَّا الغيب في القرآن فهو كلُّ ما غاب عن الحواسِّ، فيشمل الإيمانَ بوجود الله والملائكة والجنِّ[1]. وبهذا المعنى القرآنيِّ يُعتبر الإيمان بالغيب ممَّا يمتاز به المؤمن، فإنْ زال الغطاء وأصبح الغيب مدركاً بالحواسِّ والعقول، فلا أفضليَّة إذن للمؤمن على الكافر، إذ يسقط بذلك أهمُّ مقوِّمٍ مِنْ مقوِّمات التَّكليف[2].

ويتَّضح في هذا الفصل منهجه رحمه الله القائمِ على التَّدرُّج بإثبات الحقائق مِنَ الأصول إلى الفروع حتَّى في دراسة الغيبيَّات، ويتجلَّى ذلك بقوله:

لا شكَّ أنَّ مِنْ العبثِ المضحكِ أنْ نُخاطِبَ بشيءٍ مِنَ الحقائق الغيبيَّة، مَنْ لمْ يكنْ قدْ آمن بعدُ بوجود الله عزَّ وجلَّ أو لم يُصَدِّقْ بعدُ بعثةَ الرُّسل والأنبياء، وأنَّ القرآن هو كلام الله. إذ هو كما لو خاطبْتَ بشيءٍ مِنْ بنودِ القانون الجنائيِّ إنساناً لم يفهمْ بعدُ معنى الدَّولة ولم يؤمن بوجود أيِّ مسؤولٍ عن هذا الكلام... وإنَّما نُحيلُ مثلَ هذا المنكر إلى الكلام الذي ذكرناه في قسم الإلهيَّات ونُحاكمه إلى تلك الحقائق البدهيَّة التي عرضناها إذ ذاك ثُمَّ ننتقل به إلى ما أوضحناه في قسم النّبوَّات ونُحاكمه إلى البراهين التي عرضناها في ذلك الصَّدد حتَّى إذا آمن بالله عزَّ وجلَّ ثمَّ آمن بالرُّسل والأنبياء وبأنَّ القرآن كلام الله انتهى بطبيعة الحال وبضرورة النَّظر العقليِّ إلى الإيمان بكلِّ

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص301-302

2 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 5/8-9

انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط34، ص93

الحقائق الغيبيَّة، لا يحملُه على التَّرَيُّثِ في قبولها وتصديقها إلَّا التَّأكُّدُ مِنْ قطعيَّة الخبر واستيفائه لكلِّ الشُّروط العلميَّة المعروفة للخبر اليقينيِّ.[1].

2. ادِّعاء تعارض العلم والإيمان بالغيبيَّات: إنَّ معنى العلم منذ أقدَم العصور إدراك الشَّيء على ما هو عليه الدَّليل، وبذلك يدخل تحت مسمَّى (العِلْم) تناولُ الماضي السَّحيقَ والمستقبلَ البعيدَ الذي لم يُرَ تطبيقه بعدُ، كما يتناول الواقع الخاضع للحسِّ والمشاهدة والأمورَ الماديَّةَ التي تقع تحت الحواسِّ والأمورَ المعنويَّةَ التي لا تخضَعُ لها. ولكنْ عند دخول عصر النَّهضة الغربيَّة ظهر تعريفٌ جديدٌ للعلم قلَّص صلاحيةَ العلم، ليصبح عمليَّةً ماديَّةً محصورةً في دائرة الأمور الماديَّة المحسوسة الخاضعة للتَّجربة والمشاهدة، إلَّا أنَّ الفطرة الإنسانيَّة تبقى ساعيةً إلى فهم الأمور السَّابقة كلِّها، ولا سبيل إلى تحقيق سعيها إلَّا بالعلم، لذلك لا يمكن اعتماد المفهومِ الغربيِّ للعلم لقصوره عن احتواء تلك الأمور كلِّها، ويدعم ذلك أنَّ الوسيلة الوحيدة للإنسان ليصل إلى اليقين هو العقل، وسعيُ العقل للوصول إلى اليقين يسمَّى علماً؛ مهما كان مضمونه ماديَّاً أو معنويَّاً، وأقرب مثالٍ على ذلك إثبات العقل وبدرجة اليقين لكثيرٍ مِنَ الأحداث التَّاريخيَّة، كالثَّورة الفرنسيَّة والبريطانيَّة والكعبة في مكَّة، ولا يمكن للعالم الغربيِّ أو العربيِّ أنْ ينفيَ هذه اليقينيَّات لمجرد كونها غيرَ محسوسةٍ، ويصفها بالخروج عن نطاق العِلْم، بل المطلوب هنا هو البحث عن المنهج العلميِّ الذي سار عليه العقل حتَّى توصَّل إلى هذا اليقين في الأمور التي غابت عنه.

وهذا ما استخلصه رحمه الله فقال إنَّ المنهج هنا مكوَّنٌ مِنْ طريقين اثنين: إمَّا الاعتماد على الخبر اليقينيِّ المتواتر، كما هو المعمول به للإيمان بوجود الثَّورة الفرنسيَّة، وكذلك للإيمان بما يُستقبَل مِنْ أنباء الأرصاد الجويَّة، والطَّريق الثَّاني: قانون التَّلَازم، ويستخدمه العقل حينما لا يصل إليه خبرٌ يقينيٌّ، إذن هناك منهجٌ علميٌّ لدراسة الغيبيَّات،

---

1 كبرى اليقينيات/البوطي، ط8، ص204-205

فلا يَصِحُّ بعدَ كلِّ هذا أنْ يُقالَ ساحةُ العِلْم لا تتَّسِعُ للغيبيَّات[1]، فالمرجع في الحكم على الأمور أنَّها علمٌ أو لا، هو المنهج الموصِل إليها.

وعليه يُمنع السُّؤال عن الغيبيَّات بتفاصيل عقليَّةٍ مجرَّدةٍ بعيدةٍ عن النُّقول[2]، خاصَّةً الأمورُ الغيبيَّةُ التي نصَّ الشَّارع على ضرورة الإيمان بها كما أَخبَرَ، دون الوقوف عند البحث عن أيِّ كيفيَّةٍ لها، ويضاف لها ما وَرَدَ الخبر عنه ممَّا لا يدْخُل في دائرة المحسوسات، ولا نموذج سابق له كالرُّوح وكلِّ ما لا يُعرف إلَّا بالنَّقل ولا سبيل لخوض العقل فيه، يدلُّ على ذلك قوله ﷺ على سبيل الاستنكار والتَّحذير :"لَا يَزَالُ النَّاس يَتَسَاءَلُونَ حتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ"[3].

إذن كلُّ ما يدعو إليه الدِّين الإسلاميُّ مِنَ الإيمان بالمغيَّبات مبنيٌّ على أدلَّةٍ ومناهج بحثٍ علميَّةٍ فلا يصحُّ وصفُه بدين الغيبيَّات البعيد عن العقل[4].

---

1 انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 96
انظر من الفكر والقلب/البوطيّ، 76
انظر وهذه مشكلاتنا/البوطيّ، 138-139، 169
انظر يغالطونك إذ يقولون/البوطيّ، 139-149

2 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 29

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، الحديث212

4 انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 130-133

المبحث الأوَّل: الموت ومسائله

المطلب الأوَّل: تعريف الموت

بيَّن رحمه الله تعالى تعريف الموت في أكثر من موضع؛ تمَّ جمعها وفق ما يلي[1]:

عند علماء المسلمين: هو بوابة الانتقال مِنَ الحياة الدُّنيا إلى الحياة الآخرة، فهو ليس عدمٌ وفناء، بل انتقالٌ مِنْ حياةٍ إلى حياة، يَفْصِلُ بينهما الحياة البرزخيَّة حيث تَظَلُّ الرُّوح موجودةً لحساب الجسد الذي فارقَتْه، ويأتي بخلْق الله تعالى له مباشرةً، دون الحاجة إلى المسبَّبات التي أخضعها الله تعالى للإنسان، وإنْ كان الظَّاهر تسبُّب الإنسان به، قال تعالى:﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ 1 الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾الملك:67/1-2.

الموت طبيًّا: انقطاع ما يسمَّى (الحياة) عن الجسم، أيْ قعود الأعضاء الظَّاهرة والخفيَّة عن وظائفها. فالعلم حتَّى اليوم رصدَ مِنَ الموت الآثار فقط بعيداً عن الماهية فلا يعلم حقيقة الحياة ونهايتها إلَّا مَنْ وهبها، والأخبار التي تثبت ذلك كثيرة؛ منها ما أخبر أنَّ العِلْم لن يصلَ إلى هذا السِّرِّ مهما تطوَّر فقال:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوح مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾الإسراء:17/85.

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 338/1

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 116-117

انظر هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك/البوطي، 99-100

انظر مختارات من خطب الجمعة/البوطي، 230-231

انظر موسوعة الخطب المنبرية/جمع موقع نسيم الشّام، 1301

انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطي، 43-44

انظر الحقيقة المنسية/البوطي، 10-19

الموت عند الغرب: العدم، ولذلك يُقال كنايةً عن الموت: حُكِمَ على فلانٍ بالإعدام، وهو مخالفٌ تماماً لمفهومه الدِّينيِّ.

إذن الموت والحياة والرُّوح مِنَ الحقائقِ الغيبيَّةِ التي يستحيل على العقل إدراكها، والمنهج العلميُّ الوحيد لها هو الخبر الصَّادق[1]. وينبِّه هنا رحمه الله تعالى إلى ملاحظةٍ علميَّةٍ دقيقةٍ مضمونُها: أنَّ الموت ليس مِنَ الغيبيَّات التي تحتاج إلى دليلٍ بل هو مِنَ الواقع المحسوس المشاهد، إلَّا أنَّ أموراً أخرى تحيط به لا مجال للعلم بها إلَّا عن طريق الخبر اليقينيِّ[2]، وتسمَّى قضايا الموت ومسائله.

المطلب الثَّاني: قضايا الموت ومسائله

أوَّلاً. ملك الموت:

تمَّ الحديث عنه بالتَّفصيل في مطلب الملائكة ووظائفهم.

ثانياً. البشرى:

ممَّا يجب الاعتقاد به أنَّ خبراً يأتي للإنسان قبل موته إمَّا بشارةً أو نذيراً، وهذه مِنَ السُّنن الكونيَّة التي سنَّها الله لعباده حيث قال:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾الأنعام:93/6، وقال تعالى:﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 62 الذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ 63 لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾يونس:62/10-64. وقرَّر رحمه الله أنَّ البشارة في الآية خاصَّةٌ بأولياء الله، وحدَّدهم منطوق الآية بأنَّهم كلُّ مَنْ آمن بالله واتقاه، ويشهد لذلك قوله ﷺ: "المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ الله وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ

1 انظر من سنن الله في عباده/البوطيّ، 149-154

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص307

إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ الله وَأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ الله وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ الله وَكَرِهَ الله لِقَاءَهُ"[1].

ثالثاً. سؤال القبر:

إذا مات الإنسان أرسل الله إليه ملكين بشكلٍ مفزعٍ، يسألونه عن دينه في الدُّنيا، وعن علمه بسيدنا محمد ﷺ، والقدرة على الجواب متربطةٌ بعمله في الدُّنيا، وتوفيق الله، فإمَّا أنْ يُثَبِّتَه الله، وإمَّا ألَّا يسانده عملُه فيُملأُ قلبُه فزعاً يَغِيْبُ به عنه الجواب، واعتمد رحمه الله تعالى في إثبات ذلك على الكثير مِنَ الأحاديث التي تجاوزت في مجموعها حدَّ التَّواتر، وتمَّ إجماع المسلمين على معناها، منها[2] أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّار قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّة، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا -قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ -قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاس، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ"[3].

وقد نبَّه رحمه الله تعالى إلى عدم حصر السُّؤال في القبر، بل هو ثابتٌ لكلِّ ميِّتٍ سواء دُفن في القبر أمْ لا، وسببُ إسنادِ السُّؤال إلى القبر تغليباً، أيْ أنَّ غالب مَنْ يموتون يُدفنون في القبور. أمَّا كيفيَّةُ حدوث ذلك: يرى رحمه الله تعالى أنَّ السُّؤال مِنَ الممكن لا المستحيل، فهو ممَّا تتعلَّق به قدرة الله تعالى بأيِّ صورةٍ كانت، وجزم رحمه الله تعالى أنَّه لا يمكن معرفة كيفيَّة ذلك بالتَّفصيل؛ لعدم وُرُوْدِ نصٍّ بذلك[4].

---

1 صحيح البخاري، كتاب الرّقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، الحديث6507

انظر الحقيقة المنسية/البوطي، 10-19

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص310

3 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، الحديث1374

4 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص309-310

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 117

رابعاً. عذاب القبر ونعيمه:

قال رحمه الله: الميِّت يتعرَّض قبل النُّشور للعذاب أو النَّعيم نتيجة أعماله في الدُّنيا، ومحلُّ ذلك القبر مِنْ باب التَّغليب، اعتماداً على ما وردَتْ به الأدلَّة اليقينيَّة المتواترة، وبناءً على الإجماع على فهم المراد منها، ومِنَ الأدلَّة النَّقليَّة الصَّريحة التي ذكرها رحمه الله، قوله تعالى:﴿وَقَاهُ الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ 45 النَّار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعة أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾غافر:40/45-46، فقد وَرَدَ في الآية العطف بين يوم القيامة وغدوًّا وعشيًّا، والعطف يقتضي المغايرة في قواعد اللُّغة العربيَّة، فهذا العذاب واقعٌ إذن ما بين الموت والنُّشور. ومِنْ أدلَّة السُّنَّة أنَّ النَّبيَّ ﷺ مر عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ" ثُمَّ قَالَ: "بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ" قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا، فَكَسَرَهُ بِاثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرٍ، ثُمَّ قَالَ: "لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا".[1].

أمَّا موقفه رحمه الله ففيه تفصيلٌ بناءً على درجة الدَّليل الذي ثَبَتَتْ به المسألة، فإنكار عذاب القبر ونعيمه كليًّاً كفر، لأنَّه يتضمَّن إنكارَ أمرٍ ثبت بالدَّليل القاطع، أمَّا الإيمان بوجود عذاب القبر ونعيمه ثمَّ الاختلاف في كونه للرُّوح والجسد معاً أمْ للرُّوح فقط؛ فهو مسألةٌ اجتهاديَّةٌ لا يُؤَدِّي القولُ بأحد طرفيها إلى الكفر إذ لمْ يَثْبُتْ فيها دليلٌ قطعيٌّ[2].

وما اختاره رحمه الله أنَّ العذاب والنَّعيم للرُّوح والجسد معاً؛ لأنَّ ذلك مِنْ قبيل الممكن، بناءً على ما دلَّتْ عليه ظاهر النُّصوص، ممَّا لا حاجة فيه للتَّأويل، ومنه ما ثبت في الصَّحيح أنَّه ﷺ وقف على القليب وفيه جثث المشركين يوم بدر وأخذ يكلِّمهم قائلاً: "وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟" فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لاَ يُجِيبُونَ"[3].

---

1 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، الحديث1378

2 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص312-313

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 117

انظر الحقيقة المنسية/البوطيّ، 14

3 المرجع السَّابق، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، الحديث1370

فلمَّا عَلِمَ ﷺ أنَّ الأجساد بنفسها هي التي تسمع كلامه اتَّجه بخطابه إليها. كما ردَّ رحمه الله تخصيص العذاب والنَّعيم في القبر بالرُّوح؛ فلا دليل للتَّخصيص[1].

وكان له رحمه الله وقفة مع التَّناسخ وهو: بقاء الأرواح "**متنقلةً بين الأجساد، كلَّما انتسخ وجود واحدةٍ منها في جسدها التي هي فيه انتقلَتْ منه إلى جسدٍ آخر، وهكذا دواليك.**"[2] وحَكَمَ عليه رحمه الله بالبطلان، وبما ثبت مِنْ سؤال الملكين وعذاب القبر الواردين على الرُّوح، فالرُّوح مشغولةٌ بصاحبها، ولا يمكن الجمع بين الإيمان بالتَّناسخ وسؤال الملكين فهما متناقضان، فالإيمان بأحدهما سبيلٌ لإنكار الآخر. ورفض رحمه الله تعالى الاستدلال على هذا الأمر بالدَّليل العقليِّ القائم على المشاهدة والقياس؛ لأنَّه مستحيلٌ في قضايا الموت والرُّوح بل المنهج الوحيد هنا هو الخبر المتواتر اليقينيُّ[3].

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص313-314
انظر من الفكر والقلب/البوطيّ، الحاشية، ص117
2 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص314
3 انظر المرجع السّابق، 315-316

المبحث الثَّاني: أشراط السَّاعة ومسائلها

أوَّلاً. تعريفها

السَّاعة مِنْ أسماء يوم القيامة؛ وهي الحادثة الكونيَّة العظمى التي تنطوي عندها السَّماوات والأرض، وينتَثِرُ فيها النِّظام الكونيُّ أجمع[1]. والأشراط هي العلامات[2].

ثانياً. موعدها

لا يعلمه إلا الله، فهو ممَّا غاب عنِ الأنبياء والنَّاس أجمعين، وقد أكَّد الله ذلك في كثيرٍ مِنَ المواقع، منها قوله:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ الله وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ﴾الأعراف:187/7، وقد أثبتَ ذلك النَّبيُّ ﷺ بقوله جواباً عن سؤال (متى السَّاعة؟): "مَا الْمَسْئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"[3]، بناءً على ذلك كلُّ تحديدٍ لعمر الدَّهر ويوم القيامة غير صحيحٍ، بل جهلٌ وكذب[4].

ثالثاً. علاماتها؛ أيْ دلائل اقتراب السَّاعة

هي مِنَ المغيَّبات؛ والإيمان بها واجبٌ فهي ممَّا عُرِف مِنَ الدِّين بالضَّرورة فلا يجوز إنكارها، وقد ورَدَتْ تفصيلاً بخبرٍ متواترٍ يجب الإيمان به ويكفر منكره، وآحادٍ يجب الإيمان به ويفسَّق منكره[5].

وسيكون الحديث في هذا المبحث عمَّا ثبت بالدَّليل المتواتر القطعيِّ حصراً؛ تقيُّداً بما اختاره رحمه الله في منهجه. وستُعرض العلامات وفق التَّرتيب التَّالي، مع الاكتفاء بدليلٍ قطعيٍّ واحد طلباً للاختصار:

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص317

2 انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 120

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السَّاعة، الحديث1

4 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص317

5 انظر المرجع السَّابق، ط8، ص318

1. الدَّجال[1]

يقول رحمه الله إنَّ بدء تصوَّر العالم لوجود الدَّجال كان بالخبر اليقينيِّ فضلاً عن الإيمان بظهوره، فلا سبيل للعقل هنا، ومِنْ أدلَّة ثبوته ما يلي: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فِي النَّاس، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجال فَقَالَ: "إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ الله لَيْسَ بِأَعْوَرَ".[2]

2. المهدي

اختار رحمه الله أنَّ علماء الحديث اتَّفقوا على أنَّ الصَّريح مِنْ الأحاديث التي تُحدد اسم المهدي غيرُ صحيحٍ، والصَّريحُ منها غيرُ صحيحٍ، ثم نقل الاتِّفاق على عدم وجوب الاعتقاد باسمه صراحةً[3]. وإنَّما يجب الاعتقاد بما ذُكِر بالتَّواتر المعنويِّ[4]، وهو ظهور رجلٍ مِنْ آل البيت يعمُّ العدل في زمانه قبل السَّاعة، دون تحديد اسمٍ وصفاتٍ وغيرها.

3. نزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام

تحدث رحمه الله تعالى عن نزول سيدنا عيسى عليه السلام بالتفصيل؛ وإجماله ما يلي[5]:

يلي[5]:

أجمع المسلمون على الاعتقاد بنزوله آخر الزَّمان وفق ما تواتر مِنَ الأخبار، منها؛ قوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾الزخرف:61/43،

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص318-321
انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 48
2 صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدَّجال، الحديث7127
صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذكر ابن صياد، الحديث95
انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر/الكتاني، 228-229
3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 48
انظر البدايات/البوطي، 329
4 انظر نظم المتناثر/الكتاني، 225-228
5 انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 125-126
انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص322-332
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 118
انظر البدايات/البوطي، 329-332

والشَّاهد (وإنَّه لعلمٌ للسَّاعة) فالضَّمير عائدٌ إلى سيدنا عيسى حسب السِّياق، أيْ أنَّه لدليلٌ على قيام السَّاعة، ويتحقَّق ذلك بنزوله مِنَ السَّماء، باتِّفاق المفسرين.

وقد أوَّل بعض التَّابعين لمدرسة محمد عبده الارتفاع الذي وَقَعَ لسيِّدنا عيسى عليه السَّلام برفع الرُّوح أو رفع الدَّرجة، وإنكار رفع الجسد إلى السَّماء. وأرجع ذلك رحمه الله إلى انسياقهم مع موجة إنكار المعجزات، فبإنكار الرَّفع يسقُطُ ما يُبنى عليه مِنْ أمورٍ غيبيَّةٍ؛ كنزوله مِنَ السَّماء وأمارات السَّاعة وغيرها.

ودليلهم:﴿إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الذينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾آل عمران:55/3، فقالوا أنَّ كلمة (متوفيك) مرادفة (لمميتك)، وذلك باطلٌ وفق قواعد اللُّغة في تفسير كلمة (التَّوفِّي) فهي مِنَ الاستيفاء أيْ أخْذُ الشَّيء كاملاً بينما (الإماتة) فهي أخْذُ الرُّوح فقط، ويؤكِّد ذلك بدلالةٍ قطعيَّةٍ قوله تعالى:﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا 157 بَلْ رَفَعَهُ الله إِلَيْهِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيماً﴾النّساء:157/4-158، والمعنى قبل (بل) وبعدها حسب قواعد اللُّغة يكون متناقضاً، وتفسيرها بأنَّهم ما قتلوه بل رفع الله درجته فلا يحقِّق التَّناقض، ومع فرض أنَّ الرَّفع كان للمكانة فلا مكانة أعلى مِنْ مكانة الرُّسل إلَّا أنْ يصبح إلهاً!

وممَّا يؤكِّد رفعه عليه السَّلام أيضاً بدلالةٍ قاطعةٍ على عدم موته قوله تعالى:﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾النّساء:159/4، والدَّليل: قوله تعالى (ليؤمنُنَّ به قبل موته) أيْ: جميع أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السَّلام سيؤمن به، ووقت هذا الإيمان قبل موته والضَّمير في (قبل موته) عائدٌ على سيدِّنا عيسى عليه السَّلام، كما هو واضحٌ مِنْ سياق الآياتِ التي اعتبرها رحمه الله نصَّاً على أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يمُتْ بعد[1].

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص327-330

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 48

4. يأجوج ومأجوج

وهم "**أمَّةٌ كبيرةٌ مِنَ النَّاس يفاجأ بها العالم تنسِل إليه مِنْ كلِّ حدبٍ، تنشر الفساد والدَّمار في الأرض، على نحوٍ مذهلٍ وبطريقةٍ مرعبة**"[1]. وهم موجودون على الأرض بدليل قوله تعالى:﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾الكهف:94/18، إلَّا أنَّ الله لم يُظهر ميعاد ظهورهم مِنَ المكان الذي هم فيه ولم يُحدِّدْ ذلك المكان في كتابٍ ولا سُنَّة[2]، بل إنَّ الدَّلائل القطعيَّة أثبتت فقط أنَّ مِنْ أشراط السَّاعة ظهور هذه الأمَّة المفسدة في الأرض، وهذا هو الحدُّ اليقينيُّ الذي يجب الإيمان به، ويُعتبَر مِنَ الأمور الضَّروريَّة بالدِّين، أمَّا التَّفاصيل فلا مطمع في العقيدة للوصول إلى شيءٍ منها.

بناءً على ما سبق يتبيَّن أنَّ ما يستنتجه البعض مِنْ أنَّ يأجوج ومأجوج هم التَّتر والمغول كلامٌ لا دليل له بل هو مخالفٌ للنُّصوص الصَّحيحة بأنَّ ظهورهم يوافق وقت نزول سيِّدنا عيسى ابن مريم عليه السَّلام وبعد ظهور الدَّجال، ويقول رحمه الله إنَّ ظهورهم سيكون واضحاً يقفُ عنده كلُّ اجتهادٍ واستنتاج[3].

5. دآبَّة الأرض

يقول رحمه الله عنها كلاماً مختصراً جامعاً نصُّه ما يلي: "**ودابَّة الأرض تعبيرٌ قرآنيٌّ عن حيوانٍ نَكِلُ علمَ نوعه وشكله وهيئته إلى الله عزَّ وجلَّ، يظهر للنَّاس قُبيل السَّاعة يكلِّمهم، ويكلِّم كلاً منهم بصفته مِنَ الإيمان، أو الكفر، فيَسِمُ الكافر بوَسْمِ الكفر، ويطبع المؤمن بطابع الإيمان. وحينئذٍ لا تنفع نفساً إيمانُها إنْ لم تكنْ قدْ آمنتْ مِنْ قبل.**"[4]، وأدلَّة ثبوتها: قوله تعالى:﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ

---

1 كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص333

2 انظر مشورات اجتماعية/البوطيّ، 220
انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص333

3 انظر المرجع السَّابق، ط8، ص335

4 المرجع السَّابق، ط8، ص335-336

النَّاس كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾النمل:82/27. **وقوله** ﷺ "إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمس مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدّابَّةِ عَلَى النَّاس ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا"[1]

6. طلوع الشَّمس مِنْ مغربها

ومفهومها كما بيَّنه رحمه الله: "**أنَّها تظهر للنَّاس طالعةً مِنْ جهة المغرب في وقت الصَّباح بدلاً مِنْ ظهروها لهم مِنْ ناحية المشرق كما كان دأبها كلَّ يومٍ، وذلك كأنْ يجعل الله دوران الأرض عندها في اتِّجاهٍ آخر يتراءى معه للنَّاس انعكاس سير الشَّمس بالنِّسبة إليهم**"[2]، أمَّا كيفيَّة ذلك على حقيقته فلا يعلمه إلَّا الله تعالى وكلُّ ما يذكر هو تقريبٌ للذِّهن ليَسْهُلَ الإيمان بها.

ودليل ثبوتها مِنَ السُّنَّة النَّبويَّة فقط، فهي التي ذكرتها صراحةً، مِنْ ذلك قول النَّبيِّ ﷺ في حديثٍ طويلٍ عن أشراط السَّاعة: "لاَ تَقُومُ السَّاعة حتَّى تَطْلُعَ الشَّمس مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاس آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ:﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ۞ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾الأنعام:158/6"[3]. ويضاف إلى ذلك الأحاديث التي ذُكرَت في الأماراتِ السَّابقة.

وقد أنهى رحمه الله حديثه عن أمارات السَّاعة بقوله: "**فهذه الأمور، مِنْ أهمِّ أشراط السَّاعة التي وصل إلينا علمها عن طريق الخبر الصَّادق وأجمع المسلمون على ضرورة الاعتقاد بها. وللسَّاعة أشراطٌ وعلاماتٌ أخرى تحدَّث عنها النَّبيُّ ﷺ في كثيرٍ مِنْ أحاديثه، وكثيرٌ منها ظهر وتحقَّق كما أخبر ولا مجال لذكرها والتَّوسُّع في الحديث عنها في هذا المقام والله أعلم.**"[4].

---

1 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب في خروج الدَّجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير، وبقاء شرار النَّاس وعبادتهم الأوثان، والنّفخ في الصّور، وبعث من في القبور الحديث118

2 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص336

3 صحيح البخاري، كتاب الرّقاق، باب طلوع الشَّمس من مغربها، الحديث6506

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزّمن الذي لا يقبل فيه إيمان، الحديث248

4 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص337

المبحث الثَّالث: يوم القيامة وأحداثه

المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات أحداث يوم القيامة

يقول رحمه الله تعالى: إنَّ الإيمان بيوم القيامة لا بُدَّ وأنْ يكون يقيناً، فإنْ تدنَّى إلى الظَّنِّ ولو كان قويَّاً فهو خروجٌ مِنْ الإيمان[1]، وقد بدأ رحمه الله الحديث عنه ببيان ثلاثة أمور:

الأوَّل: خطورة هذا اليوم.

حيث اعتبره مِنْ أخطر الأخبار الغيبيَّة وذلك مِنْ عدَّة حيثيَّاتٍ؛ مِنْ حيث الغرابة والبعد عن مألوف الإنسان فهو أغرب وأخطر الغيبيَّات، ومِنْ حيث ما ينتظر الإنسان فيه مِنَ العذاب المذهل أو النَّعيم الخالد الخارجان عن نطاق تصوُّر الخيال، وكذلك لِمَا فيه مِنَ الوقوف بين يدي الله للحساب عن كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، وكذلك عليه مدار وجود هذا الإنسان كلِّه فحياته اليوم مع ما فيها مِنْ تكليفٍ وشهواتٍ وتعبٍ كلُّ ذلك تمهيدٌ للقاء الخالق، مِنْ أجل ذلك كرَّر القرآن الإخبار عنه والتَّحذير منه بتوالٍ غير منقطع[2].

الثَّاني: كيفيَّة قيام السَّاعة.

كما في كل الغيبيَّات المنهج العلمي هنا لا يُعطي مجالاً للعقل، بل للأخبارِ التي وَرَدَتْ مع تفويض تفاصيلها الحقيقيَّة إلى الله، فالواجب على المكلَّف أنْ يؤمن بالأمر كما أخبر الله عنه، بقوله تعالى:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾الزمر:68/39، فهناك صُوْرٌ، وهنالك نفخٌ فيه، تصعق له الأرواح، إلَّا مَنْ شاء الله تعالى أنْ لا يُصعق.

---

1 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 462/3

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص339

الثالث: وهو مِنَ الأمور المهمَّة التي نوَّه إليها هنا رحمه الله تعالى بقوله:

ولعلَّ بعض مَنْ يحبون أنْ يستبقوا الأشياء في الحديث عنها حسب تخيُّلاتهم، يطيب لهم أنْ يتَّخذوا مِنَ الأسلحة الذَّرية الحديثة تفسيراً لكيفيَّة قيام السَّاعة، ويظنُّون أنَّ فيمَا يُقْدِمون عليه مِنْ هذا التَّفسير، تسهيلاً للإيمان بيوم القيامة على الشَّاكين والملحدين. ولكنَّ هذا خوضٌ في مَجْهلةٍ لا ينبغي الخوض فيها بحال، واجتهادٌ في أمرٍ لا مجال فيه للاجتهاد والنَّظر عدا أنَّه يخالف نصوص القرآن على ما قد رأيتَ كلَّ المخالفة. ويغيب عن هؤلاء الذين يتجرَّؤون على هذا الخوض بطيب نيَّةٍ وحسن طويَّةٍ، أنَّ نفخ الصُّور الذي أخبر الله عنه، تصعق له الأرواح كلُّها بما في ذلك أرواح الأحياء والأموات وأرواح النَّاس والملائكة والجآنِّ. وأين هذا ممَّا تفعله القنابل الذَّريَّة والهيدروجينيَّة بالغةً مِنَ الخطورة والفتك مهما بَلَغَتْ؟ وأيُّ أثرٍ أو سلطانٍ لها على الملائكة وأرواح الموتى؟[1].

المطلب الثَّاني: أحداث يوم القيامة

أوَّلاً. البعث

ويكون للرُّوح والجسد معاً، بعد الفناء العام قال تعالى:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ 26 وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام﴾ الرّحمن:55/26-27، واستعمال (مَنْ) هنا التي هي للعاقل ليس دليلاً على أنَّ الفناء سيلحق به فقط، وإنَّما خُصِّص العاقل لأنَّه المنتفع بالتَّخويف[2].

وثبت بالنُّصوص القاطعة، منها قوله تعالى:﴿زعَمَ الذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ﴾التّغابن:7/64[3].

---

1 كبرى اليقينيات، ط8، ص338-339

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، ص345

3 انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 117

ثانياً. الحشر

ولا حُكم للعقل فيه أيضاً فهو لا يخضع لمنهج المشاهدة والتَّجربة، فإثباته بالأدلَّة النَّقليَّة، التي تشير إلى قضيَّةٍ واحدةٍ ذكرها رحمه الله بسؤال "**هل المعاد يكون بعد انعدام الأجساد مِنَ الوجود أصلاً أم بعد تفتُّت أجزائها وأجزاء أجزائها في طوايا الأرض أو بطون الحيتان أو أعماق البحار؟**"[1] والجواب: أنَّ الأدلَّة النَّقليَّة التي وَرَدَتْ ليست قطعيَّة الدِّلالة، لذلك للعلماء في هذه القضية مذهبان؛ أمَّا **الجمهور** فرجَّحوا شتات الأجزاء وتفرُّقَها لا عدمها، وأدلَّتهم:

قوله تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾القصص:88/28، وقوله تعالى:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ 26 وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَام﴾الرّحمن:55/26-27، فهلاك الشَّيء وفناؤه يطلق على فساده فلا يبقى منتفعاً به كما كان، وليس على انعدامه الكليِّ[2].

والظَّاهر مِنْ قوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلنّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ 3 بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَه﴾القيامة:75/3-4، "**فالآية دالَّةٌ على أنَّ الحشر يكون عن طريق تجميع الذَّرات مِنَ التَّفرُّق والشَّتات لا عن طريق إيجادها مِنَ العدم المطلق...وبهذا تعلم أنَّ الذي يعود مِنَ الإنسان إلى التَّجمع والحياة إنَّما هو عين أجزائه التي عاش بها في الدُّنيا، والمقصود بعين أجزائه، عين أجزائه الأصليَّة التي بها استقبل الحياة. أمَّا مَا زِيْدَ على أجزائه بعد ذلك فلا يُشترط أنْ يُعاد بذاته، وقد بحث في ذلك الكثير مِنْ علماء العقيدة**"[3]، وعلم ذلك عند الله تعالى فقط، ولا سبيل للعلم بشيءٍ منه ما لم يُخبر به.

ثالثاً. الحساب[4]

وهو عرضُ اللهِ في المحشر لكلِّ عبدٍ مَا كسبه في الدُّنيا، ولا يعلم كيفيَّته إلَّا الله، فتظهر فضائل المتَّقين وفضائح العصاة، على مشهدٍ مِنَ الخلق، تحقيقاً لِمَا توعَّدهم الله في الدُّنيا، ودلَّت النُّصوص أنَّه أعظم ما يمرُّ به الإنسان مِنْ أحداث يوم القيامة، حتَّى إنَّه

---

1 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص345

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، ص345

3 انظر المرجع السَّابق ، ط8، ص346-347

4 انظر المرجع السّابق، ط8، ص347-348

سبحانه وتعالى أطلق على يوم القيامة اسم: يوم الحساب، فقال:﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ص:53/38، ومِنَ الأدلَّة القطعيَّة على ثبوته قوله تعالى:﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾البقرة:284/2[1]، بالإضافة إلى الكثير مِنَ الآيات التي لا تخفى على أحد، ودلالتها على ثبوت الحساب يوم القيامة دلالةٌ قطعيَّةٌ بإجماع المسلمين.

رابعاً. الصُّحف والحساب

الإيمان بها مِنْ مستلزمات الإيمان بالحساب، وهي صحائفٌ بأسماء أصحابها سُجِّلَتْ فيها الأعمال ممَّا كان قد اكتسبه الإنسان، أمَّا كيفيَّتُها فالله أعلم بها، فكلُّ ما وَرَدَ به الخبر القطعيُّ أنَّ السَّعيد مَنْ أوتي كتابه بيمينه، والشَّقيَّ مِنْ أوتي كتابه بشماله، قال تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾الحاقة:19/69-27.[2]

ولن يغني العذاب أو النَّعيم في القبر عنِ الحساب، فالحساب بيانٌ تفصيليٌّ لسبب ما رآه الميِّت في قبره، وبذلك يكون الذُّعر والخوف يوم القيامة لمَنْ كان قبره حفرةً مِنْ حفر النَّار لأنَّه عَلِمَ أنَّ مصيره النَّار، وأمَّا مَنْ عَلِمَ أنَّ مصيره رحمة الله فليس له إلَّا ما يسري إلى النَّفس مِنْ هول الموقف ممَّا سيأتي بيانه[3].

---

1 هناك من قال أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولكن الدكتور البوطي رحمه الله قال أن بين الآيتين تناسق وتكامل في المعنى فمن تحقق بمعنى الآية الاولى وهي الخضوع لله تعالى وعبوديته رفع الله عنه عبء التَّكليف فتحقق بالآية الثَّانية وهي العبودية بقدر الاستطاعة وهنا يتكرم الله عليه بالمغفرة فيما لا يستطيع، أما من عاند وكابر حقيقة عبوديته لله تعالى فالآية الأولى غير منسوخة بل هي وعيد له بأنه الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. انظر الإنسان مسير أم مخير/البوطي، 152-153

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطي، ط:8، 307

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 118

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 7

خامساً. هول الموقف وعظائمه

لا يعلم تفاصيل هول هذا الموقف إلَّا الله، والواجب على المكلَّف أنْ يعتقدَ أنَّه أهول مِنْ كلِّ هول، فهو الفزع الأكبر الذي يتمنى النَّاس الانصراف عنه ولو إلى النَّار، كمَا صوَّره الله تعالى في قوله:﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ 33 يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ 34 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ 35 وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ 36 لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه﴾عبس:80/33-37.

وقد حمى الله مِنْ هذا الهول الأنبياء ومَنْ قَبلَهم مِنْ أوليائه. ودليل ذلك الخبر الصَّادق[1]حيث قال تعالى:﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الذى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ 103 ﴾الأنبياء:21/103.

سادساً. الميزان والوزن

لقد وَرَدَ ذكرهما في كتاب الله بآياتٍ صريحةٍ، فعلى المكلَّف الإيمان بها كمَا وَرَدَتْ، منها قوله تعالى:﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾الأعراف:7/8، أمَّا تفاصيل ذلك وكيفيَّته فالأصحُّ عدم البحث فيها، فكلُّ ذلك لا سبيل إلى القطع به إلَّا عن طريق ما أخبر الله تعالى عنها.

أمَّا كيفيَّة وزن الأعمال، فهي أمورٌ اعتباريَّةٌ، وممَّا وَرَدَ أنَّها تُخلَق بشكلِ أجسامٍ لها ثقلٌ وأبعادٌ فقد قال تعالى:﴿قَدْ خَسِرَ الذينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الله حتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعة بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾الأنعام:6/31، والصَّحيح والأسلم توكيل كيفيَّته إلى الله، مع اليقين ألَّا حاجة له إلى ذلك كلِّه فهو الأعلم بالأعمال وتفاصيلها، بل جَعْل الميزان حكمةً منه ليُنَفِّذ نظام الأسباب الذي نَظَمَ الدُّنيا عليه، والأهمُّ التَّأكيد على أنَّ الحياة الثَّانية ليست إلَّا انعكاساً دقيقاً لمضمون الحياة الأُوْلَى[2].

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص350

2 انظر المرجع السابق، ط8، ص351-352

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 117-118

سابعاً. الصِّراط والاجتياز عليه[1]

وهو الجسر الذي يُنصب على نار جهنَّم يوم القيامة، فيجتاز عليه النَّاس، كلٌّ حسب حاله وأعماله. وأدلَّة ثبوته نقليَّة، منها: قوله تعالى:﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾مريم:19/71-72، ومِنَ السُّنَّة وصفه ﷺ لحال النَّاس على الصِّراط فقال: "يَجْمَعُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاس، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجنَّة، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الجنَّة، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجنَّة إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، ادْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله ، قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الذي كَلَّمَهُ الله تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، ادْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ الله وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاط يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ" قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاط يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: "وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاط كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّار" وَالذي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا."[2]

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص353-354

انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 118-119

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها، الحديث329

ثامناً: الشَّفاعة

وهي مظهرٌ مِنْ مظاهر رحمة الله بمَنْ شاءَ مِنْ عباده، من أدلة ثبوتها قوله تعالى:﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفاعة إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾مريم:87/19، والحديث الطَّويل الذي فيه أنَّ النَّاس يأتون الأنبياء واحداً بعدَ الآخر يلتمسون الشَّفاعة ببدء الحساب، ثمَّ يجيبهم ﷺ، وتتجلَّى بأشكال مختلفة[1]:

1. مغفرة الله لمَنْ شاء مِنْ عباده العصاة، قال تعالى:﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾النساء:48/4
2. الشَّفاعة الخاصَّة العظمى: منها شفاعته ﷺ لأمَّته لإدخال طائفةٍ منها الجنَّة مِنْ غير حساب، ومنها شفاعته فيمَن استحقَّ دخول النَّار أنْ لا يدخلها، ومنها شفاعته في إخراج المؤمنين منها بعد دخولهم فيها.
3. الشَّفاعة العامَّة العظمى: شفاعته ﷺ لأهل المحشر عامَّة لإراحتهم مِنْ الأهوال.
4. الشَّفاعة مِنَ الأنبياء والملائكة والمقرَّبين مِنَ المؤمنين في إخراج مستحقي النَّار منها أو في عدم إدخالهم فيها بدءًا، وذلك تكريماً للرُّسل والأنبياء وبعض الصَّالحين مِنْ عباد الله تعالى.
5. المقام المحمود: وهو اسمٌ للمنزلة التي تمكنُّه ﷺ مِنْ هذه الشَّفاعات المختلفة لأهل المحشر عامَّةً ولأمَّته خاصَّةً، فهو ليس اسماً لشفاعةٍ معيَّنةٍ مِنَ الشَّفاعات السَّابقة، وشفاعته ﷺ ببدء الحساب هو أوَّل مراحل هذه المنزلة.

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص355-357

تاسعاً. الحوض

وهو مكرمةٌ عظيمةٌ خصَّ الله بها سيدنا محمد ﷺ تكريماً وبياناً لعظيم فضله، وماءُ الحوض والكوثر شيءٌ واحدٌ وأصلُه في الجنَّة؛ فما كان في داخلها فهو ماءُ الكوثر، وما انصَبَّ خارجَها فهو ماءُ الحوضِ، وهو الذي يَرِدُهُ المؤمنون الذين لم يُبَدِّلُوا مِنْ دين الله شيئاً قبل دخولهم الجنَّة، ويكون رسول الله ﷺ في استقبالهم عنده[1].

وثبت بآياتٍ وأحاديثَ كثيرةٍ بلغت حدَّ التَّواتر، منها؛ قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ 2 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾الكوثر:108/1-3، وقوله ﷺ: "أُنزلَتْ عليَّ آنفاً سورة" فقرأ: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ 2 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾الكوثر:108/1-3، ثمَّ قال: "أتدرون ما الكوثر؟" فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: "فإنَّه نهرٌ وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خيرٌ كثير، هو حوضٌ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنِيَتُه عددُ النّجومِ، فيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقول: ربِّ، إنَّه مِنْ أمَّتِي فيقول: ما تدري ما أحدثَتْ بعدَك "[2].

عاشراً. الجنَّة والنَّار والخلود في كلٍّ منهما

هما العاقبة النِّهائيَّة الحتميَّة لحياة الإنسان، والحديث في عذاب النَّار ونعيم الجنَّة يطول لم يثبته رحمه الله تعالى في كتبه، بل اكتفى بالقول أنَّ كلَّ ما يُذكر في هذا الشَّأن لا يكاد يُصَوِّرُ شيئاً مِنَ الواقع في علم الله تعالى[3]. ولكن هناك حقيقتان لا بدَّ أنْ يعتقدها المسلم.

حقيقتان لا بُدَّ أنْ يعتقد المسلم بهما جازماً

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص357-358

2 صحيح مسلم كتاب الصّلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، الحديث53.

3 انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 119.

الحقيقة الأُوْلَى: الجنَّة والنَّار شيئان ماديَّان

أيْ حقيقتان ماديَّتان يتعلَّق بهما كلٌّ مِنَ النَّفس والجسم معاً، وليستا وهماً يطوف بالنَّفس أو بالرُّوح وحدهما، ودليل ذلك المعاد الجسميُّ الذي ثبت في ما سبق مِنْ خلال الكثير مِنَ الآيات القاطعة، وممَّا يؤكِّد هذه الحقيقةَ الطَّريقة التي وصف بها القرآنُ الجنَّة والنَّار، فهي توضِّحُ أنَّ نعيم الجنَّة حسيٌّ ماديٌّ؛ للجسد والرُّوح معاً، وعذاب جهنَّم حسيٌّ ماديٌّ أيضاً للجسد والرُّوح معاً، وينوِّه رحمه الله إلى أنَّ هذا الأسلوبَ مِنْ أقوى أساليب اللُّغة العربيَّة، مِنْ ذلك قوله تعالى واصفاً النَّار والجنَّة:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾الغاشية:88/2-16[1].

الحقيقة الثَّانية: كلٌّ مِنَ الجنَّة والنَّار خالدٌ لا نهاية له

فالنَّعيم والعذاب باقٍ لا نهاية له، وأدلَّته[2]؛ القرآن:﴿إِنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا 107 خَالدين فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾الكهف:18/107-108 وقوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالدونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾الزّخرف:43/74-75.

وقد وَرَدَ في السُّنَّة ما يزيد التَّأكيد لهذه الحقيقة مِنْ ذلك قوله ﷺ: "إذا صار أهلُ الجنَّة إلى الجنَّة، وصار أهلُ النَّار إلى النَّار، أُتِيَ بالموت حتَّى يُجعَلَ بين الجنَّة والنَّار، ثمَّ

---

1 انظر كبرى اليقينيَّات/البوطيّ، ط8، ص358-360.
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 121
انظر هذه مشكلاتهم/البوطيّ، 178-179.
انظر من روائع القرآن/البوطي، 81

2 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص361
انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، ص48

يُذبَحُ، ثمَّ يُنادي منادٍ: يا أهلَ الجنَّة لا موتَ، ويا أهل النَّار لا موتَ، فيزدادُ أهلُ الجنَّة فرحاً إلى فرحهم، ويزدادُ أهلُ النَّار حزناً إلى حزنهم"[1].

وبناءً على ما وَرَدَ –مع احتمال كون تجسيد الموت وذبحه بهذا الشَّكل حقيقةً أو كونه كنايةً عن القضاء على معنى الموت وإزالته مِنَ الوجود– فإنَّ الحديث على كلِّ حالٍ يؤكِّد بأسلوبٍ بليغٍ واضحٍ معاني الخلود في كلٍّ مِنَ الجنَّة والنَّار، مع عدم الحاجة إلى إدخال أيِّ تأويلٍ على ظاهر الحديث.

إلَّا أنَّ البعض تَوَهَّمَ التَّعارضَ بين مجموع أحاديث وَرَدَتْ عنه ﷺ بالتَّواتر المعنويِّ تُثْبِتُ أنَّ: كلَّ مَنْ قال لا إله إلا الله لا تَمسُّه النَّار، وبين قوله ﷺ الثَّابت في الصَّحيح: "يَخرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وَزْنُ شَعِيْرَةٍ مِنْ خير، ويَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خير، ويَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خير"[2].

والجواب: أنَّ الحديث الثَّاني استثناءٌ مِنْ عموم الأحاديث السَّابقة الثَّابتة بالتَّواتر المعنويِّ إذِ العامُّ يفسَّر دائماً على ضوء الخاصِّ[3]، وهذا مِنَ الرُّدود القويَّة على مَنْ اعتقد بأنَّ مَنْ قال لا إله إلا الله بدون العمل بمضمونها يخلد في النَّار[4].

وهنا لا بُدَّ مِنَ الوقوف مع المعتقد الأساسيِّ أنَّ الله لا يخلف وعده بالثَّواب، لكنْ قد لا ينفِّذُ ما توعَّد به العصاة، وهذا المعتقد صحيحٌ وثابتٌ، ولكنْ لا ينطبق على الكافرين[5]. ويؤكِّد هذا الرَّدَّ قول الله:﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾النّساء:4/48.

---

1 صحيح البخاري كتاب الرّقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، الحديث6548.
صحيح مسلم كتاب الجنَّة وصفة نعيمها، باب النَّار يدخلها الجبارون والجنَّة يدخلها الضّعفاء، الحديث43.
2 صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصه، الحديث44.
3 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 24
4 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 46
5 انظر المرجع السّابق، 55.

أخيراً جمع هذا الفصل الحقائق الغيبيَّة التي يجب على الإنسان أنْ يعتقدها جازماً بها، وهي ممَّا لا ينفكُّ عن الإيمان بالله تعالى فمِنْ مستلزمات الإيمان به الإيمان بالغيبيَّات.

ومِنْ خلال المباحث السَّابقة يتبيَّن أنَّه رحمه الله تعالى وافق في كلِّ ما ذُكرَ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، كما يُلاحظ أنَّه لم يُفصِّل في المسائل الخلافيَّة إذ إنَّه اعتمد في دراسته لمسائل العقيدة على الأدلَّة القطعيَّة التي لا مجال للرأي فيها، فهي صريحةٌ لا تحتمل التَّأويل والاختلافات، لا سيَّما أنَّ محور هذا الفصل هو الغيبيَّات التي لا معتمد لها إلَّا الخبر الصَّادق.

الفصل الخامس: الإيمان

وفيه

المبحث الأوَّل: حقيقة الإيمان.

المطلب الأوَّل: الإسلام والإيمان والإحسان والدِّين

المطلب الثَّاني: لا إكراه في الدِّين

المطلب الثَّالث: منهجه رحمه الله في مسألتي إيمان المقلِّد وأهل الفترة

المبحث الثَّاني: أنواع فَقْدِ الإيمان وأحكامه

المبحث الثَّالث: منهجُ الحيطةِ في إثبات أنواعِ فَقْدِ الإيمان السَّابقة

المبحث الأوَّل: حقيقة الإيمان

المطلب الأوَّل: الإسلام والإيمان والإحسان والدِّين

أوَّلاً. التَّعريفات كما أثبتَها رحمه الله تعالى.

1- الإسلام[1]

الاستسلامُ والانقيادُ لكلٍّ مِنَ الشَّهادتين والفرائض المعروفة، ولا بدَّ فيه مِنَ النُّطق باللِّسان، بكلمة "أشهد" حصراً، فهو إذن استسلامٌ بالكيان الظَّاهريِّ للإنسان، يتوقَّف عليه جريان أحكام الإسلام في الدُّنيا مِنْ إحرازٍ للدَّمِّ، وحِلٍّ للمناكحة وشرعيَّةٍ للتَّوارث، وقد عبَّر عنه رحمه الله بقولٍ بليغ: "**أنْ تُمارِسَ العبوديَّة لله بالسُّلوك والاختيار كما قد خلقك عبداً له بالقسر والاضِّطرار**"[2].

ويقرِّر رحمه الله شموليَّة كلمة الإسلام للأديان السَّماويَّة عموماً، وليس فقط ما نزل على سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ، فقد اعتبر أنَّ كلمة الإسلام أُطلقتْ على حقيقةٍ واحدةٍ لم تتبدَّل خلال العصور؛ وهي جملةُ الإخباراتِ التي تلقَّاها الإنسان مِنَ الله عن قصَّة الإنسان والحياة والكون، والإرشاداتِ السُّلوكيَّةِ التي ينبغي أنْ يسيرَ عليها في تعامله مع ذلك، وهذه الإعلامات والتَّعليمات تكرَّرتْ وتجدَّدتْ على المسامع خلال الأجيال عن طريق الرُّسل، والدَّليل قوله تعالى:﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾الحج:78/22،

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص239
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 121
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 5
2 الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية/البوطيّ، 20

2- الإيمان[1]

التَّصديقُ القلبيُّ بحقائق الإسلام بحيث لا يبقى شكٌّ في النَّفس يتعلَّق بشيءٍ منها، وتتوقَّف عليه النَّجاة يوم القيامة، ومحلُّه العقل، ويتمثَّل في اليقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه.

ولا بدَّ مِنَ الإشارة هنا إلى أنَّ الإيمان اعتقادٌ يستقرُّ في الذِّهنِ بعد تَجَمُّعِ أسبابِه ومقدِّماتِه السَّليمة، فلا يُتَصَوَّرُ إمكانُ ممارسةِ أيَّةِ حريَّةٍ فكريَّةٍ في قبوله أو ردِّه، فالاعتقاد نتيجةٌ انفعاليَّةٌ بعد سلوك طريق الوصول إليه الاختياريِّ، لا يَملِكُ الإنسان إنكارَها ودفعها، وهذا ينطبق على كلِّ أنواع المعتقدات الذَّاتيَّة والمجتمعيَّة والماليَّة والدِّينيَّة كافَّة، فالواجب هو السَّعيُ إلى معرفة الحقيقة لا الاعتقاد بحدِّ ذاته كنتيجة للسَّعي.

وقد نقل رحمه الله اتِّفاق جمهور أهل السُّنَّة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص[2]، والمسلم مطالبٌ بالعمل على تقوية إيمانه وزيادته، وأرجع الزِّيادة للقلب لا للعقل، وذلك لأنَّ اليقين العقليَّ هو إدراك الشَّيء إلى درجة التَّصديق والإذعان، وهذه نهايةٌ عقليَّةٌ عليا لا يمكن تجاوزها، ولا تقبل التَّفاوت والتَّشكيك. أمَّا القلب ففيه سُلَّمٌ مِنَ العواطف لا تكاد تتناهى درجاته، ودليله قوله تعالى:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾الحجرات:7/49، فالحبُّ والتَّزيين أمورٌ يختصُّ بها القلب.

يتَّضح ممَّا سبق أنَّ بين الإيمان والإسلام فرقاً في التَّعريف، وتلازماً في الواقع؛ فالإنسان لا تجري عليه أحكام الإسلام في كلٍّ مِنَ الدُّنيا والآخرة معاً إلَّا إذا اتَّصف بكلٍّ مِنَ الإسلام والإيمان، وإنَّما تجري أحكام الدُّنيا على الظَّاهر فقط لعدم إمكان الاطِّلاع على الباطن، وحملاً للإنسان على مَحْمَلِ الصِّدق في الكلام، فلا يَنْجُو يوم القيامة مسلمٌ

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص240
انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 121-122
انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر/البوطيّ، 5

2 انظر إحياء جوهر الإسلام/البوطيّ، 41-42

بدون إيمانٍ قلبيٍّ، كما لا ينجو المؤمنُ الذي لم يُذعنْ لأركان الإسلام ولم ينطقْ بشهادتِه تأبيًّاً واستكباراً، أمَّا عدم النُّطق أو عدم الإعلان عن خضوعه وانصياعه لأركان الإسلام خوفاً على النَّفس أو لسببٍ آخرَ غير العناد والاستكبار فلا يُخرجه مِنْ عداد المؤمنين عند الله يوم القيامة، ويغفر الله له عدم ظهور إيمانه الخفيِّ ما دام قلبُه مطمئنًّاً بالإيمان.

3- الإحسان[1]

حالةٌ تعلو بالإنسان على أصل كلٍّ مِنَ الإيمان والإسلام، وكأنَّها سِلكٌ يصل الإيمان الذي مقرُّه اليقين العقلي بمهيِّجاتِ الأعضاء لتقوم بالعبادات، ومحور هذه الحالة؛ فيضُ اليقين العقليِّ على المشاعر الوِجدانيَّة؛ عندها تصبح كلُّ المكوَّنات لها مُهِمَّةٌ واحدةٌ وهي التَّذكير بالله، وهي مرتبة عبادة الله كأنَّ العبد يراه، والسَّبيل إليها تزكيةُ النَّفس بالإكثار مِنْ ذكْرِ الله، ومراقبتِهِ ومجاهدة النَّفس بالوسائل المتَّفِقَة مع الشَّرع. وببلوغها يكون الإيمان في مأمنٍ مِنَ الشَّهوات والشُّكوك. ودليل ذلك قوله ﷺ في تعريف الإحسان: "أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاْهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاْهُ فَإِنَّهُ يَرَاْك"[2].

4- الدِّين

"**شرعٌ إلهيٌّ لذوي العقول السَّليمة، يهديهم إلى ما فيه صلاحُهم في عاجل أمرهم وآجله**"[3] ويتكوَّن مِنْ مجموع الإيمان والإسلام والإحسان.

---

1 انظر مدخل إلى فهم الجذور/البوطيّ، 122-123

انظر منهج التزكية عند الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي/ليلى شوقي، 58 الحاشية رقم 1 حيث قالت "**شرح رياض الصالحين باب المراقبة الدرس (51-52-53)، شَرَح د.البوطي رحمه الله من خلالها كلاً من الإسلام والإيمان والإحسان بإسهاب، إضافة إلى كتاب (الحكم العطائية شرح وتحليل) المجلد الأول (ص12-13) إضافة إلى الدروس الصوتية لشرح الحكم العطائية الدرس (1-2)**"

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السّاعة، الحديث1

3 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 113/3

انظر حوار حول مشكلات حضارية/البوطيّ، 123

انظر إشكاليَّة تجديد أصول الفقه/البوطيّ، 247

وفي الختام كما يعتاد النَّاظر في كتاباته رحمه الله لا بدَّ مِنْ عباراتٍ بليغةٍ تُصِيبُ عينَ المعنى المقصودِ؛ ومِنْه قوله: "**لا خير في إسلامٍ لا يكونُ له حظٌّ مِنْ لسانِ الإنسان وأعضائه وحركاته الظَّاهرة، وأنَّ الإسلام لا يَكْمُلُ إلَّا بالإيمان الذي مكانُه العقلُ إدراكاً ويقيناً، والقلب حبَّاً وتعظيماً، وأنَّ الإيمان بدورِه لا يَكمُل إلَّا بالإحسان الذي يجْعَلُ الإنسان مع الله في تقلُّباتِه كلِّها.**"[1]

المطلب الثَّاني: لا إكراه في الدِّين

يُرجِع رحمه الله البدءَ بالحديثِ عن الإكراه في الدِّين إلى ادِّعاءٍ مضمونُه[2]: أنَّ الإسلام انتشر بالقتْل. وأجاب عن ذلك ببيان أنَّ الإسلام معتقدات، والمعتقد هو ما استقرَّ في العقل يقيناً ثُمَّ وافقه القلب تمسُّكاً، ومِنَ البدهي أنَّ استقرار المعتقدات في العقل لا يَتِمُّ إلَّا بالاختيار بعيداً عن القسر، وقد أكَّد الله هذه الحقيقة حين خاطب الرَّسول ﷺ وقد كان يتألَّمُ مِنْ أنَّه يبرهن للمشركين على سوء معتقدهم، وأنَّ الإسلام حقٌّ، فيزيدون في الإعراض، فقال:﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ 21 لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾الغاشية:88/21-22، وبقوله:﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾الكهف:6/18، أمَّا نصُّ الدِّلالة الواضحة؛ قوله عزَّ وجلَّ:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾يونس:10/99، وكأنَّه تعالى يقول لرسوله ﷺ: أنَّه مع قدرته على إكراه النَّاس وجعل الإيمان غريزةً فيهم لم يشأ أنْ يُكرههم، فكيف للنَّبيِّ ﷺ أنْ يكرِهَهُم!

ومِنْ هنا تُفسَّرُ (لا) في الاية:﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّين﴾البقرة:2/265، على أنَّها لا النَّافية وليست النَّاهية[3]، فالجملة هنا خبريَّةٌ وليست إنشائيَّةً، فليس معناها: لا تُكره أحداً على الدِّين، بل

---

1 الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 279/3

2 انظر أدب الحوار في كتاب الله/البوطيّ، 13

3 ذكر رحمه الله لتفسيرها قولين آخرين فقال "**المعنى الثاني وهو ما رواه عبد الله بن عباس، أن هذه الآية إنما تعني أهل الكتاب. وذلك أنهم لا يجبرون على الإسلام وحده، إذ لهم أن يؤدوا الجزية مع بقائهم على دينهم وعقيدتهم. ويستند بعض القائلين بهذا إلى ما روي من سبب نزول الآية، وهو أن أنصارياً ألزم ابنين له بالإسلام وكانا قد تنصرا قبل بعثة الرسول**ﷺ**، فأنزل الله ذلك في شأنه إقراراً له على الجزية. المعنى الثالث أنَّ الآية عامة في حكمها لأهل الكتاب وغيرهم، وكان ذلك في مستهل ظهور الإسلام، ثُمَّ نُسِخَتْ بعد ذلك حينما قوي المسلمون ولم يبق على الغي إلا المكابرون والمعاندون، ويرى هذا من الصحابة عبد الله بن مسعود، والآية على هذين المعنيين إنشائية و (لا) ناهية**". في سبيل الله والحق/البوطيّ، 40

المعنى أنَّ أصْلَ الإكراه غيرُ مُتَصَوَّرٍ في الدِّين، ويبنى عليه عدم خضوع هذا المعنى للنَّسخ، فالنَّسخ يستلزم الخطأ أو الكذب في الخبر المنسوخ وهو محالٌ في حقِّ الله[1]

المطلب الثَّالث: منهجه رحمه الله تعالى في مسألتي إيمان المُقلِّد وأهل الفترة

مِنْ أصول منهجه رحمه الله إرجاع المسألة إلى تصوُّرِها الأَوَّل، وهو هنا الدَّليل النَّقليّ، فالبحث عن هاتين المسألتين لم يكن متصوَّراً في الذِّهن لولا ورُوْدِ النَّص فيهما، لذلك كان الدَّليل النَّقليُّ مرتكزَ البحث عند الدُّكتورِ البوطيِّ في المسألتين، وفق التَّالي:

الدَّليل الأوَّل: قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾الإسراء:36/17، فالقرآن كلَّف الإنسان ألَّا يُخضِع ذاته لأيِّ تبعيَّةٍ، إلَّا بعد النَّظر، وهذا يشملُ حتَّى اعتناق الإسلام نفسِه، فيجب أنْ يُقامَ على البيِّنة العلميَّة، فـ(ما) هنا أداةٌ مِنْ أدوات العموم تشمَل كلَّ ما قد يُدعى إليه الإنسان بما في ذلك الإسلام، وبهذا يَبْطُلُ مذهب الذَّرائع؛ القائم على قبول المعتقدات لما قد يترتَّب عليها مِنْ مصالح.

إذن العقيدة الإسلاميَّة القائمة على التَّقليد لا تُغني عن صاحبها شيئاً يوم القيامة.

والمقلِّد: هو الذي يتَّبِع أهله أو النَّاس الذين مِنْ حوله، فإن رَجعوا عن الإسلام وأعلنوا الانتقالَ إلى دينٍ آخر، فسوف يَذهب معهم في ما فعلوه، فإيمانُه غيرُ قائمٍ على منهجِ المحاكمةِ العقليَّةِ والتَّبَصُّرِ بالأدلَّة العلميَّة، وهو باطلٌ في الآخرة، إلَّا أنَّ صاحبه يُعامل في الدُّنيا على أنَّه مؤمنٌ حسبَ ظاهرِ حاله[2].

---

1 انظر الدِّين والفلسفة/البوطيّ، 32-33
انظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله/البوطيّ، 41
انظر قضايا ساخنة/البوطيّ، 181-183
انظر مشكلات على طريق النهوض/البوطيّ، 13
انظر الحوار سبيل التعايش/فقرة البوطيّ، 35-36
انظر من هنا وهناك/البوطيّ260-264

2 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 18
انظر الدِّين والفلسفة/البوطيّ، 32
انظر الظلاميون والنورانيون/البوطيّ، 35

وليَخْرُجَ المؤمنُ مِنْ دائرة التَّقليد عليه أنْ يعلم أنَّ التَّكليفَ الإلهيَّ متعلَّق بالبحثِ العلميِّ، لا بنتيجته وهي اليقين[1]، مع التَّأكيد على أنَّ التَّكليف بالبحث العلميِّ لا يَشْمَلُ كلَّ دقائق الإسلام وأموره، بل فقط ما يَخُصُّ الكليَّاتِ والبدهيَّاتِ مِنَ العقائد والأحكام ممَّا بُني على أدلَّةٍ قطعيَّة الثُّبوت والدِّلالة، كأركان الإيمان والإسلام ولا يُعذَر أحدٌ في جهله أو خطأِ فهمه له طالما يعيش في ديار الإسلام، أمَّا ما كان مِنْ دقائق الأمور والمسائل المبنيَّة على الأدلَّة المُحْتَمِلَةِ الاجتهاديَّة فمُكَلَّفٌ به طائفةٌ يسيرةٌ مِنَ المسلمين، وفي هذه يجوز التَّقليد لأنَّ البحث في أدلَّتها نادراً ما يورثُ الإيمان اليقينيَّ القطعيَّ، فيُعذَر بالجهلِ بها، وبخطأِ فهمها، فهي ليستْ محلاً للتَّكليف[2].

الدَّليل الثَّاني: قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾الإسراء:15/17، فمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعوة غير مكلَّف في الدُّنيا ولا الآخرة، وهؤلاء داخلون في مفهوم أهل الفترة[3].

وقد أدخل رحمه الله في مفهوم أهل الفترة فئتين إضافيَّتين؛ الأُوْلَى: الذين لا يجدون لديهم إلَّا معلوماتٍ ضبابيِّة لا تحمِلُهُم على ضرورة البحث عن شيءٍ، فهم لا يتصوَّرون مدى احتياجهم أو عدمَ احتياجهم إلى الإسلام، فحالهم كحال مَنْ لم تبلغْهم الدَّعوة. الفئة الثَّانية: الذين سمِعُوا بالإسلام وبلَغهم أنَّ نبياً أُرسل به وتأكَّدوا أنَّه الدِّين الذي أُرسل به سائر الرُّسل ثمَّ حبَسَهم العذر أياً كان عن السَّعيِّ إلى معرفة الإسلام، فهؤلاء معذورون في جهلهم إذ ليس في وسعِهم أنْ يعلَموا شيئاً عنه ولا يُكلِّفُ الله نفساً إلا وسعَها.

والدَّليل قوله تعالى:﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾النّمل:14/27، فكلُّ الفئات السَّابقة غيرُ متضمَّنة في فئة الكافرين المستكبرين الذين توعَّدهم الله بالعقاب، بل الواضح أنَّهم مِنْ فئات غير المستكبرين فهم ناجون يوم القيامة، والرَّجاء أنْ تشمَلُهم رحمة الله تعالى.

---

1 انظر الدِّين والفلسفة/البوطيّ، 32

2 انظر السّلفية مرحلة زمنية/البوطيّ، 73-74

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، ص15

انظر من سنن الله في عباده/البوطيّ، 77-78

انظر مع النَّاس/البوطيّ، 230/2

المبحث الثَّاني: أنواع فَقْدِ الإيمان وأحكامه

تميَّز منهجه رحمه الله تعالى بالاهتمام بتحديد محلِّ البحث، ففي هذا المبحث نجده بيَّن أنَّ للإيمان مستلزمات أساسيَّة لا يَتِمُّ وجودُه إلَّا بها وهي ما عُرف مِنَ الدِّين بالضَّرورة.

فمحلُّ البحث هو مدى تحقُّقِ مستلزمات الإيمان، التي يُفْقَدُ بفقدِ شيءٍ منها، وعندها يَتَلَبَّسُ الإنسان بإحدى الحيثيَّات: شركٌ أو زندقةٌ أو نفاقٌ أو رِدَّة أو كفرٌ أصليٌّ، ولتحديد المسمَّى الصَّحيح لا بدَّ مِنَ النَّظر إلى المفقود وظهوره وخفائه وما سبقه[1] كالتَّالي:

أوَّلاً. الشِّرك

وهو اعتقادُ وجودِ شريكٍ لله، أو اعتقاد وجودٍ ذاتيٍّ لغير الله[2]، أو وجودِ مؤثرٍ حقيقيٍّ مع الله، وبذلك يَنْتَفِي عند صاحبه اليقينُ الجازم بوَحدانيَّة الله. وله معنيان: الأوَّل سطحيٌّ؛ وهو الشِّرك الظَّاهر الجليُّ كعبادةِ الأصنام، والمعنى الثَّاني عميقٌ خفيٌّ؛ يتسرَّبُ بسبب خفائه إلى أفئدة كثيرٍ مِنَ المسلمين دون معرفةٍ له ولا شعورٍ به[3]، وله صورٌ متعدِّدَةٌ جمعها رحمه الله بتعريفٍ شاملٍ فقال: "**يجمَعُهَا كلُّها وصفٌ واحدٌ؛ وهو أنَّها تُحِيْلُ الإيمانَ بالله إلى مظاهرَ يتَجَمَّلُ بها اللِّسانُ وتزدهي بها الأعضاءُ ثمَّ لا حظَّ للمشاعر والفؤادِ منه**"[4].

ومدارُ البحث هنا ليس الشِّرك الخفي فلا يعلمه إلَّا الله تعالى، بل الشِّرك الصَّريح وأنواعه، التي تنقسم حسب ما تتقاطع مع حيثيات فَقْدِ الإيمان السَّابقة، وهي:

1. مشركٌ مِنْ غير أهل الكتاب.
2. مشركٌ مِنْ أهل الكتاب[5].

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص363

2 انظر المرجع السّابق، 16/4

3 انظر الحكم العطائيَّة شرح وتحليل/البوطيّ، 292/2

4 المرجع السّابق، 31/4

5 "**وعندما يصف البيان الإلهي أهل الكتاب بأنهم كافرون فهذا يعني أنهم يكفرون (أي ينكرون) بأمور وردت في الشريعة الإسلامية، ولا يعني أنهم يكفرون بألوهية الله سبحانه وتعالى، وكما هم يكفرون بأمور وردت بالشريعة الإسلامية كذلك نحن نكفر ببعض ما ورد في كتبهم كالتثليث وما سوى ذلك**" ملحق التيارات الفكرية المعاصر/البوطي، خلاصة الحلقتين الثانية والتاسعة من برنامج مع البوطي في قضايا الساعة، 18

3. مشركٌ يَسْبِقُ شِرْكَه استقرارُ التَّوحيد في قلبه فهو مشركٌ مرتدٌّ.
4. فإنْ أخفى ارتداده فهو مشركٌ مرتدٌّ منافق (نفاق اعتقاد وسيأتي بيانه في الفِقرة التَّالية).

ولا بدَّ مِنَ التَّنبيه هنا إلى أنَّ الحكم الفقهيَّ القضائيَّ لا يتأثَّر بهذه المسمَّيات التَّفصيليَّة بل يعتمد المسمَّى النِّهائيَّ: كأهلِ كتابٍ، منافقٍ، زنديقٍ، مرتدٍّ وهكذا.

ثانياً. الزَّندقة ونفاق الاعتقاد

والزَّندقة: إظهار الإيمان وإخفاء اللَّادين، بشرط أنْ يُعرف ذلك بالأدلَّة الظَّاهرة، كالإقرار أمام النَّاس، أو الكتابة، أو يشهدُ على ذلك العدولُ، أو اشتهار دعوته إلى ضلاله[1].
أمَّا نفاق الاعتقاد فهو: إظهار الإيمان وإخفاء خلافه[2]، ولا يُعرَف ذلك بالأدلَّة الظَّاهرة بل بالأدلَّة الظَّنيَّة[3].

إذن الفرق بين الزَّندقة ومنافقة الاعتقاد كما يلي:
1. المنافق يُضمِرُ نصرانيَّةً أو يهوديَّةً أو شركاً، ولكنَّه يُظهِرُ الإسلامَ، بينما الزِّنديق فهو لا يَنتَحِلُ دِيناً فيعتقدُ بإباحةِ المحرَّماتِ وبقاءِ الدَّهر.
2. أنَّ المنافق لا يكاد يُعلَمُ حقيقةُ كفرِه إلَّا بالظُّنون، أمَّا الزِّنديق فلا يكاد يَحْبِسُ عمَّنْ حولَه سمومَ تحلُّلِهِ وإلحاده، حتَّى إذا كادَ أنْ يُكشَفَ لجأ إلى كلمتي الشَّهادتين يردِّدها[4].

وأخيراً قرَّر رحمه الله أنَّ التّعامل مع الزّنديق وقتْلِه وقبولِ توبتِه في الدُّنيا هو مِنْ مباحث الفقه، لذلك سيُكْتَفى بهذا القدْرِ الذي ذُكر هنا.

---

1 انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 180-182
2 تم اختيار كلمة خلافه بدلاً من الكفر ليشمل كل ما يمكن إخفاؤه من شرك أو رِدَّة أو كفر.
3 انظر ملحق التيارات الفكرية/البوطي، خلاصة الحلقتين 2و9 من برنامج مع البوطي في قضايا الساعة، 15
4 انظر ضوابط المصلحة/البوطيّ، 347-348

ثالثاً. الرِّدَّة والكفر الأصليُّ[1]

1. الرِّدَّة

حدوث فَقْدٍ للإيمان طارئٍ بعد يقينٍ تامٍ، فيدخل في هذا التَّعريف المشركُ والمنافقُ والزِّنديق إنْ سبق اليقينُ فَقْدَهُم لإيمانِهم، ويَخرُج به الكافرُ فلا وجودَ لإيمانٍ سابقٍ عنده.

2. الكفر الأصليُّ

أنْ يكونَ فَقْدُ الإيمانِ غيرَ مسبوقٍ بما يُناقِضُه مِنَ اليقين، وله أحكامٌ خاصَّةٌ مواطِنُها كتب الفقه الإسلاميِّ، ويُعرَّفُ أيضاً: بأنَّه الاستكبار عنِ الإقرار بالحقِّ رَغم العلمِ واستيقانِ النَّفس به، وفي ذلك قال تعالى:﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾النمل:14/27

3- قيودُ الحكمِ بالكفر أو الرِّدَّة (التَّكفير).

إنَّ هذا البحث مِنْ أخطر الأبحاث في العقيدة الإسلاميَّة، لِمَا يترتَّب عليه مِنْ أحكامٍ في الدُّنيا والآخرة، لذلك وضع رحمه الله ميزاناً يُقَيِّدُه به احترازاً مِنَ العبث عند توهُّم وجودِ أسباب أحدهما، وهذا الميزان قائمٌ على قيدين اثنين[2]:

3-1. قوله تعالى:﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾النساء:116/14. ففيه توضيحٌ لحدِّ المكفِّرات التي تستوجب الخلود في عذاب الله يوم القيامة؛ وهي كلُّ ما كان تعبيراً عن الإشراك بالله في ذاته أو شيءٍ مِنْ صفات ربوبيَّته وكماله، ويدخل في دِلالة هذه الآية وكذلك في حكمها -عن طريق القياس اليقينيِّ الأولى- إنكارُ وجودِ الله، ومكان الدِّلالة فيها على ذلك قوله:﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾النساء:116/14، فالذُّنوب إمَّا أقلُّ خطورةً مِنَ الشِّرك أو أكبر؛ فما كانت خطورتُها قليلةً شَمِلَتْها إمكانيَّة المغفرة، وما كانت خطورتُها أكبر فمُلْحَقَةٌ بِحُكْمِ الشِّرك.

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص363

2 انظر المرجع السَّابق، ط8، ص363-367

انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 53

انظر ملحق التيارات الفكرية /البوطي، خلاصة الحلقتين 2و9 من برنامج مع البوطي في قضايا الساعة، 13 ، 15

انظر من هنا وهناك/البوطيّ، 128-129

3-2. ما تمَّ إقرارُه اعتماداً على دلائل القرآن والسُّنَّة مِنْ أنَّ الأحكام القضائيَّة في الدُّنيا لا تقوم إلَّا على البيِّنات الظَّاهرة، فهو ضبطٌ لصلاحيات الإنسان حاكماً كان أو قاضياً أو مفتياً في تطبيق الميزان الأوَّل على سائر النَّاس بحيث لا يقيم حكمه إلَّا على دلائلَ صريحةٍ قاطعة، ولا قيمة في هذا الميزان

لدلائل الفراسة والتَّوسُّم ولا لشيءٍ مِنَ الدَّلائل اللُّزوميَّة إلَّا إذا كان اللُّزوم فيها قطعيَّاً لا مجال لتخلُّف اللَّازم فيه عن الملزوم، فلا يُسْتَدَّل بشيءٍ مِنَ المعاصي مهما عَظُمَتْ ومهما استمرَّ العاصي في عكوفه عليها على أنَّه كافرٌ أو مرتدٌّ لأنَّ الدَّليل أعمُّ في هذه الحال مِنَ المُدَّعى، إذْ رُبَّ رجلٍ يتقلَّبُ في ألوان المعاصي استهتاراً واستجابةً لرعوناتِه وجُمُوحِ نفسِه ويكونُ اعتقادُه بالله عزَّ وجلَّ سليماً والمقوِّماتُ الأساسيَّةُ لإسلامه متوافرةً. ولا يُستدلُّ بشيءٍ مِنْ دلائل المراوغة ومظاهر النِّفاق مهما تنوَّعَتْ واستمرَّتْ على كفرٍ يستوجِبُ حكماً قضائياً في دار الدُّنيا بل لا يجوز حتَّى الجزْمُ الاعتقاديُّ بكونِه كافراً ولو بدون ترتيب أحكامٍ قضائيَّةٍ عليه، إلَّا أنْ يتلبَّسَ هذا المراوغُ أو المنافقُ بما سمَّاه النَّبيُّ ﷺ: كفراً بواحاً؛ أيْ ظاهراً مكشوفاً فيُقْضَى عندئذٍ بكفرِه أو ردَّتِه.[1].

ومِنْ أدلَّة ذلك موقفُه ﷺ عندما نُقل إليه خبرُ قتْلِ مشركٍ بعدَ أنْ قالَ الشَّهادة ظنَّاً أنَّه قالَها خوفاً مِنَ السِّلاح؛ حسب السِّياق إذ كان في صفوف الكفَّارِ أثناء غزوة، فقالَ رسول الله ﷺ: "أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَقَتَلْتَهُ؟" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: "أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟" فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ"[2]

ومِنْ أبرز تطبيقاتِ هذه القاعدة في سنَّته ﷺ معاملتُه للمنافقين بناءً على ما يُظهرُونَه ووقوفِه عند هذا الحدِّ، دون أنْ يَحْكُمَ على سرائرهم على الرغم مِنْ كشْفِ الله له عنها.

---

1 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص365-366

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا اله الا اللّه،الحديث158، الصّحابي الذي قتل المشرك

4- موجبات الكفر والرِّدَّة

إمَّا أنْ تكونَ: أقوالاً أو أفعالاً، جَدَّاً كانتْ أم سُخريَةً وتحقيراً.

4-1. الأقوال: وهي كلُّ تعبيرٍ مكتوبٍ أو منطوقٍ، دلَّ دلالةً صريحةً قاطعةً على إنكار وجودِ الخالق، أو إنكارِ وَحدانيَّتِهِ وإثباتِ الشَّريكِ له، أو إنكارِ باقي أركانِ الإسلامِ والإيمانِ أو حُكْمٍ مِنَ الأحكامِ الإسلاميَّة المعروفةِ مِنَ الدِّين بالضَّرورةِ ممَّا يُعتَبَرُ إنكاراً للقرآنِ ذاتِه، وكلُّ ما كان التَّعبيرُ عنه بالقولِ الواضحِ الجادِّ موجباً للرِّدَّة، فإنَّ تناولُه بالسُّخريَةِ أو التَّحقيرِ موجبٌ للنَّتيجةِ ذاتِها.

4-2. الأفعال: وهي الحركات والإيماءات التي تحمِلُ دلالةً قاطعةً على شيءٍ يتناقضُ مع ركنٍ مِنْ أركانِ الإيمانِ أو الإسلامِ، كالسُّجودِ لصنمٍ، وكفعلِ شيءٍ مِنَ العبادات التي يمارسها أهل دينٍ مِنَ الأديان الباطلة، وكلُّ ما كان فعله الجادُّ موجبا للرِّدَّة، فإنَّ القيام به بالسُّخريَةِ أو التَّحقيرِ موجبٌ للنَّتيجةِ ذاتِها.

ويكفي لثبوتهما بما سبق، مجرَّد القيام بها، بالاختيار، سواء أكانت مدلولاتُها قائمةً في ذهنِ القائم بها أمْ لا. وذلك عملاً بالقيد الثَّاني الذي ذُكر في المطلب السَّابق مِنْ أنَّ الحكمَ القضائيَّ الدُّنيويَّ يُبنَى على الظَّاهر لا السَّرائر، فهنا يُحكم بالرِّدَّة ويُوكل الباطن إلى الله، ما لم يُصرِّح القائمُ بها بما في باطنه مِنَ الإيمان والإسلام والعقيدة المُنافيَة لظاهر ما دلَّتْ عليه أفعالُه أو أقوالُه، فيكونُ تصريحُه بمثابةِ التَّوبةِ عن الرِّدَّة، وتُقْبَلُ منه ويُترَكُ باطنُ حالِه إلى الله تعالى[1].

---

1 انظر كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص367-369

انظر الجهاد في الإسلام/البوطيّ، 154-155

انظر مع النَّاس/البوطيّ، 195/1

انظر ملحق التيارات الفكرية /البوطي، خلاصة الحلقتين 2و9 من برنامج مع البوطي في قضايا الساعة، 13

5- صورٌ مِنْ موجبات الكفر أو الرِّدَّة

1. الانضمام لِمَا يُسمَّى الماسونيَّة[1] بشرطِ المعرفة التَّامة بأهدافها وأبعادها وإلَّا إنْ كانَ المنضمُّ جاهلاً بمقاصدها راجياً تحقيق مصالحَ دنيويَّة فلا يخرجُ عنِ الملَّة بل هو بحاجةٍ لمَنْ يوُضِّحُ له ما يجهلُهُ[2].

2. النُّطقُ بكلمة الكفر -كالسُّبابِ واللَّعن للدِّين- وما يخالف جوهر العقيدة الإسلاميَّة - كالله لا يَقدِرُ عليهم- كلُّ ذلك يُخرج صاحبه مِنَ الإسلام إنْ كانَ بالغاً عاقلاً، ولا فرق بين حالة الغضب والرِّضا بشرط أنْ يكونَ عالماً لمعناها وقاصداً له، وكفَّارتها أنْ ينْطِقَ قائلهُا بالشَّهادتين[3]، أمَّا الواجب اتِّجاه مَنْ يفْعَلُ ذلك فالنُّصحُ أوَّلاً، فإنْ تعذَّرَ فالإنكارُ في القلب مع قول: اللَّهمَّ هذا منكرٌ لا أرضى به، والأفضل اجتناب الأماكن التي يحدث فيها ذلك[4].

3. إنكار حكمٍ شرعيٍّ مُجْمَعٍ عليه بالبداهة، مع اشتراط أنْ يكونَ ممَّا يُعلَم مِنَ الدِّين بالضَّرورة، كإنكار وجوب الصَّلاة أو أحكام الميراث، أمَّا ما كان مجهولاً أو محلَّ خلافٍ فإنكاره لا يُعَدُّ رِدَّة[5].

4. إنكار صفةٍ مِنْ صفاتِ الله التي أثْبَتَهَا لنفسِه في القرآن والسّنَّة المتواترة[6].

5. "**كلُّ مَنْ يَزْعُمُ أنَّ نبيَّاً قد أُرسِل بعدَ خاتِمِ النَّبيّين محمَّدٍ ﷺ فهو كافرٌ بالإجماع وهذه القاعدة تغني عن التَّخصيص والتَّفصيل**"[7].

---

1 تنظيم سياسي سري وليس فرقة دينية، يقوم على الكيد للإسلام وتغرير النَّاس بتعزيز التّعاون الإنساني، وله أهداف خطيرة. لمزيد من التّفاصيل انظر المذاهب التّوحيدية/البوطيّ، 128-130.

2 انظر المذاهب التّوحيدية والفلسفات المعاصرة/البوطيّ، 129-130

3 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 9، 17
انظر مشورات اجتماعية/البوطيّ، 226
انظر مع النَّاس/البوطيّ، 169

4 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 19

5 انظر المرجع السَّابق، 10
انظر السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 107

6 انظر استفتاءات النَّاس/جمع موقع نسيم الشّام، 28

7 المرجع السَّابق، 49

المبحث الثَّالث: منهج الحيطة في إثبات أنواع فَقْدِ الإيمان السَّابقة

(ما يُسمَّى عرفاً عند العلماء التَّكفير)

أوَّلاً. الحيطة في كلماته رحمه الله تعالى

يجد المتتبِّع لِمَا كتبه رحمه الله تعالى عنِ الأمور الاعتقاديَّة القطعيَّة شدَّة حيطتِه في الحُكمِ على أحدهم بفَقْدِ إيمانه بأيِّ نوعٍ مِنَ الأنواع السَّابقة، وذلك مِنْ خلال:

1. دفعُه رحمه الله حكم التَّكفير بالشُّبهة، ومِنْ ذلك موقفُه عن علماءِ **المتصوِّفة** الذين نُقِلَ عنهم القول بوَحدة الوجود فذلك لا يستوجبُ الإسراعَ في تكفيرهم، بل رُبَّما دُسَّ ذلك في كتبهم، وهو ليس مِنْ أقوالهم، ويمكن أنْ يكون حالاً وِجدانيَّاً اعتراهم فنطقوا بما لا يعتقدون.

وإذا كانت هذه الاحتمالات كلُّها قائمةً فإنَّ مِنَ الظُّلم للحقيقة والعدل أنْ نتجاهلَها كلَّها ونتمسَّك باحتمالٍ آخرٍ لنُسَوِّغَ بذلك تكفيرهم. ومِنَ المعلوم أنَّك لو عِشْتَ العُمْرَ كلَّه لا تقولُ عن الكافِرِ المتيَقَّن كفْرُه: كافِر –لم يؤاخذْكَ الله يوم القيامة على ذلك، وأنَّك لو أطلقْتَ الكفرَ مرَّةً واحدةً في حياتك على مَنْ هو عند الله غيرُ كافرٍ عرَّضتَ نفسَك للعقاب العظيم مِنَ الله عزَّ وجلَّ، فما المُوجِب بعد ذلك لتوزيع ألقاب الكفر على مَنْ عُرِفُوا في حياتِهم بالإسلام والتَّقوى وشاعَ أمرُهم بين النَّاس على ذلك؟! ولا نعلمُ كيف آبُوا إلى ربِّهم جلَّ جلاله. وحسبُك لبيان الحكم وتحذير النَّاس مِنَ التَّقليد أنْ نوضِّح لهم الحقَّ ونُفَنِّدَ الباطل، ونحذِّرَهم مِنِ اتِّباعه بقطعِ النَّظر عن قائله، فهذا يكفيْكَ في أداء أمانة العلم والدِّين، ويكفي النَّاس في التَّنَبُّهِ إلى الحقِّ، وما كلَّفك الله بأكثرَ من ذلك، وليسَعكَ ما وَسِعَ أئمتَنَا الأعلامَ مِنْ قَبْلُ من بيانِ حرمةِ هذه الكُتُبِ التي تتحدَّثُ عن

مثل هذه الشَّطحات كالفتوحات المكيَّة وفصوص الحُكم للشَّيخ محي الدِّين[1]، وأنَّ على النَّاس أنْ يتجنَّبُوها دون أنْ تقْتَحِمَ إلى تكفير أحدٍ بعينه"[2].

2- اتِّباعه رحمه الله مذهب أهل السُّنَّة والجماعة بوصف الكلام المكفِّر بالكفر دون ضرورة الرَّبط بين الكلام وقائله، لاحتمال تحوُّل القائل وتراجعه فيما بعد[3]، ويتجلَّى هذا في حديثه عن المعتزلة حين قال:

ثُمَّ إنَّ هذه الآراءَ الشَّاذَّة والمنحرفة التي سنستعرض نماذج منها ليست بالضَّرورة مستوجبةً لكفرِ أصحابها وخروجهم عن الملَّة، بل فيها ما يشتدُّ الشُّذوذ والانحراف فيه بحيث يَبْلُغُ دَرَجَةَ إنكارِ ما هو معروفٌ مِنَ الدِّين بالضَّرورة فيَجُرَّ ذلك إلى ما سمَّاه رسول الله ﷺ بالكفر البواح، وفيها ما يقف الشُّذوذ والانحراف فيه عند حدِّ الخروج على قواعد المنهج المتَّفَق عليها عند علماء اللُّغة، ومِنْ ثُمَّ عند علماء الشَّريعة الإسلاميَّة فيستلزِمُ ابتداعاً ورُبَّما فسقاً وجنوحاً عن الحقِّ بدون عذْرٍ، وفيها ما قدْ يتردَّدُ الشّذوذُ والانحرافُ فيه بين بلوغ درجة الكفر وحدود الفسق والابتداع، فلا يجدُ فيه الباحثُ المنصِفُ معتمَداً راسخاً للتَّكفير كما لا يطمئنُّ إلى أنَّه انحرافٌ جزئيٌّ لم يندُ بصاحبه ولم يُخْرِجْهُ عن دائرة الإسلام، ونحن في مثل هذا النَّوع مِنَ الشُّذوذات والضَّلالات الفكريَّة نؤْثِرُ الحيطةَ وإنَّما الحيطةُ في هذا المقام حمْلُ حال النَّاس ما أمكن على أنَّهم لا يزالون داخلين في حظيرة الإسلام، واقفين تحت مظَلَّتِهِ، فإنَّ الخطأ في تحسين الظنِّ بهم لن يَجُرَّ الوبال الذي يَجُرُّه الخطأُ في إساءة الظنِّ بهم؛ بنسبتهم

---

1 "إن ما قد ورد في كتب ابن عربي من القول بوحدة الوجود، أي القول بأن وجود الخالق ليس شيئاً أكثر من وجود مخلوقاته، كلام باطل، وجنوح مباشر وصريح عن النصوص الجلية القاطعة في كتاب الله عز وجل، وحسبك منها آيات الخلق والإبداع المعبرة عن الإبداع والتكوين، ومن ثم فإن الاعتقاد بوحدة الوجود هذه كفر بالله عز وجل وجحود بكتابه. ويدخل في حكمها كثير من العبارات الواردة في كتبه، لا سيما الفتوحات، والتي تأتي ذيلاً لهذه العقيدة الباطلة. غير أن الحكم ببطلان هذا الكلام وكفر قائله، لا يستلزم بالضرورة تكفير الشيخ ابن عربي ونسبة الزندقة والضلال إليه، بل إن ذلك الدليل أعم بكثير من هذا المدعى، ومن ثم فليس بينهما تلازم حتمي." قضايا ساخنة/البوطي، 331

2 كبرى اليقينيات/البوطيّ، ط8، ص110 الحاشية رقم 1

انظر قضيا ساخنة/البوطيّ، 325-الحاشية رقم 1

3 انظر المرجع السابق، 325-الحاشية رقم 1

إلى الكفر والمروق عن الإسلام، هذا مع العلم بأنَّا لا نألوا بهذا في بيان فِسْقِهِمُ وابتداعِهِمُ لِمَا لَمْ يأذنْ به الله عزَّ وجلَّ، وشذوذِهِمُ عن المنهج الذي اتَّفق عليه علماء هذه الأمَّة، وفي تحذير النَّاس مِنَ الاغترار بهِم والتّأثُّرِ بزَيْفِهِم[1].

ثانياً. المبادئ التي أقام رحمه الله عليها منهجَه في الحيطة.

وأطلق عليها -في إحدى خطبه ليوم الجمعة- لقبَ الضَّمانات الثَّلاثة حيث قال:

هنالك ضماناتٌ شرعها الله سبحانه وتعالى تعالوا أحدِّثُكم عن طائفةٍ منها <u>الضَّمانة الأُوْلَى:</u> دعوةُ اللهِ عبادَه أنْ يتلاقوا على جامعٍ مشتركٍ مِنْ هويَّةِ العبوديَّةِ لله سبحانه وتعالى. ولعلَّكم جميعاً تقرؤون قوله:﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا **﴾مريم:19/93-94،...أمَّا <u>الضَّمانة الثَّانية:</u> فتتمثَّل في القرار التي أرستْه الشَّريعة الإسلاميَّة بناءً على مصدريها القرآن والسُّنَّة ألَّا يتعاملِ النَّاس في دنياهم إلَّا بالظَّواهر التي تتبدَّى عليهم وألَّا يقتحم أحدٌ بواطن الآخرين في هذه الدُّنيا،...إذا أراد أنْ يحكمَ أو إذا أراد أنْ يتبيَّن الخير والشَّرَّ مِنْ شخصيَّة إنسانٍ ما؛ لا يملك إلَّا أنْ يقف عند الأدلَّة الظَّاهرة...أمَّا <u>الضَّمانة الثَّالثة:</u> فهي ما يقرِّرُه بيان الله عزَّ وجلَّ مِنْ أنَّك إذا رأيت احتمالين يتجاذبان شعورَك تجاهَ أخٍ لك أحدَهما حُسْنُ الظَّنِّ والآخر سوء الظَّنِّ يأتي بيان الله عزَّ وجلَّ ليأمُرَكَ بأنْ تنْبِذَ سوءَ الظَّنِّ وتُلقِيَه ظِهريَّاً وراءَكَ وأنْ تعتمد على حُسْنِ الظَّنِّ ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾الحجرات:49/12..."**[2].

ثُمَّ ذكر رحمه الله أهمَّ تطبيقات هذه الضَّمانات الثَّلاثة وهي كالتَّالي: [3]

1- ما أجمع عليه علماء المسلمين مِنْ أنَّ احتمالات الكفر إذا تحقَّقت في مسلمٍ ما؛ ولم يبقَ إلَّا احتمالٌ واحدٌ في المئة لاعتباره مسلماً فالواجب التَّمسُّكُ بهذا الاحتمال عملاً بقوله ﷺ: "يَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ

---

1 السّلفية مرحلة زمنية مباركة/البوطيّ، 109

2 موسوعة من الخطب المنبرية/جمع موقع نسيم الشّام، 475-476

3 انظر المرجع السّابق، 475-479

خَيْرٍ"[1]. فذرَّة الإيمان تُمثِّلُ الأقلَّ مِنْ واحدٍ في المئة، وقال ﷺ أنَّها تبقيه مسلماً فلا يجوز الالتفاتُ إلى الاحتمالات الأخرى.

2- "بَيْنَما رَسُولَ الله ﷺ جَالس بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاس جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ -أَوْ يُشَاوِرُهُ -يُسَارُّهُ، فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، يَسْتَأْذِنُهُ فِيهِ فَجَهَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَلَامِهِ، فَقَالَ: "أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟" قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟" قَالَ: بَلَى، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: "أَلَيْسَ يُصَلِّي؟" قَالَ: بَلَى وَلَا صَلَاةَ لَهُ قَالَ: "أُولَئِكَ الذينَ نُهِيتُ عَنْهُم"[2].

3- أحاديثٌ صحيحةٌ كثيرةٌ وصلَتْ إلى درجة التَّواتُرِ المعنويِّ كلُّها تتضمَّن معنَى واحداً: مَنْ كان آخرُ كلامِه في الدُّنيا لا إله إلَّا الله تعالى دخل الجنَّة.

4- لو كان في المسلمين مَنْ يستأهل أنْ يُكَفَّرَ لذنبٍ ما، لدليلٍ ما، لكان أَوْلَى النَّاس بأنْ يُكَفَّرَ هو عبد الله بن أبي بن سلول.

وفي الختام

إنَّ إدراك حدود هذا الفصل ثمرة إدراك الفصول السَّابقة، لذلك تُخْتَم به عادةً كتب العقيدة، وهذا ما التزمه رحمه الله تعالى في كتابه كبرى اليقينيات.

ومِنْ أهمِّ ما يُلاحظ بعد عَرْضِ آرائه رحمه الله أنَّه التزم بشروط الاشتغال بعلم الكلام التي قرَّرها، فقد توسَّع في قضايا التَّكفير والرِّدَّة والإكراه في الدِّين وغيرها مِنْ شبهاتِ هذا العصر، مُطَّلِعاً على أدلَّة أصحابها وأدقِّ تفاصيلها، ثُمَّ مُستعيناً بمنهج البحث العلميِّ الذي بيَّنه في كتبه لردِّ تلك الشُّبهات، وهو بذلك يسلك مسلك علماء المسلمين القدامى.

---

1 صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الايمان ونقصه، الحديث44

2 السّنن الكبرى/البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب ما يستدل به على أن المراد بهذا الكفر كفر يباح به دمه، لا كفر يخرج به عن الإيمان بالله ورسوله، إذا لم يجحد وجوب الصّلاة، الحديث6576

مجمع الزّوائد/الهيثمي، كتاب الإيمان، باب في ما يحرم دم المرء، الحديث45، وقال "رواه أحمد ورجاله رجال الصّحيح"

مسند الإمام أحمد، أحاديث رجال من أصحاب الرّسولﷺ، حديث عبيد الله بن عدي الأنصاري، الحديث23670

المصنف/الصّنعاني، كتاب اللّقطة، باب ذكر المنافقين، الحديث18688

الخاتمة

الحمد لله المنعم المتفضِّل بالعقل تكريماً للإنسان، والصَّلاة والسَّلام على مَنْ أُرسِلَ هادياً للعقول إلى برِّ اليقين والأمان، وبعد فإنَّ لكلِّ بدايةٍ نهاية، ونهاية هذا البحث مجموعةٌ مِنَ النَّتائج والتَّوصيات العلميَّة، والبداية مع النَّتائج:

أوَّلاً: النتائج

1- المذهب الكلامي للدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى

1-1-إنْ كان المعنى المقصود مِنْ مصطلح (المذهب الكلامي) هو الآراء العقديَّة التي تبنَّاها رحمه الله؛ يُرَجَّحُ ألَّا يُحَدَّد مذهبٌ كلاميٌّ لها، وألَّا تُقارب آراؤه إلى آراء أيٍّ مِنَ المذاهب الكلاميَّة، بناءً على ما توصَّل إليه رحمه الله تعالى مِنْ أنَّ مردَّ الخلاف بين مذهبي الأشاعرة والماتريديَّة إلى الخلافات اللفظيَّة.

والرَّجاءُ بذلك الفهم ثُمَّ التَّنفيذ الصَّحيح لِمَا أمضى رحمه الله تعالى حياتَه في إثباته والعمل على نشر الوعي فيه؛ ألَّا وهو: حلُّ الخلاف، ونشرُ الوفاق في الأمَّة التي أرهقها التَّمزُّق، بالإضافة إلى عمله على إثباتِ أنَّ الإمامين -الأشعري والماتريدي- إنَّما قاما لتثبيت مبادئ العقيدة التي جاء بها الدِّين الحنيف، لا ليُشَرِّعَا عقيدةً جديدةً.

إذن تتحدَّد الآراء العقديَّة للدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى بالعقيدة الإسلاميَّة الواردة في الكتاب والسُّنَّة، بعيداً عن أيِّ تسمياتٍ أخرى.

1-2- أمَّا إنْ كان المعنى المقصود بمصطلح (المذهب الكلامي) المنهج المتَّبع في الوصول إلى الآراء العقديَّة، ففي ذلك التَّفصيل التَّالي:

1-2-1. صرَّح رحمه الله عن التزامه منهج الإمام الأشعري في أكثر مِنْ موضع.

1-2-2. نوَّع رحمه الله باستخدام المناهج بما يتوافق مع الحالة التي يناقش الأفكار فيها، فإنْ ناقش شخصاً مُقدِّساً للأدلَّة النَّقليَّة اكتفى بالمنهج الأشعري فللنُّصوص المكانة الأُوْلَى، أمَّا إنْ ناقش مَنْ لا يُقدِّسُ الأدلَّة النَّقليَّة -لضعف إيمانٍ أو عدمه- كان المنهج الماتريدي هو المستخدم لأنَّه يعطي للعقل والنَّصِّ مكانة متوازية.

1-3-إذن كان المنهج العلميُّ بالنِّسبة للدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى أداةً وليس غاية، وسيلةً لتوصيف الأفكار والمعتقدات وإثباتها، وليس لتصنيف متَّبعيها وتفريق صفوفهم.

2. أبدع الدُّكتورُ البوطيُّ رحمه الله تعالى في نَظْمِ قواعد منهج البحث العلميِّ المبنيَّة على دمج قواعد العقل والمنطق مع قواعد الاستنباط الشرعيَّة كأصول الفقه وغيره، وبذلك رسَّخ منهجاً علمياً بصياغةٍ دقيقةٍ ومبسَّطةٍ ونتائج يقينيَّة.

3. التأثير الكبير للبيئة التي نشأ فيها الدكتورُ البوطيُّ رحمه الله تعالى على حياته العلميَّة والعمليَّة. فقد نشأ في بيت علمٍ، وشبَّ وعلى مسامعه تُعرض يومياً ما يعتري المجتمع الإسلامي مِنْ مشاكل، فسعى ليكون سدّاً حصيناً للثُّغور الفكريَّة الإسلاميَّة بالاعتماد على ميزان العلم، مازجاً له بروح التَّشريع وقلبه النَّابض وهو التَّزكية.

4. التَّوفيق والبركة في العلم والوقت الذي حظي به رحمه الله تعالى بسرِّ برِّه لوالديه.

5. رأى رحمه الله ضرورة التَّمسُّك بمنهج التَّزكية بعد اعتماده على المنهج العقلي كليّاً.

6. كان رحمه الله تعالى ابنَ زمانه كما يُقال، عَالِماً بشبهات عصره وقضاياه، متمسكاً بعدم الخوض بالمسائل الماضية التي نسيها الزمن فلا فائدة مِنْ إعادة البحث فيها.

7. لم يقبل رحمه الله الحكم ببطلان المنطق اليونانيِّ جملةً وتفصيلاً، ولم يعتمدْ المنطقَ اليونانيَّ في عرضه لأبحاث العقيدة الإسلاميَّة اعتماداً كاملاً، بل اتَّخذ موقفاً وسطاً؛ فاعتمد على البراهين القطعيَّة المشتركة مع المنطق اليونانيِّ، والتي تحمل قيمتها العلميَّة الثَّابتة في كلِّ الأزمان واللُّغات وإنِ اختلَفَتْ مسمَّياتُها، واختار الدُّكتور البوطيُّ المسمَّياتِ الأيسر والألصق بالحياة الفكريَّة العامَّة، كقانون بطلان الدَّور، والرُّجحان بدون مرجحٍ؛ والتي تُبنى بدورها على قانون التَّلازم. أمَّا الأدِّلةُ التي لم يعتمدها رحمه الله في دراسة مباحث العقيدة مِنَ المنطق اليونانيِّ؛ القياس الاقترانيِّ والشَّرطيِّ القائمين على الأشكال.

8. اعتمد رحمه الله للاستدلال في مسائل العقيدة على الاستقراء التَّام والالتزام البيِّن بالمعنى الأخصِّ والقياس الذي توافرت به شروط اليقين، مشترطاً في كل ما سبق عدم ورود نصٍ، أمَّا في حال وجود النَّصِّ فالسَّبيل إليه بالتَّثبُّت مِنْ صحَّته ثمَّ اليقين بما جاء به.

9. كلُّ ما ورد فيه نصٌّ اعتمد رحمه الله للوصول إلى اليقين في فهمه على منهجٍ يقوم على ثلاث خطواتٍ لا تغني إحداهما عن الأخرى وهي على التَّرتيب التَّالي:

9-1- توثيق النُّصوص: بالتَّأكُّد مِنْ صحَّة نقلها.

9-2- تحديد معنى النُّصوص باستخدام قواعد اللُّغة.

9-3-وضع ما تمَّ الوصول إليه مِنْ معانٍ في موازين العقل السَّليم.

10. وافق رحمه الله الأشاعرةَ والماتريديَّةَ بأنَّ القضايا العقديَّة التي لا تقوم أصلاً على الأدلَّة العقليَّة تثبت بالآحاد بشرط أنْ يكون مقبولاً، فالإيمان بما وَرَدَ به أسلم.

أمَّا حكم منكر ما ثبت به فاسقٌ مخدوشٌ في عدالته. لدخول الاحتمال في الحديث الآحاد وإنْ كان الظَّنُّ القويُّ ثبوتَه، خِلافاً للمتواتر الذي يفيد العلم اليقينيَّ الضَّروريَّ.

11. يؤكِّد رحمه الله أنَّ قواعد المنهج ذاته تستلزم الاختلاف، وتسمَّى نقاط الاختلاف هذه (مسائل اجتهاديَّة)، ويجوز شرعاً الاختلاف بها، ولا فرق فيما سبق بين القضايا الاعتقاديَّة أو الأحكام السُّلوكيَّة، وبناءً على ذلك يقبل رحمه الله كلَّ الاختلافات النَّاتجة عن قواعد المنهج، لذلك لقي نتاجُه العلميُّ القبولَ مِنْ شريحةٍ واسعة في المجتمع.

12. يكتفي رحمه الله تعالى بالدَّليل القطعيِّ عند وُرُوْده، فبه يحصل الإيمان دون الحاجة إلى أدلَّةٍ تدعم، أمَّا في الأدلَّة الظَّنِّيَّة فيستدِلُّ بعدَّةِ أدلَّةٍ في المسألة الواحدة.

13. يُبنى منهجه رحمه الله تعالى على البَدْءِ بإثباتِ الأصولِ قبل الفروع.

14. يرى رحمه الله التَّقيُّد بما وَرَدَ فيه نصٌّ في كلِّ ما يتعلَّق بصفات وأسماء الله، فبالنَّصِّ يُثبِتُ الصِّفة ثمَّ يَدْعَمُ ذلك بالعقل، خاصَّة عند الحديث مع مَنْ لا يؤمِن بقدسيَّة النَّصِّ.

15. استخدم رحمه الله تعالى في الرَّدِّ على الدعاوى طريقتين الأُوْلَى علميَّةٌ، والأخرى استنكاريَّةٌ تقريعيَّة، فيبدأُ بمناقشة الدعوى وتحليلها منطقيَّاً، وإقناع المستمع والقارئ بما يَؤُوْلُ إليه العقل السَّليم، وغالباً يتوجَّه بمنهجه هذا لأولئك الذين يبحثون عن الحقيقة العلميَّة متحرِّرين مِنْ كلِّ عنادٍ وتعصُّبٍ، ثُمَّ ينطلق في أسلوبه المستنكِر التَّقريعيِّ متوَجِّهاً لأولئك الذين أخفَوا عقولهم وراء تقليدٍ أعمى بحثاً عن حضارةٍ وهميَّةٍ.

16. ميزان الدَّعوى الذي يحدِّد خطورتها وأهميَّتها عند الدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى هو: ما يحمله مضمونها مِنْ كفر، أو فتح بابٍ لتغيير الدِّين أو هدمه كاملاً، وكذلك ما تقوم عليه الدَّعوى مِنْ أدلَّةٍ في ظاهرها قويَّةٌ ومقنعةٌ، كدعوى إنكار المعجزات.

17. اعتمد رحمه الله في مسائل النُّبوَّة والوحي على الأدلَّة النَّقليَّة أكثر مِنَ الاعتماد على العقليَّة، والسَّبب في ذلك –كما بيَّنه رحمه الله– أنَّ هذه المسائل أصلاً ثبتت بالنَّقل، فالمنهج الصَّحيح فيها الاعتماد على النَّقل ويُدعم بالأدلَّة العقليَّة للمزيد مِنَ الإيضاح.

18. مِنَ الثَّابِتْ أنَّ منافذ العلم إلى العقل: الحواسُّ والوجدان وتلقِّي الأخبار، وتعتمد على التَّجربة، والمشاعر، وصحَّة الخبر، وإحدى هذه النَّافذ لا تنوب عن الأخرى غالباً.

وقرَّر رحمه الله تعالى أنَّ نافذتَي الحواسِّ والوجدان، لا دور لها في حقائق الموت والحياة والرُّوح لأنَّها مِنَ الحقائقِ الغيبيَّةِ إذ لا تجارب ممكنةً، ولا يمكن أنْ تَصِلَ مشاعرُ الإنسان إليها، فيتعين إثبات الحقائق بالخبر اليقينيِّ القائم على شروطه وقواعده العلميّة الدَّقيقة.

19. إنَّ الموت ليس مِنَ الغيبيَّات فلا تحتاج إلى دليلٍ بل هو مِنَ الواقع المحسوس المشاهد، إلَّا أنَّ قضايا الموت التي تُحيْطُ به العلم بها عن طريق الخبر اليقينيِّ حصراً.

20. توسَّع رحمه الله تعالى في قضايا التَّكفير والرِّدَّة والإكراه في الدِّين وغيرها مِنْ مسائلِ وشبهاتِ هذا العصر، مطَّلِعاً على أدلَّة أصحاب الشُّبهة ومدركاً لأدقِّ تفاصيلها، ثُمَّ مستعيناً بمنهج البحث العلميِّ لردِّ تلك الشُّبهات.

21. أساس المَلَكة العلميَّة عنده رحمه الله تعالى مبنيَّة على تأسيسٍ علميٍّ قويٍّ كان برعاية والده، اعُتمِد فيه على تمليك علوم الآلة مِنَ المصادر والكتب الأمِّ، ومِنْ ثُمَّ على معايشة الواقع مِنْ خلال تجاربه الدَّعويَّة والعلميَّة مع والده رحمه الله تعالى.

مِنْ هنا كان للدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى ميزةُ شموليَّةِ المعرفة كما كان علماء المسلمين القدامى، وأضاف لها بصمته الخاصَّة مِنْ خلال إسقاط قضايا الواقع عليها، فكان متفرِّداً في شخصيَّته العلميَّة والفكريَّة، التي انعكست بشكلٍ واضحٍ في مؤلَّفاته ونتاجِه العلميِّ.

ثانياً. التَّوصيات

1. الاهتمام بدراسة مناهج العلماء لأنَّها تساعد في تطوُّر المَلَكة الفكريَّة، وبذلك يكون الانتقال مِنْ مرحلة تلقِّي الأفكار إلى مرحلة محاكمتها وتوليدها.

2. إنَّ ما يُصيب المجتمع الإسلاميَّ اليوم مِنْ تدهورٍ عائدٌ إلى ضعف المستوى العلميِّ لأفراده، فهو متأهِّبٌ ليتبنَّى أيَّ مذهبٍ يضمَنُ له الإرواء الفكريَّ، وهذه المهمَّة ملقاة على عاتق أهل التَّخصُّص؛ ليختاروا عناوين تبحث في كيفيَّة رفع المستوى العلميِّ للمجتمع بأمور عقيدته ودينه، مثال: منهج مدارسة المسائل العقديَّة في زمن الرَّسول ﷺ دراسة وصفيَّة تحليليَّة، منهج تنشئة الأطفال على العقيدة الإسلاميَّة في القرون الثَّلاثة الأُوْلَى.

ويُؤَيِّدُ ذلك ما يراه رحمه الله مِنْ أنَّ علم الكلام كالدَّواء يُستخدم كعلاجٍ نافعٍ لمَنْ أصابَتْ فِكْرَه أمراضٌ عقديَّة، ولا بدَّ مِنَ الوقاية قبل الوصول إلى مرحلة الاستطباب، وذلك بترسيخ حقائق العقيدة الإسلاميَّة مبنيَّةً على الأدلَّة النَّقليَّة والعقليَّة في قلوب وعقول أفراد المجتمع الإسلاميِّ عموماً، وذلك مِنْ خلال توجُّهٍ عامٍ بتكاتف علماء المسلمِين ودعاتهم.

3. النِّتاج الفكريُّ والعلميُّ للدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى لا يمكن أنْ يحتويه بحثٌ واحدٌ، فهناك كثيرٌ مِنَ العناوين التي تحتاج أبحاثاً منفردة: نحو؛ منهجه في دراسة الفلسفات الحديثة كالماديَّة الجدليَّة ونظريَّات التَّطور، التَّزكية وفق ضوابط البحث العمليِّ في فكر الدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى، منهج الحيطة في الحكم بالرِّدَّة والتَّكفير عند الدكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى.

4. دمجُ فكرِ الدُّكتورِ البوطيِّ رحمه الله تعالى ونتاجِه العلميِّ مع تقنيات التَّواصل الحديثة الواقعيَّة والافتراضيَّة، لضمان نشر الفكر وإعادة إحيائه بشكلٍ مستمرٍّ.

الملحق

مؤلَّفاته رحمه الله تعالى وفقاً لتاريخ النَّشر

في محاولةٍ لإحصاء كامل ما كتبه رحمه الله ممَّا نُشر في حياته أو بعد استشهاده تمَّ إثباتها هنا مرتَّبةً بالأقدم حسب تاريخ النَّشر، وغالباً لكلِّ كتابٍ حكايةٌ تحدَّث عنها الدُّكتور محمَّد توفيق رمضان البوطي في كتاب محمَّد سعيد رمضان البوطي بحوث ومقالات مهداة إليه، وهو الكتاب الذي اعتمد عليه الملحق في إثبات تاريخ الطبعة الأولى لأغلب كتبه رحمه الله تعالى.

أولاً. كتبه رحمه الله تعالى

1. مقالٌ بعنوان (أمام المرآة)[1]، ط:1، 1949م[2]، مجلة التَّمدُّنِ الإسلاميِّ الدِّمشقيَّة، جُمعتْ الأعمالُ من1 حتى 9 ما عدا (ممو زين) في كتابٍ واحدٍ بعنوان: البدايات باكورة أعمالي الفكريَّة، ط:1، 2009م، دار الفكر– دمشق.
2. مقالٌ بعنوان (بعض كتَّابنا اليوم) نُشر بعد المقال الأوَّل بحين، ولم تَذْكُرِ المراجع تاريخاً محدَّداً[3]، مجلة التَّمدُّنِ الإسلاميِّ الدِّمشقيَّة.
3. مقالاتٌ متنوِّعة تحت عنوان (مِنْ أسبوعٍ إلى أسبوع) ط:1،1954–1955م، مجلةُ الأيَّام.
4. مم وزين، ط:1، 1957م، دار الفكر– دمشق، ترجمة مِنَ الكرديَّة.

---

1 وهو أوَّل مقالٍ كتبه، أمَّا سبب إهماله كما قال عنه "**أمَّا المقال الذي كان فاتحةَ مخاطبتي للنَّاس (أمام المرآة) فقد أصبحتُ مِنْ بعدُ أنظر إليه على أنَّه مجرَّدُ بابٍ ولجتُ منه إلى محادثة النَّاس والبحث معهم عن الحقِّ الذي يجب التَّلاقي عليه والتَّمسُّك به، فما الحاجة للرُّجوع إلى الباب الذي ولجْتُ منه؟**" البدايات/البوطيّ،15، 187. ولنشره قصة رائعة انظر المرجع ذاته، 12

2 شكَّ رحمه الله في تاريخ الكتابة، ولم يَذْكُر تاريخ النَّشر، ولم أتمكَّنْ مِنَ الوصول إلى المقال في المجلة للتَّأكد مِنَ التَّاريخ. يقول رحمه الله في ذلك "**أوَّل هذين المقالين (أمام المرآة) وأظنُّ أنِّي كتبته عام 1948 أو 1949 ثُمَّ وفَّقنيَ الله لنشره بعد حينٍ في مجلَّة التَّمدُّن الإسلاميِّ الدِّمشقيَّة،..**" البدايات/البوطيّ، 17، الحاشية 1 وقد كتب رحمه الله التاريخَ متأكِّداً منه في نفس المرجع صفحة 12، حيث قال نشره عام 1949م وكان عمره 19 عاماً.

3 لم يَذْكُرِ الدُّكتورُ البوطيُّ تاريخاً لنشره ولم أتمكَّنْ مِنَ الوصول إلى المجلَّة للتَّأكُّد مِنْ تاريخ نشره، يقول رحمه الله تَتِمَّةً للاقتباس في الحاشية السَّابقة "..**يليه المقال الثَّاني (بعض كتَّابنا اليوم) وقد نُشِرَ هو الآخر فيما بعد، في المجلَّة ذاتها**" البدايات/البوطيّ،17، الحاشية 1

5. المذهب الاقتصاديُّ بين الشُّيوعيَّة والإسلام[1]، ط:1، 1960م، المكتبة الأمويَّة– دمشق
6. دفاعٌ عن الإسلام والتَّاريخ[2]، ط:1، 1961م، المكتبة الأمويَّة – دمشق.
7. تجربة التَّربيَّة الإسلاميَّة في ميزان البحث، ط:1، 1961م، المكتبة الأمويَّة–دمشق.
8. حقائقُ عن نشأة القوميَّة[3]، ط:1، 1962، لجنة مسجد جامعة دمشق.
9. في سبيل الله والحقِّ[4]، ط:1، 1965م، المكتبة الأمويَّة – دمشق.
10. ضوابط المصلحة في الشَّريعة الإسلاميَّة، رسالة الدُّكتوراه في كليَّة القانون والشَّريعة/الأزهر، 1965م، المكتبة الأمويَّة–دمشق، وحازت: ممتاز مع التَّوصية بالطَّبع
11. فقه السِّيرة النَّبويَّة مع تاريخ الخلافة الرَّاشدة، ط:2، 1968م، دار الفكر– دمشق.
12. كبرى اليقينيَّات الكونيَّة وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ط:1، 1969م، دار الفكر–دمشق.

---

1 أصله محاضرة أُلقيت في المركز الثَّقافي العربيّ في حمص عام 1958م، ثمَّ توسع بها رحمه الله وأخرجها كتاباً، ولمْ يذكر شيئاً عن عدم إقراره له، انظر البدايات/البوطيّ، 14. وانظر محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث مقالات مهداة إليه/مجموعة مؤلفين، 29

2 وهو ثاني كتابٍ أُصدر باسمه رحمه الله، ردّاً على كتاب (التَّاريخ العباسي للأستاذ شاكر مصطفى رحمه الله) وقد دعاه إلى طيِّه رجوع المؤلِّف عن كثيرٍ مِنْ آرائه الاستشراقيَّة. انظر البدايات/البوطيّ، 14–16

3 أمَّا في بيان عدم إقراره لِمَا فيه يقول "**وأمَّا رسالة (حقائق عن نشأة القوميَّة) فقد كنتُ كتبتُها في عهدٍ راجتْ فيه القوميَّة رواجاً منكراً، حتَّى غدَتْ القوميَّة العربيَّة عند كثيرٍ مِنَ النَّاس بديلاً عن العقيدة الدِّينيَّة التي تُبَصِّرُ صاحبَها بحقيقة الكون والإنسان والحياة. ولكنْ ذلك الغلو بردَتِ اليوم حدَّتُه وانطفأتْ جَذوَتُه، وعادتِ القوميَّة مجرَّد انتماءٍ إلى قومٍ أو لغةٍ أو عرقٍ، وانحصَرت أهميَّتها في ضرورة أنْ يعرف الإنسانُ القوم الذين ينتمي إليهم وأنْ يبقى على الصِّلة بهم ولا يتنكَّر لهم. فرأيتُ أنَّ إعادة نشرها لنْ تصادف حاجةً ولنْ يكون لها دورٌ في حلِّ مشكلة.**" البدايات/البوطيّ، 16

4 أوَّلُ كتابٍ يصدر باسمه، وقد نفى إقراره لبعض ما فيه، وبيَّن ذلك بقوله "**أمَّا الكتاب الذي أصدرته بُعيد ذلك (في سبيل الله والحق) فقد كنتُ متأثراً فيه بالجوِّ الذي كتبتُ فيه فصوله، جوِّ (الحياد الإيجابيِّ) و(الاتِّحاد القوميِّ) و(الاشتراك العربيِّ)، وهي شعاراتٌ رفعها المرحوم جمال عبد النَّاصر بين يدي سياسته التي جذبَتْ إليها أنظار، بل عواطف جماهير العالم العربيِّ، فلقد رأيتُني أتجاوب معها في بعض فصول – أو مقالات– هذا الكتاب.. واليوم وقد غاب عني ذلك التَّأثير، وانحسرت الشِّعارات عن نتائج ما ارتضيتُها يوماً ولا اقتنعت بأيٍّ منها، فقد آثرتُ أنْ أضرب صفحاً عن الكتاب كلِّه، مع أنَّ جلَّ ما فيه مقبولٌ لديَّ مفيدٌ في نظري متَّفِقٌ مع قناعاتي ومشاعري**" البدايات/البوطيّ، 12، 15

13. أحسنُ الحديث، كتاب جامعي (مِنْ روائع القرآن لاحقاً)، ط:2، 1970م، مكتبة الغزالي– دمشق، الطَّبعات للكتب الثلاثة الأخيرة تتالتْ عليها التَّعديلات[1].
14. محاضراتٍ في الفقه المقارن، ط:1، 1970م، دار الفكر– دمشق
15. اللَّامذهبيَّة أخطر بِدْعَةٍ تهدِّدُ الشَّريعة الإسلاميَّة، ط:2، 1970م، مكتبة الغزالي–دمشق.
16. مِنَ الفكر والقلب، ط:2، 1972م، دار الفقيه.
17. باطن الإثم، ط:1، 1972م، مكتبة الفارابي، سلسلة أبحاث في القمة1.
18. الإنسان وعدالة الله في الأرض، ط:1،1972م، مكتبة الفارابي، سلسلة أبحاث في القمة2.
19. منهج تربوي فريد في القرآن، ط:1، 1972م،مكتب الفارابي– دمشق، أبحاث في القمة3.
20. إلى كلِّ فتاةٍ تؤمن بالله، ط:1، 1973م، دار الفكر–دمشق، أبحاث في القمة4.
21. الإسلام ومشكلات الشَّباب، ط:1، 1973م، مكتبة الفارابي، أبحاث في القمة5.
22. مِنْ أسرار المنهج الرَّبانيِّ، ط:1، 1977م، مكتبة الفارابي، أبحاث في القمة6.
23. أصول الفقه مباحث الكتاب والسُّنَّة، كتاب جامعي، ط:1، 1975م، جامعة دمشق.
24. مَنْ هو سيِّدُ القدر في حياة الإنسان؟، ط:1،1976م، مكتبة الفارابي، أبحاث في القمة7.
25. مَنِ المسؤول عن تخلُّف المسلمين؟، د/ط، مكتبة الفارابي، أبحاث في القمة8.
26. هكذا فلندع إلى الإسلام ، د/ط، مكتبة الفارابي – دمشق، أبحاث في القمة9.
27. الدِّين والفلسفة أو (بيني وبين رئيس قسم الفلسفة)، د/ط، مكتبة الفارابي – دمشق، أبحاث في القمة10.
28. مسألة تحديد النَّسل وقاية وعلاج، ط:2، 1976م، مكتبة الفارابي – دمشق.
29. نقض أوهام الماديَّة الجدليَّة، ط:1، 1978م، دار الفكر– دمشق.
30. السَّبيل الوحيد في زحمة الأحداث الجاريَّة، ط:1، 1979م، مؤسسة الرِّسالة–دمشق

---

1 "**تنبَّهني أحد الإخوة إلى ملاحظاتٍ في كتابِي (مَنْ روائع القرآن) بعد ظهور الطَّبعة الأولى منه. ولمَّا نظرتُ فوجدتُ أنَّ هذا الذي نبَّهني إليه ذلك الأخ هو الحقُّ، صحَّحتُ الخطأ في الطَّبعات اللاحقة وسجَّلتُ شكري له في المقدِّمة. وأرسل إليَّ صديقٌ...ينبِّهني إلى ملاحظاتٍ في كتابِي (كبرى اليقينيَّات الكونيَّة) ونظرتُ فوجدتُ أنَّه على حقٍّ في كثيرٍ منها، فشكرته وانتظرتُ الفرصة السَّانحة ورجعتُ إلى ما تبيَّن لي أنَّه الحقُّ. وعندما ألَّفتُ كتابِي (فقه السِّيرة) قبل خمسةٍ وثلاثين عاماً، كنتُ حديث العهد بالحصول على المؤهل الجامعي، وكان كثيراً مِنْ معلوماتي على سعتها غضَّة يعوزها مزيدٌ مِنَ التَّبصُّر والتَّحقيق، لذا فقد أدخلتُ عليه طائفةً مِنَ التَّعديلات**" مع النَّاس/البوطيّ، 209

31. منهج العودة إلى الإسلام(على طريق العودة إلى الإسلام)،ط:1، 1980م، مؤسسة الرِّسالة
32. التَّعرُّف على الذَّات، ط:1، 1980م، مؤسسة الرِّسالة – دمشق.

ملاحظة: الكتب الثلاثة الأخيرة مضمونها واحد وتختلف العناوين فقط، كما اقتبس المجلس الوطنيُّ للثَّقافة، في الكويت عام 2002م رسائل من المضمون ذاته وطُبعت بالعناوين التالية: العقوبات الإسلاميَّة، العناية بالعبادات، الشُّبهات حول تطبيق الشَّريعة في العصر الحديث، حقوق المرأة وعقدة التَّناقض.

33. منهج الحضارة الإنسانيَّة في القرآن، ط:1، 1982م، دار الفكر– دمشق.
34. العقيدة الإسلاميَّة والفكر المعاصر/ كتاب جامعيّ ، ط:1، 1982م، جامعة دمشق.
35. الإسلام ملاذ كلِّ المجتمعات الإنسانيَّة، ط:1، 1984م، دار الفكر– دمشق.
36. حوارٌ حول مشكلاتٍ حضاريَّة، ط:1، 1406هـ–1985م، الشَّركة المتَّحدة–دمشق.
37. محمَّدٌﷺ على ألسنة الشُّعراء مختاراتٌ مِنْ أجمل الشِّعر في مدح الرَّسولﷺ، ط:1، 1408هـ–1988م، دار المعرفة– دمشق.
38. السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ مباركةٌ، لا مذهب إسلامي، ط:1، 1988م،دار الفكر– دمشق.
39. الشُّورى في عهد الخلفاء الراشدين، ط:1، 1989م، مؤسَّسة آل البيت–الأردن، مقالةٌ في كتاب الشُّورى في الإسلام/ج1.
40. هذه مشكلاتهم، ط:1، 1990م، دار الفكر – دمشق.
41. قضايا فقهيَّة معاصرة، ط:1، 1991م، مكتبة الفارابي– دمشق.
42. مدخلٌ إلى فهم الجذور (مَنْ أنا – لماذا – وإلى أين)، ط:1، 1991م، دار الفكر– دمشق، سلسلة هذا هو الإسلام.
43. حريَّة الإنسان في ظلِّ عبوديَّته لله، ط:1، 1992م –1413هـ، دار الفكر– دمشق، سلسلة هذا هو الإسلام.
44. وهذه مشكلاتنا، ط:1، 1993م، دار الفكر–دمشق.
45. الجهاد في الإسلام، ط:1، 1993م، دار الفكر–دمشق، ترجم إلى الإنكليزية والفرنسية.
46. زوابع وأصداء وراء كتاب الجهاد، ط:1، 1415هـ–1994م، دار الفكر– دمشق.

47. الحوار سبيل التَّعايش مع التَّعدُّد والاختلاف، ط:1، 1995م، دار الفكر– دمشق، ندوةٌ فكريَّةٌ مشتركةٌ، إعداد: محمَّد نفسية
48. التَّغيير مفهومه وطرائقه، ط:1، 1996م، دار الفكر– دمشق، تفريغٌ مكتوبٌ لندوةٍ فكريَّةٍ مع المفكِّر الشَّيخ جودت سعيد (ندوات الفكر المعاصر).
49. عائشة أمُّ المؤمنين، ط:1، 1996م، مكتبة الفارابي – دمشق.
50. المرأة بين طغيان النِّظام الغربيِّ ولطائف التَّشريع الإسلاميِّ، ط:1، 1996م، دار الفكر– دمشق.
51. سيامند ابن الأدغال، ط:1، 1997م، مكتبة الفارابي – دمشق.
52. الإنسان مسيَّرٌ أمْ مخيَّر، ط:1، 1997م، دار الفكر– دمشق، مِنْ أحاديث الأربعاء
53. الإسلام والعصر تحدِّيات وآفاق، ط:1، 1998م، دار الفكر– دمشق، شاركه د.طيب التِّيزيني[1] ندوة حواريَّة مُفرَّغة ضمن سلسة حوارات لقرن جديد[2].
54. أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان الله أم الإنسان، ط:1، 1998م، دار الفكر– دمشق، أصل الكُتَيِّب محاضرة بكليَّة الدِّراسات الشَّرقيَّة والإفريقيَّة بلندن.
55. شخصيَّات استوقفتني، ط:1، 1999م، دار الفكر– دمشق.
56. أوربَّة مِنَ التَّقنيَّة إلى الرُّوحانيَّة (مشكلة الجسر المقطوع)، ط:1، 1420هـ –1999م، دار الفكر– دمشق، أصل الكُتَيِّب ندوة بمسجد الدَّعوة في باريس، وباللُّغتين العربيَّة والإنكليزيَّة.
57. يغالطونك إذ يقولون، ط:1، 2000م، الصِّديق للعلوم – دمشق.
58. الحكم العطائيَّة شرحٌ وتحليل، ط:1، 2000حتى2004م، دار الفكر– دمشق، خمسة أجزاء.

---

1 ولد عام 1934م، وهو مفكر سوري ينتمي إلى الفكر العلماني الماركسي، حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعات ألمانيا، ثم عُيِّنَ مدرساً في كلية الآداب قسم الفلسفة في جامعة دمشق، من نظرياته المشهورة: المشروع النهضوي التنويري، وتاريخية النص المقدس، له أنشطة محلية ودولية وعالمية، وله العديد من المؤلفات التي تدعم مشروعه من التراث إلى النهضة، تراجع في مراحل عمره الأخيرة عن مفهومي الثورة والمنهج الماركسي إلى منهج النهضة لفهم الأحداث فهماً قريبا من الواقع، توفي عام 2019م. انظر قلمون المجلة السورية للعلوم الإنسانية، العدد: التاسع، أيلول/2919م. ص35–107

2 "**وهي سلسلة تقوم على العناية بها دار الفكر، ويشترك في كل كتاب منه باحثان من فكرين متعارضين. ولا تحمل أرقاماً متسلسلة**" محمد سعيد رمضان البوطي بحوث ومقالات مهدات إليه/مجموعة من المؤلفين، 16 الحاشية 1

59. مشوراتٌ اجتماعيَّة، ط:1، 2001م، دار الفكر– دمشق، مِنْ حصاد الإنترنت[1]
60. هذا ما قلْتُه أمام بعض الرُّؤساء والملوك، ط:1، 1421هـ–2001م، دار اقرأ– دمشق.
61. مشكلاتٌ في طريق النُّهوض، ط:1، 2001م، دار الفكر– دمشق، تسعُ مقالاتٍ كلٌّ مقالةٍ لمؤلِّف، منهم د.البوطيّ.
62. كلماتٌ في مناسباتٍ، ط:1، 1422هـ–2002م، دار الفكر– دمشق، مِنْ حصاد الإنترنت
63. مع النَّاس مشورات وفتاوى/ج2، ط:1، 2002م، دار الفكر– دمشق.
64. شوقي أبو خليل بحوثٌ ومقالاتٌ مهداةٌ إليه، ط:1، 2004م، دار الفكر– دمشق، عدَّة مقالاتٍ لعدِّة مؤلفين، للدُّكتور البوطيِّ منها مقالٌ واحد.
65. مختاراتٌ مِنْ خطب الجمعة، ط:1، 1426هـ–2005م، دار الفكر– دمشق.
66. إشكاليَّة تجديد أصول الفقه، ط:1، 2006م، دار الفكر– دمشق، بالاشتراك مع د.أبو يعرب المرزوقي[2].
67. لا يأتيه الباطل، ط:1، 2007م، دار الفكر–دمشق.
68. الإسلام والغرب، ط:1، 2007م، دار الفكر–دمشق.
69. المذاهب التَّوحيديَّة والفلسفات المعاصرة، ط:1، 2008م، دار الفكر–دمشق.

---

1 سلسلة أصدرتها دار الفكر من خلال طباعة بعض الفتاوى والمدوَّنات الإلكترونية على موقع الدكتور البوطي على الإنترنت، وهو (Bouti@Bouti.com) تم إنشاؤه عام 2000م من قبل دار الفكر رغبة بتمكين التواصل مع الدكتور، ولقي هذا العمل ترحيباً على المستوى العالميِّ وبلغ عدد الزوار اليومي مع نهاية عام2001م أكثر من 1000شخص، والأسئلة قرابة 35 سؤالاً يومياً، وهو متوفر بعدة لغات. انظر محمد سعيد رمضان البوطي بحوث ومقالات مهداة إليه/ مجموعة من المؤلفين، 37

2 مفكِّرٌ تونسيٌّ، ولِدَ سنة 1947م، في تونس، نال الإجازة في الفلسفة مِنْ جامعة السُّوربون، ثمّ الدُّكتوراه. اشتغل أستاذاً للفلسفة في كليَّة الآداب (جامعة تونس الأولى)، وللفلسفة الإسلاميّة في الجامعة الإسلاميّة العالميّة في ماليزيا. خاض تجربةً سياسيّةً قصيرة، ثُمَّ اعتزل العمل السِّياسيَّ، له مؤلَّفاتٌ كثيرة، مِنْ أهمِّ نظريَّاته السَّعيُ وراء النَّهضة العربيَّة، وأنَّ الدِّين والفلسفة لا يمكن أنْ ينفصلا بل هما كلٌّ متكامل، والتَّفسير الفلسفيُّ للقرآن. انظر المرزوقي أبو يعرب، تجليَّاتُ الفلسفة العربيّة، منطقُ تاريخها مِنْ خلال منزلة الكلّيفي الأفلاطونيّة والحنيفيّة العربيّتين المحدثتين، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، دار الفكر دمشق– سورية، ط.1،2001م. (كلُّ ما سبق نقلاً بتصرُّف مِنْ موقع مؤسَّسة مؤمنون بلا حدود للدِّراسات والأبحاث (https//www.mominoun.com/)

70. الحقيقة المنسيَّة، ط:3، 1429هـ-2008م، نحو القمة للطباعة-حمص، سلسلة البناء والتَّرشيد رقم9.
71. الحبُّ في القرآن ودور الحبِّ في حياة الإنسان، ط:1، 2009م، دار الفكر-دمشق.
72. دور الأديان في السَّلام العالميِّ، ط:1، 2010م، دار الفكر-دمشق، اشترك معه د.هانز كينغ[1].
73. الظَّلاميُّون والنُّورانيُّون، ط:1، 1431هـ-2010م ، دار الفكر-دمشق.
74. ملحق التَّيَّارات الفكريَّة المعاصر، ط:1، 1431هـ-2010م، منشورات جامعة دمشق
75. في الحديث الشَّريف والبلاغة النَّبويَّة، ط:1، 2011م، دار الفكر-دمشق.
76. مِنْ سنن الله في عباده، ط:1، 2011م، دار الفكر-دمشق.
77. قضايا ساخنة، ط:1، 1437هـ-2016م ، دار الفكر-دمشق، تمَّ نشره بعد استشهاده
78. إحياء جوهر الإسلام في حياة المسلمين، ط:1، 2016م، دار الفكر-دمشق، نُشرَ بعد استشهاده.
79. أدب الحوار في كتاب الله، د:ط، نحو القمة، سلسلة البناء والتَّرشيد.
80. الأسافين البريطانيَّة الثَّلاث لتفتيت الأمَّة، موقع نسيم الشام.
81. الإمام أبو الحسن الأشعريّ، موقع نسيم الشام.
82. موسوعة الخطب المنبريَّة، موقع نسيم الشام.
83. موجزٌ في العقيدة الإسلاميَّة، موقع نسيم الشام.
84. استفتاءات النَّاس على موقع نسيم الشَّام، موقع نسيم الشام.

ثانياً. بعض الكتب التي قدَّم لها أو أشرف عليها

1. نظريَّة الاستحسان إعداد أسامة الحمويّ، ط:1، 1992م، دار الخير، أطروحة أكاديميَّة- ماجستير-جامعة دمشق-قسم الفقه.

---

1 عالم لاهوتٍ سويسري، ولد عام 1922، حصل على الدُّكتوراه في جامعة السُّوربون، مِنْ أكبر علماء اللَّاهوت الكاثوليكيِّ، وأحد روَّاد البحث عن الحقيقة، عُيِّنَ مديرًا لمعهد الأبحاث المسكوفيَّة في ألمانيا، بعد الدِّراسات التي أجراها، دخل في الإسلام معتقداً أنَّه الدِّين السَّماويّ الحقيقيّ، وأنَّ محمَّداً رسول الله قد تلقَّى وحي الله، وبلغه كما أمره الله، من أشهر كتبه بعد إسلامه (المسيحية والأديان الأخرى)، دخل في درب الدعوة إلى الإسلام من خلال إقامة البراهين والحجج الدامغة، اعتنق بسبب ذلك الإسلام اثنان من القساوسة تابعين (لأبرشية باريس) بعد تصديقهما بما جاء في القرآن. انظر عظماء أسلموا/راغب السرجاني، 78-80. وانظر موقع ويكيبيديا وموقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

2. القضاء بقرائن الأحوال إعداد محمَّد جنيد الديرشوي، 1997م، دار الحافظ، رسالة ماجستير جامعة دمشق–قسم الفقه.
3. اليمين القضائيَّة في الإثبات في القضايا الماليَّة والجنائيَّة إعداد محمود بركات، 1998م، جامعة دمشق قسم الفقه.
4. حقوق الزوجيَّة في الشَّريعة والقانون إعداد نسيبة البغا،1999م، جامعة دمشق، أطروحة ماجستير.
5. نصيحة لإخواننا علماء نجد، المؤلِّف: يوسف بن السيد هاشم الرفاعي، تقديم د.البوطيّ، 1420هـ–2000م، دار اقرأ دمشق، تمَّ الرَّدُّ عليه بكتابين:
5–1– البيان بالدَّليل لما في نصيحة الرفاعي ومُقَدِّمَةِ البوطي/صالح فوزان، دار العاصمة السُّعودية/ط:1، 1421م
5–2– الرَّد على الرِّفاعي والبوطيّ/عبد المحسن البدر، دار الإمام أحمد/2004م
حاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار، رسالة أكاديمية، تحقيق أحمد سامر القباني، 1421م–2000م، دار الثقافة والتراث–دمشق، إشراف حسام الدين بن محمَّد صالح فرفور وتقديم د.محمَّد سعيد رمضان البوطي.
6. نظريَّة الرِّبا في الفقه الإسلاميِّ إعداد عبد العظيم أبو زيد، 2001م، جامعة دمشق، رسالة دكتوراه
7. الحرِّيَّة الاقتصاديَّة ومدى السُّلطان إعداد محمَّد جنيد الديرشوي، 2002م، جامعة دمشق، رسالة دكتوراه قسم الفقه.
8. الموسوعة الكونيَّة الكبرى المؤلف: ماهر أحمد الصوفي، 1428هـ–2007م، المكتبة العصرية – بيروت، تقديم د.محمَّد سعيد البوطيّ وآخرون.
9. تعدُّد الخلفاء ووحدة الأمة فقهاً وتاريخاً ومستقبلاً إعداد محمَّد خلدون مالكي، 2010م، جامعة دمشق، رسالة دكتوراه.
10. أهل السُّنَّة الأشاعرة وأدلَّتهم شهادة علماء الأمَّة، د:ط، دار الضياء.

ثالثاً. بعض الكتب التي أولِّفت عنه رحمه الله تعالى

1. دفاعٌ عن الحديث النَّبوِّي والسِّيرة، المؤلف: ناصر الدِّين الألبانيّ، 1397هـ–1976م، مؤسَّسة ومكتبة الخافِقَين – دمشق، ومضمونه ردٌّ على الأحاديث الواردة في كتاب فقه السِّيرة للدُّكتور البوطيّ.

2. تعقيباتٌ على كتاب السَّلفيَّة مرحلةٌ زمنيَّةٌ لا مذهبٌ إسلاميٌّ، المؤلف: صالح الفوزان، ط:2، 1411هـ-1990م، دار الوطن – الرِّياض.
3. وقفةٌ مع الدُّكتور البوطيّ في مسائله، المؤلِّف: هشام آل قطيط، 1417هـ-1997م، دار المحجة البيضاء، بيروت-لبنان، المسائل المطروحة سياسيَّةٌ تاريخيَّة.
4. الرَّدُّ العلميُّ على البوطيّ، المؤلف: أسامة السَّيد، ط:2، 1419هـ-1999م، دار المشاريع، بيروت-لبنان.
5. منهج الدُّكتور البوطيّ في الدَّعوة إلى الله إعداد: خالد عبد الله، 1422هـ-2001م، كليَّة أصول الدِّين- جامعة الأزهر، رسالة دكتوراه بإشراف أ.د. عبد الله محمَّد.
6. محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوثٌ ومقالاتٌ مهداةٌ إليه، مجموعة من المؤلَّفين بمناسبة بلوغه عامه 73، 1423هـ-2002م، دار الفكر- دمشق.
7. الدُّكتور البوطيُّ وآثارُه العلميَّة ومنهجه الدَّعوي إعداد حسن محمد مراد، 2005م، كليَّة الأوزاعيّ – بيروت، تعذَّر الوصول إليه.
8. البوطي؛ الدَّعوة والجهاد والإسلام السِّياس، المؤلفان: هشام عليوان وفادي الغوش، 2012م، مركز الحضارة لتنميَّة الفكر الإسلامي.
9. المنهج الرَّبانيّ في فكر وسلوك د.البوطي، المؤلف: هنائي زهير الأورفه لي، 2015م، دار الفارابي، تعذَّر الوصول إليه.
10. القضايا الاجتماعيَّة في فكر الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي إعداد عبد الغفار عبد الرؤوف حسن عبد الرؤوف، 1438م-2017م، دار الفكر- دمشق، رسالة دكتوراه مطبوعة والمؤلِّف مدرِّس مساعد في جامعة الأزهر.
11. إسهامات البوطيّ في مقصد العقيدة- دراسة تحليليَّة في كبرى اليقينيَّات الكونيَّة- مقالةٌ بحثيَّة تأليف: ميثاق هزاع المالكيّ، 2018م، مجلة أفكار/قسم أكاديميَّة الدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة مالايا- ماليزيا- كوالالمبور.
12. درر عبارات ولطيف إشارات العلَّامة الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ جمع وإعداد د.محمود محمَّد توفيق رمضان البوطي،1441هـ-2020م، دار الفكر-دمشق.

13. مفهوم حريَّة الإنسان عند الشَّيخ محمَّد سعيد رمضان البوطي المؤلف: شريف مراد، 2020م، جامعة وان يوزونكويل- كليَّة أصول الدِّين-تركيا. وهي مقالة بحثيَّة أصلها رسالة دكتوراه للمؤلِّف ذاتِه.
14. شاهدٌ على الإسلام والمسلمين المؤلف: ريم الحكيم، مركز النَّاقد – دمشق، ضمن سلسة روائع أفكار رواد الإصلاح والتَّغيير في العالم الإسلامي، تعذَّر الوصول إليه.
15. البوطي والسَّلفيَّة وقضايا أخرى المؤلف: عبد القادر حامد، د/ط/ن، تعذَّر الوصول إليه
16. البوطيّ وموجات النَّقد المؤلف: عبد الرحمن الحاج إبراهيم، د/ط/ن، تعذَّر الوصول إليه.
17. بِدْعَة التَّعصُّب المذهبيّ[1] المؤلف: محمَّد عيد عباسي، د/ط، المكتبة الإسلاميَّة عمَّان-الأردن، ومضمونه ردٌّ على كتاب اللَّامذهبيَّة للدُّكتور البوطيّ.
18. قبسات من فكر الإمام الشهيد ومنهجه العقدي المؤلف: الدكتور أحمد الزيبيبي، موقع نسيم الشام.
19. الدَّليل الشَّامل، "**يتضمَّن فهرسةً موضوعيَّةً لسائر ميراثه المكتوب عدا كتاب شرح الحكم العطائيَّة وقريباً بإذن الله سيتم نشره على الموقع**"[2]

---

1 وقد قال عنه الدُّكتور توفيق البوطيّ ما يلي **وخلال هذه الفترة ظهرت مشكلة على جانب من الأهمية، بسبب رسالة نشرت في أوساط الشباب نسبت إلى الشيخ الخجندي ينكر مؤلفها على الناس الالتزام بالمذاهب الأربعة، ويدعو إلى التحلل من هذا الالتزام، ويعيب على الناس اتباعهم لأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد. إلى جانب كثير من النشاط الاستفزازي الذي كان يمارسه الذين يدعون إلى اللامذهبية في مساجد دمشق آنذاك، فخطب الوالد حفظه الله خطبة أوضح فيها خطورة هذه الدعوة، وآثارها في بلبلة فكر شباب الأمة وضياعهم وتجريئهم على كثير من التجاوزات، بحجة حقهم في الاجتهاد. وأشار إلى صلة هذه الدعوة بما تسعى إليه بعض الجهات التي ظهرت في مصر أيام الاحتلال البريطاني... وزارنا فريق من الإخوة الذين ينتسبون إلى هذه الدعوة، وجرت مناقشة بينهم وبين الوالد تم تلخيصها في كتيب أصدره في الرد عليهم تحت عنوان (اللامذهبية –أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية) ثم جاء كبير دعاتهم آنذاك وأجرى حوارا مع الوالد حضره فضيلة جدي ملا رمضان وخالي الشيخ أحمد أكبازلي رحمهما الله. وقمت بتسجيل الحوار. وأصدر الفريق الآخر كتاباً بعنوان (بدعة التعصب المذهبي) مما اقتضى أن يرد عليه الوالد بطبعة جديدة لكتاب اللامذهبية ضمنها ملخص الحوار الأخير المسجل لدي. ثم إن هؤلاء الإخوة تابعوا إصدار كتب ضمنوها أنواعا من التهجم والنيل من والدي. ولكن الوالد رفض أن يتابع الخوض معهم، وقال كان الهدف إبراز الحقيقة وقد حصل ذلك. فلا داعي للرد عليهم بعد الآن.** محمَّد سعيد رمضان البوطيّ بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعة مؤلفين، 189

2 درر عبارات ولطيف إشارات العلامة الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ/محمود محمَّد توفيق رمضان البوطيّ، 8، الحاشية

المصادر والمراجع

أوَّلاً. كتب الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي				
.1	العنوان	الدار	التاريخ	ملاحظات
.2	إحياء جوهر الإسلام في حياة المسلمين	الفكر. دمشق	ط:1، 2016	**نشر بعد استشهاده**
.3	أدب الحوار في كتاب الله تعالى	نحو القمة	د/ط	
.4	استفتاءات الناس	موقع نسيم الشام	–	
.5	الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية	الفكر– دمشق	ط:1، 1984م	
.6	الإسلام والعصر	الفكر – دمشق	1998م	**بمشاركة طيب تيزيني**
.7	الإسلام ومشكلات الشباب	الفكر – دمشق	ط:1، 1441هـ	**أبحاث في القمة (5)**
.8	إشكاليَّة تجديد أصول الفقه	الفكر – دمشق	ط:1، 2006م	**بمشاركة المرزوقي**
.9	الإنسان مسير أم مخير	الفكر– دمشق	1997م	
.10	البدايات باكورة أعمالي الفكرية	الفكر – دمشق	ط:2، 2010م	
.11	تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث	مكتبة الفارابي	–	
.12	**الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه**	الفكر– دمشق	ط:1، 1994م	
.13	حرية الإنسان في ظل عبوديته لله تعالى	الفكر– دمشق	ط:1، 1992م	
.14	الحقيقة المنسية	نحو القمة	ط:3، 2008م	حمص
.15	الحكم العطائية شرح وتحليل	الفكر– دمشق	2003م ط:مُعادة	ج1+2+3
.16	الحكم العطائية شرح وتحليل	الفكر– دمشق	ط:1، 2003م	ج4
.17	الحكم العطائية شرح وتحليل	الفكر– دمشق	ط:1، 2004م	ج5
.18	حوار حول مشكلات حضارية	الشركة المتحدة	ط:1، 1985م	دمشق
.19	الحوار سبيل التعايش مع التعدد والاختلاف	الفكر – دمشق	1433هـ–2002م	مجموعة.مؤلفين منهم د.البوطي
.20	الدين والفلسفة	الفكر – دمشق	ط:1، 2020م	**أبحاث في القمة (10)**
.21	السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي	الفكر – دمشق	ط:1، 1988م	
.22	شخصيات استوقفتني	الفكر– دمشق	ط:7، 2008م	
.23	ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية	مؤسسة الرسالة	ط:1973م	**بحث لنيل الدكتوراه في الأزهر،1965**
.24	الظلاميون والنورانيون	الفكر– دمشق	1431هـ–2020م	
.25	العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر	**منشورات جامعة دمشق**	2010م–1431هـ	
.26	فقه السيرة النبوية مع تاريخ الخلافة الراشدة	الفكر– دمشق	ط:2، 1968م	

.27	في الحديث الشَّريف والبلاغة النَّبويَّة	الفكر – دمشق	2011م	
.28	في سبيل الله والحق	المكتبة الأموية	د/ط	دمشق
.29	قضايا ساخنة	الفكر – دمشق	ط:1، 2016م	
.30	**كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**	الفكر – دمشق	ط:8، 1982م	
.31	**كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**	الفكر– دمشق	ط34، 2014م	
.32	لا يأتيه الباطل	الفكر – دمشق	ط:1، 2007م	
.33	مباحث الكتاب والسنة	**منشورات جامعة دمشق**	ط:2، بدون تاريخ	
.34	مجمل الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحديث	المجلس الوطني للثقافة الكويت	2002م	
.35	محاضرات في الفقه المقارن	الفكر– دمشق	ط:2، 1981م	
.36	مختارات من خطب الجمعة	الفكر– دمشق	ط:1، 2005م	
.37	مدخل إلى فهم الجذور	الفكر– دمشق	د/ط	
.38	المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة	الفكر– دمشق	د/ط	
.39	المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والإسلام	الفكر– دمشق	ط:1، 1959	
.40	مشكلات على طريق النهوض	الفكر – دمشق	ط:1 2001م	**مجموعة من المؤلفين**
.41	مشورات اجتماعية	الفكر– دمشق	د/ط	
.42	مع الناس مشورات وفتاوى	الفكر– دمشق	2002م	
.43	من الفكر والقلب	الفقيه	ط:الأخيرة1997م	
.44	**من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله**	مؤسسة الرسالة	1420هـ–1999م	بيروت
.45	من سنن الله في عباده	الفكر– دمشق	د/ط، 2011م	
.46	من هنا وهناك هموم من قضايا الساعة	الفكر –دمشق	ط:1، 2019م	
.47	موسوعة من الخطب المنبرية في الديار الشامية	جمع نسيم الشام	د/ط	
.48	نقض أوهام المادية الجدلية	الفكر – دمشق	ط:3، 1985م	
.49	هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك	اقرأ – دمشق	ط:1، 2001م	
.50	هذا والدي	الفكر– دمشق	ط:جديدة،1995م	
.51	هذه مشكلاتهم	الفكر– دمشق	د/ط	
.52	وهذه مشكلاتنا	الفكر – دمشق	ط:الأخيرة2008م	
.53	يغالطونك إذ يقولون	الصديق– دمشق	2000م	

ثانياً. المصادر والمراجع العامة

1. الإبانة عن أصول الديانة/علي الأشعري (أبي الحسن)، دار البيان – دمشق، ط3، 1990م، ت: بشير عيون.
2. أبكار الأفكار في أصول الدين/علي الآمدي، دار الكتب القومية–القاهرة، ط:2، 2004م، ت: أحمد مهدي.
3. الإبهاج في شرح المنهاج/علي بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية – بيروت، د/ط، 1995م.
4. الإحكام في أصول الأحكام/علي الآمدي، المكتب الإسلامي–دمشق، د/ط، ت:عبد الرزاق عفيفي.
5. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد الشَّوكاني، دار الكتاب العربي– دمشق، ط:1، 1419هـ– 1999م، ت: الشيخ أحمد عزو عناية.
6. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة/الحافظ جلال الدِّين السُّيوطي، دار الفكر– دمشق، ط:1، 1416–1996م، ت: كمال الحوت. ويليه إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة لعبد العزيز الغماري.
7. أساس القياس/محمَّد الغزالي الطوسيّ (أبي حامد)، مكتبة العيبكان – الرياض، 1413هـ–1993م، ت: د. فهد السدحان.
8. الاستقراء والمنهج العلمي/محمود زيدان، الجامعات المصرية، 1977م.
9. أصول السرخسي، محمد السرخسي، المعرفة – بيروت، د/ط.
10. الاقتصاد في الاعتقاد/محمد الغزالي الطوسي (أبي حامد)، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط:1، 1415هـ–1994م، ت:موفق فوزي الجبر.
11. البحر المحيط في أصول الفقه/محمد الزركشي، دار الكتبي، ط:1، 1994م.
12. البوطي الدعوة والجهاد والإسلام السياسي/هشام عليوان وفادي الغوش، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي – بيروت، ط:1، 2012م.
13. تبصرة الأدلة في أصول الدين/ميمون بن محمد النسفي، رئاسة المجلس الأعلى للشؤون الدينية – تركيا، 1990م، ت: حسين آتاي.

14. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه/علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، مكتبة الرشد السعودية– الرياض، ط:1، 1421هـ– 2000م، ت: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني، أحمد السراح.
15. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار طيبة، د/ط، ت: نظر محمد الفاريابي.
16. التعريفات/علي الجرجاني، دار الكتب العلمية– بيروت، ط:1، 1983م، ت:جماعة من العلماء.
17. التوحيد/محمد الماتريدي، (أبي منصور)، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية، د/ط، ت: فتح الله خليف.
18. الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري)/محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ط:1، 1422هـ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.
19. خبر الواحد الصحيح وأثره في العمل والعقيدة/نور الدين محمد عتر، مجلة التراث العربي، 1403 هـ، العددان: 11 –12.
20. درر عبارات ولطيف إشارات العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي/محمود محمد توفيق رمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، ط:1، 1441هـ–2020م.
21. الرسالة/محمد بن إدريس الشافعي، مكتبة الحلبي- مصر، ط:1، 1358هـ–1940م، ت: أحمد شاكر.
22. السنن الكبرى/أحمد البيهقي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط:1، 1432هـ–2011م ، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي.
23. السنن الكبرى/أحمد البيهقي، دار الكتب العلمية–لبنان، ط:3، 1424 هـ–2003م، ت: محمد عبد القادر عطا.
24. شرح التلويح على التوضيح/(سعد الدِّين) مسعود التفتازاني، مكتبة صبيح _ مصر، د/ط.
25. شرح العقائد النسفية/(سعد الدِّين) مسعود التفتازاني، مكتبة الكليات الأزهرية، 1408هـ–1988م، ت: أحمد حجازي السقا.

26. شرح المقاصد/(سعد الدِّين) مسعود التفتازاني، دار عالم الكتب، بيروت: ط2، 1419هـ - 1998م، ت: عبد الرحمن عميرة.
27. الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي وآراؤه الاعتقادية عرض ونقد في ضوء عقيدة السلف/سمير الجعبري، جامعة الخليل _كلية الدراسات العليا _قسم أصول الدين _فرع العقيدة،1437هـ-2015م.
28. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة/عبد الرحمن حبنكة، دار القلم- دمشق، ط:4، 1993م-1414هـ.
29. عبقري الإصلاح والتعليم/محمود عباس العقاد، هنداوي للتعليم والثقافة، د/ط.
30. العقيدة الإسلامية وأسسها/عبد الرحمن حبنكة، دار القلم – دمشق، ط:2، 1979م
31. القاموس المحيط/محمد الفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة_ بيروت، ط:8، 1426هـ-2005م، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.
32. القسطاس المستقيم (الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن) محمد الغزالي الطوسي المطبعة العلمية – دمشق 1413هـ-1993م تعليق: محمود بيجو
33. القضايا الاجتماعية في فكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي/عبد الغفار عبد الرؤوف حسن عبد الرؤوف، دار الفكر – دمشق، ط:1، 1438هـ-2017م.
34. قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة/الحافظ جلال الدِّين السُّيوطي، المكتب الإسلامي _دمشق، 1405هـ- 1985م ، ت: خليل محي الدين الميس.
35. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي/عبد العزيز البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي، د/ط.
36. كشف الخفاء ومزيل الإلباس/إسماعيل العجلوني، المكتبة العصرية، ط:1، 1420هـ-2000م، ت: عبد الحميد بن هنداوي.
37. لباب الإشارات والتَّنبيهات/محمد فخر الدين الرازي،المكتبة الأزهريَّة _ مصر، ط:1، 1986م، ت:أحمد حجازي السقا.
38. لسان العرب/(ابن منظور) محمد الأنصاري، دار صادر- بيروت، ط:3،1414هـ.

39. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع/علي الأشعري(أبي الحسن)، مطبعة مصر، 1955م، ت: حمودة غرابة.
40. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين/علي الآمدي، مكتبة وهبة –القاهرة، ط:2، 1413هـ-1993م، ت: حسن الشافعي.
41. متن تهذيب المنطق والكلام/(سعد الدين) مسعود التفتازاني، مطبعة السعادة–مصر، ط:1، 1330هـ-1912م .
42. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/نور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي- القاهرة، 1414هـ-1994م، ت:حسام الدين القدسي.
43. محمد سعيد رمضان البوطي بحوث ومقالات مهداة إليه/مجموعة من المؤلفين، دار الفكر- دمشق، ط:1، 1423هـ-2002م.
44. محمد سعيد رمضان البوطي وآثاره الأدبية/عثمان الحسين، بحث مقدم في جامعة تركية، بإشراف عبد الهادي تيمورتاش وان2015م.
45. مختار الصحاح/محمد الحنفي الرازي، المكتبة العصرية- بيروت، ط:5، 1420هـ-1999م، ت: يوسف الشيخ محمد.
46. المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات نظرية المعرفة/حسن محمد مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت – لبنان، ط:1، 1411هـ-1990م .
47. مذكرة دورة دبلوم البرمجة اللغوية العصبية/محمد ياسر الكردي، مركز الفتح للتدريب والتطوير- دمشق، 2019م.
48. مذكرة دورة دبلوم العلاقات الأسرية/محمد ياسر الكردي، مركز الفتح –دمشق، 2019م.
49. المستدرك على الصحيحين/محمد الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:1، 1411هـ-1990م، ت: مصطفى عبد القادر عطا.
50. المستصفى/محمَّد الغزالي الطوسي (أبي حامد)، دار الكتب العلمية، ط:1، 1413هـ-1993م، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي.
51. مسند الإمام أحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل، دار الحديث–القاهرة، ط:1، 1416هـ-1995م، ت: أحمد شاكر.

52. مسند الإمام أحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421هـ-2001م، ت: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد.
53. المسند الصحيح (صحيح مسلم)/مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي _بيروت، 1954م، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
54. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي/أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة، ط:1، 1429هـ-2008م، بمساعدة فريق عمل.
55. معجم اللغة العربية المعاصرة/أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، ط:1، 1429هـ-2008م، وفريق عمل
56. معيار العلم في المنطق/محمد الغزالي الطوسي(أبي حامد)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:2، ت: أحمد شمس الدين.
57. مفهوم اللزوم المنطقي ومشكلاته (رسالة ماجستير)/عصام زكريا محمود جميل، جامعة القاهرة كلية الآداب _قسم الفلسفة،2001م، إشراف محمد مهران رشوان.
58. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين/علي الأشعري (أبي الحسن)، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، 1411هـ-1990م، ت: محمد محي الدين عبد الحميد.
59. مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة/محمد بن فورك، مكتبة الثقافة الدينية، ط:1، 1425هـ-2005م، ت: أحمد عبد الرحيم السايح.
60. من تاريخ الإلحاد في الإسلام/عبد الرحمن البدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1945م.
61. مناهج البحث العلمي/عبد الرحمن البدوي، وكالة المطبوعات _الكويت، ط:3، 1977م.
62. المنطق عند الفارابي/رفيق العجم، المشرق - بيروت، 1986م.
63. منهج التزكية عند الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي/ليلى شوقي، دار الصِّديق للعلوم، 1439هـ-2018م.
64. منهج النقد في علوم الحديث/نور الدين عتر، دار الفكر- دمشق، ط:3، 1401هـ-1981م.
65. المنهجية الأصولية والمنطق اليوناني/حمّو النقاري، دار الشبكة العربية للأبحاث - بيروت، ط:1، 2013م.

66. المهذب في علم أصول الفقه المقارن/عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد_ الرياض، ط:1، 1420هـ-1999م
67. موسوعة الأعمال الكاملة/محمد الخضر حسين، دار النوادر- سوريا، ط:1، 1431هـ-2010م، جمع: المحامي علي الرضا الحسيني.
68. الموسوعة الكونية الكبرى/ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية – بيروت، ط:1، 2007م-1428هـ، تقديم د. محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون.
69. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين/مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي-لبنان، ط:2، 1401هـ-1981م .
70. النجاة مختصر الشفاء/الحسين ابن سينا، مطبعة السعادة – مصر، 1331هـ.
71. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر/أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة سفير -الرياض، ط:1، 1422هـ، ت: عبد الله الرحيلي.
72. نص تلخيص منطق أرسطو/محمَّد بن رشد القرطبي، دار الفكر- لبنان، ط:1، 1992م، ت: جيرار جهامي.
73. نصيحة لإخواننا علماء نجد/يوسف بن السيد هشام الرفاعي، دار اقرأ – دمشق، ط:1، 0142هـ-2000م، تقديم: د.محمد سعيد رمضان البوطي.
74. نظم المتناثر من الحديث المتواتر/محمد الكتاني، دار الكتب السلفية -مصر، ط:2.
75. الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع/عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط:1.
76. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي/محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة – دمشق، ط:2، 2006م.

ثالثاً. المواقع الإلكترونيَّة

موقع ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org
موقع نسيم الشام: https://www.naseemalsham.com/
الحوار المتمدن: https://www.ahewar.org/debat/nr.asp?nm=1

الفهارس

أولاً. فهرس الآيات

السُّورة	طرف الآية	الصَّفحة
البقرة:20/2	﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	173
24-23	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ...﴾	206
29	﴿هُوَ الذى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	152
30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	168 250-226
34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى...﴾	225
95	﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمتْ أَيْدِيهِمْ﴾	184
234	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾	208-57
253	﴿تِلْكَ الرّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	199-120
255	﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾	174-77 235-175
265	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدّين﴾	290
268	﴿لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾	87
284	﴿لِلَّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾	278
285	﴿آمَنَ الرّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾	120 255-199
آل عمران55/3	﴿ إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾	272
110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	199
126	﴿وَمَا النّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	240
النِّساء: 93/4	﴿مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالدا فِيهَا...﴾	122

116	﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	78 281-123 295-284
159-157	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله...﴾	272
164	﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ...﴾	198-174
165	رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ..﴾	253-124
172-171	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ الله وَكَلِمَتُهُ﴾	178-117
المائدة:5/15-16	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ..﴾	128
44	﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	122
64	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾	104
الأنعام:6/18	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	258-223
31	﴿قَدْ خَسِرَ الذينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الله حتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعة بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾	279
59	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	238
93	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾	266
103	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	182
124	﴿الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالتهُ﴾	197
153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ..﴾	129
158	﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ...﴾	274
الأعراف:7/8	﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	279
143	﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ...﴾	182
146	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾	252
187	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي...﴾	270

الأنفال:9/8	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾	120 240-210
60	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾	240
التّوبة:31/9	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله...﴾	27
115	﴿إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	118 179-171
يونس:5/10	﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	220-118
36	﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا...﴾	44
62	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	266-204
94	﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ...﴾	192
99	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا...﴾	290
101	﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	50
هود:11/106-108	﴿فَأَمَّا الذينَ شَقُوا فَفِي النَّار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ 106 خَالدين فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾	170-169
الرّعد:11/13	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله...﴾	258
16	﴿الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	118-116 219-131
الحجر:14/15	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ...﴾	213
26	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾	231
29	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	225
49-55	**﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ 49وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾**	207
النَّحل:68/16	﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾	200
الإسراء:1/17	﴿سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾	214

14-13	﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ الزّمْنَاهُ طَايِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا 13اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	219
15	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾	252-124 292-253
36	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾	44 87-132حا- 291
42	﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَة كَمَا تَقُوْلُوْنَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِىْ اَلْعَرْشِ سَبِيْلاً﴾	66
60	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرّؤْيَا التى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾	185
70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	227-225
85	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾	265-226
93-90	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا...﴾	213
الكهف:6/18	﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾	290
30-29	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾	249-123
57	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا...﴾	252
94	﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾	273
108-107	﴿إِنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا 107 خَالدين فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾	283
مريم:17/19	﴿اتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾	257
24	﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾	200
59	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشّهَوَاتِ...﴾	226
72-71	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا...﴾	280
87	﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفاعة إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدًا﴾	281
94-93	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾	301

طه:5/20	﴿الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	104
16-14	﴿إِنَّنِي أَنَا الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصّلَاةَ لِذِكْرِي...﴾	207
55	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	231
115	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾	249
134-133	﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ...﴾	253-124
الأنبياء:22/21	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا﴾	44 164-66
23	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	152-80
27-26	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ...﴾	257-227
99	﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾	69
105-103	﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ...﴾	279
104	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾	220-118
107	:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾	236
الحج:75/22	﴿الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاس إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	197
78	﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾	287
النُّور:33/24	﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾	240
الفرقان: 20/25	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾	201
الشّعراء:193/26-194	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ 193 عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾	257
النّمل:14/27	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	274-252 295-292
القصص:7/28	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	200
88	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	277

العنكبوت:20/29	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	220-118
50	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ...﴾	213
الرُّوم:25/30	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ...﴾	121
السَّجدة:11/32	﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الذى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	258
22	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا...﴾	252
الأحزاب:40/33	﴿مَا كَانَ محمَّد أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ الله....﴾	197
72	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ...﴾	168
فاطر :1/35	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا...﴾	257
24	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	251
41	﴿ إِنَّ الله يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا...﴾	121
يس:82/36	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	178
ص:53/38	﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾	278
الزُّمر :7/39	﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾	247
68	﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾	275
73	﴿وَسِيقَ الذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجنَّة زُمَرًا..﴾	258
غافر :46-45/40	﴿وَقَاهُ الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ...﴾	268-122
الشُّورى:11/42	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	79 117-104 173-169
الزّخرف:67-61/43	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ...﴾	271
76-74	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾	283
77	﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾	183

84	﴿وَهُوَ الذى فِى السّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾	222-165
محمّد:7/47	﴿إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ﴾	242
19	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّه﴾	252
الفتح: 10/48	﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	104
الحجرات:7/49	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾	288
12	﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	301
ق:16/50	﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	223-105
18-17	﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشّمَالِ قَعِيدٌ...﴾	258
الذَّاريات:21/51	﴿وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	50
56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	255-122
الطُّور :25/52	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾	44
القمر:1/54	﴿اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	213
14-13	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ 13 تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾	235
الرّحمن:10-7/55	﴿وَالسّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ...﴾	227حا
15	﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾	259
27	﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	107 277-276
31	﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثّقَلَانِ﴾	103 161-117
60	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَان﴾	161
الحديد3/57	﴿هُوَ الأوَّل وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	164 220-165

4	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾	223-161
الحشر:59/16-17	﴿كَمَثَلِ الشّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ...﴾	260
التغابن: 64/7	﴿زعَمَ الذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبّي لَتُبْعَثُنَّ...﴾	276
التّحريم:66/6	﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	257
الملك:67/1-2	﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ...﴾	265
15-16	﴿هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا...﴾	162
القلم: 68/44	﴿فَذَرْنِى وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ...﴾	203
الحاقّة:69/17	﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾	258
19-27	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ...﴾	278
المزمّل:73/19	﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾	245
المدّثر:74/27-31	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ...﴾	258
القيامة:75/3-4	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ ألنّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ 3 بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوّىَ بَنَانَه﴾	277
22-23	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ 2 إِلَى رَبّهَا نَاظِرَةٌ﴾	53- 99 119- 182
عبس:80/33-37	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصّاخَّةُ 33 يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أخيه...﴾	279
التّكوير :81/29	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعالَمينَ﴾	245
الانفطار :82/6-8	**﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبّكَ الْكَرِيمِ 6 الذى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾**	224-231
المطففين:83/15	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	99-119
الغاشية:88/2-16	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ...﴾	283
21-22	﴿فَذَكّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكّرٌ 21 لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾	290
الفجر :89/22	﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	104 105-107

البلد:10/90	﴿وَهَدَيْنَاهُ النّجْدَيْنِ﴾	242
الشَّمس:7/91-10	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا...﴾	242
التِّين:4/95	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	231
البيِّنة:7/98	﴿ إِنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾	227
الكوثر:1/108-3	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ 2 إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	382
الإخلاص 1/112-2	﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ 1الله الصّمَدُ﴾	100 165-163

ثانياً. فهرس الأحاديث

	طرف الحديث	صفحة الورود
1.	احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى...	248
2.	إِذَا التَّقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النّار	239
3.	إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ...	59
4.	إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا...	229
5.	إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنَّة الجنَّة، قَالَ: يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟...	186
6.	إذا صار أهلُ الجنَّة إلى الجنَّة، وصار أهلُ النَّار إلى النَّار	283
7.	أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَقَتَلْتَهُ؟...	269
8.	أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ؟	302
9.	إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ...	248-123
10.	إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ...	267
11.	إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمس مِنْ مَغْرِبِهَا...	274
12.	أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ... أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك... مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ...	255 289-270
13.	أُنزلَتْ عليَّ آنفاً سورة" فقرأ: بسم الله الرّحمن الرّحيم...	282
14.	إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا الله	89
15.	إِنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم...	119
16.	إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ...	268
17.	إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ...	271
18.	تَجَاوَزَ الله عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ	98
19.	تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عزَّ وجل حتَّى يَمُوتَ.	184
20.	خَلَقَ الله آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ	232
21.	فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ	260

22	فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضى بِمَا يَصْنَعُ	227
23	فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً...	240
24	كَانَ الله وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ...	118 219-168
25	لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى.	199
26	لَا تَسُبُّوا الدّهْرَ، فَإِنَّ الله هُوَ الدّهْرُ.	223
27	لاَ تَقُومُ السَّاعة حتَّى تَطْلُعَ الشَّمس مِنْ مَغْرِبِهَا	274
28	لَا يَزَالُ النّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ الله الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللّهَ؟...	264-125
29	لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا...	113
30	اللّهُمَّ أَنْتَ الأوَّل فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ	219
31	اللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي فِي يَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ...	131-123
32	لَيْسَ أَحَدٌ أَحبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ...	253-124
33	مَا أَنَا بِقَارِئٍ...	111
34	مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ...	205
35	مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ...	197
36	مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ.	204
37	المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ الله وَكَرَامَتِهِ...	266
38	وَالْذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجنَّة...	248-123
39	وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ...	227
40	وَأَنَا أَكْرَمُ الأوَّلينَ وَالآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ.	199
41	وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟...	269
42	يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ	208-57
43	يَجْمَعُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاس، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجنَّة...	205
44	يَخرُجُ مِنَ النّار مَنْ قال لا إله إلا اللّه...	301-284

ثالثاً. فهرس الأعلام والفرق

	الاسم	صفحة الورود
.1	أبو الطِّيب التِّيزيني	112حا- 314
.2	أبو يعرب المرزوقي	315
.3	جوزيف قزي (أبو موسى الحريري)	208
.4	الشَّيخ حسن حبنَّكة الميدانيّ	22-23-31
.5	الشّيخ محمَّد عبده	196- 221حا-272
.6	الشيخ ملا رمضان البوطي	16-18-19-20-23-32-33-319حا
.7	منجى والدة الدُّكتور البوطي	18
.8	هانز كينغ	316
.9	الماسونية	298
.10	الملحدون	159

رابعاً. الجداول

جدول (1) تطبيقات قانون التَّلازم عند الدُّكتور البوطيّ رحمه الله	70
جدول (2) الفرق بين الوجود الذَّاتي والوجود التَّبعي	146
جدول (3) تعلُّقات صفات المعاني	179
جدول (4) التفسيرات غير المنهجية لظاهرة الوحي	193
جدول (5) العصمة في حق الأنبياء	201
جدول (6) الفرق بين المعجزة والكرامة	203

خامساً. جدول المحتويات

الشكر ..... أ

المستخلص..... ب

المقدّمة..... 1

1- أسئلة البحث 2

2- أهداف البحث..... 2

3- أهميَّة البحث..... 3

4- أسباب اختيار البحث..... 3

5- مصطلحات البحث..... 3

6- حدود البحث..... 5

7- الدِّراسات المرجعيَّة السَّابقة..... 5

8- منهج البحث وأدواته..... 11

9- أقسام الرِّسالة..... 12

التَّمهيد

ترجمةٌ لحياة

الدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطيّ رحمه الله تعالى

أوَّلاً. نشأة الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 17

1. ولادته ونسبه..... 18

2- والداه رحمهما الله تعالى..... 18

ثانياً. حياته العلميَّة وشيوخه..... 21

1- حياته العلميَّة..... 21

2- شيوخه..... 23

ثالثاً. أخلاقه ونشاطه العلمي..... 24

1- أخلاقه..... 24
2- نشاطه العلمي..... 25
رابعاً. مشاركاته الإعلاميَّة المرئيَّة والمكتوبة..... 27
1- الدَّوريَّات والمجلَّات التي كتَبَ فيها..... 27
2- برامجه الإذاعيَّة والتِّلفزيونيَّة..... 27
خامساً. موقعه في المؤسسات الأكاديمية والعالميَّة..... 28
سادساً. التَّخصُّص العلمي لمؤلَّفاته رحمه الله تعالى..... 29
سابعاً. أبرز الأحداث الاجتماعيَّة والتَّيَّارات الدِّينيَّة التي عاصرها..... 31
1- الأحداث الاجتماعيَّة..... 31
2- التَّيَّارات الدِّينيَّة..... 33
ثامناً. التَّزكية في حياة الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 33
1- نشأتها..... 33
2- أهمُّ مظاهر التَّزكيَّة في دروسه ومؤلَّفاته..... 35
تاسعاً. استشهاده..... 35

الباب الأوَّل

منهج البحث العلمي وتطبيقاته في دراسة مسائل العقيدة

عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى

الفصل الأوَّل: منهج البحث العلمي..... 38
المبحث الأوَّل. مقدِّماتٌ تعريفيَّة..... 40
المطلب الأوَّل. تعريف منهج البحث العلميِّ..... 40
المطلب الثَّاني. أهميَّة منهج البحث العلميِّ عند المسلمين..... 42
المطلب الثَّالث: مشروعيَّة اتِّخاذ المنهج سبيلاً للوصول إلى الإسلام..... 44
المطلب الرَّابع: ضوابط منهج البحث العلميِّ السَّليم عند الدُّكتور البوطيِّ..... 45
المبحث الثَّاني: تاريخ منهج البحث العلميِّ (مراحل اكتشافه)..... 47
المطلب الأوَّل: المنطق اليونانيُّ..... 48

المطلب الثَّاني: منهج البحث العلميِّ في عصر الإسلام الذَّهبيِّ..... 49
أوَّلاً. منهج البحث بحسب محل الدعوى (موضوع المعرفة)..... 50
ثانياً. منهج البحث بحسب مصدر الدعوى (ورود موضوع المعرفة)..... 51
ثالثاً. منهج البحث العلميِّ المعاصر..... 52
المبحث الثَّالث: منهج البحث العلميِّ بين المسلمين والغرب..... 53
المطلب الأوَّل: خصائص منهج البحث العلميِّ عند المعتزلة والأشاعرة والماتريديَّة..... 53
أوَّلاً. المعتزلة..... 53
ثانياً. الأشاعرة والماتريديَّة..... 54
المطلب الثَّاني: منهج البحث العلميِّ عند العلماء الغربيين..... 55
أوَّلاً. منهج تمحيص النُّقول والأخبار..... 55
ثانياً. منهج تمحيص الدَّعاوى العلميَّة..... 56
المطلب الثَّالث: مثالان تطبيقيان على الاختلاف بين منهج الغرب والمسلمين... 56
أوَّلاً. ظاهرة الوحي في حياة النَّبيِّ ﷺ..... 56
ثانياً. جمع القرآن الكريم وترتيب آياته..... 57
الفصـل الثَّاني منهجه في الاستدلال بالأدلَّة العقليَّة على العقائد..... 59
المبحث الأوَّل: الاستقراء..... 61
المطلب الأوَّل: مفهوم الاستقراء وأنواعه وقيمة ما ينتُج عنه مِنْ معرفة..... 61
أوَّلاً. مفهومه..... 61
ثانياً. أنواعه..... 62
ثالثاً. قيمة ما ينتُج عنه مِنْ معرفة..... 62
المطلب الثَّاني: رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله بالاستقراء، وصورٌ مِنْ تطبيقاته 63
أوَّلاً. رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله بالاستقراء..... 63
ثانياً. صورٌ مِنْ تطبيقات الاستقراء عند الدكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 65
المبحث الثَّاني: اللُّزوم (قانون التَّلازم) 66
المطلب الأوَّل: مفهوم اللُّزوم وأنواعه..... 66

أوَّلاً. مفهوم اللُّزوم..... 66
ثانياً. أنواع اللُّزوم مِنْ حيث المصدر..... 67
ثالثاً. أنواعه مِنْ حيث القوَّة..... 67
المطلب الثَّاني: رأي الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله في قانون التَّلازم وصورٌ مِنْ تطبيقاته.. 68
أوَّلاً. رأي الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله في قانون التَّلازم..... 68
ثانياً. صورٌ مِنْ تطبيقات قانون التَّلازم عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى.. 70
المطلب الثَّالث: استحالة دعوى الخصم..... 71
أوَّلاً. صورتُها..... 71
ثانياً. مبدؤها..... 71
ثالثاً. تطبيقاتها..... 72
المبحث الثَّالث: القياس..... 73
المطلب الأوَّل: تعريف القياس وأنواعه..... 73
أوَّلاً. القياس في المنطق..... 73
ثانياً. القياس عند علماء الأصول والمتكلِّمين..... 74
المطلب الثَّاني: رأي الدُّكتور البوطي في القياس وضوابطه وصورٌ مِنْ تطبيقاته..... 75
أوَّلاً. رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله في القياس وضوابطه..... 75
ثانياً. صورٌ مِنْ تطبيقات القياس في آراء الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى... 77
المطلب الثَّالث: بطلان قياس الغائب على الشَّاهد في الإلهيَّات عند الدُّكتور البوطي. 78
الفصــل الثَّالث منهجه في الاستدلال بالأدلَّة النَّقليَّة على العقائد..... 81
المبحث الأوَّل: الأدلَّة النَّقليَّة مِنْ حيثُ عددِ الرُّواة والقَبول..... 83
المطلب الأوَّل: المتواتر..... 84
أوَّلاً. مفهومه وحكم الاعتقاد به..... 84
1. مفهومه..... 84
2. حكم الاعتقاد به..... 84
ثانياً. مفهومه وحكمه عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 85

المطلب الثَّاني: الآحاد..... 85
أوَّلاً. مفهومه وحكمه..... 85
1. مفهومه..... 85
2. حكم الاعتقاد بالآحاد المقبول..... 86
ثانياً. مفهومه وحكمه عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 86
ثالثاً. مسألة إرساله ﷺ رسلاً آحاداً إلى الآفاق لتعليم النَّاس عقائد الإسلام..... 89
المبحث الثَّاني: الأدلَّة النَّقليَّة مِنْ حيث قواعد اللُّغة العربيَّة والتَّفسير..... 92
المطلب الأوَّل: كيفيَّة دِلالة اللَّفظ على المعنى..... 93
أوَّلاً. الحقيقة والمجاز..... 93
1. سبب انقسامِ اللَّفظ إلى حقيقةٍ ومجازٍ..... 93
2- تعريفهما..... 93
3. الحقيقة والمجاز في الأدلَّة النَّقليَّة الشَّرعيَّة (الكتاب والسُّنَّة) 94
4. الحقيقة والمجاز عند الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 95
ثانياً. المشترك..... 96
1. تعريفه..... 96
2. حكمه..... 96
ثالثاً. المنطوق والمفهوم..... 97
المطلب الثَّاني : قوَّة دلالة اللَّفظ على المعنى.....99
أوَّلاً. النص والمجمل والظاهر..... 100
ثانياً. ما ذكره رحمه الله تعالى مِنْ طريقة الحنفيَّة..... 102
ثالثاً. ما يترتَّب على المطلبين السَّابقين في فهم آيات الصِّفات عنده رحمه الله تعالى.... 103
المطلب الثَّالث: شمولية دِلالة الألفاظ على المعاني..... 109
أوَّلاً. المطلق والمقيَّد..... 109
ثانياً. العامُّ والخاصُّ..... 111
المبحث الثَّالث: الإجماع..... 113

المطلب الأوَّل: الإجماع وقيمة ما ينتج عنه مِنْ معرفةٍ في مسائل العقيدة..... 113
أوَّلاً. تعريف الإجماع..... 113
ثانياً. قيمة ما ينتج عنه مِن معرفةٍ في مسائل العقيدة..... 113
المطلب الثَّاني: الإجماع وقيمة ما ينتج عنه مِنْ معرفةٍ في مسائل العقيدة عند الدُّكتور البوطي 115
المبحث الرَّابع: تطبيقات الأدلَّة النَّقليَّة في آراء الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى. 116
المطلب الأوَّل. القرآن..... 116
المطلب الثَّاني. السُّنَّة..... 123
المطلب الثَّالث: الإجماع..... 126
المبحث الخامس: تعارض العقل والنَّقل..... 127
أوَّلاً. صورة المسألة كما يراها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله..... 127
ثانياً. منهجه رحمه الله تعالى بين العقل والنَّقل..... 130
ثالثاً. صورةٌ مِنْ منهجه رحمه الله تعالى بين العقل والنَّقل..... 130
الفصل الرَّابع حكم الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى 133
المبحث الأوَّل: تعريف علم الكلام وسبب تسميته بناءً على ما اختاره رحمه الله.. 134
أوَّلاً. تعريف علم الكلام..... 134
ثانياً. سبب تسميته..... 135
المبحث الثَّاني: حكم الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيِّ ودعوةٌ مستمرَّةٌ منه لتطويره136
المبحث الثَّالث: ضوابط الاشتغال بعلم الكلام عند الدُّكتور البوطيِّ رحمه الله تعالى.....140

الباب الثَّاني

الآراء العقديَّة للدُّكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي رحمه الله تعالى

الفصل الأوَّل: الإلهيَّات..... 143
المبحث الأوَّل: وجود الله تعالى..... 145
المطلب الأوَّل: صفة الوجود..... 146
المطلب الثَّاني: منهجه رحمه الله في الاستدلال على وجود الله تعالى..... 147
– أدلَّة وجود الله تعالى..... 148

المطلب الثَّالث: الفلسفات المعاصرة وأدلَّة وجود الله تعالى..... 152
أوَّلاً– الجدليَّةُ الدِّيالكتيَّة عند هيجل..... 152
1– عرض الفلسفة..... 152
2– مقابلة آراء الفلسفة بأدلَّة وجود الله التي أثبتها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله. 153
ثانياً– المادِّيَّة الجدليَّة والتَّاريخيَّة..... 153
1– عرض الفلسفة..... 154
2– مقابلة آراء الفلسفة بأدلَّة وجود الله التي أثبتها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله. 155
ثالثاً– الفلسفة الوجوديَّة..... 156
1. عرض الفلسفة..... 156
2. مقابلة آراء الفلسفة بأدلَّة وجود الله التي أثبتها الدُّكتور البوطيُّ رحمه الله.. 157
ملاحظات ختامية..... 159
المبحث الثَّاني: صفات الله تعالى..... 160
المطلب الأوَّل: أحكامٌ عامةٌ عن الصِّفات..... 161
أوَّلاً. الألفاظ التي يجوز استخدامها في وصف الله تعالى..... 161
ثانياً. صفات الله تعالى أزليَّةٌ، وغيرُ مكتسبة 162
المطلب الثَّاني: الصِّفات السَّلبيَّة..... 163
أوَّلاً. مفهوم الصِّفات السَّلبيَّة وأدلَّتُها..... 163
ثانياً– مسائل وبيانها..... 166
المسألة الأُوْلَى: عدم قدرة العقل على تخيُّل بعض الصِّفات السَّلبيَّة في حقِّ الله 166
المسألة الثَّانية: الصِّفات المشتركة من حيث الاسم بين الله والإنسان..... 168
المسألة الثَّالثة: الاشتراك بين بقاء الله وبقاء الإنسان في الجنَّة والنَّار؛ وصفة الوَحدانيَّة. 169
المطلب الثَّالث: صفات المعاني والصِّفات المعنويَّة..... 171
أوَّلاً. مفهومها..... 171
ثانياً. ذِكْرُ الصِّفات وبيان معناها ودليلها..... 171
ثالثاً– موقفه رحمه الله مِن مسألة ثبوت صفات المعاني بين المعتزلة وأهل السُّنَّة والجماعة. 174

رابعاً– كلام الله تعالى قديمٌ أم مخلوق..... 175
1– تحرير محلِّ المسألة: 175
2– رأي الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى في المسألة..... 177
3– مسألة كون سيدنا عيسى بن مريم عليه السَّلام كلمة الله. 177
خامساً: حقائقٌ اعتقاديَّةٌ تترتَّب على صفات المعاني..... 178
سادساً– أقسام صفات المعاني حسب تعلُّقاتها..... 179
المبحث الثَّالث: رؤية الله تعالى..... 181
المطلب الأوَّل: حكم رؤية الله تعالى نقلاً وعقلاً..... 181
أوَّلاً: الحكم العقليُّ..... 181
ثانياً: الدَّليل النَّقليُّ..... 182
المطلب الثَّاني: رؤيتُه تعالى في الدُّنيا..... 184
المطلب الثَّالث: رؤيتُه تعالى في الآخرة..... 185
المبحث الرَّابع: أسماء الله تعالى توقيفيَّة قديمةٌ، وكم عددُها؟..... 187
الفصل الثَّاني: النُّبوَّات..... 189
المبحث الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات ظاهرة الوحي وبيان مسائلها 191
المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات ظاهرة الوحي وتفسيرها..... 191
المطلب الثَّاني: إبطاله رحمه الله تعالى لتفسيراتٍ غير منهجيَّةٍ لظاهرة الوحي.. 193
المبحث الثَّاني: النُّبوَّة والرِّسالة..... 195
المطلب الأوَّل: تعريف النُّبوَّة والرِّسالة والفرق بينهما..... 195
أوَّلاً. معنى النُّبوَّة والرِّسالة..... 195
ثانياً. هل النُّبوَّة مكتسبة؟..... 197
المطلب الثَّاني: الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى(أحكامٌ خاصَّة بهم)..... 197
1. أَوَّلُ الرُّسل وآخرهم..... 197
2. عدد الرُّسل والأنبياء..... 198
3. مرتبة النُّبوَّة واحدة، أمَّا المنزلة عند الله تختلف..... 199

المطلب الثَّالث: صفات الأنبياء وشروطهم..... 200
1. الذُّكورة..... 200
2. الأمانة. 200
3. الفطنة والعدالة..... 201
4. العصمة عن الوقوع في الذُّنوب..... 201
المبحث الثَّالث: المعجزات..... 202
المطلب الأوَّل: تعريفها وحكم الإيمان بها..... 202
أوَّلاً. تعريفها..... 202
ثانياً. المعجزة والكرامة والاستدراج..... 202
ثالثاً. المعجزة وحكمها في ميزان العلم..... 205
رابعاً. حكم الإيمان بالمعجزات..... 205
خامساً. أهمُّ المعجزاتِ المتواترة عنهﷺ..... 206
المعجزة الأُوْلَى. القرآن الكريم..... 206
1- القرآنُ مُنَزَّلٌ مِنْ عند الله تعالى. ودليله. 207
2- القرآن ووصوله إلينا بدون تحريف..... 208
3- ورقة بن نوفل هو معلِّم النُّبوَّة للرَّسولﷺ..... 208
أوَّلاً. دعاوى أبي موسى الحريري..... 208
ثانياً. ردود الدُّكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 209
المعجزة الثَّانية: الإسراء والمعراج..... 210
المعجزة الثَّالثة: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر..... 210
المطلب الثَّاني: المسائل الخاصَّة بالمعجزات 211
المسألة الأُوْلَى: مفهوم المعجزة ودعوى الإصلاح الدِّينيِّ..... 211
المسألة الثَّانية: المعجزة وَوُرُود نفيها في القرآن..... 213
الفصل الثَّالث: الكونيَّات..... 215
المبحث الأوَّل. العالَم..... 217

المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات حدوث العالَم..... 217
الادِّعاء الأُوَّل: القول بقِدَم العالَم، وسرمديَّته..... 217
الادِّعاء الثَّاني: القِدَمُ النَّوعيُّ..... 219
الخلاصة: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ما سبق..... 221
المطلب الثَّاني: المكان والزَّمان ونسبتهما لله تعالى..... 221
أوَّلاً. حقيقة المكان والزَّمان..... 221
ثانياً. نسبة المكان والجهة والزَّمان إلى الله تعالى..... 222
سؤال أين الله؟..... 222
ثالثاً. النَّهي عن سبِّ الزَّمان والدَّهر..... 223
المبحث الثَّاني: الإنسان..... 224
المطلب الأوَّل: أفضليَّة الإنسان على سائر المخلوقات..... 225
أوَّلاً. أفضليَّة الإنسان على سائر المخلوقات، ما عدا الملائكة ففيها نظر..... 225
ثانياً. أفضليَّة الإنسان على الملائكة..... 227
ثالثاً. الروح والنفس؛ تعريفهما وحقيقة كل منهما..... 228
المطلب الثَّاني: نشأة الإنسان ونظريَّة التَّطوُّر..... 231
أوَّلاً. الحقائق العقديَّة التي أقرَّها رحمه الله تعالى فيما يخصُّ نشأة الإنسان، وأدلَّتها..... 231
ثانياً. مسألة التَّدرُّج المتراصف بين الأجناس 233
المطلب الثَّالث: أفعال الإنسان وما يتعلَّق فيها مِنْ مسائل..... 233
المسألة الأُوْلَى: قانون السَّببية في الكون..... 234
المسألة الثَّانية: التَّسيير والتَّخيير..... 241
1. تاريخ مسألة التَّسيير والتَّخيير..... 241
2- القضاء والقدر وتوهُّم الجبر..... 243
3. ارتباط مشيئة الإنسان بمشيئة الله..... 244
4- الفرق بين الرِّضا والإرادة والأمر..... 246
5. حديث فيسبق عليه الكتاب فيدخل النَّار..... 248

6- حديث احتجَّ آدم وموسى على أمرٍ قدَّره اللهُ..... 249
المسألة الثَّالثة: الحُسُن والقبح..... 250
1- صورة المسألة..... 250
2- الحسن والقبح بين العقل والشَّرع..... 250
3- مصدر التَّكليف..... 251
4- الأصلح في حقِّ الله تعالى..... 253
المبحث الثَّالث: الإيمان الملائكة والجنِّ..... 255
المطلب الأوَّل. حكم الإيمان بالملائكة والجنِّ..... 255
أوَّلاً. منهجه رحمه الله تعالى في إثبات وجودهم..... 255
ثانياً. مسألة: عدم الإيمان بوجودهم لعدم رؤيتهم..... 256
المطلب الثَّاني: صفات الملائكة ووظائفهم..... 256
أوَّلاً. منهج ثبوت الصفات والوظائف. 256
ثانياً. صفات الملائكة..... 257
ثالثاً. وظائف الملائكة..... 257
المطلب الثَّالث: الجنُّ والشَّيطان..... 259
أوَّلاً. مادةُ أصل خلق الجنِّ..... 259
ثانياً. الشَّيطان مهمَّته ومآله..... 259
الفصل الرَّابع: الغيبيَّات..... 261
المبحث الأوَّل: الموت ومسائله..... 265
المطلب الأوَّل: تعريف الموت..... 265
المطلب الثَّاني: قضايا الموت ومسائله..... 266
أوَّلاً. ملك الموت..... 266
ثانياً. البشرى..... 266
ثالثاً. سؤال القبر..... 267
رابعاً. عذاب القبر ونعيمه..... 268

المبحث الثَّاني: أشراط السَّاعة ومسائلها..... 270
أوَّلاً. تعريفها..... 270
ثانياً. موعدها..... 270
ثالثاً. علاماتها؛ أيْ دلائل اقتراب السَّاعة..... 270
1. الدَّجال..... 271
2. المهدي..... 271
3. نزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام..... 271
4. يأجوج ومأجوج..... 273
5. دآبَّة الأرض..... 273
6. طلوع الشَّمس مِنْ مغربها..... 274
المبحث الثَّالث: يوم القيامة وأحداثه..... 275
المطلب الأوَّل: منهجه رحمه الله تعالى في إثبات أحداث يوم القيامة..... 275
الأوَّل: خطورة هذا اليوم..... 275
الثَّاني: كيفيَّة قيام السَّاعة..... 275
المطلب الثَّاني: أحداث يوم القيامة..... 276
أوَّلاً. البعث..... 276
ثانياً. الحشر..... 277
ثالثاً. الحساب..... 277
رابعاً. الصُّحف والحساب..... 278
خامساً. هول الموقف وعظائمه..... 279
سادساً. الميزان والوزن..... 279
سابعاً. الصِّراط والاجتياز عليه..... 280
ثامناً: الشَّفاعة..... 281
تاسعاً. الحوض..... 282
عاشراً. الجنَّة والنَّار والخلود في كلٍّ منهما..... 282

حقيقتان لا بُدَّ أنْ يعتقد المسلم بهما جازماً..... 282
الحقيقة الأُوْلَى: الجنَّة والنَّار شيآن ماديَّان..... 283
الحقيقة الثَّانية: كلٌّ مِنَ الجنَّة والنَّار خالدٌ لا نهاية له..... 283
الفصل الخامس: الإيمان..... 286
المبحث الأوَّل: حقيقة الإيمان..... 287
المطلب الأوَّل: الإسلام والإيمان والإحسان والدِّين..... 287
أوَّلاً. التَّعريفات كما أثبتَها رحمه الله تعالى..... 287
1- الإسلام..... 287
2- الإيمان..... 288
3- الإحسان..... 289
4- الدِّين..... 289
المطلب الثَّاني: لا إكراه في الدِّين..... 290
المطلب الثَّالث: منهجه رحمه الله تعالى في مسألتي إيمان المُقلِّد وأهل الفترة.. 291
المبحث الثَّاني: أنواع فَقْدِ الإيمان وأحكامه..... 293
أوَّلاً. الشِّرك..... 293
ثانياً. الزَّندقة ونفاق الاعتقاد..... 294
ثالثاً. الرِّدَّة والكفر الأصليُّ..... 295
1. الرِّدَّة..... 295
2. الكفر الأصليُّ..... 295
3- قيودُ الحكمِ بالكفر أو الرِّدَّة (التَّكفير) 295
4- موجبات الكفر والرِّدَّة..... 297
5- صورٌ مِنْ موجبات الكفر أو الرِّدَّة..... 298
المبحث الثَّالث: منهج الحيطة في إثبات أنواع فَقْدِ الإيمان السَّابقة..... 299
أوَّلاً. الحيطة في كلماته رحمه الله تعالى..... 299
ثانياً. المبادئ التي أقام رحمه الله عليها منهجَه في الحيطة..... 301

الخاتمة..... 303
أوّلاً. النَّتائج..... 304
ثانياً. التَّوصيات..... 308
الملحق (مؤلَّفاته رحمه الله تعالى وفق تاريخ النَّشر)..... 309
أولاً. كتبه رحمه الله تعالى..... 310
ثانياً. بعض الكتب التي قدَّم لها أو أشرف عليها..... 316
ثالثاَ. بعض الكتب التي أولِّفت عنه رحمه الله تعالى..... 317
المصادر والمراجع..... 320
أولاً. المراجع من كتب الدكتور البوطي رحمه الله تعالى..... 321
ثانياً. المصادر والمراجع العامة..... 323
ثالثاً. المواقع الإلكترونية..... 328

الفهارس

أوّلاً. فهرس الآيات..... 330
ثانياً. فهرس الأحاديث..... 339
ثالثاً. فهرس الأعلام والفرق..... 341
رابعاً. الجداول..... 341
فهرس المحتويات..... 342
Extract Title..... 356

Extract Title

The approach of the martyred Imam Dr. Muhammad Saeed Ramadan Al-Bouti In the study of matters of faith

Student: Raghad Muhammad Tawfiq Al-Haj Ali.

Supervisor: Prof. Dr. Madine El Hawary

Assistant Supervisor: Prof. Dr. Muhammad Tawfiq Ramadan Al-Bouti

Message extractor

The research aimed to define the scientific method of Dr. Al-Bouti in the study of doctrine and the statement of his theological doctrine, and to collect his views of the doctrine and his scientific method together in one reference; It is easy to rely on in future research.

To achieve this, the message was divided into two chapters. The first: The method of scientific research and its applications in studying matters of belief according to Dr. Al-Bouti, and it includes: four chapters; The first talks about the scientific research method and its issues. The second: Dr. Al-Bouti's approach to inference with rational evidence, which is; Induction, correlation and measurement. The third was devoted to his method of inference with transmission evidence in terms of the number of narrators, acceptance, and rules of language, and finally the fourth: the ruling on engaging with his knowledge of speech, may God have mercy on him.

As for the second chapter: the doctrinal opinions of Dr. Al-Bouti and in it; Five chapters, in the following order:

Divinities, prophecies, cosmology, metaphysics, faith, and the precautionary approach in proving the loss of faith.

The research followed the descriptive inductive method, then the comparative analytical method, and came to a number of results, the most important of which are: that he, may God have mercy on him, agreed in most of his creedal views of the Ash'ari doctrine, while in his scientific method the following detail: Where he, may God have mercy on him, wanted to establish the faith facts only without discussion, he followed the Ash'ari method, which Inference from the text has always been, and where he wanted, may God have mercy on him, to discuss a creedal idea and then invalidate the opponent's argument, it was closer to the Maturidi approach, which gave the mind an importance parallel to the importance of the text. All of this in cases that depend on rational evidence, but in the unseen, the text is fixed, regardless of the context and goal of the hadith.

Keywords: (methodology), (al-Bouti), (theology), (theology), (prophecies), (the Unseen).